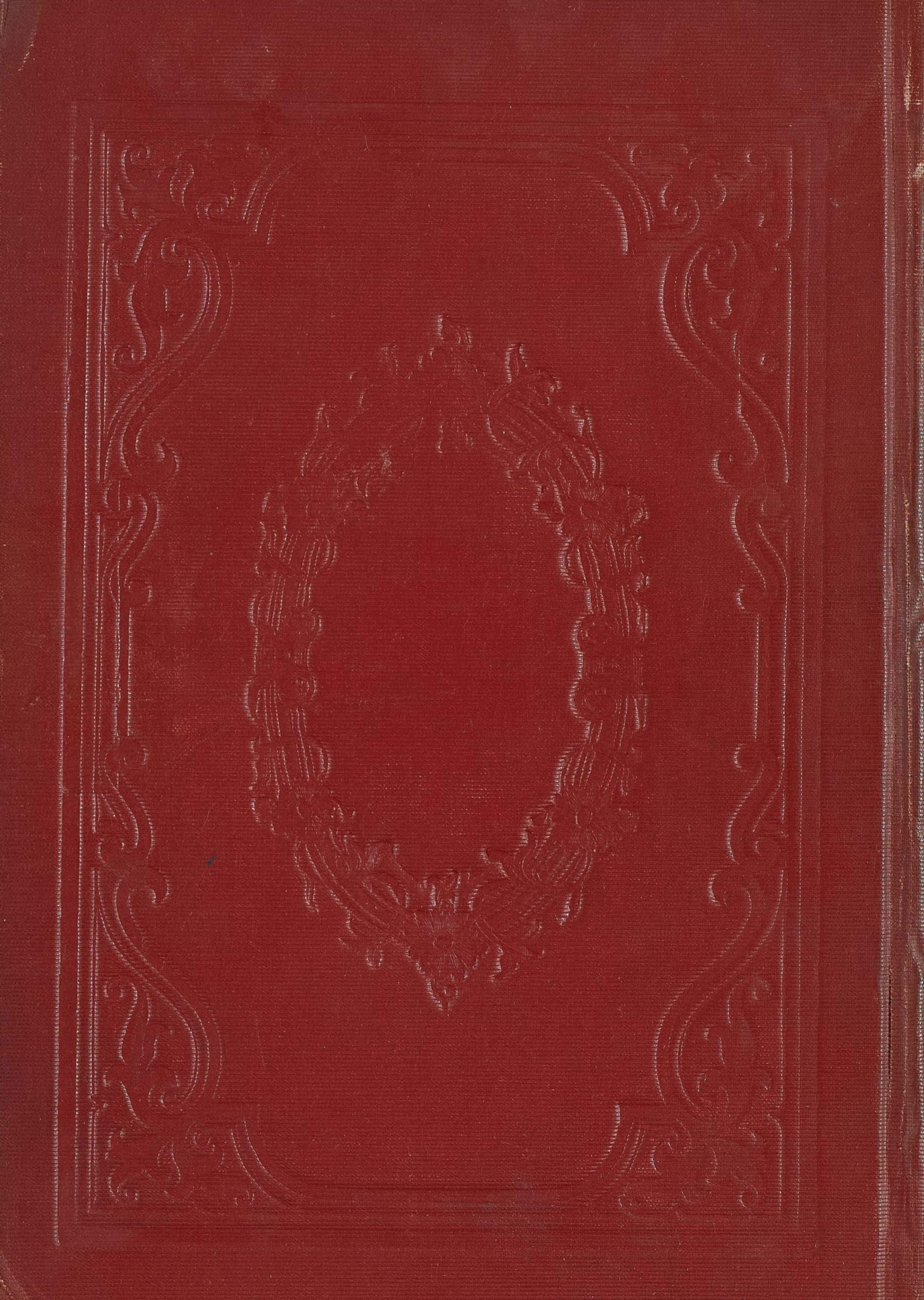
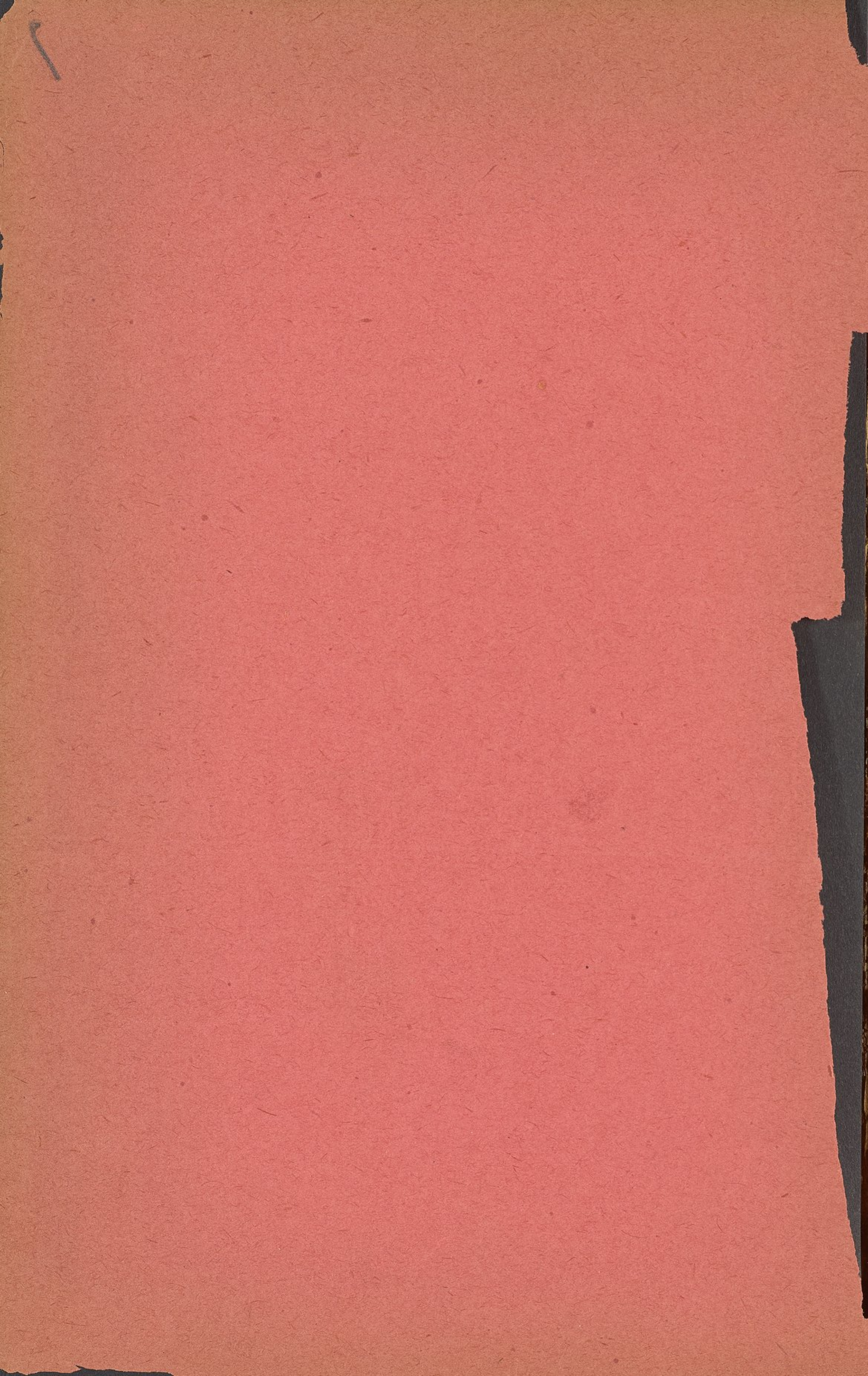
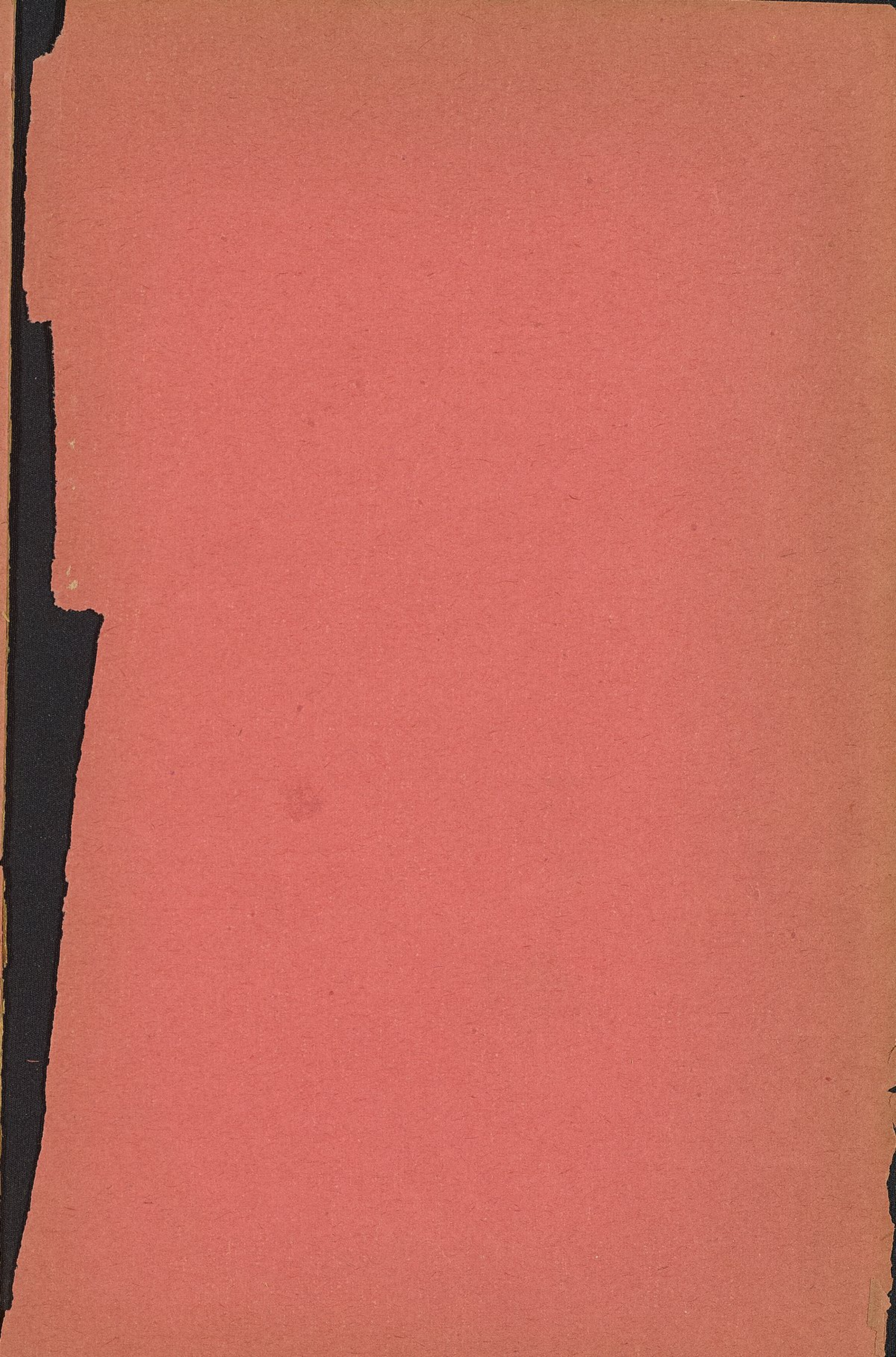
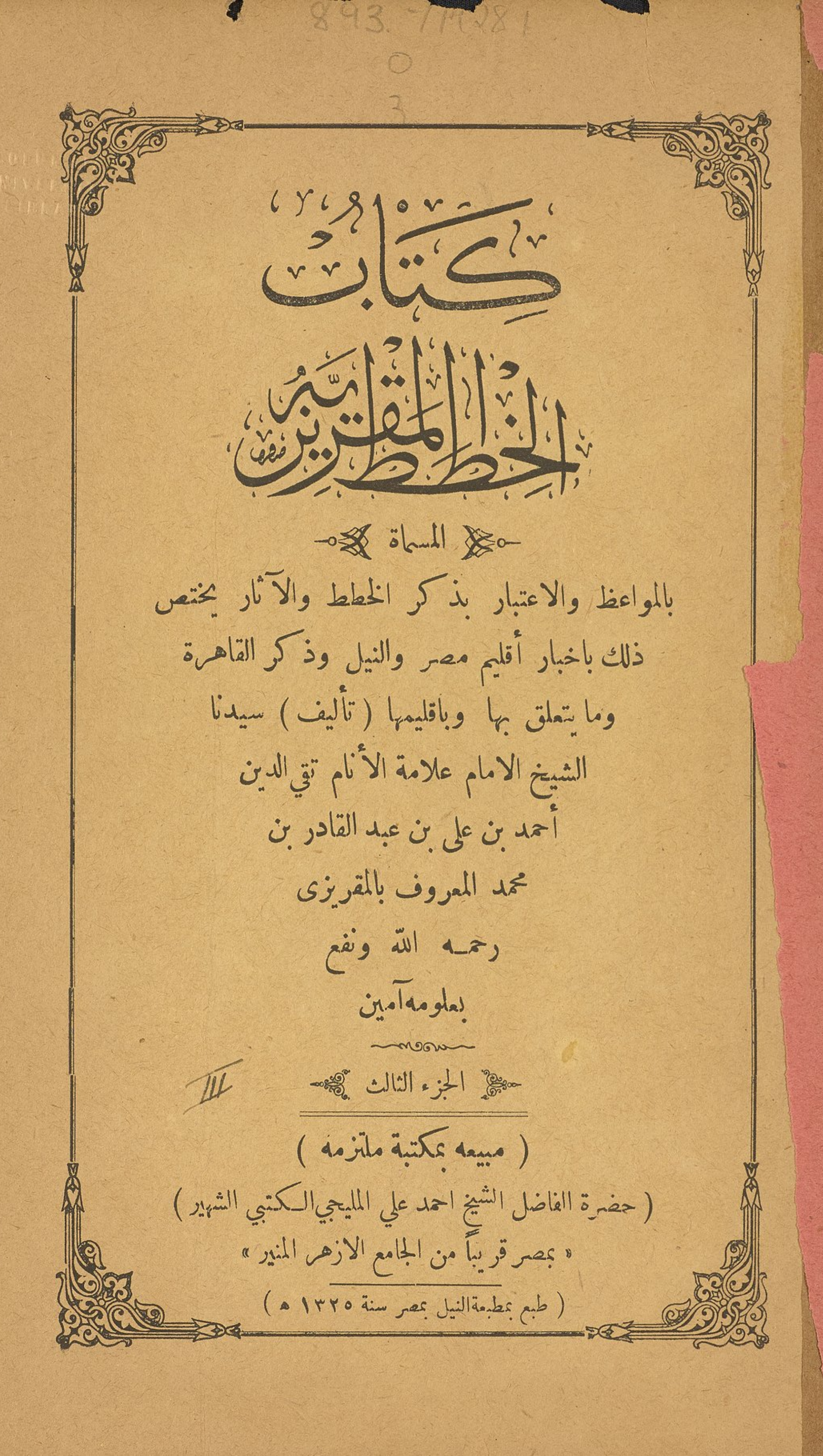








كتاب الخطط المقريزية

المسماة

بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص ذلك باخبار أقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وباقليمها (تأليف) سيدنا الشيخ الامام علامة الأنام تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزى رحمه الله ونفع بعلومه آمين

الجزء الثالث

III

(مبيعه بمكتبة ملتزمه)

(حضرة الفاضل الشيخ احمد علي المليجي الكتبي الشهير)

«بمصر قريباً من الجامع الازهر المنير»

(طبع بمطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٥ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر حارات القاهرة وظواهرها

قال ابن سيده والحارة كل محلة دنت منازلها قال والمحلة منزل القوم وبالقاهرة وظواهرها عدة حارات وهى * (حارة بهاء الدين) هذه الحارة كانت قديماً خارج باب الفتوح الذى وضعه القائد جوهر عند ما اختط أساس القاهرة من الطوب النئ وقد بقى من هذا الباب عقدة برأس حارة بهاء الدين وصارت هذه الحارة اليوم من داخل باب الفتوح الذي وضعه أمير الجيوش بدر الجمالى وهو الموجود الآن وحد هذه الحارة عرضاً من خط باب الفتوح الآن الى خط حارة الوراقة بسوق المرحلين وحدها طولا فيما وراء ذلك الى خط باب القنطرة وكانت هذه الحارة تعرف بحارة الريحانية والوزيرية وهما طائفتان من طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين فان بها كانت مساكنهم وكان فيها لهاتين الطائفتين دور عظيمة وحوانيت عديدة وقيل لها أيضاً بين الحارتين واتصلت العمارة الي السور ولم تزل الريحانية والوزيرية بهذه الحارة الى ان كانت واقعة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالعبيد

ذكر واقعة العبيد

وسببها أن مؤتمن الخلافة جوهراً أحد الاستاذين المحنكين بالقصر تحدث فى ازالة صلاح الدين يوسف بن أيوب من وزارة الخليفة العاضد لدين الله عند ما ضايق اهل القصر وشدد عليهم واستبد بأمور الدولة وأضعف جانب الخلافة وقبض على أكابر أهل الدولة فصار مع جوهر عدة من الامراء المصريين والجند واتفق رأيهم أن يبعثوا الى الفرنج ببلاد الساحل يستدعونهم الى القاهرة حتى اذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكره ثاروا وهم بالقاهرة واجتمعوا مع الفرنج على اخراجه من مصر فسيروا رجلا الى الفرنج وجعلوا كتبهم التى معه فى نعل وحفظت بالجلد مخافة أن يفطن بها فسار الرجل الى البير البيضاء قريباً من بلبيس فاذا بعض أصحاب صلاح الدين هناك فأنكر أمر الرجل من أجل أنه جعل النعلين فى يده ورآهما وليس فيهما أثر المشى والرجل رث الهيئة فارتاب وأخذ النعلين وشقهما فوجد الكتب ببطنهما فحمل الرجل والكتب الى صلاح الدين فتتبع خطوط الكتب حتى عرفت فاذا الذى كتبها من اليهود الكتاب فأمر بقتله فاعتصم بالاسلام وأسلم وحدثه الخبر

فبلغ ذلك مؤتمن الخلافة فاستشعر الشر وخاف على نفسه ولزم القصر وامتنع من الخروج منه فأعرض صلاح الدين عن ذلك جملة وطال الامدفظن الخصى أنه قد أهمل أمره وشرع يخرج من القصر وكانت له منظرة بناها بناحية الخرقانية في بستان فخرج اليها في جماعة وبلغ ذلك صلاح الدين فأنهض اليه عدة فهجموا عليه وقتلوه في يوم الاربعاء لخمس بقين من ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة واحتزوا رأسه وأتوا بها الى صلاح الدين فاشتهر ذلك بالقاهرة وأشيع فغضب العسكر المصرى وثاروا بأجمعهم في سادس عشريه وقد انضم اليهم عالم عظيم من الامراء والعامة حتى صاروا ما ينيف على خمسين ألفاً وساروا الى دار الوزارة وفيها يومئذ ساكناً بها صلاح الدين وقد استعدوا بالاسلحة فبادر شمس الدولة فخر الدين توران شاه أخو صلاح الدين وصرخ فى عساكر الغز وركب صلاح الدين وقد اجتمع اليه طوائف من أهله وأقاربه وجميع الغز وورتهم ووقفت الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية والطائفة الفرحية وغيرهم من الطوائف السودانية ومن انضم اليهم بين القصرين فثارت الحروب بينهم وبين صلاح الدين واشتد الامر وعظم الخطب حتى لم يبق الا هزيمة صلاح الدين وأصحابه فعند ذلك أمر توران شاه بالحملة على السودان فقتل فيها أحد مقدميهم فانكف بأسهم قليلا وعظمت حملة الغز عليهم فانكسروا الى باب الذهب ثم الى باب الزهومة وقتل حينئذ عدة من الامراء المصريين وكثير ممن عداهم وكان العاضد في هذه الوقعة يشرف من المنظرة فلما رأى أهل القصر كسرة السودان وعساكر مصر رموا على الغز من أعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى أنكوا فيهم وكفوهم عن القتال وكادوا ينهزمون فأمر حينئذ صلاح الدين النفاطين باحراق المنظرة فأحضر شمس الدولة النفاطين وأخذوا فى تطبيب قارورة النفط وصوبوا بها على المنظرة التي فيها العاضد فخاف العاضد على نفسه وفتح باب المنظرة زعيم الخلافة أحد الاستاذين وقال بصوت عال أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب أخرجوهم من بلادكم فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا فحمل عليهم الغز فانكسروا وركب القوم أقفيتهم الى أن وصلوا الى السيوفيين فقتل منهم كثير وأسر منهم كثير وامتنعوا هناك على الغز بمكان فأحرق عليهم وكان فى دار الارمن التي كانت قريباً من بين القصرين خلق عظيم من الارمن كلهم رماة ولهم جار في الدولة يجرى عليهم فعند ما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحدة حتى امتنعوا عن أن يسيروا الى العبيد فأحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقا وقتلا ومروا الى العبيد فصاروا كلما دخلوا مكانا أحرق عليهم وقتلوا فيه الى أن وصلوا الى باب زويلة فاذا هو مغلوق فحصروا هناك واستمر فيهم القتل مدة يومين ثم بلغهم أن صلاح الدين أحرق المنصورة التى كانت أعظم حاراتهم وأخذت عليهم أفواه السكك فأيقنوا أنهم قد أخذوا لا محالة فصاحوا

الامان فامنوا وذلك يوم السبت لليلتين بقيتا من ذى القعدة وفتح لهم باب زويلة فخرجوا الى الجيزة فعدا عليهم شمس الدولة فى العسكر وقدقووا بأموال المهزومين وأسلحتهم وحكموا فيهم السيف حتى لم يبق منهم الا الشريد وتلاشى من هذه الواقعة أمر العاضد وكان من غرائب الاتفاقات أن الدولة الفاطمية كان الذى افتتح لها بلاد مصر وبنى القاهرة جوهر القائد والذى كان سبباً فى ازالة الدولة وخراب القاهرة جوهر المنعوت بمؤتمن الخلافة هذا ثم لما استبد صلاح الدين يوسف بسلطنة الديار المصرية بعد موت الخليفة العاضد لدين الله سكن هذه الحارة الامير الطواشى الخصي بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الاسدى فعرفت به * (حارة برجوان) منسوبة الى الاستاذ أبى الفتوح برجوان الخادم وكان خصياأبيض تام الخلقة ربي فى دار الخليفة العزيز بالله وولاه أمر القصور فلما حضرته الوفاة وصاه على ابنه الامير أبى على منصور فلما مات العزيز بالله أقيم ابنه منصور في الخلافة من بعده وقام بتدبير الدولة أبو محمد الحسن بن عمار الكتامى فدبر الامور وبرجوان يناكده فيمايصدر عنه ويختص بطوائف من العسكر دونه الى أن أفسد أمر ابن عمار فنظر برجوان في تدبير الامور يوم الجمعة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وصار الواسطة بين الحاكم وبين الناس فأمر بجمع الغلمان ونهاهم عن التعرض لأحد من الكتاميين والمغاربة ووجه الى دار ابن عمار فمنع الناس عنها بعد أن كانوا قد أحاطوا بها وانتهبوا منها وأمر أن يجرى لاصحاب الرسوم والرواتب جميع ماكان ابن عمار قطعه وأجرى لابن عمار ماكان يجرى له في أيام العزيز باللهمن الجرايات لنفسه ولاهلهوحرمه ومبلغ ذلك مناللحموالتوابل خمسمائة دينارفي كلشهر يزيد عنذلكأو ينقص عنه على قدر الاسعار مع ماكانله من الفاكهة وهوفي كليوم سلة بدينار وعشرةأرطال شمع بدينار ونصف وحمل بلحوجعل كاتبهأبا العلاء فهد ابن ابراهيم النصرانى يوقع عنه وينظر في قصص الرافعين وظلاماتهم فجلس لذلك في القصر وصار يطالعهبجميع ما يحتاج اليه ورتب الغلمان فيالقصر وأمرهم بملازمة الخدمة وتفقد أحوالهم وأزال علل أولياء الدولة وتفقد أمور الناس وأزال ضروراتهم ومنع الناس كافة من الترجل له فكان الناس يلقونه فى داره فاذا تكامل لقاؤهم ركبوا بين يديه الى القصر ماعدا الحسين بن جوهر والقاضى ابن النعمان فقط فانهما كانا يتقدمانه من دورهما الى القصر أو يلحقانه ويكون سلامهما عليه فى القصر حتى أنه لقب كاتبهفهدا بالرئيس فصار يخاطب بذلك ويكاتب به * وكان برجوان يجلس فى دهاليز القصر ويجلس الرئيس فهد بالدهليز الاول يوقع وينظر ويطالع برجوان ما يحتاج اليه مما يطالع به الحاكم فيخرج الامر بما يكون العمل به وترقت أحوال برجوان الى أن بلغ النهاية فقصر عن الخدمة وتشاغل بلذاته وأقبل على سماع الغناء وأكثر من الطرب وكان شديد المحبة في الغناء فكان المغنون

من الرجال والنساء يحضرون داره فيكون معهم كأحدهم ثم يجلس في داره حتى يمضي صدر النهار ويتكامل جميع أهل الدولة وأرباب الاشغال على بابه فيخرج راكباً ويمضي الى القصر فيمشي من الامور ما يختار بغير مشاورة فلما تزايد الامر وكثر استبداده تحرد له الحاكم ونقم عليه أشياء من تجريه عليه ومعاملته له بالاذلال وعدم الامتثال • منها انه استدعاه يوما وهو راكب معه فصار اليه وقد ثنى رجله على عنق فرسه وصار باطن قدمه وفيه الخف قبالة وجه الحاكم ونحو ذلك من سوء الادب فلما كان يوم الخميس سادس عشرى شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة أنفذ اليه الحاكم عشية للركوب معه الى المقياس فجاء بعد ما تباطأ وقد ضاق الوقت فلم يكن بأسرع من خروج عقيق الخادم باكياً يصيح قتل مولاى وكان هذا الخادم عينا لبرجوان في القصر فاضطرب الناس واشرف عليهم الحاكم وقام زيدان صاحب المظلة فصاح بهم من كان في الطاعة فلينصرف الى منزله ويبكر الى القصر المعمور فانصرف الجميع فكان من خبر قتل برجوان انه لما دخل الى القصر كان الحاكم في بستان يعرف بدويرة التين والعناب ومعه زيدان فوافاه برجوان بها وهو قائم فسلم ووقف فسار الحاكم الى أن خرج من باب الدويرة فوثب زيدان على برجوان وضربه بسكين كانت معه في عنقه وابتدره قوم كانوا قد أعدوا للفتك به فأثخنوه جراحة بالخناجر واحتزوا رأسه ودفنوه هناك ثم ان الحاكم أحضر اليه الرئيس فهدا بعد العشاء الاخيرة وقال له أنت كاتبي وأمنه وطمنه فكانت مدة نظر برجوان فى الوساطة سنتين وثمانية أشهر تنقص يوما واحداً ووجد الحاكم في تركته مائة منديل يعنى عمامة كلها شروب ملونة معممة على مائة شاشية وألف سراويل دبيقية بالف تكة حرير أرمني ومن الثياب المخيطة والصحاح والحلى والمصاغ والطيب والفرش والصياغات الذهب والفضة مالا يحصى كثرة ومن العين ثلاثة وثلاثين ألف دينار ومن الخيل الركابية مائة وخمسين فرساً وخمسين بغلة ومن بغال النقل ودواب الغلمان نحو ثلثمائة رأس ومائة وخمسين سرجا منها عشرون ذهباً ومن الكتب شئ كثير وحمل لجاريته من مصر الى القاهرة رحل على ثمانين حماراً قال ابن خلكان وبرجوان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الجيم والواو وبعد الالف نون هكذا وجدته مقيداً بخط بعض الفضلاء وقال ابن عبد الظاهر ويسمى الوزغ سماه به الحاكم (حارة زويلة) قال ابن عبد الظاهر لما نزل القائد جوهر بالقاهرة اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها والبئر التى تعرف ببئر زويلة في المكان الذي يعمل فيه الآن الروايا والبابان المعروفان ببابي زويلة وقال ياقوت زويلة بفتح الزاى وكسر الواو وياء ساكنة وفتح اللام أربعة مواضع الاول زويلة السودان وهي قصبة أعمال فزان في جنوب افريقية مدينة كثيرة النخل والزرع الثاني زويلة المهدية بلد كالربض للمهدية اختطه عبد الله الملقب بالمهدى واسكنه الرعية وسكن

هو بالمهدية التي استجدهافكانت دكاكين الرعية وامتعتهم بالمهدية ومنازلهم وحرمهم بزويلة فكانوا يظلون بالنهار في المهدية ويبيتون ليلا بزويلة وزعم المهدى أنه فعل بهم ذلك ليأمن غائلتهم قال أحول بينهم وبين أموالهم ليلا وبينهم وبين نسائهم نهاراً الثالث باب زويلة بالقاهرة من جهة الفسطاط الرابع حارة زويلة محلة كبيرة بالقاهرة بينها وبين باب زويلة عدة محال سميت بذلك لان جوهر اغلام المعز لما احتط محله بالقاهرة أنزل أهل زويلة بهذا المكان فتسمى لهم (الحارة المحمودية) الصواب فى هذه الحارة ان يقال حارة المحمودية على الاضافة فانها عرفت بطائفة من طوائف عسكر الدولة الفاطمية كان يقال لها الطائفة المحمودية وقد ذكرها المسبحي في تاريخه مراراً قال فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة وفيها اقتتلت الطائفة المحمودية واليانسية واشتبه أمر هذه الحارة على ابن عبد الظاهر فلم يعرف نسبتها لمن وقال لا أعلم في الدولة المصرية من اسمه محمود الا ركن الاسلام محمود بن أخت الصالح بن رزيك صاحب التربة بالقرافة اللهم الا أن يكون محمود بن مصال الملكى الوزير فقد ذكر ابن القفطي أن اسمه محمود ومحمود صاحب المسجد بالقرافة وكان في زمن السرى بن الحكم قبل ذلك وهذا وهم آخر فان ابن مصال الوزير اسمه سليمان وبنعت بنجم الدين ووقعت فى هذه الحارة نكتة قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة أربع وتسعين وخمسمائة والسلطان يومئذ بمصر الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وكان في شعبان قد تتابع أهل مصر والقاهرة في اظهار المنكرات وترك الانكار لها واباحة أهل الامر والنهى فعلها وتفاحش الامر فيها الى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعصره وأقيمت طاحون بالمحمودية لطحن حشيشة للبزر وأفردت برسمه وحميت بيوت المزر وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة فمنها ما انتهى أمره في كل يوم الي ستة عشر ديناراً ومنع المزر البيوتى ليتوفر الشراء من مواضع الحمي وحملت أوانى الخمر على رؤوس الاشهاد وفي الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل عقوبة الله تعالى وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة في وقت ميسورها (حارة الجودرية) هذه الحارة عرفت أيضاً بالطائفة الجودرية أحد طوائف العسكر في أيام الحاكم بأمر الله على ما ذكره المسبحي وقال ابن عبد الظاهر الجودرية منسوبة الى جماعة تعرف بالجودرية اختطوها وكانوا أربعمائة منهم أبو على منصور الجودري الذى كان في أيام العزيز بالله وزادت مكانته في الايام الحاكمية فأضيفت اليه مع الاحباس الحسبة وسوق الرقيق والسواحل وغير ذلك ولها حكاية سمعت جماعة يحكونها وهي أنها كانت سكن اليهود والمعروفة بهم فبلغ الخليفة الحاكم انهم يجتمعون بها في أوقات خلواتهم ويغنون

وأمة قد ضلوا ودينهم معتل * قال لهم نبيهم نعم الادام الخل

ويسخرون من هذا القول ويتعرضون الى مالاينبغي سماعه فأتي الى أبوابها وسدها

عليهم ليلا وأحرقها فالى هذا الوقت لا يبيت بها يهودى ولا يسكنها أبداً وقد كان في الايام العزيزية جودر الصقلى أيضاً ضرب عنقه ونهب ماله فى سنة ست وثمانين وثلثمائة (حارة الوزيرية) هي أيضاً تنسب الى طائفة يقال لها الوزيرية من جملة طوائف العسكر وكانت أولا تعرف بحارة بستان المصمودي وعرفت أيضاً بحارة الاكراد قال ابن عبد الظاهر الوزيرية منسوبة الى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس وقال بن الصيرفى والطائفة المنعوتة بالوزيرية الى الآن منسوبة اليه يعني الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس أبو الفرج كان يهودياً من أهل بغداد فخرج منها الى بلاد الشام ونزل بمدينة الرملة وأقام بها فصار فيها وكيلا للتجار بها واجتمع في قبله مال عجز عن ادائه ففر الى مصر في أيام كافور الاخشيدى فتعلق بخدمته ووثب اليه بالمتجر فباع اليه أمتعة أحيل بثمنها على ضياع مصر فكثر لذلك تردده على الريف وعرف أخبار القرى وكان صاحب حيل ودهاء ومكر ومعرفة مع ذكاء مفرط وفطنة فمهر في معرفة الضياع حتي كان اذا سئل عن أمر غلالها ومبلغ ارتفاعها وسائر أحوالها الظاهرة والباطنة أتي من ذلك بالغرض فكثرت أمواله واتسعت أحواله وأعجب به كافور لما خبر فيه من الفطنة وحسن السياسة فقال لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً فلما بلغه هذا عن كافور تاقت نفسه الى الولاية وأحضر من علمه شرائع الاسلام سراً فلما كان في شعبان سنة ست وخمسين وثلثمائة دخل الى الجامع بمصر وصلى صلاة الصبح وركب الى كافور ومعه محمد بن عبد الله بن الخازن في خلق كثير فخلع عليه كافور ونزل الى داره ومعه جمع كثير وركب اليه أهل الدولة يهنونه ولم يتأخر عن الحضور اليه أحد فغص بمكانه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات وقلق بسببه وأخذ في التدبير عليه ونصب الحبائل له حتي خافه يعقوب فخرج من مصر فارا منه يريد بلاد المغرب في شوال سنة سبع وخمسين وقد مات كافور فلحق بالمعز لدين الله أبي تميم معد فوقع منه موقعاً حسناً وشاهد منه معرفة وتدبيرا فلم يزل في خدمته حتى قدم من المغرب الى القاهرة في شهر رمضان سنة اثنين وستين وثلثمائة فقلده في رابع عشر المحرم سنة ثلاث وستين الخراج وجميع وجوه الاموال والحسبة والسواحل والاعشار والجوالى والاحباس والمواريث والشرطتين وجميع مايضاف الى ذلك وما يطرأ فى مصر وسائر الاعمال وأشرك معه في ذلك كله عسلوج ابن الحسن وكتب لهما سجلا بذلك قرئ في يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون فقبضت أيدى سائر العمال والمتضمنين وجلس يعقوب وعسلوج في دار الامارة في جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات وطالبا بالبقايا من الاموال مما على الناس من المالكين والمتقبلين والعمال واستقصيا فى الطلب ونظرا في المظالم فتوفرت الاموال وزيد في الضياع وتزايد الناس وتكاشفوا وامتنعا أن يأخذا

الا ديناراً معزياً فاتضع الدينار الراضى وانحط ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار فخسر النــاس كثيراً من أموالهم فى الدينار الابيض والدينار الراضى وكان صرف المعزى خمسة عشر درهماً ونصفاً واشتد الاستخراج فكان يستخرج في اليوم نيف وخمسون ألف دينار معزية واستخرج في يوم واحد مائة وعشرون ألف دينار معزية وحصل فى يوم واحد من مال تنيس ودمياط والاشمونين أكثر من مائتي ألف دينار وعشرين ألف دينار وهذا شئ لم يسمع قط بمثله فى بلد فاستمر الامر على ذلك الى المحرم سنة خمس وستين وثلثمائة فتشاغل يعقوب عن حضور ديوان الخراج وانفرد بالنظر في أمور المعز لدين الله في قصره وفي الدور الموافق عليها وبعد ذلك بقليل مات المعز لدين الله في شهر ربيع الآخر منهـا وقام من بعده في الخلافة ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار ففوض ليعقوب النظر في سائر أموره وجعله وزيراً له في أول المحرم سنة سبع وستين وثلثمائة وفى شهر رمضان سنة ثمان وستين لقبه بالوزير الاجل وأمر أن لايخاطبه أحد ولا يكاتبه الا به وخلع عليه وحمـل ورسم له فى المحرم سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة أن يبدأ له في مكاتباته باسمه على عنوانات الكتب النافذة عنه وخرج توقيع العزيز بذلك وفي هذه السنة اعتقل فى القصر ورد الامر الى خير بن القاسم فأقام معتقلا عدة شهور ثم أطلق فى سنة أربع وسبعين وحمل على عدة خيول وقرىء سجل برده الى تدبير الدولة ووهبه خمسمائة غلام من الناشئة والف غلام من المغاربة ملكه العزيز رقابهم فكان يعقوب أول وزراء الخلفاء الفاطميــين بديار مصر فدبر أمور مصر والشام والحرمين وبلاد المغرب وأعمال هذه الاقاليم كلها من الرجال والاموال والقضاء والتدبير وعمل له اقطاعا فى كل سنة بمصر والشام مبلغها ثلثمائة الف دينار واتسعت دائرته وعظمت مكانتــه حتى كتب اسمه على الطرز وفى الكتب وكان يجلس كل يوم في داره ويأمر وينهى ولا يرفع اليه رقعة الا وقع فيها ولا يسأل فى حاجة الا قضاها ورتب فى داره الحجاب نوبا وأجلسهم على مراتب وألبسهم الديباج وقلدهم السيوف وجعل لهم المناطق ورتب فرسين فى داره للنوبة لاتبرح واقفة بسروجها ولجمها لهم بردو نصب في داره الدواوين فجعل ديواناً للعزيزية فيه عدة كتاب وديواناً للجيش فيه عدة كتاب وديواناً للاموال فيه عدة كتاب وعدة جهابذة وديواناً للخراج وديواناً للسجلات والانشاء وديواناً للمستغلات وأقام على هذه الدواوين زمانا وجعل في داره خزانة للكسوة وخزانة للمال وخزانة للدفاتر وخزانة للاشربة وعمل على كل خزانة ناظراً وكان يجلس عنده في كل يوم الاطباء لينظروا في حال الغلمان ومن يحتاج منهم الى علاج أو اعطاء دواء ورتب الى داره الكتاب والاطباء يقفون بين يديه وجعل فيها العلماء والادباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأرباب الصنائع لكل طائفة مكان مفرد وأجري على كل واحد منهم الارزاق وألف كتباً في الفقه والقراآت

ونصب له مجلسا في داره يحضره في كل يوم ثلاثاء ويحضر اليه الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل يتناظرون بين يديه فمن تآليفه كتاب في القراآت وكتاب في الاديان وهو كتاب الفقه واختصره وكتاب في آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب في علم الابدان وصلاحها في ألف ورقة وكتاب في الفقه مما سمعه من الامام المعز لدين الله والامام العزيز بالله وكان يجلس في يوم الجمعة أيضاً ويقرأ مصنفاته على الناس بنفسه وفي حضرته القضاة والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث والنحاة والشهود فاذا فرغ من قراءة مايقرأ من مصنفاته قام الشعراء ينشدون مدائحهم فيه وكان في داره عدة كتاب ينسخون القرآن الكريم والفقه والطب وكتب الادب وغيرها من العلوم فاذا فرغوا من نسخها قوبلت وضبطت وجعل في داره قراء وأئمة يصلون في مسجد داره وأقام بداره عدة مطابخ لنفسه ولجلسائه ولغلمانه وحواشيه وكان ينصب مائدة لخاصته يأكل هو وخواصه من أهل العلم ووجوه كتابه وخواص غلمانه ومن يستدعيه عليها وينصب عدة موائد لبقية الحجاب والكتاب والحواشى وكان اذا جلس يقرأ كتابه في الفقه الذى سمعه من المعز والعزيز لا يمنع أحد من مجلسه فيجتمع عنده الخاص والعام ورتب عند العزيز بالله جماعة لايخاطبون الا بالقائد وأنشأ عدة مساجد ومساكن بمصر والقاهرة وكان يقيم في شهر رمضان الاطعمة للفقهاء ووجوه الناس وأهل الستر والتعفف ولجماعة كثيرة من الفقراء وكان اذا فرغ الفقهاء والوجوه من الاكل معه يطاف عليهم بالطيب * ومرض مرة من علة أصابت يده فقال فيه عبد الله بن محمد ابن أبي الجرع

يد الوزير هى الدنيا فان ألمت * رأيت فى كل شئ ذلك الالما
تأمل الملك وانظر فرط علته * من أجله واسأل القرطاس والقلما
وشاهد البيض فى الاغماد حائمة * الى العدا وكثيراً ما روين دما
وانفس الناس بالشكوى قد اتصلت * كأنما أشعرت من أجله سقما
هل ينهض المجد الا أن يؤيده * ساق يقدّم في انهاضه قدما
لولا العزيز وآراء الوزير معا * تحيفتنا خطوب تشعب الامما
فقل لهذا وهذا أنتما شرف * لا أوهن الله ركنيه ولا انهدما
كلا كما لم يزل فى الصالحات يدا * مبسوطة ولسانا ناطقاً وفما
ولا أصابكما أحداث دهر كما * ولا طوى لكما ما عشتما علما
ولا انمحت عنك يامولاي عافية * فقد محوت بما أوليتنى العدما

وكان الناس يفتون بكتابه في الفقه ودرس فيه الفقهاء بجامع مصر وأجرى العزيز بالله لجماعة فقهاء يحضرون مجلس الوزير أرزاقا فى كل شهر تكفيهم وكان للوزير مجلس في داره

للنظر في رقاع المرافعين والمتظلمين ويوقع بيــده في الرقاع ويخاطب الخصوم بنفسه وأراد العزيز بالله أن يسافر الى الشام في زمن ابتداء الفاكهة فأمر الوزير أن يأخذ الاهبة لذلك فقال يا مولاي لكل سفر أهبة على مقـداره فما الغرض من السفر فقال أني أريد التفرج بدمشق لاكل القراصيا فقال السمع والطاعــة وخرج فاستدعى جميع أرباب الحمام وسألهم عما بدمشق من طيور مصر وأسماء من هي عنـده وكانت مائة ونيفا وعشرين طائراً ثم التمس من طيور دمشق التي هي في مصر عدة فاحضرها وكتب الى نائبه بدمشق يقول ان بدمشق كذا وكذا طائراً وعرفه اسماء من هي عنده وأمره باحضارها اليه جميعها وان يصيب من القراصيا في كل كاغدة ويشدها على كل طائر منها ويسرحها في يوم واحد فلم يمض الا ثلاثة أيام أو أربعة حتى وصلت الحمائم كلها ولم يتأخر منها الا نحو عشر وعلى جناحها القراصيا فاستخرجها من الكواغد وعملها في طبق من ذهب وغطاها وبعث بها الى العزيز بالله مع خادم وركب اليه وقدم ذلك وقال يا أمير المؤمنين قد حضرنا قبالك القراصيا هنا فان أغناك هـذا القدر والا استدعينا شيأ آخر فعجب العزيز بالوزير وقال مثلك يخدم الملوك ياوزير واتفق انه سابق العزيز بين الطيور فسبق طائر الوزير يعقوب طائر العزيز فشق ذلك على العزيز ووجد أعداء الوزير سبيلا الى الطعن فيه فكتبوا الى العزيز انه قد اختار من كل صنف أعلاه ولم يترك لامير المؤمنين الا أدناه حتي الحمام فبلغ ذلك الوزير فكتب الى العزيز

قل لامير المؤمنين الذى * له العلى والمثل الثاقب
طائرك السابق لكنه * لم يأت الاوله حاجب

فأعجب العزيز ذلك وأعرض عما وشى به ولم يزل على حال رفيعــة وكلمة نافذة الى أن ابتدأت به علته يوم الاحد الحادى والعشرين من شوال سنة ثمانين وثلثمائة ونزل اليه العزيز بالله يعوده وقال له وددت انك تباع فابتاعك بمالى أوتفدى فأفديك بولدى فهل من حاجة توصى بها يا يعقوب فبكى وقبل يده وقال اما فيما يخصني فانت أرعى بحقى من أن استرعيك اياه وأرأف على من أن أوصيك به ولكنى أنصح لك فيما يتعلق بك وبدولتك سالم الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والشكر ولا تبق على مفرج بن دعفــل ان عرضت لك فيه فرصة وانصرف العزيز فأخذته السكتة * وكان في سياق الموت يقول لا يغلب الله غالب ثم قضى نحبه ليلة الاحـد لخمس خلون من ذى الحجة فأرسل العزيز بالله الى داره الكفن والحنوط وتولى غسله القاضى محمـد بن النعمان وقال كنت والله أغسل لحيته وأنا أرفق به خوفا أن يفتح عينه في وجهى وكفن في خمسين ثوبا ثلاثين مثقلا يعـنى منسوجا بالذهب ووشي مذهباً وشرب ديبقى مذهباً وحقة كافورا وقاورتي مسك وخمسين منا ماء ورد وبلغت قيمة الكفن والحنوط عشرة آلاف دينار وخرج مختار الصقلبي وعلى بن عمر

المداس والرجال بين أيديهم ينادون لا يتكلم أحد ولا ينطق وقد اجتمع الناس فيما بين القصر ودار الوزير التى عرفت بدار الديباج ثم خرج العزيز من القصر على بغلة والناس يمشون بين يديه وخلفه بغير مظلة والحزن ظاهر عليه حتى وصل الى داره فنزل وصلى عليه وقد طرح على تابوته ثوب مثقل ووقف حتى دفن بالقبة التى كان بناها وهو يبكى ثم انصرف وسمع العزيز وهو يقول واطول أسفى عليك يا وزير والله لو قدرت أفديك بجميع ما أملك لفعلت وأمر باجراء غلمانه على عادتهم وعتق جميع مماليكه وأقام ثلاثاً لا يأكل على مائدته ولا يحضرها من عادته الحضور وعمل على قبره ثوبان مثقلان وأقام الناس عند قبره شهرا وغدا الشعراء الى قبره فرثاه مائة شاعر أجيزوا كلهم وبلغ العزيز ان عليه ستة عشر ألف دينار دينا فأرسل بها الى قبره فوضعت عليه وفرقت على أرباب الديون والزم القراء بالمقام على قبره وأجرى عليهم الطعام وكانت الموائد تحضر الى قبره كل يوم مدة شهر يحضر نساء الخاصة كل يوم ومعهن نساء العامة فتقوم الجوارى باقداح الفضة والبلور وملاعق الفضة فيسقين النساء الاشربة والسويق بالسكر ولم تتأخر نائحة ولا لاعبة عن حضور القبر مدة الشهر وخلف أملاكا وضياعا قياسير ورباعا وعينا وورقا وأواني ذهباً وفضة وجوهرا وعنبراً وطيبا وثيابا وفرشا ومصاحف وكتباً وجواري وعبيداً وخيلا وبغالا ونوقا وحمرا وابلا وغلالا وخزائن ما بين أشربة وأطعمة قومت بأربعة آلاف ألف دينار سوى ما جهز به ابنته وهو ما قيمته مائتا ألف دينار وخلف ثماني مائة حظية سوي جوارى الخدمة فلم يتعرض العزيز لشيء مما يملكه أهله وجواريه وغلمانه وأمر بحفظ جهاز ابنته الى أن زوجها وأجرى لمن في داره كل شهر ستمائة دينار للنفقة سوى الكسوة والجرايات وما يحمل اليهم من الاطعمة من القصر وأمر بنقل ما خلفه الى القصر فلما تم له من يوم وفاته شهر قطع الامير منصور بن العزيز جميع مستعملاته وأقر العزيز جميع ما فعله الوزير وما ولاه من العمال على حاله وأجرى الرسوم التى كان يجريها وأقر غلمانه على حالهم وقال هؤلاء صنائعي وكانت عدة غلمان الوزير أربعة آلاف غلام عرفوا بالطائفة الوزيرية وزاد العزيز أرزاقهم عما كانت عليه وأدناهم واليهم تنسب الوزيرية لانها كانت مساكنهم واتفق ان الوزير عمر قبة أنفق عليها خمسة عشر ألف دينار وآخر ما قال لقد طال أمر هذه القبة ما هذه قبة هذه تربة فكانت كذلك ودفن تحتها وموضع قبره اليوم المدرسة الصاحبية واتفق انه وجد في داره رقعة مكتوب فيها

احذروا من حوادث الازمان * وتوقوا طوارق الحدثان

قد امنتم ريب الزمان ونمتم * رب خوف مكمن فى الامان

فلما قرأها قال لاحول ولا قوة الا بالله العلىّ العظيم ولم يلبث بعدها الا اياما يسيرة

ومرض فمات (حارة الباطلية) عرفت بطائفة يقال لهم الباطلية قال ابن عبد الظاهر وكان المعز لما قسم العطاء في الناس جاءت طائفة فسألت عطاء فقيل لها فرغ ما كان حاضراً ولم يبق شئ فقالوا رحنا نحن فى الباطل فسموا الباطلية وعرفت هذه الحارة بهم وفى سنة ثلاث وستين وستمائة احترقت حارة الباطلية عند ما كثر الحريق في القاهرة ومصر واتهم النصارى بفعل ذلك فجمعهم الملك الظاهر بيبرس وحملت لهم الاحطاب الكثيرة والحلفاء وقدموا ليحرقوا بالنار فتشفع لهم الامير فارس الدين اقطاى أتابك العساكر على أن يلتزموا بالاموال التى احترقت وان يحملوا الى بيت المال خمسين ألف دينار فتركوا وجرى في ذلك ما تستحسن حكايته وهو أنه قد جمع مع النصارى سائر اليهود وركب السلطان ليحرقهم بظاهر القاهرة وقد اجتمع الناس من كل مكان للتشفي بحريقهم لما نالهم من البلاء فيما دهوا به من حريق الاماكن لا سيما الباطلية فانها أتت النار عليها حتى حرقت بأسرها فلما حضر السلطان وقدم اليهود والنصارى ليحرقوا برز ابن الكازرونى اليهودى وكان صيرفيا وقال للسلطان سألتك بالله لا تحرقنا مع هؤلاء الكلاب الملاعين اعدائنا وأعدائكم احرقنا ناحية وحدنا فضحك السلطان والامراء وحينئذ تقرر الامر على ما ذكر فندب لاستخراج المال منهم الامير سيف الدين بلبان المهرانى فاستخلص بعض ذلك في عدة سنين وتطاول الحال فدخل كتاب الامراء مع مخاديمهم وتحيلوا في ابطال ما بقي فبطل في أيام السعيد بن الظاهر وكان سبب فعل النصارى لهذا الحريق حنقهم لما أخذ الظاهر من الفرنج أرسوف وقيسارية وطرابلس ويافا وانطاكية وما زالت الباطلية خرابا والناس تضرب بحريقها المثل لمن يشرب الماء كثيرا فيقولون كأن في باطنه حريق الباطلية ولما عمر الطواشى بهادر المقدم داره بالباطلية عمر فيها مواضع بعد سنة خمس وثمانين وسبعمائة * (حارة الروم) قال ابن عبد الظاهر واختطت الروم حارتين حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية فلما ثقل ذلك عليهم قالوا الجوانية لاغير والوراقون الى هذا الوقت يكتبون حارة الروم السفلى وحارة الروم العليا المعروفة اليوم بالجوانية وفي سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وتسعين وثلثمائة أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بهدم حارة الروم فهدمت ونهبت * (حارة الديلم) عرفت بذلك لنزول الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابي حين قدم ومعه أولاد مولاه معز الدولة البويهي وجماعة من الديلم والاتراك في سنة ثمان وستين وثلثمائة فسكنوا بها فعرفت بهم * وهفتكين هذا يقال له الفتكين أبو منصور التركي الشرابى غلام معز الدولة أحمد بن بويه ترقي في الخدم حتى غلب في بغداد عن عز الدولة مختار بن معز الدولة وكان فيه شجاعة وثبات في الحرب فلما سارت الاتراك من بغداد لحرب الديلم جرى بينهم قتال عظيم اشتهر فيه هفتكين الا أن أصحابه انهزموا عنه وصار في طائفة قليلة فولى بمن معه من الاتراك وهم نحو الاربعمائة فسار الى الرحبة وأخذ منها على البر الى ان قرب من

حوشبة احدى قرى الشام وقد وقع فى قلوب العربان منه مهابة فخرج اليه ظالم بن مرهوب العقيلى من بعلبك وبعث الى أبي محمود ابراهيم بن جعفر أمير دمشق من قبل الخليفة المعز لدين الله يعلمه بقدوم هفتكين من بغداد لاقامة الخطبة العباسية وخوفه منه فأنفذ اليه عسكرا وسار الى ناحية حوشبة يريد هفتكين وسار بشارة الخادم من قبل أبي المعالى بن حمدان عوناً لهفتكين فرد ظالم الى بعلبك من غير حرب وسار بشارة بهفتكين الى حمص فحمل اليه أبو المعالى وتلقاه وأكرمه وكان قد ثار بدمشق جماعة من أهل الدعارة والفساد وحاربوا عمال السلطان واشتد أمرهم وكان كبيرهم يعرف بابن الماورد فلما بلغهم خبر هفتكين بعثوا اليه من دمشق الى حمص يستدعونه ووعدوه بالقيام معه على عساكر المعز واخراجهم من دمشق ليلى عليهم فوقع ذلك منه بالموافقة وصار حتى نزل بثنية العقاب لايام بقيت من شعبان سنة أربع وستين وثلثمائة فبلغ عسكر المعز خبر الفرنج وانهم قد قصدوا طرابلس فساروا بأجمعهم الى لقاء العدو ونزل هفتكين على دمشق من غير حرب فأقام أياماً ثم سار يريد محاربة ظالم ففر منه ودخل هفتكين بعلبك فطرقه العدو من الروم والفرنج وانتهبوا بعلبك وأحرقوا وذلك في شهر رمضان وانتشروا في أعمال بعلبك والبقاع يقتلون ويأسرون ويحرقون وقصدوا دمشق وقد التحق بها هفتكين فخرج اليهم أهل دمشق وسألوهم الكف عن البلد والتزموا بمال فخرج اليهم هفتكين وأهدى اليهم وتكلم معهم في أنه لايستطيع جباية المال لقوة ابن الماورد وأصحابه وأمر ملك الروم به فقبض عليه وقيده وعاد وجبى المال من دمشق بالعنف وحمل الى ملك الروم ثلاثين ألف دينار ورحل الى بيروت ثم الى طرابلس فتمكن هفتكين من دمشق وأقام بها الدعوة لابى بكر عبد الكريم الطائع بن المطيع العباسى وسير الى العرب السرايا فظفرت وعادت اليه بعده بمن أسرته من رجال العرب فقتلهم صبرا وكان قد تخوف من المعز فكانت القرامطة يستدعيهم من الاحساء للقدوم عليه لمحاربة عساكر المعز وما زال بهم حتى وافوا دمشق في سنة خمس وستين ونزلوا على ظاهرها ومعهم كثير من أصحاب هفتكين الذين كانوا قد تشتتوا في البلاد فقوي بهم ولقى القرامطة وحمل اليهم وسر بهم فأقاموا على دمشق أياماً ثم رحلوا نحو الرملة وبها أبو محمود فلحق بيافا ونزل القرامطة الرملة ونصبوا القتال على يافا حتى كل الفريقان وسئموا جميعاً من طول الحرب وسار هفتكين على الساحل ونزل صيدا وبها ظالم بن مرهوب العقيلى وابن الشيخ من قبل المعز فقاتلهم قتالا شديداً انهزم منه ظالم الى صور وقتل بين الفريقين نحو أربعة آلاف رجل فقطع أيدى القتلى من عسكر المعز وسيرها الي دمشق فطيف بها ثم سار عن صيدا يريد عكا وبها عسكر المعز وكان قد مات المعز في شهر ربيع الآخر وقام من بعده ابنه العزيز بالله وسير جوهر القائد في عسكر عظيم الى قتال هفتكين والقرامطة فبلغ ذلك القرامطة وهم

على الرملة ووصل الخبر بمسيره الى هفتكين وهو على عكا نخاف القرامطة وفروا عنها فنزلها جوهر وسار من القرامطة الى الاحساء التى هى بلادهم جماعة وتأخر عدة وسار هفتكين من عكا الى طبرية وقد علم بمسير القرامطة وتأخر بعضهم فاجتمع بهم في طبرية واستعد للقاء جوهر وجمع الاقوات من بلاد حوران والثنية وأدخلها الى دمشق وسار اليها فتحصن بها فنزل جوهر على ظاهر دمشق لثمان بقين من ذى القعدة فبني على معسكره سوراً وحفر خندقا عظيما وجعل له أبواباً وجمع هفتكين الناس للقتال وكان قد بقى بعد ابن الماورد رجل يعرف بقسام التراب وصار في عدة وافرة من الدعار فأعانه هفتكين وقواه وأمده بالسلاح وغيره ووقعت بينهم وبين جوهر حروب عظيمة طويلة الى يوم الحادي عشر من ربيع الاول سنة ست وستين وثلاثمائة فاختل أمر هفتكين وهم بالفرار ثم انه استظهر ووردت الاخبار بقدوم الحسن بن أحمد القرمطي الى دمشق فطلب جوهر الصلح على ان يرحل من دمشق من غير أن يتبعه أحد وذلك أنه رأى أمواله قد قلت وهلك كثير مما كان في عسكره حتى صار أكثر عسكره رجالة وأعوزهم العلف وخشى قدوم القرامطة فأجابه هفتكين وقد عظم فرحه واشتد سروره فرحل فى ثالث جمادى الاولى وجد فى المسير وقد قرب القرامطة فأناخ بطبرية فبلغ ذلك القرمطى فقصده وقد سار عنها الى الرملة فبعث اليه بسرية كانت لها مع جوهر وقعة قتل فيها جماعة من العرب وأدركه القرمطي وسار فى أثره هفتكين فمات الحسن بن أحمد القرمطى بالرملة وقام من بعده بأمر القرامطة ابن عمه جعفر ففسد ما بينه وبين هفتكين ورجع عن الرملة الى الاحساء وناصب هفتكين القتال وألح فيه على جوهر حتي انهزم عنه وسار الى عسقلان وقد غنم هفتكين مما كان معه شيأ يجل عن الوصف ونزل عن البلد محاصراً لها وبلغ ذلك العزيز فاستعد للمسير الى بلاد الشام فلما طال الامر على جوهر راسل هفتكين حتى يقرر الصلح على مال يحمله اليه وأن يخرج من تحت سيف هفتكين فعلق سيفه على باب عسقلان وخرج جوهر ومن معه من تحته وساروا الى القاهرة فوجد العزيز قد برز يريد المسير فسار معه وكان مدة قتال هفتكين لجوهر على ظاهر الرملة وفي عسقلان سبعة عشر شهراً وسار العزيز بالله حتى نزل الرملة وكان هفتكين بطبرية فسار الى لقاء العزيز ومعه أبو اسحاق وأبو طاهر أخو عز الدولة بن بختيار بن أحمد ابن بويه وأبو اللحاد مرزبان عز الدولة بن بختيار ابن عز الدولة بن بويه فحاربوه فلم يكن غير ساعة حتى هزمت عساكر العزيز عساكر هفتكين وملكوه فى يوم الخميس لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وستين وثلثمائة واستأمن أبو اسحاق ومرزبان بن بختيار وقتل أبو طاهر أخو عز الدولة بن بختيار وأخذ أكثر أصحابه أسرى وطلب هفتكين في القتلي فلم يوجد وكان قد فر وقت الهزيمة على فرس بمفرده فأخذه بعض العرب أسيراً فقدم به على مفرج

ابن دعقل بن الجراح الطائى وعمامته في عنقه فبعث به الى العزيز فأمر به فشهر فى العسكر وطيف به على جمل فأخذ الناس يلطمونه ويهزون لحيته حتى رأي في نفسه العبر ثم سار العزيز بهفتكين والاسرى الى القاهرة فاصطنعه ومن معه وأحسن اليه غاية الاحسان وأنزله في دار وواصله بالعطاء والخلع حتى قال لقد احتشمت من ركوبى مع مولانا العزيز بالله وتطوفى اليه بما غمرنى من فضله واحسانه فلما بلغ ذلك العزيز قال لعمه حيدرة ياعم والله انى أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وان يكون ذلك كله من عندي وبلغ العزيز أن الناس من العامة يقولون ماهذا التركى فأمر به فشهر في أجمل حال ولما رجع من تطوفه وهب له مالا جزيلا وخلع عليه وأمر سائر الاولياء بأن يدعوه الى دورهم فما منهم الا من عمل له دعوة وقدم اليه وقاد بين يديه الخيول ثم ان العزيز قال له بعد ذلك كيف رأيت دعوات أصحابنا فقال يامولانا حسنة في الغاية وما فيهم الا من أنعم وأكرم فصار يركب للصيد والتفرج وجمع اليه العزيز بالله أصحابه من الاتراك والديلم واستحجبه واختص به وما زال على ذلك الي ان توفى فى سنة اثنين وسبعين وثلثمائة فاتهم العزيز وزيره يعقوب بن كلس انه سمه لانه هفتكين كان يترفع عليه فاعتقله مدة ثم أخرجه (حارة الاتراك) هذه الحارة تجاه الجامع الازهر وتعرف اليوم بدرب الاتراك وكان نافذا الى حارة الديلم والوراقون القدماء تارة يفردونها من حارة الديلم وتارة يضيفونها اليها ويجعلونها من حقوقها فيقولون تارة حارة الترك والديلم وتارة يقولون حارتى الديلم والاتراك وقيل لها حارة الاتراك لان هفتكين لما غلب ببغداد سار معه من جنسه أربعمائة من الاتراك وتلاحق به عند ورود القرامطة عليه بدمشق عدة من أصحابه فلما جمع لحرب العزيز بالله كان أصحابه مابين ترك وديلم فلما قبض عليه العزيز ودخل به الى القاهرة في الثانى والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثمان وستين وثلثمائة كما تقدم نزل الديلم مع أصحابهم في موضع حارة الديلم ونزل هفتكين باتراكه فى هذا المكان فصار يعرف بحارة الاتراك وكانت مختلطة بحارة الديلم لانهما أهل دعوة واحدة الا أن كل جنس على عدة لتخالفهم افى الجنسية ثم قيل بعد ذلك درب الاتراك (حارة كتامة) هذه الحارة مجاورة لحارة الباطلية وقد صارت الآن من جملتها كانت منازل كتامة بها عند ماقدموا من المغرب مع القائد جوهر ثم مع العزيز وموضع هذه الحارة اليوم حمام كواى وما جاورها مما وراء مدرسة ابن الغنام حيث الموضع المعروف بدرب ابن الاعسر الى رأس الباطلية وكانت كتامة هى أصل دولة الخلفاء الفاطميين

ذكر أبى عبد الله الشيعي

هو الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعى من أهل صنعاء اليمن ولى الحسبة في

بعض أعمال بغداد ثم سار الى ابن حوشب باليمن وصار من كبار أصحابه وكان له علم وفهم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن حوشب موت الحلواني داعي المغرب ورفيقه فقال لابي عبدالله الشيعي ان أرض كتامة من بلاد المغرب قد خربها الحلوانى وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فانها موطأة ممهدة لك فخرج من اليمن الى مكة وقد زوده ابن حوشب بمال فسأل عن حجاج كتامة فأرشد اليهم واجتمع بهم وأخفى عنهم قصده وذلك أنه جلس قريباً منهم فسمعهم يتحدثون بفضائل آل البيت فحدثهم فى ذلك وأطال ثم نهض ليقوم فسألوه أن يأذن لهم في زيارته فأذن لهم فصاروا يترددون اليه لما رأوا من علمه وعقله ثم انهم سألوه أين يقصد فقال أريد مصر فسروا بصحبته ورحلوا من مكة وهو لا يخبرهم شيأ من خبره وما هو عليه من القصد وشاهدوا منه عبادة وورعا وتحرجا وزهادة فقويت رغبتهم فيه واشتملوا على محبته واجتمعوا على اعتقاده وساروا بأسرهم خدما له وهو في أثناء ذلك يستخبرهم عن بلادهم ويعلم أحوالهم ويفحص عن قبائلهم وكيف طاعتهم للسلطان بافريقية فقالوا له ليس له علينا طاعة وبيننا وبينه عشرة أيام قال أفتحملون السلاح قالوا هو شغلنا وما برح حتى عرف جميع ماهم عليه فلما وصلوا الى مصر أخذ يودعهم فشق عليهم فراقه وسألوه عن حاجته بمصر فقال مالى بها من حاجة الاأني أطلب التعليم بها قالوافاما اذا كنت تقصد هذا فان بلادنا أنفع لك وأطوع لامرك ونحن أعرف بحقك وما زالوا به حتى أجابهم الى المسير معهم فساروا به الى أن قاربوا بلادهم وخرج الى لقائهم أصحابهم وكان عندهم حس كبير من التشيع واعتقاد عظيم في محبة أهل البيت كما قرره الحلواني فعرفهم القوم خبر أبي عبد الله فقاموا بحق تعظيمه واجلاله ورغبوا فى نزوله عندهم واقترعوا فيمن يضيفه ثم ارتحلوا الى أرض كتامة فوصلوا اليها منتصف الربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائتين فما منهم الا من سأله أن يكون منزله عنده فلم يوافق أحداً منهم وقال أين يكون فج الاخيار فعجبوا من ذلك ولم يكونوا قط ذكروه له منذ صحبوه فدلوه عليه فقصده وقال اذا حللنابه صرنا نأتى كل قوم منكم في ديارهم ونزورهم في بيوتهم فرضوا جميعاً بذلك وسار الى جبل ايلحان وفيه فج الاخيار فقال هذا فج الاخيار وما سمى الا بكم ولقدجاء في الآثار للمهدى هجرة ينبوبها عن الاوطان ينصره فيها الاخيار من أهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان ولخروجكم في هذا الفج سمى فج الاخيار فتسامعت به القبائل وأتته البربر من كل مكان وعظم أمره حتى أن كتامة اقتتلت عليه مع قبائل البربر وهولايذكر اسم المهدى ولا يعرج عليه فبلغ خبره ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية فقال أبو عبد الله لكتامة انا صاحب البذر الذى قال لكم أبو سفيان والحلوانى فازدادت محبتهم له وعظم أمره فيهم وأتته القبائل من كل مكان وسار الى مدينة تاصروق وجمع الخيل وصير أمرها للحسن بن

هارون كبير كتامة وخرج للحرب فظفر وغنم وعمل على تاصروق خندقا فرجعت اليه قبائل من البربر وحاربوه فظفر بهم وصارت اليه أموالهم ووالى الغزو فيهم حتي استقام له أمرهم فسار وأخذ مدائن عدة فبعث اليه ابن الاغلب بعساكر كانت له معهم حروب عظيمة وخطوب عديدة وأنباء كثيرة آلت الى غلب أبي عبد الله وانتشار أصحابه من كتامة فى البلاد فصار يقول المهدى يخرج فى هذه الايام ويملك الارض فياطوبى لمن هاجر الى وأطاعنى وأخذ يغرى الناس بابن الاغلب ويذكر كرامات المهدى وما يفتح الله له ويعدهم بأنهم يملكون الارض كلها وسير الى عبيد الله بن محمد رجالا من كتامة ليخبروه بما فتح الله له وأنه ينتظره فوافوا عبيد الله بسلمية من أرض حمص وكان قد اشتهر بها وطلبه الخليفة المكتفى ففر منه بابنه أبي القاسم وسار الى مصر وكان لهما قصص مع النوشزى عامل مصر حتي خلصا منه ولحقا ببلاد المغرب وبلغ ابن الاغلب زيادة الله خبر مسير عبيد الله فاذكي له العيون وأقام له الاعوان حتي قبض عليه بسلجماسة وكان عليها اليسع بن مدرار وحبس بها هو وابنه أبو القاسم وبلغ ذلك أبا عبد الله وقد عظم أمره فسار وضايق زيادة الله بن الاغلب وأخذ مدائنه شيأ بعد شئ وصار فيما ينيف على مائتى ألف وألح على القيروان حتى فر زيادة الله الى مصر وملكها أبو عبد الله ثم سار الى رفادة فدخلها أوّل رجب سنة ست وتسعين ومائتين وفرّق الدور على كتامة وبعث العمال الى البلاد وجمع الاموال ولم يخطب باسم أحد فلما دخل شهر رمضان سار من رفادة فاهتز لرحيله المغرب بأسره وخافته زناتة وغيرها وبعثوا اليه بطاعتهم وسار الى سلجماسة ففر منه اليسع بن مدرار والبهاودخل البلد فأخرج عبيد الله وابنه من السجن وقال هذا المهدى الذى كنت أدعوكم اليه وأركبه هو وابنه ومشى بسائر رؤساء القبائل بين أيديهما وهو يقول هذا مولاكم ويبكي من شدة الفرح حتى وصل الى فسطاط ضرب له فأنزل فيه وبعث فى طلب اليسع فأدركه وحمل اليه فضربه بالسياط وقتله ثم سار المهدى الى رفادة فصار بها فى آخر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين ولما تمكن قتل أبا عبد الله وأخاه في يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين فكان هذا ابتداء امر الخلفاء الفاطميين وما زالت كتامة هي أهل الدولة مدة خلافة المهدى عبيد الله وخلافة ابنه القاسم القائم بأمر الله وخلافة المنصور بنصر الله اسماعيل بن القاسم وخلافة معد لمعز لدين الله ابن المنصور وبهم أخذ ديار مصر لما سيرهم اليها مع القائد جوهر فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وهم أيضاً كانوا أكابر من قدم معه من الغرب فى سنة اثنين وستين وثلثمائة فلما كان في أيام ولده العزيز بالله نزار اصطنع الديلم والاتراك وقدمهم وجعلهم خاصته فتنافسوا وصار بينهم وبين كتامة تحاسد الى أن مات العزيز بالله وقام من بعده أبو على المنصور الملقب بالحاكم بأمر الله فقدم ابن عمار الكتامى وولاه

الوساطة وهى فى معنى رتبة الوزارة فاستبد بأمور الدولة وقدم كتامة وأعطاهم وحط من الغلمان الاتراك والديلم الذين اصطنعهم العزيز فاجتمعوا الى برجوان وكان صقلبيا وقد تاقت نفسه الى الولاية فأغرى المصطنعة بابن عمار حتى وضعوا منه واعتزل عن الامر وتقلد برجوان الوساطة فاستخدم الغلمان المصطنعين في القصر وزاد فى عطاياهم وقواهم ثم قتل الحاكم ابن عمار وكثيراً من رجال دولة أبيه وجده فضعفت كتامة وقويت الغلمان فلما مات الحاكم وقام من بعده ابنه الظاهر لاعزاز دين الله على اكثر من اللهو ومال الى الاتراك والمشارقة فانحط جانب كتامة وما زال ينقص قدرهم ويتلاشى أمرهم حتي ملك المستنصر بعد أبيه الظاهر فاستكثرت امه من العبيد حتى يقال انهم بلغوا نحواً من خمسين ألف اسود واستكثر هو من الاتراك وتنافس كل منهما مع الآخر فكانت الحرب التى آلت الى خراب مصر وزوال بهجتها الى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وقتل رجال الدولة وأقام له جندا وعسكرا من الارمن فصار من حينئذ معظم الجيش الارمن وذهبت كتامة وصاروا من جملة الرعية بعد ما كانوا وجوه الدولة وأكابر أهلها * (حارة الصالحية) عرفت بغلمان الصالح طلائع بن رزيك وهي موضعان الصالحية الكبرى والصالحية الصغرى وموضعهما فيما بين المشهد الحسينى ورحبة الايدمرى وبين البرقية وكانت من الحارات العظيمة وقد خربت الآن وباقيها متداع الى الخراب * قال ابن عبد الظاهر الحارة الصالحية منسوبة الى الصالح طلائع بن رزيك لان غلمانه كانوا يسكنونها وهى مكانان وللصالح دار بحارة الديلم كانت سكنه قبل الوزارة وهي باقية الى الآن وبها بعض ذريته والمكان المعروف بخوخة الصالح نسبة اليه * (حارة البرقية) هذه الحارة عرفت بطائفة من طوائف العسكر فى الدولة الفاطمية يقال لها الطائفة البرقية ذكرها المسيحي * قال ابن عبد الظاهر ولما نزل بالقاهرة يعني المعز لدين الله اختطت كل طائفة خطة عرفت بها قال واختطت جماعة من أهل برقة الحارة المعروفة بالبرقية انتهى والى هذه الحارة تنسب الامراء البرقية

(ذكر الامراء البرقية ووزارة ضرغام)

وذلك أن الصالح طلائع بن رزيك كان قد انشأ فى وزارته امراء يقال لهم البرقية وجعل ضرغاما مقدمهم فترقى حتي صار صاحب الباب وطمع فى شاور السعدى لما ولى الوزارة بعد رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك فجمع رفقته وتخوف شاور منه وصار العسكر فرقتين فرقة مع ضرغام وفرقة مع شاور فلما كان بعد تسعة أشهر من وزارة شاور ثار ضرغام فى رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وصاح على شاور فأخرجه من القاهرة وقتل ولده الاكبر المسمى بطى وبقى شجاع المنعوت بالكامل وخرج شاور من القاهرة يريد الشأم كما فعل الوزير رضوان بن ولخشى فانه كان رفيقاً له فى تلك الكرة واستقر ضرغام فى وزارة

الخليفة العاضد لدين الله بعد شاور وتلقب بالملك المنصور فشكر الناس سيرته فانه كان فارس عصره وكان كاتباً جميل الصورة فكه المحاضرة عاقلا كريما لايضع كرمه الا فى سمعة ترفعه او مداراة تنفعه الا انه كان اذنا مستحيلا على اصحابه واذا ظن فى أحد شرا جعل الشك يقينا وعجل له العقوبة وغلب عليه مع ذلك فى وزارته أخواه ناصر الدين همام وفخر الدين حسام وأخذ يتنكر لرفقته البرقية الذين قاموا بنصرته وأعانوه على اخراج شاور وتقليده للوزارة من أجل أنه بلغه عنهم أنهم يحسدونه ويضعون منه وأن منهم من كاتب شاور وحثه على القدوم الى القاهرة ووعده بالمعاونة له فأظلم الجو بينه وبينهم وتجرد للايقاع بهم على عادته فى أسرع العقوبة وأحضرهم اليه فى دار الوزارة ليلا وقتلهم بالسيف صبرا وهم صبح بن شاهنشاه والطهر مرتفع المعروف بالجلواص وعين الزمان وعلى بن الزبد وأسد الفازى وأقاربهم وهم نحو من سبعين أميراً سوى أتباعهم فذهبت لذلك رجال الدولة واختلت أحوالها وضعفت بذهاب أكابرها وفقد أصحاب الرأى والتدبير وقصد الفرنج ديار مصر فخرج اليهم همام أخو ضرغام وانهزم منهم وقتل منهم عدة ونزلوا على حصن بلبيس وملكوا بعض السور ثم ساروا وعاد همام عودا رديئا فبعث به ضرغام الى الاسكندرية وبها الامير مرتفع الجلواص فأخذه العرب وقاده همام الى أخيه فضرب عنقه وصلبه على باب زويلة فما هو الا أن قدم رسل الفرنج على ضرغام في طلب مال الهدنة المقرر في كل سنة وهو ثلاثة وثلاثون ألف دينار واذا بالخبر قد ورد بقدوم شاور من الشام ومعه أسد الدين شيركوه فى كثير من الغز فأزعجه ذلك وأصبح الناس يوم التاسع والعشرين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة خائفين على أنفسهم وأموالهم فجمعوا الاقوات والماء وتحولوا من مساكنهم وخرج همام بالعسكر أول يوم من جمادى الآخرة فسار الى بلبيس وكانت له وقعة مع شاور انهزم فيها وصار الى شاور وأصحابه جميع ما كان مع عسكر همام وأسروا عدة ونزل شاور بمن معه الى التاج ظاهر القاهرة فى يوم الخميس سادس جمادى الآخرة فجمع ضرغام الناس وضم اليه الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية بداخل القاهرة وشاور مقيم بالتاج مدة أيام وطوالعه من العربان فطارد عسكر ضرغام بأرض الطبالة خارج القاهرة ثم سار شاور ونزل بالمقس فخرج اليه عسكر ضرغام وحاربوه فانهزم هزيمة قبيحة وسار الى بركة الحبش ونزل بالشرف الذى يعرف اليوم بالرصد وملك مدينة مصر وأقام بها أياما فأخذ ضرغام مال الايتام الذى كان بمودع الحكم فكرهه الناس واستعجزوه ومالوا مع شاور فتنكر منهم ضرغام وتحدث بايقاع العقوبة بهم فزاد بغضهم له ونزل شاور فى أرض اللوق خارج باب زويلة وطارد رجال ضرغام وقد خلت المنصورة والهلالية وثبت أهل اليانسية بها وزحف الى باب سعادة وباب القنطرة وطرح النار فى اللؤلؤة وما حولها من الدور وعظمت الحروب بينه

وبين أصحاب ضرغام وفني كثير من الطائفة الريحانية فبعثوا الى شاور ووعدوه بأنهم عون له فانحل أمر ضرغام فأرسل العاضد الى الرماة يأمرهم بالكف عن الرمى فخرج الرجال الى شاور وصاروا من جملته وفترت همة أهل القاهرة وأخذ كل منهم يعمل الحيلة فى الخروج الى شاور فأمر ضرغام بضرب الابواق لتجتمع الناس فضربت الابواق والطبول ماشاء الله من فوق الاسوار فلم يخرج اليه أحد وانفك عنه الناس فسار الى باب الذهب من أبواب القصر ومعه خمسمائة فارس فوقف وطلب من الخليفة أن يشرف عليه من الطاق وتضرع اليه وأقسم عليه بآبائه فلم يجبه أحد واستمر واقفا الى العصر والناس تنحل عنه حتى بقى فى نحو ثلاثين فارساً فوردت عليه رقعة فيها خذ نفسك وانج بها واذا بالابواق والطبول قد دخلت من باب القنطرة ومعها عساكر شاور ففر ضرغام الى باب زويلة فصاح الناس عليه ولعنوه وتخطفوا من معه وأدركه القوم فأردوه عن فرسه قريباً من الجسر الاعظم فيمابين القاهرة ومصر واحتزوا رأسه فى سلخ جمادى الآخرة وفر منهم أخوه الى جهة المطرية فأدركه الطلب وقتل عند مسجد تبر خارج القاهرة وقتل أخوه الآخر عند بركة الفيل فصار حينئذ ضرغام ملقى يومين ثم حمل الى القرافة ودفن بها وكانت وزارته تسعة أشهر وكان من أجل أعيان الامراء وأشجع فرسانهم وأجودهم لعبا بالكرة وأشدهم رمياً بالسهام ويكتب مع ذلك كتابة ابن مقلة وينظم الموشحات الجيدة ولما جيء برأسه الى شاور رفع على قناة وطيف به فقال الفقيه عمارة

أرى جنك الوزارة صار سيفاً * يجز بحده جيد الرقاب
كأنك رائد البلوى والا * يشير بالمنية والمصاب

فكان كما قال عمارة فان البلايا والمنايا من حينئذ تتابعت على دولة الخلفاء الفاطميين حتى لم يبق منهم عين تطرف ولله عاقبة الامور * (حارة العطوفية) هذه الحارة تنسب الى طائفة من طوائف العسكر يقال لها العطوفية وقال ابن عبد الظاهر العطوفية منسوبة لعطوف أحد خدام القصر وهو عطوف غلام الطويلة وكان قد خدم ست الملك أخت الحاكم قال وسكنت يعنى الطائفة الجيوشية بحارة العطوفية بالقاهرة ولله در الاديب ابراهيم المعمار اذ يقول مواليا يشتمل على ذكر حارات بالقاهرة وفيها تورية

فى الجودريه رأيت صوره هلاليه * للباطليه تميل لا للعطوفيه
لها من اللؤلؤه ثغرين منشيه * ان حركوا وجهها بنت الحسينيه

وكانت العطوفية من أجل مساكن القاهرة وفيها من الدور العظيمة والحمامات والاسواق والمساجد مالا يدخل تحت حصر وقد خربت كلها وبيعت انقاضها وبيوتها ومنازلها وأضحت أوحش من وتدعير في قاع وعطوف هذا كان خادما اسود قتله الحاكم بجماعة من

الاتراك وقفوا له في دهليز القصر واحتزوا رأسه فى يوم الاحد لاحدى عشرة خلت من صفر سنة احدى واربعمائة قاله المسيحي * (حارة الجوانية) كان يقال لهذه الحارة أولا حارة الروم الجوانية ثم ثقل على الالسنة ذلك فقال الناس الجوانية وكان أيضاً يقال لها حارة الروم العليا المعروفة بالجوانية وقال المسيحي وقد ذكر ما كتبه أمير المؤمنين الحاكم بامر الله من الامانات في سنة خمس وتسعين وثلثمائة فذكر أنه كتب أمانا للعرافة الجوانية فدل أنه كان من جملة الطوائف قوم يعرفون بالجوانية قال ابن عبد الظاهر قال لى مؤلفه القاضي زين الدين وفقه الله ان الجوانية منسوبة للاشراف الجوانيين منهم الشريف النسابة الجوانى قال مؤلفه رحمه الله فعلى هذا يكون بفتح الجيم فان الجوانى بفتح الجيم وتشديد الواو وفتحها وبعد الواو ألف ساكنة ثم نون نسبة الى جوان على وزن حران وهى قرية من عمل مدينة طيبة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وعلى القول الاول تكون الجوانية بفتح الجيم أيضا مع فتح الواو وتشديدها فان أهل مصر يقولون لما خرج عن المدينة أو الدار برا ولما دخل جوا بضم الجيم وهو خطأ ولهذا كان الوراقون يكتبون حارة الروم البرانية لانها من خارج القصر ويكتبون حارة الروم الجوانية لانها من داخل القاهرة ولا يصار اليها الا بعد المرور على القصر وكان موضعها اذ ذاك من وراء القصر خلف دار الوزارة والحجر فكأنها فى داخل البلد ولذلك أصل قال ابن سيده في مادة (ج و) من كتاب المحكم وجوا البيت داخله لفظة شامية فتعين فتح الجيم من الجوانية ولا عبرة بما تقوله العامة من ضمها * وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني ابن الحسن بن محمد الجوانى ابن عبيد الله الجوانى بن حسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وقيل لمحمد بن عبد الله الجوانى بسبب ضيعة من ضياع المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يقال لها الجوانية وكانت تسمى البصرة الصغرى لخيراتها وغلالها لايطلب شئ الا وجد بها وهى قريبة من صرار ضيعة الامام أبى جعفر محمد بن على الرضى وكانت الجوانية ضيعة لعبيد الله فتوفى عنها فورثها بعده ولده وأزواجه فاشترى محمد الجوانى ولده بما حصل له بالميراث الباقي من الورثة فخصلت له كاملة فعرف بها فقيل لمحمد الجوانى قال ولم تزل أجداد مؤلفه ببغداد الى حين قدوم ولده أسعد النحوى مع أبيه من بغداد الى مصر ومولده بالموصل فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة * (حارة البستان) ويقال لها حارة بستان المصمودى وحارة الاكراد أيضاً وهى الآن من جملة الوزيرية التى تقدم ذكرها * (حارة المرتاحية) هذه الحارة عرفت بالطائفة المرتاحية احدى طوائف العسكر قال ابن عبد الظاهر خط باب القنطرة يعرف فى كتب الاملاك القديمة بالمرتاحية * (حارة الفرحية) بالحاء المهملة كانت سكن الطائفة الفرحية وهى بجوار حارة المرتاحية فالى يومنا هذا فيما بين سويقة أمير الجيوش وباب

القنطرة زقاق يعرف بدرب الفرحية والفرحية كانت طائفة من جملة عبيد الشراء وكانت عبيد الشراء عدة طوائف وهم الفرحية والحسينية والميمونية ينسبون الى ميمون وهو أحد الخدام * (حارة فرج) بالجيم كانت تعرف قديماً بدرب النميرى ثم عرفت بالامير جمال الدين فرج من أمراء بني أيوب وهى الآن داخلة فى درب الطفل من خط قصر الشوك * (حارة قائد القواد) هذه الحارة تعرف الآن بدرب ملوخيا وكانت أولا تعرف بحارة قائد القواد لان حسين بن جوهر الملقب قائد القواد كان يسكن بها فعرفت به * وهو حسين ابن القائد جوهر أبو عبد الله الملقب بقائد القواد لما مات أبوه جوهر القائد خلع العزيز بالله عليه وحمله في رتبة أبيه ولقبه بالقائد ابن القائد ولم يتعرض لشئ مما تركه جوهر فلما مات العزيز وقام من بعده ابنه الحاكم استدناه ثم انه قلده البريد والانشاء فى شوال سنة ست وثمانين وثلثمائة وخلع عليه وحمله على فرس بموكب وقاد بين يديه عدة أفراس وحمل معه ثيابا كثيرة فاستخلف أبا منصور بشر بن عبيد الله بن سورين الكاتب النصرانى على كتابة الانشاء واستخلف على أخذ رقاع الناس وتوقيعاتهم أمير الدولة الموصلي * ولما تقلد برجوان النظر فى تدبير الامور وجلس للوساطة بعد ابن عمار كان الكافة يلقونه في داره ويركبون جميعاً بين يديه من داره الى القصر ماخلا القائد الحسين ومحمد بن النعمان القاضى فانهما كانا يسلمان عليه بالقصر فقط فلما قتل الحاكم الاستاذ برجوان كما تقدم خلع على القائد حسين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة تسعين وثلثمائة ثوباً أحمر وعمامة زرقاء مذهبة وقلده سيفاً محلى بذهب وحمله على فرس بسرج ولجام من ذهب وقاد بين يديه ثلاثة أفراس بمراكبها وحمل معه خمسين ثوباً صحاحا من كل نوع ورد اليه التوقيعات والنظر في أمور الناس وتدبير المملكة كما كان برجوان ولم يطلق عليه اسم وزير فكان يبكر الى القصر ومعه خليفته الرئيس أبو العلاء فهد بن ابراهيم النصرانى كاتب برجوان فينظران فى الامور ثم يدخلان وينهيان الحال الى الخليفة فيكون القائد جالسا وفهد من خلفه قائما ومنع القائد الناس أن يلقوه في الطريق أو يركبوا اليه فى داره وان من كان له حاجة فليبلغه اياها بالقصر ومنع الناس من مخاطبته فى الرقاع بسيدنا وأمر أن لايخاطب ولا يكاتب الا بالقائد فقط وتشدد فى ذلك لخوفه من غيرة الحاكم حتى انه رأى جماعة من القواد الاتراك قياما على الطريق ينتظرونه فأمسك عنان فرسه ووقف وقال لهم كلنا عبيد مولانا صلوات الله عليه ومماليكه ولست والله أبرح من موضعى أو تنصرفوا عنى ولا يلقانى أحد الا فى القصر فانصرفوا وأقام بعد ذلك خدما من الصقالبة الطرادين على الطريق بالنوبة لمنع الناس المجئ الى داره ومن لقائه الا فى القصر وأمر أبا الفتوح مسعود الصقلبي صاحب الستر أن توصل الناس بأسرهم الى الحاكم وأن لايمنع أحدا عنه * فلما كان فى سابع عشر جمادى

الآخرة قرئ سجل على سائر المنابر بتلقيب القائد حسين بقائد القواد وخلع عليه * وما زال الى يوم الجمعة سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فاجتمع سائر أهـل الدولة في القصر بعد ماطلبوا وخرج الامر اليهم أن لايقام لاحد وخرج خادم من عند الخليفة فأسر الى صاحب الستر كلاما فصاح صاحب صالح بن على فقام صالح بن على الروذباذى متقلد ديوان الشام فأخذ صاحب الستر بيده وهو لايعلم هو ولا أحد مايراد به فأدخل الى بيت المال وأخرج وعليه دراعة مصمتة وعمامة مذهبة ومعه مسعود فأجلسه بحضرة قائد القواد وأخرج سجلا قرأه ابن عبد السميع الخطيب فاذا فيه رد سائر الامور التى ينظر فيها قائد القواد حسين ابن جوهر اليه فعند ماسمع من السجل ذكره قام وقبل الارض فلما انتهت قراءة السجـل قام قائد القواد وقبل خد صالح وهناه وانصرف فكان يركب الى القصر ويحضر الاسمطة الى اليوم الثالث من شوال أمره الحاكم أن يلزم داره هو وصهره قاضى القضاة عبد العزيز ابن النعمان وأن لايركبا هما وسائر أولادهما فلبسا الصوف ومنع الناس من الاجتماع بهما وصاروا يجلسون على حصر فلما كان في تاسع عشر ذى القعدة عفا عنهما الحاكم وأذن لهما في الركوب فركبا الى القصر بزيهما من غير حلق شعر ولا تغيير حال الحزن * فلما كان في حادى عشر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة قبض على عبد العزيز بن النعمان وطلب حسين ابن جوهر ففر هو وابنه في جماعة وكثر الصياح بدار عبد العزيز وغلقت حوانيت القاهرة وأسواقها فأفرج عنه ونودى أن لايغلق أحد فرد حسين بعد ثلاثة أيام بابنيه وتمثلوا بحضرة الحاكم فعفا عنهم وأمرهم بالمسير الى دورهم بعد أن خلع على حسين وعلى صهره عبد العزيز وعلى أولادهما وكتب لهما أمانان ثم أعيد عبد العزيز في شهر رمضان الى ماكان يتقلده من النظر في المظالم ثم رد الحاكم في شهر ربيع الاول سنة اربعمائة على حسين بن جوهر وأولاده وصهره عبد العزيز ماكان لهم من الاقطاعات وقرئ لهم سجل بذلك * فلما كان ليلة التاسع من ذى القعدة فر حسين بأولاده وصهره وجميع أموالهم وسلاحهم فسير الحاكم الخيل في طلبهم نحو دجوة فلم يدركهم وأوقع الحوطة على سائر دورهم وجعلت للديوان المفرد وهو ديوان أحدثه الحاكم يتعلق بما يقبض من أموال من يسخط عليه وحمل سائر ماوجد لهم بعد ماضبط وخرجت العساكر في طلب حسين ومن معه وأشيع أنه قد صار الى بنى قرة بالبحيرة فأنفذت اليه الكتب بتأمينه واستدعائه الى الحضور فأعاد الجواب بأنه لايدخل مادام أبو نصر بن عبدون النصرانى الملقب بالكافي ينظر في الوساطة ويوقع عن الخليفة فانى أحسنت اليه أيام نظرى فسعى بى الى أمير المؤمنين ونال منى كل منال ولا أعود أبدا وهو وزير فصرف ابن عبدون في رابع المحرم سنة احدى واربعمائة وقـدم حسين بن جوهر ومعه عبد العزيز بن النعمان وسائر من خرج معهما فخرج جميع أهل الدولة الى لقائه

وتلقته الخلع فأفيضت عليه وعلى أولاده وصهره وقيد بين أيديهم الدواب فلما وصلوا الى باب القاهرة ترجلوا ومشوا ومشى الناس بأسرهم الى القصر فصاروا بحضرة الحاكم ثم خرجوا وقد عفا عنهم وأذن لحسين أن يكاتب بقائد القواد ويكون اسمه تاليا للقبه وأن يخاطب بذلك وانصرف الى داره فكان يوماً عظيما وحمل اليه جميع ماقبض له من مال وعقار وغيره وأنعم عليه وواصل الركوب هو وعبد العزيز بن النعمان الى القصر ثم قبض عليه وعلى عبد العزيز واعتقلا ثلاثة أيام ثم حلفا أنهما لايغيبان عن الحضرة وأشهدا على أنفسهما بذلك وأفرج عنهما وحاف لهما الحاكم في أمان كتبه لهما * فلما كان في ثاني عشر جمادى الآخرة سنة احدى وار بعمائة ركب حسين وعبد العزيز على رسمهما الى القصر فلما خرج للسلام على الناس قيل للحسين وعبد العزيز وأبي على أخي الفضل اجلسوا لامر تريده الحضرة منكم فجلس الثلاثة وانصرف الناس فقبض عليهم وقتلوا في وقت واحد وأحيط بأموالهم وضياعهم ودورهم وأخذت الامانات والسجلات التى كتبت لهم واستدعى أولاد عبد العزيز ابن النعمان وأولاد حسين بن جوهر ووعدوا بالجميل وخلع عليهم وحملوا والله يفعل مايشاء

* (حارة الامراء) ويقال لها أيضاً حارة الامراء الاشراف الاقارب وموضعها يعرف بدرب شمس الدولة وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى * (حارة الطوارق) ويقال لها أيضا حارة صبيان الطوارق وهم من جملة طوائف العسكر كانوا معدين لحمل الطوارق وموضع هذه الحارة في طريق من سلك من الرقيق سوق الحلعيين داخل باب زويلة طالبا الباطلية بالزقاق الطويل الضيق الذى يقال له اليوم حلق الجمل السالك الى درب ارقطاي * (حارة الشرابية) عرفت بذلك لانها كانت موضع سكن الغلمان الشرابية احدي طوائف العسكر وكانت فيما بين الباطلية وحارة الطوارق * (حارة الدميرى وحارة الشاميين) هما من جملة العطوفية * (حارة المهاجرين) وموضعها الآن من جملة المكان الذي يعرف بالرقيق المعد لسوق الخلعيين بجوار باب زويلة وكان بعد ذلك سوق الخشابين ثم هو الآن سوق الخلعيين وموضع هذه الحارة بجوار الخوخة التى كانت تعرف بالشيخ السعيد بن فشيرة النصرانى الكاتب وهي الخوخة التى يسلك اليها من الزقاق المقابل لحمام الفاضل المعد لدخول النساء ويتوصل منها الى درب كوز الزير بحارة الروم وقد صارت هذه الحارة تعرف بدرب ابن الجندار وسيأتى ذكره ان شاء الله * (حارة العدوية) قال ابن عبد الظاهر العدوية هي من باب الخشيبة الى أول حارة زويلة عند حمام الحسام الجلدكى الآن منسوبة لجماعة عدويين نزلوا هناك وهذا المكان اليوم هو عبارة عن الموضع الذى تلقاه عند خروجك من زقاق حمام خشيبة الذى يتوصل اليه من سوق باب الزهومة فاذا انتهيت الى آخر هذا الزقاق وأخذت على يمينك صرت فى حارة العدوية وموضعها الآن من فندق بلال المغيثى الى باب

سر المارستان وتدخل فى العدوية رحبة بيبرس التى فيها الآن فندق الرخام عن يمينك اذا خرجت في الرحبة المذكورة التى صارت الآن دربا الى باب سر المارستان وما عن يسارك الى حمام الكريك وحمام الجويني الذي تقول له العامة الجهيني والى سوق الزجاجيين وكل هذه المواضع هى من حقوق العدوية وكانت العدوية قديما واقعة فيما بين الميدان الذى يعرف اليوم بالخرشتف وحارة زويلة وبين سقيفة العداس والصاغة القديمة التى صار موضعها الآن سوق الحريريين الشرابشيين برأس الوراقين وسوق الزجاجيين * (حارة العيدانية) كانت تعرف أولا بحارة البديعيين ثم قيل لها بعد ذلك الحبانية من أجل البستان الذى يعرف بالحبانية الجارى في وقف الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء ويتوصل الى هذه الحارة من تجاه قنطرة اق سنقر وبعض دورها الآن يشرف على بستان الحبانية وبعضها يطل على بركة الفيل * (حارة الحمزيين) كانت أولا تعرف بالحبانية ثم قيل لها حارة الحمزيين من أجل أن جماعة من الحمزيين نزلوا بها منهم الحاج يوسف بن فاتن الحمزى والحمزيون أيضاً ينسبون الى حمزة ابن ادركة السارى خرج بخراسان في أيام هارون بن محمد الرشيد فعاث وأفسد وفض جموع عيسى بن على عامل خراسان وقتل منهم خلقا وانهزم عيسى الى بابل ثم غرق حمزة بواد في كرمان فعرفت طائفته بالحمزية وأخوه ضرغام بن فاتن بن ساعد الحمزى والحاج عونى الطحان ابن يونس بن فاتن الحمزى ورضوان بن يوسف بن فاتن الحمزي الحمامى وأخوه سالم بن يوسف بن فاتن الحمزى وكان هؤلاء بعد سنة ستمائة وهذه الحارة خارج باب زويلة * ومن بلاد افريقية قرية يقال لها حمزى ينسب اليها محمد بن حمد بن خلف القيسى الحمزى من أهل القرية وقاضيها توفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ولا يبعد أن تكون هذه الحارة نسبت الى أهل قرية حمزة هذه لنزولهم بها كنزول بني سوس وكتامة وغيرهم في المواضع التى نسبت اليهم * (حارة بنى سوس) عرفت بطائفة من المصامدة يقال لهم بنو سوس كانوا يسكنون بها * (حارة اليانسية) تعرف بطائفة من طوائف العسكر يقال لها اليانسية منسوبة لخادم خصى من خدام العزيز بالله يقال له أبو الحسن يانس الصقلى خلفه على القاهرة فلما مات العزيز أقره ابنه الحاكم بأمر الله على خلافة القصور وخلع عليه وحمله على فرسين فلما كان في المحرم سنة ثمان وثمانين وثلثمائة سار لولاية برقة بعد ماخلع عليه وأعطى خمسة آلاف دينار وعدة من الخيل والثياب * قال ابن عبد الظاهر اليانسية خارج باب زويلة أظنها منسوبة ليانس وزير الحافظ لدين الله الملقب بأمير الجيوش سيف الاسلام ويعرف بيانس الفاصد وكان ارمنى الجنس وسمى الفاصد لانه فصدا لامير حسن بن الحافظ وتركه محلولا فصاده حتى مات وله خبر غريب في وفاته كان الحافظ قد نقم عليه أشياء طلب قتله بها باطنا فقال لطبيبه اكفنى أمره بما كل أو مشرب فأبى الطبيب ذلك خوفا أن يصير عند الحافظ

بهذه العين وربما قتله بها والحافظ يحثه على ذلك فاتفق ليانس الوزير المذكور أنه مرض بزحير وأن الحافظ خاطب الطبيب بذلك فقال يامولاى قدأمكنتك الفرصةوبلغت مقصودك ولو أن مولانا عاده فى هذه المرضة اكتسب حسن أحدوثة وهذه المرضة ليس دواؤه منها الا الدعة والسكون ولا شئ أضر عليه من الانزعاج والحركة فبمجرد ماسمع بقصد مولانا له تحرك واهتم بلقاء مولانا وانزعج وفي ذلك تلاف نفسه ففعل الخليفة ذلك وأطال الجلوس عنده فمات وهذا الخبر فيه أوهام• منها أنه جعل اليانسية منسوبة ليانس الوزير وقد كانت اليانسية قبل يانس هذا بمدة طويلة • ومنها انه ادعي أن حسن بن الحافظ مات من فصادة وليس كذلك وانما مات مسموما • ومنها أنه زعم أن يانس تولى فصده وليس كذلك بل الذى تولى قتله بالسم أبو سعيد بن فرقة• ومنها أن الذى نقم عليه الحافظ من الامراء نخانه فى ابنه حسن انما هو الامير المعظم جلال الدين محمد المعروف بجلب راغب وهذا نص الخبر فنزه بالك والله تعالى أعلم

ذكر وزارة أبي الفتح ناصر الجيوش يانس الارمنى

وكان من خبر ذلك أن الخليفة الآمر بأحكام الله أبا على منصورا لما قتله النزارية فى ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة أقام هزبر الملوك جوامرد العادل برغش الامير أبا الميمون عبد المجيد في الخلافة كفيلا للحمل الذى تركه الامير ولقب بالحافظ لدين الله ولبس هزبر الملوك خلع الوزارة فثار الجند وأقاموا أبا على أحمد الملقب بكتيفات ولد الافضل بن أمير الجيوش في الوزارة وقتل هزبر الملوك واستولى كتيفات على الآمر وقبض على الحافظ وسجنه بالقصر مقيدا الى أن قتل كتيفات في المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة وبادر صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى القصر ودخلوا ومعهم الامير يانس متولى الباب الى الخزانة التى فيها الحافظ وأخرجوه الى الشباك وأجلسوه في منصب الخلافة وقالوا له والله ماحركنا على هذا الا الامير يانس فجازاه الحافظ بأن فوض اليه الوزارة في الحال وخلع عليه فباشرها مباشرة جيدة وكان عاقلا مهاباً متمسكا متحفظاً لقوانين الدولة فلم يحدث شيئاً ولا خرج عما يعينه الخليفة له الا أنه بلغه عن أستاذ من خواص الخليفة شئ يكرهه فقبض عليه من القصر من غير مشاورة الخليفة وضرب عنقه بخزانة البنود فاستوحش منه الخليفة وخشى من زيادة معناه وكانت هذه الفعلة غلطة منه ثم انه خاف من صبيان الخاص أن يفتكوا به كما فتكوا بكتيفات فتنكر لهم وتخوفوه أيضاً فركب في خاصته وأركب العسكر وركب صبيان الخاص فكانت بينهما وقعة قبالة باب التبانين بين القصرين قوى فيها يانس وقتل من صبيان الخاص مايزيد على ثلثمائة رجل من أعيانهم فيهم قتلة أبي على كتيفات وكانوا نحو الخمسمائة فارس فانكسرت شوكتهم وضعف جانبهم واشتد بأس يانس وعظم شأنه فثقل على

الخليفة وتحيل منه فأحس بذلك فأخذ كل منهما في التدبير على الآخر فأعجل يانس وقبض على حاشية الخليفة ومنهم قاضي القضاة وداعى الدعاة أبو الفخر وأبو الفتح بن قادوس وقتلهما فاشتد ذلك على الحافظ ودعا طبيبه وقال اكفنى أمر يانس فيقال انه سمه فى ماء المستراح فانفتح دبره واتسع حتى مابقي يقدر على الجلوس فقال الطبيب ياأمير المؤمنين قد أمكنتك الفرصة وبلغت مقصودك فلو أن مولانا عاده فى هذه المرضة اكتسب حسن الاحدوثة فان هذا المرض ليس له دواء الا الدعة والسكون ولا شئ عليه أضر من الحركة والانزعاج وهو اذا سمع بقصد مولانا له تحرك واهتم للقاء وانزعج وفي ذلك تلاف نفسه فنهض لعيادته وعند مابلغ ذلك يانس قام ليلقاه ونزل عن الفراش وجلس بين يدى الخليفة فأطال الخليفة جلوسه عنده وهو يحادثه فلم يقم حتى سقطت أمعاء يانس ومات من ليلته في سادس عشرى ذى الحجة سنة ست وعشرين وخمسمائة وكانت وزارته تسعة أشهر وأياماً وترك ولدين كفلهما الحافظ وأحسن اليهما وكان يانس هذا مولى ارمنيا لباديس جد عباس الوزير فاهداه الى الافضل بن أمير الجيوش وترقى فى خدمته الى أن تامر ثم ولى الباب وهى أعظم رتب الامراء وكنى بأبى الفتح ولقب بالامير السعيد ثم لما ولى الوزارة نعت بناصر الجيوش سيف الاسلام وكان عظيم الهمة بعيد الغور كثير الشر شديد الهيبة

ذكر الامير حسن بن الخليفة الحافظ

ولما مات الوزير يانس تولى الخليفة الحافظ الامور بنفسه ولم يستوزر أحدا وأحسن السيرة فلما كان في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عهد الى ولده سليمان وكان أسن أولاده وأحبهم اليه وأقامه مقام الوزير فمات بعد شهرين من ولاية العهد فجعل مكانه أخاه حيدرة في ولاية العهد ونصبه للنظر في المظالم فشق ذلك على أخيه الامير حسن وكان كثير المال متسع الحال له عدة بلاد ومواشي وحاشية وديوان مفرد فسعى في نقض ذلك بأن أوقع الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية وكانت الريحانية قوية الشوكة مهابة مخوفة الجانب فاشتعلت نيران الحرب بين الفريقين وصاح الجند ياحسن يامنصور ويا للحسينية والتقى الفريقان فقتل بينهما مايزيد على خمسة آلاف نفس فكانت هذه الوقعة أول مصائب الدولة الفاطمية من فقد رجالها ونقص عساكرها فلم يبق من الطائفة الريحانية الا من نجا بنفسه من ناحية المقس وألقى نفسه فى بحر النيل واستظهر الامير حسن وقام بالامر وانضم اليه أوباش الناس ودعارهم ففرق فيهم الزرد وسماهم صبيان الزرد وجعلهم خاصته فاحتفوا به وصاروا لا يفارقونه فان ركب أحاطوا به وان نزل لازموا داره فقامت قيامة الناس منهم وشرع في تتبع الاكابر فقبض على ابن العساف وقتله وقصد أباه الخليفة الحافظ وأخاه حيدرة بالضرر حتى خافا منه وتغيبا فجد في طلب أخيه حيدرة وهتك بأوباشه الذين اختارهم

حرمة القصر وخرق ناموسه وسلطهم يفتشون القصر في طلب الخليفة الحافظ وابنه حيدرة واشتد بأسهم وحسنوا له كل رذيلة وجروه على الاذى فلم يجد الحافظ بدا من مداراة حسن وتلا فى أمره عساه ينصلح وكتب سجلا بولايته العهد وأرسله اليه فقرئ على الناس فما زاده ذلك الا جراءة عليه وافسادا له وشدد في التضييق على أبيه وأخذ بانفاسه فبعث حينئذ الخليفة بالاستاذ ابن اسعاف الى بلاد الصعيد ليجمع من يقدر عليه من الريحانية فمضى واستصرخ الناس لنصرة الخليفة على ولده حسن وجمع أمما لايحصيها الا الله وسار بهم فبلغ ذلك حسنا فزج عسكرا للقاء اسعاف فالتقيا وكانت بينهما وقعة هبت فيها ريح سوداء على عسكر اسعاف حتى هزمتهم وركبهم عسكر حسن فلم ينج منهم الا القليل وغرق أكثرهم في البحر وأخذ اسعاف أسيرا فحمل الى القاهرة على جمل وفي رأسه طرطور لبد أحمر فلما وصل بين القصرين رشق بالنشاب حتى هلك ورمي من القصر الغربي بأستاذ آخر فقتل وقتل الامير شرف الدين فاشتد ذلك على الحافظ وخاف على نفسه فكتب ورقة وكاد ابنه بأن ألقى اليه تلك الورقة وفيها ياولدي انت على كل حال ولدى ولو عمل كل منا لصاحبه مايكره الآخر ماأراد أن يصيبه مكروه ولا يحملنى قلبى وقد انتهى الامر الى أمراء الدولة وهم فلان وفلان وقد شددت وطأتك عليهم وخافوك وهم معولون على قتلك فخذ حذرك ياولدى فعند ماوقف حسن على الورقة غضب ولم يتأن وبعث الى أولئك فلما صاروا اليه أمر صبيان الزرد بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وكانوا عدة من أعيان الامراء وأحاط بدورهم وأخذ سائر مافيها فاشتدت المصيبة وعظمت الرزية وتخوف من بقى من الجند ونفروا منه فانه كان جريا مفسدا شديد الفحص عن أحوال الناس والاستقصاء لاخبارهم يريد اقلاب الدولة وتغيرها ليقدم أوباشه وأكثر من مصادرة الناس وقتل قاضى القضاة أبا الثريا نجم لانه كان من خواص أبيه وقتل جماعة من الاعيان ورد القضاء لابن ميسر وتفاقم أمره وعظم خطبه واشتدت الوحشة بينه وبين الامراء والاجناد وهموا بخلع الحافظ ومحاربة ابنه حسن وصاروا يدا واحدة واجتمعوا بين القصرين وهم عشرة آلاف مابين فارس وراجل وسيروا الى الحافظ يشكون ماهم فيه من البلاء مع ابنه حسن ويطلبون منه أن يزيله من ولاية العهد فعجز حسن عن مقاومتهم فانه لم يبق معه سوى الراجل من الطائفة الجيوشية ومن يقول بقولهم من الغز الغرباء فتحير وخاف على نفسه فالتجأ الى القصر وصار الى أبيه الحافظ فما هو الا أن تمكن منه أبوه فقبض عليه وقيده وبعث الى الامراء يخبرهم بذلك فأجمعوا على قتله فرد عليهم أنه قد صرفه عنهم ولا يمكنه أبدا من التصرف ووعدهم بالزيادة في الارزاق والاقطاعات وأن يكفوا عن طلب قتله فألحوا في قتله وقالوا امانحن واما هو اشتد طلبهم اياه حتى أحضروا الاحطاب والنيران ليحرقوا القصر وبالغوا في

التجرى على الخليفة فلم يجد بدا من اجابتهم الى قتله وسألهم أن يمهلوه ثلاثاً فأناخوا بين القصرين وأقاموا على حالهم حتى تنقضى الثلاث فما وسع الحافظ الا أن استدعى طبيبيه وهما أبو منصور اليهودى" وابن قرفة النصرانى وبدأ بأبي منصور وفاوضه في عمله سقية قاتلة فامتنع من ذلك وحلف بالتوراة أنه لا يعرف عمل شئ من ذلك فتركه وأحضر ابن قرفة وكلمه في هذا فقال الساعة ولا يتقطع منها جسده بل تفيض النفس لا غير فأحضر السقية من يومه فبعثها الى حسن مع عدة من الصقالبة وما زالوا يكرهونه على شربها حتى فعل ومات فى العشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة فبعث الحافظ الى القوم سراً يقول قد كان ما أردتم فامضوا الى دوركم فقالوا لا بد أن يشاهده منا من نثق به وندبوا منهم أميراً معروفا بالجراءة والشر يقال له المعظم جلال الدين محمد ويعرف بجلب راغب الآمرى فدخل الى القصر وصار جنب حسن فاذا به قد سجى بثوب فكشف عن وجهه وأخرج من وسطه آلة من حديد وغرزه بها فى عدة مواضع من بدنه الى أن تيقن أنه قد مات وعاد الى القوم وأخبرهم فتفرقوا وعند ما سكنت الدهما حقد الحافظ لابن قرفة وقتله بخزانة البنود وأنعم بجميع ماكان له على أبى منصور اليهودى وجعله رئيس الاطباء فهذا ماكان من خبر يانس وكيفية موته وخبر حسن والخبر عن قتله * (حارة المنتجبية) قال ابن عبد الظاهر بلغنى أن رجلا كان يحجب لشمس الدين قاضى زاده كان يقول ان هذه الخطة منسوبة لجده منتجب الدولة * (الحارة المنصورية) هذه الحارة كانت كبيرة متسعة جداً فيها عدة مساكن السودان فلما كانت واقعتهم في ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة كما تقدم في ذكر حارة بهاء الدين أمر صلاح الدين يوسف بن أيوب بتخريب المنصورة هذه وتعفية أثرها نخر بها خطلبا بن موسى الملقب صارم الدين وعملها بستانا وكان للسودان بديار مصر شوكة وقوة فتبعهم صلاح الدين ببلاد الصعيد حتى أفناهم بعد أن كان لهم بديار مصر في كل قرية ومحلة وضيعة مكان مفرد لا يدخله وال ولا غيره احتراما لهم وقد كانوا يزيدون على خمسين ألفاً واذا ثاروا على وزير قتلوه وكان الضرر بهم عظيما لامتداد أيديهم الى أموال الناس وأهاليهم فلما كثر بغيهم وزاد تعديهم أهلكهم الله بذنوبهم • وفى واقعة السودان وتخريب المنصورة وقتل مؤتمن الخلافة الذى تقدم ذكره يقول العماد الاصفهاني الكاتب يخاطب بهاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب

بالملك الناصر استنارت * في عصرنا أوجه الفضائل
يوسف مصر الذى اليه * تشد آمالنا الرواحل
رأيك في الدهر عن رزايا * جلى مهماته الجلائل
أجريت نيلين في ثراها * نيل نجيع ونيل نائل

كم كرم من نداك جار * وكم دم من عداك سائل
وكم معاد بلا معاد * ومستطيل بغير طائل
وحاسد كاسد المساعى * وسائد نافق الوسائل
أقررت عين الاسلام حتى * لم يبق فيها قذى لباطل
وكيف يزهي بملك مصر * من يستقل ذنباً لنائل
وما نفيت السودان حتى * حكمت البيض في المقاتل
صيرت رحب الفضا مضيقا * عليهم كفه لجائل
وكل رأي منهم كرا * وأرض مصر كلام واصل
وقد خلت منهم المغانى * وأقفرت منهم المنازل
وما أصيبوا الا بطل * فكيف لو أمطروا بوابل
وقد تجلي بالحق ما بالا * باطل فى مصر كان عاجل
والسود بالبيض قد محوا * فهى بواديهم نوازل
مؤتمن القوم خان حتى * غالته من شره الغوائل
عاملكم بالخنا فأضحي * ورأسه فوق رأس عامل
وحالف الذل بعد عز * والدهر أحواله حوائل
يا مخجل البحر بالايادى * قد آن أن تفتح السواحل
تقدس القدس من خباث * أرجاس كفر غتم أراذل

وكان موضع المنصورة على يمنة من سلك في الشارع خارج باب زويلة قال ابن عبد الظاهر كانت للسودان حارة تعرف بهم تسمى المنصورة خربها صلاح الدين وأخذها خطلبا فعمرها بستانا وحوضاً وهى الى جانب الباب الحديد يعنى الذي يعرف اليوم بالقوس عند رأس المنتجبية فيما بينها وبين الهلالية وقد حكر هذا البستان فى الايام الظاهرية وبعضها يعنى المنصورة من جهة بركة الفيل الى جانب بستان سيف الاسلام ويسمى الآن بحكر الفتمى لان الفتمى هذا كان شرع بستان سيف الاسلام فحكر فى هذه الجهة وهى الآن أحكار الديوان السلطانى وحكر الفتمى الذى كان بستان سيف الاسلام يعرف اليوم بدرب ابن البابا تجاه السند قدارية بجوار حمام الفارقاني قريب من صليبة جامع ابن طولون *
(حارة المصامدة) هذه الحارة عرفت بطائفة المصامدة أحد طوائف عساكر الخلفاء الفاطميين واختطت فى وزارة المأمون البطايحي وخلافة الآمر بأحكام الله بعد سنة خمس عشرة وخمسمائة قال ابن عبدالظاهر حارة المصامدة مقدمهم عبدالله المصمودي وكان المأمون البطايحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله قدمه ونوه بذكره وسلم له أبوابه للمبيت عليها

وأضاف اليه جماعة من أصحابه فلما استخلص المصامدة وقربهم سير أبا بكر المصمودى ليختار لهم حارة فتوجه بالجماعة الى اليانسية بالشارع فلم يجد بها مكانا ووجدها تضيق عنهم فسير المهندسين لاختيار حارة لهم فاتفقوا على بناء حارة ظاهر باب الحديد على يمنة الخارج على شاطئ بركة الفيل فقال بل تكون على يسرة الخارج والفسح قدامها الى بركة الفيل فبنيت الحارة على يسرة الخارج من الباب المذكور وبنى بجانبها مسجد على زلاقة الباب المذكور وبنى أبو بكر المصمودى مسجدا أيضاً وهذه فيما أعتقد هى الهلالية وحذر من بناء شئ قبالتها فى الفضاء الذى بينها وبين بركة الفيل لانتفاع الناس بها وصار ساحل بركة الفيل من المسجد قبالة هذه الحارة الى آخر حصن دويرة مسعود الى الباب الحديد ولم يزل ذلك الى بعض أيام الخليفة الحافظ لدين الله قال وبنى فى صف هذه الحارة من قبلها عدة دور بحوانيت تحتها الى أن اتصل البناء بالمساجد الثلاثة الحاكمية المعلقة والقنطرة المعروفة بدار ابن طولون وبعدها بستان ذكر أنه كان فى جملة قاعات الدار المذكورة قال وأظن المساجد هى التى قبالة حوض الجاولى قال وبنى المأمون ظاهره حوضاً وأجرى الماء له وذلك قبالة مشهد محمد الاصغر ومشهد السيدة سكينة قال وأظن هذا البستان هو الذى بنته شجرة الدر بستانا ودارا وحمامات قريب من مشهد السيدة نفيسة قال وأمر المأمون بالنداء فى القاهرة مع مصر ثلاثة أيام بأن من كانت له دار فى الخراب أو مكان يعمره ومن عجز عن أن يعمره فليؤجره من غير نقل شئ من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له فى شئ منه ولا حكر يلزمه وأباح تعمير ذلك جميعه بغير طلب بحق فيه فطلب الناس كافة ماهو جار فى الديوان السلطانى وغيره وعمروه حتى صار البلدان لايتخللهما داثر ولا دارس وبني فى الشارع يعنى خارج باب زويلة من الباب الجديد الى الجبل عرضاً وهو القلعة الآن قال وكان الخراب استولى على تلك الاماكن فى زمن المستنصر فى أيام وزارة البازوري حتي انه كان بنى حائطاً يستر الخراب عن نظر الخليفة اذا توجه من القاهرة الى مصر وبنى حائطاً آخر عند جامع ابن طولون قال وعمر ذلك حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون يصلون العشاء الاخيرة بالقاهرة ويتوجهون الى مساكنهم في مصر لايزالون فى ضوء وسرج وسوق موقود الى باب الصفا وهو المعاصر الآن وذلك أنه يخرج من الباب الحديد الحاكمى على يمنة بركة الفيل الى بستان سيف الاسلام وعدة بساتين وقبالة جميع ذلك حوانيت مسكونة عامرة بالمتعيشين الى مصر والمعاش مستمر الليل والنهار * (حارة الهلالية) ذكر ابن عبد الظاهر أنها على يسرة الخارج من الباب الحديد الحاكمى * (حارة البيازرة) هذه الحارة خارج باب القنطرة على شاطئ الخليج من شرقيه فيما بين زقاق الكحل وباب القنطرة حيث المواضع التى تعرف اليوم ببركة جناق والسكداشين والى قريب من حارة بهاء الدين واختطت

هذه الحارة في الايام الآمرية وذلك أن زمام البيازرة شكا ضيق دار الطيور بمصر وسأل أن يفسح للبيازرة في عمارة حارة على شاطئ الخليج بظاهر القاهرة لحاجة الطيور والوحوش الى الماء فاذن له في ذلك فاختطوا هذه الحارة وجعلوا منازلهم مناظر على الخليج وفي كل دار باب سر ينزل منه الى الخليج واتصل بناء هذه الحارة بزقاق الكحل فعرفت بهم وسميت بحارة البيازرة واحدهم بازيار ثم أن المختار الصقلي زمام القصر أنشأ بجوارها بستانا وبنى فيه منظرة عظيمة وهذا البستان يعرف اليوم موضعه ببستان ابن صيرم خارج باب الفتوح فلما كثرت العماير في حارة البيازرة أمر الوزير المأمون بعمل الاقمنة لشيّ الطوب على شاطئ الخليج الكبير الى حيث كان البستان الكبير الجيوشي الذى تقدم ذكره في ذكر مناظر الخلفاء ومنتزهاتهم * (حارة الحسينية) عرفت بطائفة من عبيد الشراء يقال لهم الحسينية قال المسبحي في حوادث سنة خمس وتسعين وثلثمائة وأمر بعمل شونة مما يلي الجبل ملئت بالسنط والبوص والحلفا فابتدى بعملها في ذى الحجة سنة أربع وتسعين وثلثمائة الى شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين فخامر قلوب الناس من ذلك جزع شديد وظن كل من يتعلق بخدمة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ان هذه الشونة عملت لهم ثم قويت الاشاعات وتحدث العوام في الطرقات انها للكتاب وأصحاب الدواوين وأسبابهم فاجتمع سائر الكتاب وخرجوا باجمعهم في خامس ربيع الاول ومعهم سائر المتصرّفين في الدواوين من المسلمين والنصارى الى الرماحين بالقاهرة ولم يزالوا يقبلون الارض حتى وصلوا الى القصر فوقفوا على بابه يدعون ويتضرعون ويضجون ويسألون العفو عنهم ومعهم رقعة قد كتبت عن جميعهم الى أن دخلوا باب القصر الكبير وسألوا أن يعفى عنهم ولا يسمع فيهم قول ساع يسعى بهم وسلموا رقعتهم الى قائد القوّاد الحسين بن جوهر فأوصلها الى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله فاجيبوا الى ما سألوا وخرج اليهم قائد القواد فأمرهم بالانصراف والبكور لقراءة سجل بالعفو عنهم فانصرفوا بعد العصر وقرئ من الغد سجل كتب منه نسخة للمسلمين ونسخة للنصارى ونسخة لليهود بأمان لهم والعفو عنهم وقال في ربيع الآخر واشتد خوف الناس من أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله فكتب ما شاء الله من الامانات للغلمان الاتراك الخاصة وزمامهم وامرائهم من الحمدانية والكجورية والغلمان العرفاء والمماليك وصبيان الدار وأصحاب الاقطاعات والمرتزقة والغلمان الحاكمية القدم على اختلاف أصنافهم وكتب أمان لجماعة من خدم القصر الموسومين بخدمة الحضرة بعدما تجمعوا وصاروا الى تربة العزيز بالله وضجوا بالبكاء وكشفوا رؤسهم وكتبت سجلات عدة بأمانات للديلم والجبل والغلمان الشرابية والغلمان الريحانية والغلمان البشارية والغلمان المفرقة العجم وغيرهم والنقباء والروم المرتزقة وكتبت عدة أمانات للزويليين والبنادين والطبالين والبرقيين والعطوفيين وللعرافة الجوانية والجودرية وللمظفرية

وللصنهاجيين ولعبيد الشراء الحسينية وللميمونية وللفرحية وأمان لمؤذني أبواب القصر وأمانات لسائر البيازرة والفهادين والحجالين وأمانات أخر لعدة أقوام كل ذلك بعد سؤالهم وتضرعهم • وقال في جمادى الآخرة وخرج أهل الاسواق على طبقاتهم كل يلتمس كتب أمان يكون لهم فكتب فوق المائة سجل بامان لاهل الاسواق على طبقاتهم نسخة واحدة وكان يقرأ جميعها في القصر أبو على أحمد بن عبد السميع العباسى وتسلم أهل كل سوق ما كتب لهم وهذه نسخة أحداها بعد البسملة (هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور أبي على الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لاهل مسجد عبد الله انكم من الآمنين بامان الله الملك الحق المبين وأمان جدنا محمد خاتم النبيين وأبينا على خير الوصيين وآبائنا الذرية النبوية المهديين صلى الله على الرسول ووصيه وعليهم أجمعين وأمان أمير المؤمنين على النفس والحال والدم والمال لا خوف عليكم ولا تمد يد بسوء اليكم الا في حد يقام بواجبه وحق يؤخذ بمستوجبه فيوثق بذلك وليعول عليه ان شاء الله تعالى وكتب فى جمادي الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة والحمد لله وصلي الله على محمد سيد المرسلين وعلى خير الوصيين وعلى الأئمة المهديين ذرية النبوة وسلم تسليما كثيراً * وقال ابن عبد الظاهر فاما الحارات التى من باب الفتوح ميمنة وميسرة للخارج منه فالميمنة الى الهليلجة والميسرة الى بركة الارمن برسم الريحانية وهى الحسينية الآن وكانت برسم الريحانية الغزاوية والمولدة والعجمان وعبيد الشراء وكانت ثمان حارات وهي حارة حامد بين الحارتين المنشية الكبيرة • الحارة الكبيرة الحارة الوسطى • سوق الكبير الوزيرية • وللاجناد بظاهر القاهرة حارات وهي حارة البيازرة والحسينية جميع ذلك سكن الريحانية وسكن الجيوشية والعطوفية بالقاهرة وبظاهرها الهلالية والشوبك وحلب والجبانية والمأمونية وحارة الروم وحارة المصامدة والحارة الكبيرة والمنصورة الصغيرة واليانسية وحارة أبي بكر والمقس ورأس التبان والشارع ولم يكن للاجناد فى هذا الوجه غير حارة عنتر للمؤمنين المترجلة وكانت كل حارة من هذه بلدة كبيرة بالبزازين والعطارين والجزارين وغيرهم والولاة لا يحكمون عليها ولا يحكم فيها الا الازمة ونوابهم وأعظم الجميع الحارة الحسينية التى هي آخر صف الميمنة الى الهليلجة وهى الحسينية الآن لانها كانت سكن الارمن فارسهم وراجلهم وكان يجتمع بها قريب من سبعة آلاف نفس وأكثر من ذلك وبها أسواق عدة * وقال في موضع آخر الحسينية منسوبة لجماعة من الاشراف الحسينيين كانوا في الايام الكاملية قدموا من الحجاز فنزلوا خارج باب النصر بهذه الامكنة واستوطنوها وبنوا بها مدابغ صنعوا بها الاديم المشبه بالطائفى فسميت بالحسينية ثم سكنها الاجناد بعد ذلك وابتنوا بها هذه الابنية العظيمة وهذا وهم فانه تقدم أن من جملة الطوائف فى الايام الحاكمية الطائفة الحسينية وتقدم فيما نقله ابن عبد الظاهر أيضاً أن

الحسينية كانت عدة حارات والايام الكاملية انما كانت بعد الستمائة وقد كانت الحسينية قبل ذلك بما ينيف عن مائتى سنة فتدبره * واعلم أن الحسينية شقتان احداهما ما خرج عن باب الفتوح وطولها من خارج باب الفتوح الى الخندق وهذه الشقة هي التي كانت مساكن الجند فى أيام الخلفاء الفاطميين وبها كانت الحارات المذكورة والشقة الاخرى ما خرج عن باب النصر وامتد فى الطول الى الريدانية وهذه الشقة لم يكن بها فى أيام الخلفاء الفاطميين سوى مصلى العيد تجاه باب النصر ومابين المصلى الى الريدانية فضاء لابناء فيه وكانت القوافل اذا برزت تريد الحج تنزل هناك فلما كان بعد الخمسين وأربعمائة وقدم بدر الجمالى أمير الجيوش وقام بتدبير أمر الدولة الخليفة المنتصر بالله أنشأ بحري مصلي العيد خارج باب النصر تربة عظيمة وفيها قبره هو وولده الافضل بن أمير الجيوش وأبو على كتيفات بن الافضل وغيره وهى باقية الى يومنا هذا ثم تتابع الناس في انشاء الترب هناك حتى كثرت ولم تزل هذه الشقة مواضع للترب ومقابر أهل الحسينية والقاهرة الى بعد السبعمائة ولقد حدثت عن المشيخة ممن أدرك بأن ما بين مصلى الاموات التي خارج باب النصر وبين دار كهرداش التي تعرف اليوم بدار الحاجب مكانا يعرف بالمراغة معد لتمريغ الدواب به وأن ما في صف المصلى من بحريها الترب فقط ولم تعمر هذه الشقة الا فى الدولة التركية لا سيما لما تغلب التتر على ممالك الشرق والعراق وجفل الناس الى مصر فنزلوا بهذه الشقة وبالشقة الاخرى وعمروا بها المساكن ونزل بها أيضاً أمراء الدولة فصارت من أعظم عمائر مصر والقاهرة واتخذ الامراء بها من بحريها فيمابين الريدانية الى الخندق مناخات الجمال واصطبلات الخيل ومن ورائها الاسواق والمساكن العظيمة في الكثرة وصار أهلها يوصفون بالحسن خصوصاً لما قدمت الاويراتية

* (ذكر قدوم الاويراتية) *

وكان من خبر هذه الطائفة أن بيدو بن طرغاى بن هولاكو لما قتل في ذى الحجة سنة أربع وتسعين وسبعمائة وقام في الملك من بعده على المغل الملك غازان محمود بن خربنده ابن ايغانى تخوف منه عدة من المغل يعرفون بالاويراتية وفروا عن بلاده الى نواحي بغداد فنزلوا هناك مع كبيرهم طرغاى وجرت لهم خطوب آلت بهم الى اللحاق بالفرات فاقاموا بها هنالك وبعثوا الى نائب حلب يستأذنوه في قطع الفرات ليعبروا الى ممالك الشام فاذن لهم وعدوا الفرات الى مدينة بهنسا فاكرمهم نائبها وقام لهم بما ينبغى من العلوفات والضيافات وطولع الملك العادل زين الدين كتبغا وهو يومئذ سلطان مصر والشام بأمرهم فاستشار الامراء فيما يعمل بهم فاتفق الرأى على استدعاء أكابرهم الى الديار المصرية وتفريق باقيهم في البلاد الساحلية وغيرها من بلاد الشام وخرج اليهم الامير علم الدين سنجر الدوادارى

والامير شمس الدين سنقر الاعسر الى دمشق فجهزا من أكابر الاويراتية نحو الثلثمائة للقدوم على السلطان وفرقا من بقى منهم بالبقاع العزيزة و بلاد الساحل ولما قرب الجماعة من القاهرة خرج الامراء بالعسكر الى لقائهم واجتمع الناس من كل مكان حتى امتلأ الفضا للنظر اليهم فكان لدخولهم يوم عظيم وصاروا الى قلعة الجبل فأنعم السلطان على طرغاى مقدمهم بأمرة طبلخانه وعلى اللوص بأمرة عشرة وأعطى البقية تقادما في الحلقة واقطاعات وأجرى عليهم الرواتب وأنزلوا بالحسينية وكانوا علي غير الملة الاسلامية فشق ذلك على الناس وبلوا مع ذلك منهم بأنواع من البلاء لسوء أخلاقهم ونفرة نفوسهم وشدة جبروتهم وكان اذ ذاك بالقاهرة ومصر غلاء كبير وفناء عظيم فتضاعفت المضرة واشتد الامر على الناس وقال في ذلك الاديب شمس الدين محمد بن دينار

ربنا اكشف عنا العذاب فانا * قد تلفنا في الدولة المغلية

جاءنا المغل والغلا فانصلقنا * وانطبخنا فى الدولة المغلية

ولما دخل شهر رمضان من سنة خمس وتسعين وستمائة لم يصم أحد من الاويراتية وقيل للسلطان ذلك فابى أن يكرههم على الاسلام ومنع من معارضتهم ونهى أن يشوش عليهم أحد وأظهر العناية بهم وكان مراده أن يجعلهم عونا له يتقوي بهم فبالغ في اكرامهم حتي أثر في قلوب امراء الدولة منه أحناوخشوا ايقاعه بهم فان الاويراتية كانوا أهل جنس كتبغا وكانوا مع ذلك صوراً جميلة فافتتن بهم الامراء وتنافسوا في أولادهم من الذكور والاناث واتخذوا منهم عدة صيروهم من جملة جندهم وتعشقوهم فكان بعضهم يستنشد من صاحبه من اختص به وجعله محل شهوته ثم ماقنع الامراء ماكان منهم بمصر حتى أرسلوا الى البلاد الشامية واستدعوا منهم طائفة كبيرة فتكاثر نسلهم في القاهرة واشتدت الرغبة من الكافة في أولادهم على اختلاف الآراء في الاناث والذكور فوقع التحاسد والتشاجر بين أهل الدولة الى أن آل الامر بسببهم وباسباب أخر الى خلع السلطان الملك العادل كتبغا من الملك فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة فلما قام فى السلطنة من بعده الملك المنصور حسام الدين لاجين قبض على طرغاى مقدم الاويراتية وعلى جماعة من أكابرهم وبعث بهم الى الاسكندرية فسجنهم بها وقتلهم وفرق جميع الاويراتية على الامراء فاستخدموهم وجعلوهم من جندهم فصار أهل الحسينية لذلك يوصفون بالحسن والجمال البارع وأدركنا من ذلك طرفا جيداً وكان للناس في نكاح نسائهم رغبة ولآخرين شغف بأولادهم ولله در الشيخ تقى الدين السروجي اذ يقول من أبيات

ياساعى الشوق الذى مذ جرى * جرت دموعى فهى أعوانه

خذ لى جواباً عن كتابى الذى * الى الحسينية عنوانه

فهى كما قد قيل وادى الحمى * وأهلها فى الحسن غزلانه
امشى قليلا وانعطف يسرة * يلقاك درب طال بنيانه
واقصد بصدر الدرب ذاك الذى * بحسنه تحسن جيرانه *
سلم وقل يخشى مسن أى مسن * أشت حديثاً طال كتمانه
وسل لى الوصل فان قال بق * فقل أوت قد طال هجرانه

وما برحوا يوصفون بالزعارة والشجاعة وكان يقال لهم البدورة فيقال البدر فلان والبدر فلان ويعانون لباس الفتوة وحمل السلاح ويؤثر عنهم حكايات كثيرة وأخبار جمة وكانت الحسينية قد أربت فى عمارتها على سائر أخطاط مصر والقاهرة حتى لقد قال لى ثقة ممن أدركت من الشيخة انه يعرف الحسينية عامرة بالاسواق والدور وسائر شوارعها كاظة بازدحام الناس من الباعة والمارة وأرباب المعايش وأصحاب اللهو والملعوب فيما بين الريدانية محطة المحمل يوم خروج الحاج من القاهرة والى باب الفتوح لايستطيع الانسان أن يمر فى هذا الشارع الطويل العريض طول هذه المسافة الكبيرة الابمشقة من الزحام كما كنا نعرف شارع بين القصرين فيما أدركنا وما زال أمر الحسينية متماسكا الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ثمانمائة وما بعدها فخربت حاراتها ونقضت مبانيها وبيع مافيها من الاخشاب وغيرها وباد أهلها ثم حدث بها بعد سنة عشرين وثمانمائة آية من آيات الله تعالى وذلك أن في أعوام بضع وستين وسبعمائة بدا بناحية برج الزيات فيما بين المطرية وسر ياقوص فساد الارض التي من شأنها العبث في الكتب والثياب فأكلت لشخص نحو ألف وخمسمائة قتة دريس فكنا لانزال نتعجب من ذلك ثم فشت هناك وشنع عبثها فى سقوف الدور وسرت حتي عاثت فى أخشاب سقوف الحسينية وغلات أهلها وسائر أمتعتهم حتى أتلفت شيئاً كثيراً وقويت حتى صارت تأكل الجدران فبادر أهل تلك الجهة الى هدم ماقد بقى من الدور خوفا عليها من الارضة شيئاً بعد شئ حتى قاربوا باب الفتوح وباب النصر وقد بقى منها اليوم قليل من كثير يخاف ان استمرت أحوال الاقليم على ماهى عليه من الفساد أن تدثر وتمحي آثارها كما دثر سواها ولله در القائل

والله ان لم يداركها وقد رحلت * بلمحة أو بلطف من لديه خفى
ولم يجد بتلافيها على عجل * ما أمرها صائر الا الى تلف

(حارة حلب) هذه الحارة خارج باب زويلة تعرف اليوم بزقاق حلب وكانت قديماً من جملة مساكن الاجناد قال ياقوت فى باب حلب • الاول حلب المدينة المشهورة بالشام وهى قصبة نواحي قنسرين والعواصم اليوم • الثانى حلب الساجود من نواحي حلب أيضاً • الثالث كفر حلب من قراها أيضاً • الرابع محلة بظاهر القاهرة بالشارع من جهة الفسطاط والله تعالى أعلم

﴿ ذكر أخطاط القاهرة وظواهرها ﴾

قد تقدم ذكر ما يطلق عليه حارة من الاخطاط ونريد أن نذكر من الخطط مالا يطلق عليه اسم حارة ولا درب وهى كثيرة وكل قليل تتغير أسماؤها ولا بدمن ايرادماتيسر منها (خط خان الوراقة) هذا الخط فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة أمير الجيوش وفي شرقيه سوق المرجلين وهو يشتمل على عدة مساكن وبه طاحون وكان موضعه قديماً اصطبل الصبيان الحجرية لموقف خيولهم كما تقدم فلما زالت الدولة الفاطمية اختط مواضع للسكنى وقد شمله الخراب (خط باب القنطرة) هذا الخط كان يعرف قديماً بحارة المرتاحية وحارة الفرحية والرماحين وكان مابين الرماحين الذى يعرف اليوم بباب القوس داخل باب القنطرة وبين الخليج فضاء لاعمارة فيه بطول مابين باب الرماحين الى باب الخوخة والى باب سعادة والى باب الفرج ولم يكن اذ ذاك على حافة الخليج عمائر البتة وانما العمائر من جانب الكافورى وهى مناظر اللؤلؤة وما جاورها من قبليها الى باب الفرج وتخرج العامة عصريات كل يوم الى شاطئ الخليج الشرقى تحت المناظر للتفرج فان بر الخليج الغربي كان فضاء مابين بساتين وبرك كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى . قال القاضى الفاضل في متجددات سنة سبع وثمانين وخمسمائة في شوال قطع النيل الجسور واقتلع الشجر وغرق النواحي وهدم المساكن وأتلف كثيراً من النساء والاطفال وكثر الرخاء بمصر فالقمح كل مائة أردب بثلاثين دينارا والخبز البايت ستة أرطال بربع درهم والرطب الامهات ستة أرطال بدرهم والموز ستة أرطال بدرهم والرمان الجيد مائة حبة بدرهم والحمل الخيار بدرهمين والتين ثمانية أرطال بدرهم والعنب ستة أرطال بدرهم في شهر بابه بعد انقضاء موسمه المعهود بشهرين والياسمين خمسة أرطال بدرهم وآل أمر أصحاب البساتين الى أن لايجمعوا الزهر لنقص ثمنه عن أجرة جمعه وثمر الحناء عشرة أرطال بدرهم والبسرة عشرة أرطال بدرهم من جيده والمتوسط خمسة عشر رطلا بدرهم وما في مصر الا متسخط بهذه النعمة قال ولقد كنت فى خليج القاهرة من جهة المقس لانقطاع الطرق بالمياه فرأيت الماء مملوأ سمكا والزيادة قد طبقت الدنيا والنخل مملوأ تمرا والمكشوف من الارض مملوأ ريحانا وبقولا ثم نزلت فوصلت الى المقس فوجدت من القلعة التي بالمقس الى منية السيرج غلالا قد ملأت صبرها الارض فلا يدرى الماشى أين يضع رجله متصلا عرض ذلك الى باب القنطرة وعلى الخليج عند باب القنطرة من مراكب الغلة ماقد ستر سواحله وأرضه قال ودخلت البلد فرأيت فى السوق من الاخباز واللحوم والالبان والفواكه ماقد ملأها وهجمت منه العين على منظر ما رأيت قبله مثله قال وفى البلد من البغي ومن المعاصى ومن الجهر بها ومن الفسق بالزنا واللواط ومن شهادة الزور ومن مظالم الامراء والفقهاء ومن استحلال الفطر

فى نهار رمضان وشرب الخمر فى ليله ممن يقع عليه اسم الاسلام ومن عـدم النكير على ذلك جميعه ما لم يسمع ولم يعهد مثله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وظفر بجماعة مجتمعين في حارة الروم يتغدون في قاعة فى نهار رمضان فما كلموا وبقوم مسلمين ونصارى اجتمعوا على شرب خمر في ليل رمضان فما أقيم فيهم حد. وخط باب القنطرة فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة أمـير الجيوش وينتهي من قبليه الى خط بين السـورين (خط بين السورين)هذا الخط من حد باب الـكافورى فى الغرب الى باب سعادة وبه الآن صفان من الاملاك أحدهما مشرف على الخليج والآخر مشرف علي الشارع المسلوك فيه من باب القنطرة الى باب سعادة ويقال لهذا الشارع بين السورين تسميه العامـة بها فاشتهر بذلك وكان فى القديم بهـذا الخط البستان الكافوري يشرف عليه بحده الغربى ثمة مناظر اللؤلؤة وقد بقيت منها عقود مبنية بالآجر يمر السالك في هـذا الشارع من تحتها ثم مناظر دار الذهب وموضعها الآن دار تعرف بدار بها در الاعسر وعلى بابها بئر يستقى منها المـاء فى حوض يشرب منه الدواب ويجاورها قبو معقود يعرف بقبو الذهب هو من بقية مناظر دار الذهب وبحد دار الذهب منظرة الغزالة وهي بجوار قنطرة الموسكي وقد بنى فى مكانها ربع يعرف الى اليوم بربع غزالة ودار ابن قرفة وقد صار موضعها جامع ابن المغربى وحمام ابن قرفة وبقى منها البئر التى يستقى منها الى اليوم بحمام السلطان وعدة دور كلها فيمايلى شقة القاهرة من صف باب الخوخة وكان مابين المناظر والخليج براحا ولم يكن شئ من هـذه العمائر التى بحافة الخليج اليوم البتة وكان الحاكم بأمر الله فى سنة احـدى وأربعمائة منع من الركوب فى المراكب بالخليج وسد أبواب القاهرة التى تلى الخليج وأبواب الدور التى هناك والطاقات المطلة عليه على ماحكاه المسيحي * وقال ابن المأمون فى حوادث سنـة ست عشرة وخمسمائة ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام بها مدة النيل على الحـكم الاول يعنى قبل أيام أمير الجيوش بدر وابنه الافضل وازالة مالم تكن العادة جارية عليه من مضـايقة اللؤلؤة بالبناء وأنها صارت حارات تعرف بالفرحية والسودان وغيرهما أمر حسـام الملك متولى بابه باحضار عرفاء الفرحية والانكار عليهم في تجاسرهم على ماستجدوه وأقدموا عليه فاعتذروا بكثرة الرجال وضيق الامكنة عليهم فبنوا لهم قبابا يسيرة فتقدم يعنى أمر الوزير المأمون الى متولى الباب بالانعام عليهم وعلى جميع من بني في هذه الحارة بثـلاثة آلاف درهم وأن يقسم بينهم بالسوية ويأمرهم بنقل قسمهم وأن يبنوا لهم حارة قبالة بستان الوزير يعنى ابن المغربى خارج الباب الجديد من الشارع خارج باب زويلة قال وتحول الخليفـة الى اللؤلؤة بحـاشيته وأطلقت التوسعـة فى كل يوم لما يخص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الاصنـاف وانضـاف اليها مايطلق كل ليلة عينا وورقا وأطعمة للبائتين بالنوبة برسم

الحرس بالنهار والسهر فى طول الليل من باب قنطرة بها در الى مسجد الليمونة من البرين من صبيان الخاص والركاب والرهجية والسودان والحجاب كل طائفة بنقيبها والعرض من متولى الباب واقع بالعدة فى طرفي كل ليلة ولا يمكن بعضهم بعضاً من المنام والرهجية تخدم على الدوام * (خط الكافورى) هذا الخط كان بستانا من قبل بناء القاهرة وتملك الدولة الفاطمية لديار مصر أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طفج بن جف الملقب بالاخشيد وكان بجانبه ميدان فيه الخيول وله أبواب من حديد فلما قدم جوهر القائد الى مصر جعل هذا البستان من داخل القاهرة وعرف ببستان كافور وقيل له فى الدولة الفاطمية البستان الكافورى ثم اختط مساكن بعد ذلك قال ابن زولاق فى كتاب سيرة الاخشيد ولست خلون من شوال سنة ثلاثين وثلثمائة سار الاخشيد الى الشام فى عساكره واستخلف أخاه أبا المظفر بن طفج قال وكان يكره سفك الدماء ولقد شرع في الخروج الى الشام في آخر سفراته وسار العسكر وكان نازلا في بستانه في موضع القاهرة اليوم فركب للمسير فساعة خرج من باب البستان اعترضه شيخ يعرف بمسعود الصابونى يتظلم اليه فنظر له فتطير به وقال خذوه ابطحوه فبطح وضرب خمس عشرة مقرعة وهو ساكت فقال الاخشيد هو ذا يتشاطر فقال له كافور قد مات فانزعج واستقال سفرته وعاد لبستانه وأحضر أهل الرجل واستحلهم وأطلق لهم ثلاثمائة دينار وحمل الرجل الى منزله ميتا وكانت جنازته عظيمة وسافر الاخشيد فلم يرجع الى مصر ومات بدمشق * وقال في كتاب تتمة كتاب أمراء مصر للكندى وكان كافور الاخشيدى أمير مصر يواصل الركوب الى الميدان والى بستانه في يوم الجمعة ويوم الاحد ويوم الثلاثاء قال وفي غد هذا اليوم يعنى يوم الثلاثاء مات الاستاذ كافور الاخشيدى لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ويوم مات الاستاذ كافور الاخشيدى خرج الغلمان والجند الى المنظرة وخربوا بستان كافور ونهبوا دوابه وطلبوا مال البيعة وقال ابن عبد الظاهر البستان الكافورى هو الذي كان بستانا لكافور الاخشيدى وكان كثيراً ما يتنزه به وبنيت القاهرة عنده ولم يزل الى سنة احدى وخمسين وستمائة فاختطت البحرية والعزيزية به اصطبلات وأزيلت أشجاره قال ولعمرى ان خرابه كان بحق فانه كان عرف بالحشيشة التي يتناولها الفقراء والتى تطلع به يضرب بها المثل في الحسن . قال شاعرهم نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن على اليذبى لنفسه

رب ليل قطعته ونديمى * شاهدى وهو مسمعى وسميرى
مجلسى مسجد وشربى من خضـ * ـراء تزهو بحسن لون نضير
قال لى صاحبى وقد فاح منها * نشرها مزرياً بنشر العبير
أمن المسك قلت ليست من المسـ * ـك ولكنها من الكافورى

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد الاسدى الدمشقي المعروف باليغمورى أنشدنى الامام العالم المعروف بجموع الفضائل زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الحنفى لنفسه وهو أول من عمل فيها

وخضراء كافورية بات فعلها * بألبابنا فعل الرحيق المعتق
اذا نفحتنا من شذاها بنفحة * تدب لنا في كل عضو ومنطق
غنيت بها عن شرب خمر معتق * وبالدلق عن لبس الجديد المزوق

وأنشدنى الحافظ جلال الدين أبو المعز بن أحمد بن الصائغ المغربى لنفسه

عاطني خضراء كافورية * يكتب الخمر لها من جندها
أسكرتنا فوق ماتسكرنا * وربحنا أنفسا من حدها

وأنشدنى لنفسه

قم عاطنى خضراء كافورية * قامت مقام سلافة الصهباء
يغدو الفقير اذا تناول درهما * منها له تيه على الامراء
وتراه من أقوى الورى فاذا خلا * منها عددناه من الضعفاء

وأنشدنى من لفظه لنفسه أيضاً

عاطيت من أهوي وقد زارنى * كالبدر وافي ليلة البدر
والبحر قد مد على متنه * شعاعه جسراً من التبر
خضراء كافورية رنحت * أعطافه من شدة السكر
يفعل منها درهم فوق ما * تفعل أرطال من الخمر
فراح نشواناً بها غافلا * لايعرف الحلو من المر
قال وقد نال بها أمره * فبات مردودا الى أمرى
قتلتنى قلت نعم سيدى * قتلين بالسكر وبالبحر

قال وأمر السلطان الملك الصالح يعنى نجم الدين أيوب الأمير جمال الدين أبا الفتح موسى بن يغمور أن يمنع من يزرع فى الكافورى من الحشيشة شيأ فدخل ذات يوم فرأى فيه منها شيأ كثيراً فأمر بأن يجمع فجمع وأحرق فأنشدنى فى الواقعة الشيخ الاديب الفاضل شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف لنفسه وذلك فى ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين وستمائة

صرف الزمان وحادث المقدور * تركا نكير الخطب غير نكير
ماسالما حيا ولا ميتاً ولا * طودا سما بل دكدكا بالطور
لهفي وهل يجدى التلهف فى ردى * طرب الغني وأنس كل فقير
أخت المذلة لارتكاب محرم * قطب السرور بأيسر الميسور

جمعت محاسن ماجتمعن لغيرها * من كل شئ كان فى المعمور
منها طعام والشراب كلاهما * والبقل والريحان وقت حضور
هى روضة ان شئتها ورياضة * يغنى بها عن روضة وخمور
مافي المدامة كلها منها سوى * اثم المدام وصحبة المخمور
كلا ونكهة خمرة هى شاهد * عدل على حد وجلد ظهور
* أسفا لدهر غالها ولربما * ظل الكريم بذلة المأسور
جمعت له الاشهاد كرما أخضرا * كعروسة تجلى بخضر حرير
* زفوا لها نارا تخلنا جنة * برزت لنا قد زوجت بالنور
ثم اكتست منها غلالة صفرة * في حضرة مقرونة بزفير
فكأنها لهب اللظى فى خضرة * منها وطرف رمادها المنثور
جارى النضار على مذاب زمرذ * تركا فتيت المسك في الكافورى
لله درك حية أو ميتة * من منظر بهج بغير نظير
أوذيت غير ذميمة فسقى الحيا * تربا تضمن منك ذوب عبير
عندي لذكرك مابقيت مخلدا * سح الدموع ونفثة المصدور

(ذكر كافور الاخشيدى)

كان عبدا أسود خصيا مثقوب الشفة السفلى بطينا قبيح القدمين ثقيل البدن جلب الى مصر وعمره عشر سنين فما فوقها في سنة عشر وثلثمائة فلما دخل الى مصر تمنى أن يكون أميرها فباعه الذي جلبه لمحمد بن هاشم أحد المتقبلين للضياع فباعه لابن عباس الكاتب فمر يوما بمصر على منجم فنظر له فى نجومه وقال له انت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ معه مبلغا عظيما فدفع اليه درهمين لم يكن معه سواهما فرمى بهما اليه وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطينى درهمين ثم قال له وأزيدك انت تملك هذه البلد وأكثر منه فاذكرني * واتفق أن ابن عباس الكاتب أرسله بهدية يوما الى الامير أبى بكر محمد بن طفج الاخشيد وهو يومئذ أحد قواد تكين أمير مصر فأخذ كافورا ورد الهدية فترقي عنده فى الخدم حتى صار من أخص خدمه * ولما مات الاخشيد بدمشق ضبط كافور الامور ودارى الناس ووعدهم الى أن سكنت الدهماء بعد أن اضطرب الناس وجهز أستاذه وحمله الى بيت المقدس وسار الى مصر فدخلها وقد انعقد الامر بعد الاخشيد لابنه أبى القاسم أونوجور فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من دمشق بأن سيف الدولة على بن حمدان أخذها وسار الى الرملة فخرج كافور بالعساكر وضرب الدبادبب وهى الطبول على باب مضربه فى وقت كل صلاة وسار فظفر وغنم ثم قدم الى مصر وقد عظم أمره فقام بخلافة أونوجور فخاطبه القواد بالاستاذ وصار

القواد يجتمعون عنده في داره فيخلع عليهم ويحملهم ويعطيهم حتي انه وقع لجانك أحد القواد الاخشيدية في يوم بأربعة عشر ألف دينار فما زال عبداً له حتى مات وانبسطت يده في الدولة فعزل وولى وأعطى وحرم ودعى له على المنابر كلها الا منبر مصر والرملة وطبرية ثم دعى له بها في سنة أربعين وثلثمائة وصار يجلس للمظالم فى كل سبت ويحضر مجلسه القضاة والوزراء والشهود ووجوه البلد فوقع بينه وبين الامير أونوجور وتحرز كل منهما من الآخر وقويت الوحشة بينهما وافترق الجند فصار مع كل واحد طائفة واتفق موت أونوجور في ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة ويقال انه سمه فأقام أخاه أبا الحسن على بن الاخشيد من بعده واستبد بالامر دونه وأطلق له في كل سنة أربعمائة الف دينار واستقل بسائر أحوال مصر والشام ففسد مابينه وبين الامير أبي الحسن على فضيق عليه كافور ومنع أن يدخل عليه أحد فاعتل بعلة أخيه ومات وقد طالت به في محرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة فبقيت مصر بغير أمير أياماً لايدعى فيها سوى للخليفة المطيع فقط وكافور يدبر أمر مصر والشام في الخراج والرجال فلما كان لاربع بقين من المحرم المذكور أخرج كافور كتاباً من الخليفة المطيع بتقليده بعد على بن الاخشيد فلم يغير لقبه بالاستاذ ودعى له على المنبر بعد الخليفة وكانت له في أيامه قصص عظام وقدم عسكر من المعز لدين الله أبي تميم معد من المغرب الى الواحات فجهز اليه جيشاً أخرجوا العسكر وقتلوا منهم وصارت الطبول تضرب على بابه خمس مرات في اليوم والليلة وعدتها مائة طبلة من نحاس وقدمت عليه دعاة المعز لدين الله من بلاد المغرب يدعونه الى طاعته فلاطفهم وكان أكثر الاخشيدية والكافورية وسائر الاولياء والكتاب قد أخذت عليهم البيعة للمعز وقصر مد النيل في أيامه فلم يبلغ تلك السنة سوى اثني عشر ذراعاً وأصابع فاشتد الغلاء وفحش الموت في الناس حتي عجزوا عن تكفينهم ومواراتهم وأرجف بمسير القرامطة الى الشام وبدت غلمانه تتنكر له وكانوا الفاً وسبعين غلاماً تركياً سوى الروم والمولدين فمات لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة عن ستين سنة فوجد له من العين سبعمائة ألف دينار ومن الورق والحلى والجوهر والعنبر والطيب والثياب والآلات والفرش والخيام والعبيد والجوارى والدواب ماقوم بستمائة ألف ألف دينار وكانت مدة تدبيره أمر مصر والشام والحرمين احدى وعشرين سنة وشهرين وعشرين يوماً منها منفردا بالولاية بعد أولاد أستاذه سنتان وأربعة أشهر وتسعة أيام ومات عن غير وصية ولا صدقة ولا مأثرة يذكر بها ودعى له على المنابر بالكنية التي كناه بها الخليفة وهى أبو المسك أربع عشرة جمعة وبعده اختلت مصر وكادت تدمر حتي قدمت جيوش المعز على يد القائد جوهر فصارت مصر دار خلافة ووجد على قبره مكتوب

ما بال قبرك ياكافور منفرداً * بصائح الموت بعد العسكر اللجب

يدوس قبرك من أدنى الرجال وقد * كانت أسود الشرى تخشاك في الكتب

ووجد أيضاً مكتوب

انظر الى غير الايام ماصنعت * أفنت أناسا بها كانوا وما فنيت

دنياهم أضحكت أيام دولتهم * حتى اذا فنيت ناحت لهم وبكت

(خط الخرشتف) هذا الخط فيما بين حارة برجوان والكافورى ويتوصل اليه من بين القصرين فيدخل له من قبو يعرف بقبو الخرشتف وهو الذي كان يعرف قديماً بباب التبانين ويسلك من الخرشتف الى خط باب سر المارستان والى حارة زويلة وكان موضع الخرشتف في أيام الخلفاء الفاطميين ميدانا بجوار القصر الغربى والبستان الكافورى فلما زالت الدولة اختط وصار فيه عدة مساكن وبه أيضاً سوق وانما سمى بالخرشتف لان المعز أول من بنى فيه الاصطبلات بالخرشتف وهو ميتحجر مما يوقد به على مياه الحمامات من الازبال وغيرها * قال ابن عبد الظاهر الحارة المعروفة بالخرشتف كانت قديماً ميدانا للخلفاء فلما ورد المعز بنوا به اصطبلات وكذلك القصر الغربى وقد كان النساء اللاتى أخرجن من القصر يسكن بالقصر النافعي فامتدت الايدى الى طوبه وأخشابه وبيعت وتلاشى حاله وبني به وبالميدان اصطبلات ودويرات بالخرشتف فسمى بذلك ثم بني به الادر والطواحين وغيرها وذلك بعد الستمائة وأكثر أراضى الميدان حكر للادر القطبية (خط اصطبل القطبية) هذا الخط أيضاً من جملة أراضي الميدان ولما انتقلت القاعة التي كانت سكن أخت الحاكم بأمر الله بعد زوال الدولة الفاطمية صارت الى الملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فاستقر بها هو وذريته فصار يقال لها الدار القطبية واتخذ هذا المكان اصطبلا لهذه القاعة فعرف باصطبل القطبية ثم لما أخذ الملك المنصور قلاوون القاعة القطبية من مونسة خاتون المعروفة بدار اقبال ابنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب أخت المفضل قطب الدين أحمد المعروفة بخاتون القطبية وعملها المارستان المنصورى بني فى هذا الاصطبل المساكن وصارت من جملة الخطط المشهورة ويتوصل اليه من وسط سوق الخرشتف ويسلك فيه من آخره الى المدرسة الناصرية والمدرسة الظاهرية المستجدة وعمل على أوله درباً يغلق وهو خط عامر (خط باب سر المارستان) هذا الخط يسلك اليه من الخرشتف ويصير السالك فيه الى البندقانيين وبعض هذا الخط وهو جله ومعظمه من جملة اصطبل الجميزة الذى كان فيه خيول الدولة الفاطمية وقد تقدم ذكره وموضع باب سر المارستان المنصورى هو باب الساباط فلما زالت الدولة واختط الكافورى والخرشتف واصطبل القطبية صار هذا الخط واقعاً بين هذه الاخطاط ونسب الى باب سر المارستان لانه من هنالك وأدركت بعض هذه الخطة وهى خراب ثم أنشأ فيه القاضى جمال الدين

محمود القيصري محتسب القاهرة فى أيام ولايته نظر المارستان في سنة احدى وثمانين وسبعمائة الطاحون العظيمة ذات الاحجار والفرن والربع علوه في المكان الخراب وجعل ذلك جارياً في جملة أوقاف المارستان المنصورى (خط بين القصرين) هذا الخط أعمر أخطاط القاهرة وأنزهها وقد كان فى الدولة الفاطمية فضاء كبيراً وبراحاً واسعاً يقف فيه عشرة آلاف من العسكر مابين فارس وراجل ويكون به طرادهم ووقوفهم للخدمة كما هو الحال اليوم في الرميلة تحت قلعة الجبل فلما انقضت أيام الدولة الفاطمية وخلت القصور من أهاليها ونزل بها أمراء الدولة الايوبية وغيروا معالمها صار هذا الموضع سوقا مبتذلا بعد ماكان ملاذاً مبجلا وقعد فيه الباعة بأصناف المأكولات من اللحمان المتنوعة والحلاوات المصنعة والفاكهة وغيرها فصار منتزهاً تمر فيه أعيان الناس وأماثلهم في الليل مشاة لرؤية ماهناك من السرج والقناديل الخارجة عن الحد في الكثرة ولرؤية ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين مما فيه لذة للحواس الخمس وكانت تعقد فيه عدة حلق لقراءة السير والاخبار وانشاد الاشعار والتفنن في أنواع اللعب واللهو فيصير مجمعاً لا يقدر قدره ولا يمكن حكاية وصفه وسأتلو عليك من أنباء ذلك مالا تجده مجموعا فى كتاب * قال المسيحي فى حوادث جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة وفيه منع كل أحد ممن يركب مع المكاريين أن يدخل من باب القاهرة راكباً ولا المكارين أيضاً بحميرهم ولايجلس أحد على باب الزهومة من التجار وغيرهم ولا يمشي أحد ملاصق القصر من باب الزهومة الى أقصى باب الزمرذ ثم عفى عن المكاريين بعد ذلك وكتب لهم أمان قرئ * وقال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر كل ليلة خمسون فارساً فاذا أذن بالعشاء الآخرة داخل القاعة وصلى الامام الراتب بها بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة ابن الكركندي فاذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق وتوابعهما من عدة وافرة بطريق مستحسنة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك أستاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها أغلق الباب وسار الى حوالى القصر سبع دورات فاذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المقدم ذكرهم وأفضى المؤذنون الى خزانتهم هناك ورميت السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان الى أن تضرب النوبة سحراً قريب الفجر فتنصرف الناس من هناك بارتفاع السلسلة انتهى وأخبرنى المشيخة أنه مازال الرسم الى قريب أنه لايمر بشارع بين القصرين حمل تبن ولا حمل حطب ولا يستطيع أحد أن يسوق فرساً فيه فان ساق أحد أنكر عليه وخرق به * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب والمكان الذى كان يعرف في القاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هناك

ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية *وقال ياقوت وبين القصرين كان ببغداد بباب الطاق يراد به قصر أسماء بنت المنصور وقصر عبد الله بن المهدى وكان يقال لهما أيضاً بين القصرين وبين القصرين بمصر والقاهرة وهما قصران متقابلان بينهما طريق العامة والسوق عمرهما ملوك مصر المغاربة المتعلونة الذين ادعوا أنهم علوية • وحدثني الفاضل الرئيس تقى الدين عبد الوهاب ناظر الخواص الشريفة ابن الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله ابن أبى شاكر أنه كان يشترى في كل ليلة من بين القصرين بعد العشاء الآخرة برسم الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله بن خصيب من الدجاج المطجن والقطا وفراخ الحمام والعصافير المقلاة بمبلغ مائتي درهم وخمسين درهما فضة يكون عنها يومئذ نحو من اثني عشر مثقالا من الذهب وأن هذا كان دأبه في كل ليلة ولا يكاد مثل هذا مع كثرته لرخاء الاسعار يؤثر نقصه فيما كان هنالك من هذا الصنف لعظم ما كان يوضع في بين القصرين من هذا النوع وغيره ولقد أدركنا في كل ليلة من بعد العصر يجلس الباعة بصنف لحمان الطيور التى تقلى صفا من باب المدرسة الكاملية الى باب المدرسة الناصرية وذلك قبل بناء المدرسة الظاهرية المستجدة فيباع لحم الدجاج المطجن ولحم الاوز المطجن كل رطل بدرهم وتارة بدرهم وربع وتباع العصافير المقلوة كل عصفور بفلس حسابا عن كل أربعة وعشرين بدرهم والمشيخة تقول أنا حينئذ في غلاء لكثرة ما تصف من سعة الارزاق ورخاء الاسعار في الزمن الذى أدركوه قبل الفناء الكبير ومع ذلك فلقد وقع في سنة ست وثمانين شئ لا يكاد يصدقه اليوم من لم يدرك ذلك الزمان وهو أنه كان لنا من جيراننا بحارة برجوان شخص يعانى الجندية ويركب الخيل فبلغني عن غلامه أنه خرج في ليلة من ليالى رمضان وكان رمضان اذ ذاك في فصل الصيف ومعه رقيق له من غلمان الخيل وأنهما سرقا من شارع بين القصرين وما قرب منه بضعا وعشرين بطيخة خضراء وبضعا وثلاثين شقفة جبن والشقفة أبدا من نصف رطل الى رطل فما منا الا من تعجب من ذلك وكيف تهيأ لاثنين فعل هذا وحمل هذا القدر يحتاج الى دابتين الى أن قدر الله تعالى لى بعد ذلك أن اجتمعت بأحد الغلامين المذكورين وسألته عن ذلك فاعترف لى به قلت صف لى كيف عملتما فذكر أنهما كانا يقفان على حانوت الجبان أو مقعد البطيخي وكان اذ ذاك يعمل من البطيخ في بين القصرين مرصات كثيرة جدا في كل مرص ما شاء الله من البطيخ قال فاذا وقفنا قلب أحدنا بطيخة وقلب الآخر أخرى فلشدة ازدحام الناس يتناول أحدنا بطيخته بخفة يد وصناعة ويقوم فلا يفطن به أو يقلب أحدنا ورفيقه قائم من ورائه والبياع مشغول البال لكثرة ما عليه من المشترين وما في ذلك الشارع من غزير الناس فيحذفها من تحته وهو جالس القرفصا فاذا أحس بها رفيقه تناولها

ومر وكذلك كان فعلهم مع الجبانين وكانوا كثيرا فانظر أعزك الله الى بضاعة يسرق منها
مثل هذا القدر ولا يفطن به من كثرة ما هنالك من البضائع ولعظم الخلق * ولقد حدثني
غير واحد ممن قدم مع قاضي القضاة عماد الدين أحمد الكركي انه لما قدموا من الكرك في
سنة اثنين وتسعين وسبعمائة كادوا يذهلون عند مشاهدة بين القصرين وقال لى ابنه محب
الدين محمد أول ما شاهدت بين القصرين حسبت أن زفة أو جنازة كبيرة تمر من هنالك فلما
لم ينقطع المارة سألت ما بال الناس مجتمعين للمرور من ههنا فقيل لى هذا دأب البلد دائماً
ولقد كنا نسمع أن من الناس من يقوم خلف الشاب أو المرأة عند التمشي بعد العشاء بين
القصرين ويجامع حتى يقضي وطره وهما ماشيان من غير أن يدركهما أحد لشدة الزحام
واشتغال كل أحد باهوه وما برحت أجد من الازدحام مشقة حتى أفادني بعض من أدركت
أن من الرأي في المشي أن يأخذ الانسان في مشيه نحو شماله فانه لا يجد من المشقة كما يجد
غيره من الزحام فاعتبرت ذلك آلاف مرات في عدة سنين فما أخطأ معي ولقد كنت أكثر
من تأمل المارة بين القصرين فاذا هم صفان كل صف يمر من صوب شماله كالسيل اذا اندفع
وعلل هذا الذى أفادني أن القلب من يسار كل أحد والناس تميل الى جهة قلوبهم فلذلك
صار مشيهم من صوب شمائلهم وكذا صح لى مع طول الاعتياد ولما حدثت هذه المحن بعد
سنة ست وثمانين وثمانمائة تلاشى أمر بين القصرين وذهب ما هناك وما أخوفني أن يكون
أمر القاهرة كما قيل

هذه بلدة قضى الله يا صا * ح عليها كما ترى بالخراب
فقف العيس وقفة وابك من كا * ن بها من شيوخها والشباب
واعتبر ان دخلت يوما اليها * فهي كانت منازل الاحباب

* (خط الخشيبة) هذا الخط يتوصل اليه من وسط سوق باب الزهومة ويسلك فيه
الى الحارة العدوية حيث فندق الرخام برحبة بيبرس والى درب شمس الدولة وقيل له خط
الخشيبة من أجل أن الخليفة الظافر لما قتله نصر بن عباس وبنى على مكانه الذى دفنه فيه
المسجد الذى يعرف اليوم بمسجد الخاميين ويعرف أيضاً بمسجد الخلفاء نصبت هناك خشبة
حتى لا يمر أحد من هذا الموضع راكباً فعرف بخشيبة تصغير خشبة وما زالت هناك حتى
زالت الدولة الفاطمية وقام السلطان صلاح الدين بسلطنة مصر فأزال الخشيبة وعرف هذا
الخط بها الى اليوم ويقال له خط حمام خشيبة من أجل الحمام التى هناك * ولمقتل الظافر
خبر يحسن ذكره هنا

* (ذكر مقتل الخليفة الظافر) *

وكان من خبر الظافر أنه لما مات الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن

الامير أبي القاسم محمد بن المستنصر في ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بويع ابنه أبو المنصور اسماعيل ولقب بالظافر بأمر الله بوصية من أبيه له بالخلافة وقام بتدبير الوزارة الامير نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال فلم يرض الامير المظفر على بن السلار والى الاسكندرية والبحيرة يومئذ بوزارة ابن مصال وحشد وسار الى القاهرة ففرّ ابن مصال واستقر ابن السلار في الوزارة وتلقب بالعادل فجهز العساكر لمحاربة ابن مصال لمحاربته وقتل فقوى واستوحش منه الظافر وخاف منه ابن السلار واحترز منه على نفسه وجعل له رجالا يمشون في ركابه بالزرد والخود وعددهم ستمائة رجل بالنوبة ونقل جلوس الظافر من القاعة الى الايوان في البراح والسعة حتى اذا دخل للخدمة يكون أصحاب الزرد معه ثم تأكدت النفرة بينهما فقبض على صبيان الخاص وقتل أكثرهم وفرق باقيهم وكانوا خمسمائة رجل وما زال الامر على ذلك الى أن قتله ربيبه عباس بن تميم بيد ولده نصر واستقر بعده في وزارة الظافر وكان بين ناصر الدين نصر بن عباس الوزير وبين الظافر مودة أكيدة ومخالطة بحيث كان الظافر يشتغل به عن كل أحد ويخرج من قصره الى دار نصر بن عباس التى هى اليوم المدرسة السيوفية فخاف عباس من جراءة ابنه وخشى أن يحمله الظافر على قتله فيقتله كما قتل الوزير على بن السلار زوج جدته أم عباس فنهاه عن ذلك وألحف في تأنيبه وأفرط في لومه لان الامراء كانوا مستوحشين من عباس وكارهين منه تقريبه أسامة بن منقذ لما علموه من أنه هو الذى حسن لعباس قتل ابن السلار كما هو مذكور في خبره وهموا بقتله وتحدثوا مع الخليفة الظافر في ذلك فبلغ أسامة ما هم عليه وكان غريباً من الدولة فأخذ يغرى الوزير عباس بن تميم بابنه نصر ويبالغ في تقبيح مخالطته للظافر الى أن قال له مرة كيف تصبر على ما يقول الناس فى حق ولدك من أن الخليفة يفعل به ما يفعل بالنساء فأثر ذلك في قلب عباس واتفق أن الظافر أنعم بمدينة قليوب على نصر بن عباس فلما حضر الى أبيه وأعلمه بذلك وأسامة حاضر فقال له يا ناصر الدين ماهى بمهرك غالية يعرض له بالفحش فأخذ عباس من ذلك ما أخذه وتحدث مع أسامة لثقته به في كيفية الخلاص من هذا فأشار عليه بقتل الظافر اذا جاء الى دار نصر على عادته في الليل فأمره بمفاوضة ابنه نصر في ذلك فاغتنمها أسامة وما زال بنصر يشنع عليه ويحرضه على قتل الظافر حتى وعده بذلك فلما كان ليلة الخميس آخر المحرم من سنة تسع وأربعين وخمسمائة خرج الظافر من قصره متنكراً ومعه خادمان كما هى عادته ومشى الى دار نصر بن عباس فاذا به قد أعد له قوما فعند ما صار في داخل داره وثبوا عليه وقتلوه هو وأحد الخادمين وتوارى عنهم الخادم الآخر ولحق بعد ذلك بالقصر ثم دفنوا الظافر والخادم تحت الارض في الموضع الذى فيه الآن المسجد وكان سنه يوم قتل احدى وعشرين سنة وتسعة أشهر

ونصف منها فى الخلافة بعـد أبيه أربع سنين وثمانية أشهر تنقص خمسة أيام وكان محكوما عليـه في خلافته وفي أيامه ملك الفرنج مدينة عسقلان وظهر الوهن في الدولة وكان كثير اللهو واللعب وهو الذى أنشأ الجامع المعروف بجامع الفاكهيين وبلغ أهل القصر ماعمله نصر ابن عباس من قتل الظافر فكاتبوا طلائع بن رزيك وكان على الاشمونين وبعثوا اليه بشعور النساء يستصرخون به على عباس وابنه فقدم بالجموع وفر عباس وأسامة ونصر ودخل طلائع وعليه ثياب سود وأعلامه وبنوده كلها سود وشعور النساء التى أرسلت اليه من القصر على الرماح فكان فألا عجيباً فانه بعد خمس عشرة سنة دخلت أعلام بنى العباس السود من بغداد الى القاهرة لما مات العاضد واستبد صلاح الدين بملك ديار مصر وكان أول ما بدأ به طلائع أن مضى ماشياً الى دار نصر وأخرج الظافر والخادم وغسلهما وكفنهما وحمل الظافر فى تابوت مغشى ومشى طلائع حافيا والناس كلهم حتى وصلوا الى القصر فصلى عليه ابنه الخليفة الفائز ودفن فى تربة القصر * (خط سقيفة العداس) * هـذا الخط فيما بين درب شمس الدولة والبندقانيين كان يقال له أولا سقيفة العداس ثم عرف بالصاغة القديمة ثم عرف بالاساكفة ثم هو الآن يعرف بالحريريين الشرابيين وبسوق الزجاجين وفيـه يباع الزجاج وهو خط عامر وهذا العداس هو على بن عمر بن العداس أبو الحسن ضمن في أيام المعز لدين الله كورة بوصير فخلع عليه وحمله وسار خليفته بالبنود والطبول في جمادى الاولى سنة أربع وستين وثلثمائة فلما كان في أول خلافة العزيز بالله بن المعز لدين الله ولاه الوساطة وهى رتبة الوزارة بعـد موت الوزير يعقوب بن كلس ولم يلقبه بالوزير فجلس في القصر لتسع عشرة خلت من ذى الحجة سنة احدى وثمانين وثلثمائة وأمر ونهى ونظر في الاموال ورتب العمال وأمر أن لا يطلق شئ الا بتوقيعه ولا ينفذ الا ما أمر به وقرره وأمره العزيز بالله أن لا يرتفق أى يرتشى ولا يرتزق يعنى أنه لا يقبل هـدية ولا يضيع ديناراً ولا درهما فأقام سـنة وصرف في أول المحرم من سـنة ثلاث وثمانين فقرر في ديوان الاستيفاء الى أن كان جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة حسن لابي طاهر محمود النحوى الكاتب وكان منقطعاً اليـه أن يلقى الحاكم بأمر الله ويبلغه ما تشكوه الناس من تظافر النصارى وغلبتهم على المملكة وتوازرهم وأن فهد بن ابراهيم هو الذى يقوى نفوسهم ويفوض أمر الاموال والدواوين اليهم وأنه آفة على المسلمين وعدة للنصارى فوقف أبو طاهر للحاكم ليلا فى وقت طوافه في الليل وبلغه ذلك ثم قال يا مولانا ان كنت تؤثر جمع الاموال واعزاز الاسـلام فأرنى رأس فهد بن ابراهيم في طشت والا لم يتم من هذا شئ فقال له الحاكم ويحك ومن يقوم بهذا الامر الذى تذكره ويضمنه فقال عبدك على بن عمر بن العداس فقال ويحك أو يفعل هذا قال نعم يا أمير المؤمنين قال قل له يلقانى ههنا في غد ومضى الحاكم فجاء أبو طاهر

الى ابن العـداس وأعلمه بما جرى فقال ويحك قتلتني وقتلت نفسك فقال معاذ الله أفنصبر لهـذا الكلب الكافر على ما يفعل بالاسلام والمسلمين ويحكم فيهم من اللعب بالاموال والله ان لم تسع في قتله ليسعين في قتلك فلما كان في الليلة القابلة وقف علي بن عمر العداس للحاكم ووافقه على ما يحتاج اليه فوعده بانجاز ما اتفقا عليه وأمره بالكتمان وانصرف الحاكم فلما صبح ركب العداس الى دار قائد القواد حسين بن جوهر القائد فالتى عنده فهد بن ابراهيم فقال له فهد يا هذا كم تؤذيني وتقدح فيّ عند سلطاني فقال العداس والله ما يقدح ولا يؤذيني عنـد سلطاني ويسعي عليّ غيرك فقال فهد سلط الله على من يؤذى صاحبه فينا ويسعي به سيف هـذا الامام الحاكم بأمر الله فقال العداس آمين وعجل ذلك ولا تمهله فقتل فهد في ثامن جمادى الآخرة وضربت عنقه وكان له منذ نظر في الرياسة خمس سنين وتسعة أشهر واثنى عشر يوما وقتل العداس بعده بتسعة وعشرين يوما واستجيب دعاء كل منهما في الآخر وذهبا جميعاً ولا يظلم ربك أحدا وذلك أن الحاكم خلع على العداس في رابع عشره وجعله مكان فهـد وخلع على ابنه محمد بن علي فهناه الناس واستمر الى خامس عشرى رجب منها فضربت رقبة أبي طاهر محمود بن النحوى وكان ينظر في أعمال الشام لكثرة ما رفع عليـه من التجبر والعسف ثم قتل العـداس في سادس شعبان سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وأحرق بالنار * (خط البندقانيين) هـذا الخط كان قديماً اصطبل الجميزة أحد اصطبلات الخلفاء الفاطميين فلما زالت الدولة اختط وصارت فيه مساكن وسوق من جملته عـدة دكاكين لعمل قسى البندق فعرف الخط بالبندقانيين لذلك ثم انه احترق يوم الجمعة للنصف من صفر سنة احدى وخمسين وسبعمائة والناس في صلاة الجمعة فما قضى الناس الصلاة الا وقد عظم أمره فركب اليه والى القاهرة والنيران قد ارتفع لهبها واجتمع الناس فلم يعرف من أين كان ابتداء الحريق واتفق هبوب رياح عاصفة فحملت شرر النار الى أمد بعيـد ووصلت أشعتها الى أن رؤيت من القلعـة فركب الوزير منجك بمماليك الامراء وجمعت السقاؤون لطفى النار فعجزوا عن اطفائها واشتد الامر فركب الامير شيخو والامير طاز والامير مغلطاى أمير أخور وترجلوا عن خيولهم ومنعوا النهابة من التعرض الى نهب البيوت التي احترقت وعم الحريق دكاكين البندقانيين ودكاكين الرسامين وحوانيت الفقاعين والفنـدق المجاور لها والربع علوه وعملت الى الجانب الذى يلى بيت بيبرس ركن الدين الملقب بالملك المظفر والربع المجاور لعالى زقاق الكنيسة فما زال الامير شيخو واقفاً بنفسه ومماليكه ومعه الامراء الى أن هدم ما هنالك والنار تأكل ما تمر به الى أن وصلت الى بئر الدلاء التي كانت تعرف قديماً ببئر زويلة ومنها كان يستقى لاصطبل الجميزة فأحرقت ما جاور البئر من الاماكن الى حوانيت الفكاه والطباخ وما يجاورها من الحوانيت والربع المجاور لدار الجوكنـدار

وكادت أن تصل الى دار القاضى عـلاء الدين على بن فضل الله كاتب السر المجاورة لحمام الشيخ نجم لدين بن عبود ولم يبق أحد في ذلك الخط حتي حول متاعه خوفا من الحريق فكان أهل البيت بيناهم في نقل ثيابهم واذا بالنار قد أحاطت بهم فيتركون ما فى الدار وينجون بأنفسهم والامر يعظم والهدم واقع فى الدور المجاورة لاماكن الحريق خشية من تعلق النار بها فسرى الى جميع البلد الى أن أتى الهدم على سائر ما كان هنالك فأقام الامر كذلك يومين وليلتين والامراء وقوف فلما خف انصرف الامراء ووقف والى القاهرة ومعه عـدة من الامراء لطفى ما بقى فاستمروا في طفئه ثلاثة أيام أخر وكان المصاب بهذا الحريق عظيما تلف فيه للناس من المال والثياب والمصاغ وغيره بالحريق والنهب مالا يعلم قدره الا الله هـذا مع ما كان فيـه الامراء من منع النهابة وكفهم عن أموال الناس الا أن الامر كان قد تجاوز الحد وعطب بالنار جماعة كثيرة ووصل حريق النار الى قيسارية طشتمر وربع بكتمر الساقى فلما كفى الله أمر هذا الحريق وأعان على طفئه بعد أن هدمت عدة أماكن جليلة ما بين رباع وحوانيت وقع الحريق في أماكن من داخل القاهرة وخارج باب زويلة ووجـد في بعض المواضع التي بها الحريق كعكات بزيت وقطران فعلم أن هذا من فعل النصارى كما وقع في الحريق الذى كان في أيام الملك الناصر وقد ذكر في خـبر السيرة الناصرية فنودى في الناس أن يحترسوا على مساكنهم فلم يبق أحد من الناس أعلاهم وأدناهم حتي أعد في داره أوعية ملآنة بالماء ما بين أحواض وأزيار وصاروا يتناوبون السهر في الليـل ومع ذلك فلا يدرى أهل البيت الا والنار قد وقعت في بيتهم فيتداركون طفئها لئلا تشتعل ويصعب أمرها وترك جماعـة من الناس الطبخ في الدور وتمادى ذلك في الناس من نصف صفر الى عاشر ربيع الاول فأحضر الامـير سيف الدين تشتمر شاد الدواوين نشابة في وسطها نفط قد وجدها في سطح داره فأراها للامراء وهي محروقة النصل فصدر أمر الوزير منجك للامير علاء الدين علي بن الكوراني والي القاهرة بالقبض على الحرافيش وتقييدهم وسجنهم خوفا من غائلتهم ونهبهم الناس عند وقوع الحريق فتتبعهم وقبض عليهم في الليل من بيوتهم ومن الحوانيت حتي خلت السكك منهم ثم ان الامراء كلموا الوزير في أمرهم فأمر باطلاقهم ونودى في البـلد أن لا يقيم فيها غريب وطلبوا الخفراء وولاة المراكز وأمروا بالاحتفاظ وتتبع الناس وأخـذ من تتوهم فيه ريبة أو يذكر بشئ من أمر هـذا والحريق أمره في تزايد وصار والى القاهرة من ذلك في تعب كبير لا ينام هو ولا أعوانه في الليـل ألبتة لكثرة الضجات في الليل ووقع حريق في شونة حلفاء بمصر مجاورة لمطابخ السكر السلطانية فركب القاضى علم الدين بن زنبور ناظر الخاص في جماعة وخرج عامة أهل مصر وتكاثروا على الشونة حتي طفئت ووقع الحريق في عـدة أماكن بمصر واستمر الحريق بمصر والقاهرة

مدة شهر من ابتدائه بالبندقانيين ولم يعلم له سبب واستمر أكثر خط البندقانيين خرابا الى أن عمر الامير يونس النوروزى دوا دار الملك الظاهر برقوق الربع فوق بئر الدلاء التي كانت تعرف ببئر زويلة وأنشأ بجوار درب الانجب الحوانيت والرباع والقيسارية في سنة تسع وثمانين وسبعمائة ثم أنشأ الامير شهاب الدين أحمد الحاجب ابن أخت الامير جمال الدين يوسف الاستادار داره بجوار حمام ابن عبود فاتصل ظهرها بدكاكين البندقانيين فصار فيها ماكان من خراب الحريق هناك حيث الحوض الذى أنشأه تجاه دار بيبرس ولقد أدركنا في خط البندقانيين عدة كثيرة من الحوانيت التي يباع فيها الفقاع تبلغ نحو العشرين حانوتا وكانت من أنزه ما يرى فانها كانت كلها مرخمة بأنواع الرخام الملون وبها مصانع من ماء تجرى الى فوارات تقذف بالماء على ذلك الرخام حيث كيزان الفقاع مرصوصة فيستحسن منظرها الى الغاية لانها من الجانبين والناس يمرون بينهما وكان بهذا الخط عدة حوانيت لعمل قسى البندق وعدة حوانيت لرسم أشكال ما يطرز بالذهب والحرير وقد بقيت من هذه الحوانيت بقايا يسيرة وهو من أخطاط القاهرة الجسيمة * (خط دار الديباج) هذا الخط هو فيما بين خط البندقانيين والوزيرية وكان أولا يعرف بخط دار الديباج لان دار الوزير يعقوب بن كلس التي من جملتها اليوم المدرسة الصاحبية ودرب الحريرى والمدرسة السيفية عملت دارا ينسج فيها الديباج والحرير برسم الخلفاء الفاطميين وصارت تعرف بدار الديباج فنسب اليها الخط الى أن سكن هناك الوزير صفى الدين عبد الله ابن على بن شكر في أيام العادل أبى بكر بن أيوب فصار يعرف بخط سويقة الصاحب وهو خط جسيم به مساكن جليلة وسوق ومدرسة * (خط الملحيين) هذا الخط فيما بين الوزيرية والبندقانيين من وراء دار الديباج وتسميه العامة خط طواحين الملوحيين بواو بعد اللام وقبل الحاء المهملة وهو تحريف وانما هو خط الملحيين عرف بطائفة من طوائف العسكر في أيام الخليفة المستنصر بالله يقال لها الملحية وهم الذين قاموا بالفتنة في أيام المستنصر الى أن كان من الغلاء ما أوجب خراب البلاد ونهب خزائن الخليفة المستنصر فلما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى الى القاهرة وتقلد وزارة المستنصر وتجرد لاصلاح اقليم مصر وتتبع المفسدين وقتلهم وسار فى سنة سبع وستين وأربعمائة الى الوجه البحري وقتل لواته وقتل مقدمهم سليمان اللواتى وولده واستصفى أموالهم ثم توجه الى دمياط وقتل فيها عدة من المفسدين فلما أصلح جميع البر الشرقي عدى الى البر الغربى وقتل جماعة من الملحية وأتباعهم بثغر الاسكندرية بعد ما أقام أياماً محاصر البلد وهم يمتنعون عليه ويقاتلونه الى أن أخذها عنوة فقتل منهم عدة كثيرة وكان بهذا الخط عدة من الطواحين فسمى بخط طواحين الملحيين وبه الى الآن يسير من الطواحين (خط المسطاح) هذا الخط فيما بين خط

الملحيين وخط سويقة الصاحب وفيه اليوم سوق الرقيق الذى يعرف بسوق الجوار والمدرسة الحسامية وما دار به ويعرف بالمسطاح ومخارج باب القنطرة قريب من باب الشعرية أيضاً خط يعرف بالمسطاح (خط قصر أمير سلاح) هذا الخط تجاه حمام البيسرى بين القصرين يسلك فيه الى مدرسة الطواشي سابق الدين المعروفة بالسابقية وكان يخرج منه الى رحبة باب العيد من باب القصر الى أن هدمه الامير جمال الدين يوسف الاستادار وبني في مكانه القيسارية المستجدة بجوار مدرسته من رحبة باب العيد فصار هذا الخط غير نافذ وكان شارعا مسلوكا يمر فيه الناس والدواب بالاحمال فركب عليه جمال الدين المذكور دروبا لحفظ أمواله وكان هذا الخط من أخص أماكن القصر الكبير الشرقي فلما زالت الدولة الفاطمية وتفرق أمراء صلاح الدين يوسف القصر عرف هذا المكان بقصر شيخ الشيوخ ابن حمويه لسكنه فيه ثم عرف بعد ذلك بقصر أمير سلاح وبقصر سابق الدين وهو الى الآن يعرف بذلك وسبب شهرته بأمير سلاح أنه اتخذ به عمائر جليلة هي بيد ورثته الى الآن وأمير سلاح هذا هو (بكتاش الفخرى) الامير بدر الدين أمير سلاح الصالحى النجمى كان أولا مملوكا لفخر الدين ابن الشيخ فصار الى الملك الصالح نجم الدين أيوب وتقدم عنده من جملة من قدمه من المماليك البحرية الذين ملكوا الديار المصرية من بعد انقضاء الدولة الايوبية وتأمر في أيام الملك الصالح وتقدم في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى واستمر أميراً ماينيف على الستين سنة لم ينكب فيها قط وعظم فى أيام الملك المنصور قلاوون الالفى بحيث ان الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة بديار مصر فى أيام قلاوون تجارى مرة مع السلطان في حديث الامراء فقال له السلطان المنصور أما اليوم فما بقى فى الامراء غير أمير سلاح اذا قلت فارس خيل شجاع مايرد وجهه من عدوه واذا حلف مايخون واذا قال صدق فقال طرنطاى والله ياخوند له اقطاع عظيم ما كان يصلح الالى فاحمر وجه السلطان وغضب وقال له ويلك اياك أن تتكلم بهذا والله مكان يصل فيه سيف أمير سلاح مايصل نشابك ولا نشاب غيرك وكان كريماً شجاعا يسافر كل سنة مجرداً بالعسكر فيصل الى حلب للغارة ومحاصرة قلاع العدو فاشتهر بذلك في بلاد العدو وعظم صيته واشتدت مهابته وكانت له رغبة فى شراء المماليك والخيول باغلى القيم وكان يبعث للامراء المجردين معه النفقة ويقوم لهم بالشعير والاغنام وبلغت مماليكه الغاية فى الحشمة وكان اقطاع كل منهم فى السنة عشرين الف درهم فضة عنها يومئذ الف مثقال من الذهب ولكل من جنده خبز مبلغه فى السنة عشرة آلاف درهم سوى كلفهم من الشعير واللحم ومع ذلك فكان خيرا ديناله صدقات ومعروف واحسان كثير ومات بعد ماترك امرته فى مرضه الذي مات فيه للنصف من ربيع الآخر سنة ست وسبعمائة رحمه الله * وبهذا الخط عدة دور جليلة

يأتي ذكرها عند ذكر الدور من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (أولاد شيخ الشيوخ) جماعة أصلهم الذين ينتسبون اليه حمويه بن على يقال انه من ولد رزم بن يونان أحد قواد كسرى أنو شروان وولى قيادة جيش نصر بن نوح بن سامان ودبر دولته وهو جد شيخ الاسلام محمد وأخيه أبي سعد بنى حمويه بن محمد بن حمويه وكان محمد وأبو سعد من ملوك خراسان فتركا الدنيا وأقبلا على طريق الآخرة ومات ركن الاسلام أبو سعد بنجران من قرى جوين في سنة سبع وعشرين وخمسمائة ومات أخوه شيخ الاسلام محمد بها في سنة ثلاثين وخمسمائة وترك أبو سعد زين الدين أحمد وبنات وترك شيخ الاسلام محمد ولداً واحدا وهو أبو الحسن علي فتزوج على بن محمد بابنة عمه أبي سعد ورزق منها سعد الدين ومعين الدين حسناً وعماد الدين عمر وترك زين الدين أحمد بن أبي سعد ركن الدين أبا سعد وعزيز الدين وزين الدين القاسم فقدم عماد الدين عمر بن على بن محمد بن حمويه الى دمشق وصار شيخ الشيوخ بها وقدم عليه ابنه شيخ الشيوخ صدر الدين على فلما مات عمر فى رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة بدمشق أقر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده صدر الدين محمدا موضعه وصار شيخ الشيوخ بدمشق فتزوج بابنـة القاضى شهاب الدين بن أبي عصرون ورزق منها عشرة بنين منهم عماد الدين عمر وفخر الدين يوسف وكمال الدين أحمد ومعين الدين حسن فأرضعت أمهم بنت أبي عصرون السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فصار أخا لاولاد صدر الدين شيخ الشيوخ من الرضاعة وقدم صدر الدين الى القاهرة وولى تدريس الشافعى بالقرافة ومشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعدا ثم سافر فمات بالموصل في رابع عشرة جمادى الاولى سنة سبع عشر وستمائة واستبد الملك الكامل بمملكة مصر بعد أبيه فرقي أولاد صدر الدين شيخ الشيوخ محمد بن حمويه الاربعة وبعث عماد الدين عمر فى الرسالة الى الخليفة ببغداد وجمع له بين رياسة العلم والقلم في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ولم يجتمع ذلك لاحد في زمانه وما زال على ذلك الى أن مات الملك الكامل وقام من بعده فى سلطنة مصر ابنه الملك العادل أبو بكر بن الكامل فخرج الى دمشق ليحضر اليه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مردود بن العادل أبي بكر بن أيوب نائب السلطنة بدمشق فدس عليه من قتله على باب الجامع في سادس عشرى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة * وأما فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ صدر الدين فان الملك الكامل جعله أحد الامراء وألبسه الشربوش والقباء ونادمه وبعثه فى الرسالة عنه الى ملك الفرنج ثم الى أخيه المعظم بدمشق ثم الى الخليفة ببغداد وأقامه يتحدث بمصر فى تدبير المملكة وتحصيل الاموال ثم بعثه حتى تسلم حران والرها وجهزه الى مكة على عسكر فقاتل صاحبها الامير راجح الدين بن قتادة وأخذها بالسيف وقتل عسكر اليمن وما زال

مكرماً محترما حتى مات الملك الكامل فقبض عليه العادل ابن الكامل واعتقله فلما خلع العادل بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب أطلقه وأمره وبالغ في الاحسان اليه وبعثه على العساكر الى الكرك فأوقع بالخوارزمية وبدد شملهم وكانوا قد قدموا من المشرق الى غزة وأقام الدعوة للصالح في بلاد الشام وعاد ثم قدمه على العساكر فأخذ طبرية من الفرنج وهدمها وأخذ عسقلان من الفرنج وهدم حصونها ونازل حمص حتى أشرف على أخذها ثم تقدم على العساكر بقتال الفرنج بدمياط فمات السلطان عند المنصورة وقام بتدبير الدولة بعده خمسة وسبعين يوماً الى أن استشهد في رابع ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة فحمل من المنصورة الى القرافة فدفن بها * وأما كمال الدين أحمد فان الملك الكامل استنابه بحران والجزيرة وولى تدريس المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر وتدريس الشافعي بالقرافة ومشيخة الشيوخ بديار مصر وقدمه الملك الصالح نجم الدين أيوب على العساكر غير مرة ومات بغزة في صفر سنة تسع وثلاثين وستمائة * وأما معين الدين حسن فانه ولى مشيخة الشيوخ بديار مصر وبعثه الملك الكامل في الرسالة عنه الى بغداد ثم أقامه نائب الوزارة الى أن مات فاستوزره الملك الصالح نجم الدين أيوب في ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة وجهزه على العساكر في هيئة الملوك الى دمشق فقاتل الصالح اسماعيل بن العادل حتى ملكها ومات بها في ثاني عشرى رمضان سنة ثلاث وأربعين وستمائة وقد ذكرت أولاد شيخ الشيوخ في كتاب تاريخ مصر الكبير واستقصيت فيه أخبارهم والله تعالى أعلم*

(خط قصر بشتاك) هذا الخط من جملة القصر الكبير ويتوصل اليه من تجاه المدرسة الكاملية حيث كان باب القصر المعروف بباب البحر وهدمه الملك الظاهر بيبرس كما تقدم في ذكر أبواب القصر وصار اليوم في داخل هذا الباب حارة كبيرة فيها عدة دور جليلة منها قصر الامير بشتاك وبه عرف هذا الخط * (وبشتاك هذا) هو الامير سيف الدين بشتاك الناصرى قربه الملك الناصر محمد بن قلاوون وأعلى محله وكان يسميه بعد موت الامير بكتمر الساقي بالامير في غيبته وكان زائد التيه لا يكلم استاداره وكاتبه الا بترجمان ويعرف بالعربي ولا يتكلم به وكان اقطاعه ست عشر طبلخانة أكبر من اقطاع قوصون ولما مات بكتمر الساقي ورثه في جميع أحواله واصطبله الذى على بركة الفيل وفي امرأته أم أحمد واشترى جاريته خوبى بستة آلاف دينار ودخل معها ماقيمته عشرة آلاف دينار وأخذ ابن بكتمر عنده وزاد أمره وعظم محله فثقل على السلطان وأراد الفتك به فما تمكن وتوجه الى الحجاز وأنفق في الامراء وأهل الرتب والفقراء والمجورين بمكة والمدينة شيأ كثيراً الى الغاية وأعطى من الالف دينار الى المائة دينار الى الدينار بحسب مراتب الناس وطبقاتهم فلما عاد من الحجاز لم يشعر به السلطان الا وقد حضر في نفر قليل من مماليكه وقال ان

أردت امساكي فها أنا قدجئت اليك برقبتي فعانقه السلطان وطيب خاطره وكان يرمى بأوابد ودواهي من أمر الزنا وجرده السلطان لامساك تنكر نائب الشام فحضر الى دمشق بعد امساكه هو وعشرة من الامراء فنزلوا القصر الابلق وحلف الامراء كلهم للسلطان ولذريته واستخرج ودائع تنكر وعرض حواصله ومماليكه وجواريه وخيله وسائر مايتعلق به ووسط طغاي وجفاى مملوكي تنكر في سوق الخيل ووسط دران أيضاً بحضوره يوم الموكب وأقام بدمشق خمسة عشر يوماً وعاد الى القاهرة وبقي في نفسه من دمشق ومانجاسر يفاتح السلطان فى ذلك ولما مرض السلطان وأشرف على الموت البس الامير قوصون مماليكه فدخل بشتاك فعرف السلطان ذلك فجمع بينهما وتصالحا قدامه ونص السلطان على أن الملك بعده لولده أبى بكر فلم يوافق بشتاك وقال لا أريد لا سيدى أحمد فلما مات السلطان قام قوصون الى الشباك وطلب بشتاك وقال له يأمير المؤمنين أنا ما يجئ منى سلطان لانى كنت أبيع الطسما والبرغالى والكشاتوين وأنت اشتريت منى وأهل البلاد يعرفون ذلك وأنت ما يجئ منك سلطان لانك كنت تبيع البوزا وأنا اشتريت منك وأهل البلاد يعرفون ذلك وهذا أستاذنا هو الذى وصى لمن هو أخبر به من أولاده وما يسعنا الا امتثال أمره حياً وميتاً وأنا ما أخالفك ان أردت أحمد أو غيره ولو أردت أن تعمل كل يوم سلطانا ما خالفتك فقال بشتاك هذا كله صحيح والامر أمرك وأحضر المصحف وحلفا عليه وتعانقا ثم قاما الى رجلى السلطان فقبلاهما ووضعا أبا بكر بن السلطان على الكرسى وقبلا له الارض وحلفا له وتلقب بالملك المنصور ثم ان بشتاكا طلب من السلطان الملك المنصور نيابة دمشق فأمر له بذلك وكتب تقليده وبرز الى ظاهر القاهرة وأقام يومين ثم طلع فى اليوم الثالث الى السلطان ليودعه فوثب عليه الامير قطلوبغا الفخرى وأمسك سيفه وتكاثروا عليه فأمسكوه وجهزوه الى الاسكندرية فاعتقل بها ثم قتل في الخامس من ربيع الاول سنة اثنين وأربعين وسبعمائة لاول سلطنة الملك الاشرف كجك وكان شاباً أبيض اللون ظريفاً مديد القامة نحيفاً خفيف اللحية كانها عذار علي حركاته رشاقة حسن العمة يتعمم الناس على مثالها وكان يشبه بأبي سعيد ملك العراق الا أنه كان غير عفيف الفرج زائد الهرج والمرج لم يعف عن مليحة ولا قبيحة ولم يدع أحداً يفوته حتي يمسك نساء الفلاحين وزوجات الملاحين واشتهر بذلك ورمى فيه بأوابد وكان زائد البذخ منهمكا على ما يقتضيه عنفوان الشبيبة كثير الصلف والتيه لا يظهر الرأفة ولا الرحمة في تأنيه ولما توجه بأولاد السلطان ليفرجهم في دمياط كان يذبح لسماطه في كل يوم خمسين رأسا من الغنم وفرساً لابد منه خارجا عن الاوز والدجاج وكان راتبه دائماً كل يوم من الفحم برسم المشوى مبلغ عشرين درهما عنها مثقال ذهب وذلك سوى الطوارئ وأطلق له السلطان كل يوم بقجة قماش من اللفافة الى الخف الى القميص واللباس

والملوطة والبغلطاق والقباء الفوقاني بوجه اسكندراني على سنجاب طرى مطرز مزركش رقيق وكلوتة وشاش ولم يزل يأخذ ذلك كل يوم الى أن مات السلطان وأطلق له فى كل يوم واحد عن ثمن قرية تبنى بساحل الرملة مبلغ ألف ألف درهم فضة عنها يومئذ خمسون ألف مثقال من الذهب وهو أول من أمسك بعد موت الملك الناصر وقال الاديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ومن كتابه نقلت ترجمة بشتاك

قال الزمان وما سمعنا قوله * والناس فيه رهائن الاشراك
من ينصر المنصور من كيدى وقد * صاد الردى بشتاك لى بشراك

* (خط باب الزهومة)* هذا الخط عرف بباب الزهومة أحد أبواب القصر الكبير الشرقى الذي تقدم ذكره فانه كان هناك وقد صار الآن في هذا الخط سوق وفندق وعدة آدر يأتي ذكر ذلك كله في موضعه ان شاء الله تعالى * (خط الزراكشة العتيق) هذا الخط فيما بين خط باب الزهومة وخط السبع خوخ وبعضه من دار العلم الجديدة وبعضه من جملة القصر النافعى وبعضه من تربة الزعفران وفيه اليوم فندق المهمندار الذى يدق فيه الذهب وخان الخليلى وخان منجك ودار خواجا ودرب الحبش وغير ذلك كما ستقف عليه ان شاء الله * (خط السبع خوخ العتيق) هذا الخط فيما بين خط اصطبل الطارمة وخط الزراكشة العتيق كان فيه قديماً أيام الخلفاء الفاطميين سبع خوخ يتوصل منها الي الجامع الازهر فلما انقضت أيامهم اختط مساكن وسوقا يباع فيه الابر التي يخاط بها وغير ذلك فعرف بالابارين * (خط اصطبل الطارمة) هذا الخط كان اصطبلا لخاص الخليفة يشرف عليه قصر الشوك والقصر النافعى وقد تقدم الكلام عليه وكانت فيه طارمة يجلس الخليفة تحتها فعرف بذلك ثم هو الآن حارة كبيرة فيها عدة من المساكن وبه سوق وحمام ومساجد وهذا الخط فيما بين رحبة قصر الشوك ورحبة الجامع الازهر كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى فى ذكر الرحاب (خط الاكفانيين) هذا الخط كان يعرف بخط الخرقيين جمع خرقة (خط المناخ) هذا الخط فيما بين البرقية والعطوفية كان مواضع طواحين القصر وقد تقدم ذكره ثم اختط بعد ذلك وصار حارة كبيرة وهو الآن متداع للخراب (خط سويقة أمير الجيوش) كان حارة الفرحية وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى في الاسواق وهذا الخط فيما بين حارة برجوان وخط خان الوراقة (خط دكة الحسبة) هذا الخط يعرف اليوم بمكسر الحطب وفيه سوق الابازرة وهو فيما بين البندقانين والمحمودية وفيه عدة أسواق ودور * (خط الفهادين) هذا الخط فيما بين الجوانية والمناخ * (خط خزانة البنود) هذا الخط فيما بين رحبة باب العيد ورحبة المشهد الحسيني وكان موضعه خزانة تعرف بخزانة البنود وكان أولا يعمل فيها السلاح ثم صارت سجناً لامراء الدولة وأعيانها ثم أسكن فيها الفرنج الى أن

هدمها الامير الحاج آل ملك وحكر مكانها فبنى فيه الطاحون والمساكن كما تقدم * (خط السفينة) هذا الخط فيما بين درب السلامى من رحبة باب العيد وبين خزانة البنود كان يقف فيه المتظلمون للخليفة كما تقدم ذكره ثم اختط فصار فيه مساكن وهو خط صغير * (خط خان السبيل) هذا الخط خارج باب الفتوح وهو من جملة أخطاط الحسينية قال ابن عبد الظاهر خان السبيل بناه الأمير بهاء الدين قراقوش وأرصده لابناء السبيل والمسافرين بغير أجرة وبه بئر ساقية وحوض انتهى وأدركنا هذا الخط في غاية العمارة يعمل فيه عرصة تباع بها الغلال وكان فيه سوق يباع فيه الخشب ويجتمع الناس هناك بكرة كل يوم جمعة فيباع فيه من الأوز والدجاج مالا يقدر قدره وكانت فيه أيضاً عدة مساكن مابين دور وحوانيت وغيرها وقد اختل هذا الخط * (خط بستان ابن صيرم) هذا الخط أيضا خارج باب الفتوح مما يلى الخليج وزقاق الكحل كان من جملة حارة البيازرة فانشأه زمام القصر المختار الصقلبى بستانا وبني فيه منظرة عظيمة فلما زالت الدولة الفاطمية استولى عليه الأمير جمال الدين سويح بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل فعرف به ثم اختط وصار من أجل الاخطاط عمارة تسكنه الامراء والاعيان من الجند ثم هو الآن آيل الى الدثور * (خط قصر ابن عمار) هذا الخط من جملة حارة كتامة وهو اليوم درب يعرف بالقماحين وفيه حمام كرائى ودار خوند شقرا يسلك اليه من خط مدرسة الوزير كريم الدين بن غنام ويسلك منه الى درب المنصورى وابن عمار هذا هو أبو محمد الحسن بن عمار بن على بن أبي الحسن الكلبي من بني أبى الحسين أحد أمراء صقلية وأحد شيوخ كتامة وصاه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله لما احتضر هو والقاضى محمد بن النعمان على ولده أبى على منصور فلما مات العزيز بالله واستخلف من بعده ابنه الحاكم بأمر الله اشترط الكتاميون وهم يومئذ أهل الدولة أن لاينظر في أمورهم غير أبي محمد بن عمار بعد ماتجمعوا وخرج منهم طائفة نحو المصلى وسألوا صرف عيسى بن مشطورس وأن تكون الوساطة لابن عمار فندب لذلك وخلع عليه في ثالث شوال سنة خمس وسبعين وثلثمائة وقلد بسيف من سيوف العزيز بالله وحمل على فرس بسرج ذهب ولقب بأمين الدولة وهو أول من لقب في الدولة الفاطمية من رجال الدولة وقيد بين يديه عدة دواب وحمل معه خمسون ثوبا من سائر البز الرفيع وانصرف الى داره في موكب عظيم وقرئ سجله فتولى قراءته القاضى محمد بن النعمان بجلوسه للوساطة وتلقيبه بأمين الدولة وألزم سائر الناس بالترجل اليه فترجل الناس بأسرهم له من أهل الدولة وصار يدخل القصر راكباً ويشق الدواوين ويدخل من الباب الذى يجلس فيه خدم الخليفة الخاصة ثم يعدل الى باب الحجرة التى فيها أمير المؤمنين الحاكم فينزل على بابها ويركب من هناك وكان الناس من الشيوخ والرؤساء على طبقاتهم يبكرون الى داره

فيجلسون في الدهاليز بغير ترتيب والباب مغلق ثم يفتح فيدخل اليه جماعة من الوجوه ويجلسون في قاعة الدار على حصير وهو جالس في مجلسه ولا يدخل له أحد ساعة ثم يأذن لوجوه من حضر كالقاضى ووجوه شيوخ كتامة والقواد فتدخل أعيانهم ثم يأذن لسائر الناس فيزدحمون عليه بحيث لايقدر أحد أن يصل اليه فمهم من يومي بتقبيل الارض ولا يرد السلام على أحد ثم يخرج فلا يقدر أحد على تقبيل يده سوى أناس بأعيانهم الا أنهم يومئون الى تقبيل الارض وشرف أكابر الناس بتقبيل ركابه وأجل الناس من يقبل ركبته وقرب كتامة وأنفق فيهم الاموال وأعطاهم الخيول وباع ما كان بالاصطبلات من الخيل والبغال والنجب وغيرها وكانت شيئاً كثيراً وقطع أكثر الرسوم التى كانت تطلق لاولياء الدولة من الاتراك وقطع أكثر ما كان في المطابخ وقطع أرزاق جماعة وفرق كثيراً من جوارى القصر وكان به من الجوارى والخدم عشرة آلاف جارية وخادم فباع من اختار البيع وأعتق من سأل العتق طلباً للتوفير واصطنع أحداث المغاربة فكثر عتيهم وامتدت أيديهم الى الحرام في الطرقات وشلحوا الناس ثيابهم فضج الناس منهم واستغاثوا اليه بشكايتهم فلم يبد منه كبير نكير فأفرط الامر حتى تعرض جماعة منهم للغلمان الاتراك وأرادوا أخذ ثيابهم فثار بسبب ذلك شر قتل فيه غلام من الترك وحدث من المغاربة فتجمع شيوخ الفريقين واقتتلوا يومين آخرها يوم الأربعاء تاسع شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة فلما كان يوم الخميس ركب ابن عمار لابسا آلة الحرب وحوله المغاربة فاجتمع الأتراك واشتدت الحرب وقتل جماعة وجرح كثير فعاد الي داره وقام برجوان بنصرة الأتراك فامتدت الأيدى الى دار ابن عمار واصطبلاته ودار رشا غلامه فنهبوا منها مالا يحصى كثرة فصار الى داره بمصر فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من شعبان واعتزل عن الامر فكانت مدة نظره احد عشر شهراً الا خمسة أيام فأقام بداره في مصر سبعة وعشرين يوما ثم خرج اليه الامر بعوده الى القاهرة فعاد الى قصره هذا ليلة الجمعة الخامس والعشرين من رمضان فأقام به لايركب ولا يدخل اليه أحد الا أتباعه وخدمه وأطلقت له رسومه وجراياته التى كانت في أيام العزيز بالله ومبلغها عن اللحم والتوابل والفواكه خمسمائة دينار في كل شهر وفي اليوم سلة فاكهة بدينار وعشرة أرطال شمع ونصف حمل ثلج فلم يزل بداره الى يوم السبت الخامس من شوال سنة تسعين وثلثمائة فأذن له الحاكم في الركوب الى القصر وأن ينزل موضع نزول الناس فواصل الركوب الى يوم الاثنين رابع عشره فحضر عشية الى القصر وجلس مع من حضر فخرج اليه الامر بالانصراف فلما انصرف ابتدره جماعة من الاتراك وقفوا له فقتلوه واحتزوا رأسه ودفنوه مكانه وحمل الرأس الى الحاكم ثم نقل الى تربته بالقرافة فدفن فيها وكانت مدة حياته بعد عزله الى أن قتل ثلاث سنين وشهراً واحداً

وثمانية وعشرين يوماً وهو من جملة وزراء الدولة المصرية وولى بعده برجوان وقدمر ذكره

* (ذكر الدروب والأزقة) *

قد اشتملت القاهرة وظواهرها من الدروب والأزقة على شئ كثير والغرض ذكر مايتيسر لي من ذلك * (درب الأتراك) هذا الدرب أصله من خط حارة الديلم وهو من الدروب القديمة وقد تقدم ذكره في الحارات ويتوصل اليه من خطة الجامع الازهر وقد كان فيما أدركناه من أعمر الاماكن أخبرني خادمنا محمد بن السعودى قال كنت أسكن فى أعوام بضع وستين وسبعمائة بدرب الاتراك وكنت أعانى صناعة الخياطة فجاءنى فى موسم عيد الفطر من الجيران أطباق الكعك والخشكنانج على عادة أهل مصر فى ذلك فملأت زيراً كبيرا كان عندى مما جاءنى من الخشكنانج خاصة لكثرة ماجاءنى من ذلك اذ كان هذا الخط خاصاً بكثرة الاكابر والاعيان وقد خرب اليوم منه عدة مواضع *(درب الاسوانى) ينسب الى القاضى أبى محمد الحسن بن هبة الله الاسوانى المعروف بابن عتاب * (درب شمس الدولة) هذا الدرب كانُ قديماً يعرف بحارة الامراء كما تقدم فلما كان مجيء الغزالى مصر واستيلاء صلاح الدين يوسف على مملكة مصر سكن فى هذا المكان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن أيوب فعرف به وسمى من حينئذ درب شمس الدولة وبه يعرف الى اليوم * (توران شاه) الملقب بالملك المعظم شمس الدولة بن نجم الدين أيوب ابن شادى بن مروان قدم الى القاهرة مع أهله من بلاد الشام في سنة أربع وستين وخمسمائة عند ماتقلد صلاح الدين يوسف بن أيوب وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد موت عمه أسد الدين شيركوه وكانت له أعمال في واقعة السودان تولاها بنفسه واقتحم الهول فكان أعظم الاسباب في نصرة أخيه صلاح الدين وهزيمة السودان ثم خرج اليهم بعد انهزامهم الى الجيزة فأفناهم بالسيف حتى أبادهم وأعطاه صلاح الدين قوص واسوان وعيداب وجعلها له اقطاعاً فكانت عبرتها في تلك السنة مائتى ألف وستة وستين ألف دينار ثم خرج الى غزو بلاد النوبة في سنة ثمان وستين وفتح قلعة ابريم وسبى وغنم ثم عاد بعد ماأقطع ابريم بعض أصحابه وخرج الى بلاد اليمن في سنة تسع وستين وكان بها عبد النبى أبو الحسن على ابن مهدى قد ملك زبيد وخطب لنفسه وكان الفقيه عمارة قد انقطع الى شمس الدولة وصار يصف له بلاد اليمن ويرغبه فى كثرة أموالها ويغريه بأهلها وقال فيه قصيدته المشهورة التي أولها

العلم مذ كان محتاج الى القلم * وشفرة السيف تستغنى عن القلم

فبعثه ذلك على المسير الى بلاد اليمن فسار اليها فى مستهل رجب ودخل مكة معتمراً وسار منها فنزل على زبيد فى سابع شوال وفى نهار الاثنين ثامن شوال فتحها بالسيف

وقبض على على ّبن مهدي واخوته وأقاربه واستولى على ما كان فى خزائنه من مال وتسلم الحصون التى كانت بيده وفى مستهل ذى القعدة توجه قاصداً عدن وبذل لياسر بن بلال فى كل سنة ثلاثين ألف دينار وسلمها اليه فما رغب فى ذلك وكان قصده أن يقيم بها نائبا عن المجلس الفخرى فلما أبى ذلك نزل عليها فى يوم الجمعة تاسع عشري ذى القعدة وملكها فى ساعة بالسيف وقبض على ياسر واخوته وولدى الداعي فاحتوى على مافيها وقبض على عبد النبي واستولى أيضاً على تعز وتفكر وصنعا وظفار وغيرها من مدن اليمن وحصونها وتلقب بالملك المعظم وخطب لنفسه بعد الخليفة العباسى وما زال بها الى سنة احدى وسبعين فسار منها الى لقاء أخيه صلاح الدين ووصل اليه وملكه دمشق فى شهر ربيع الاول سنة اثنين وسبعين فأقام بها الى أن خرج السلطان صلاح الدين مرة من القاهرة الى بلاد الشام فجهزه فى ذى القعدة سنة أربع وسبعين الى مصر وكان قد عمله نائباً ببعلبك فاستناب عنه فيها ودخل الى القاهرة وأنعم عليه صلاح الدين بالاسكندرية فسار اليها وأقام بها الى أن توفى فى مستهل صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة بالاسكندرية فدفن بها وكان كريما واسع العطاء كثير الانفاق مات وعليه مائتا ألف دينار مصرية دينا فقضاها عنه أخوه صلاح الدين وكان سبب خروجه من اليمن أنه التاث بدنه بزبيد فارتجل له سيف الدولة مبارك بن منقذ

واذا أراد الله سوأ بامرئ * وأراد أن يحييه غير سعيد
أغراه بالترحال من مصر بلا * سبب وأسكنه بصقع زبيد

فخرج من اليمن كما تقدم * وحكى الاديب الفاضل مهذب الدين أبو طالب محمد بن على الحلى المعروف بابن الخيمي قال رأيت في النوم المعظم شمس الدولة وقد مدحته وهو في القبر ميت فلف كفنه ورماه الى وأنشدنى

لاتستقلن معروفاً سمحت به * ميتاً وأمسيت عنه عاريا بدنى
ولا تظنن جودى شابه بخل * من بعد بذلى بملك الشام واليمن
اني خرجت عن الدنيا وليس معى * من كل ماملكت كفى سوى كفنى

وهذا الدرب من أعمر أخطاط القاهرة به دار عباس الوزير وجماعة كما تراه ان شاء الله تعالى * (درب ملوخيا) هذا الدرب كان يعرف بحارة قائد القواد كما تقدم وعرف الآن بدرب ملوخيا وملوخيا كان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله ويعرف بملوخيا الفراش وقتله الحاكم وباشر قتله وفي هذا الدرب مدرسة القاضى الفاضل وقد اتصل به الآن الخراب * (درب السلسلة) هذا الدرب تجاه باب الزهومة يعرف بالسلسلة التي كانت تمد كل ليلة بعد العشاء الآخرة كما تقدم وكان يعرف بدرب افتخار الدولة الاسعد وعرف ببستان الدولة بن الكركندى وهو الآن درب عامر * (درب الشمسى) هذا الدرب

بسوق المهامزيين تجاه قيسارية العصفر عرف بالامير علاء الدين كشتفدى الشمسى أحد الامراء في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البند قدارى وقتل على عكافي سنة تسعين وستمائة بيد الفرنج شهيدا وكان هذا الدرب في القديم موضعه دار الضرب ثم صارمن حقوق درب ابن طلائع بسوق الفرايين وقد هدم بعض هذا الدرب الامير جمال الدين يوسف الاستادار لما اغتصب الحوانيت التى كانت على يمنة السالك من الخراطين الى سوق الخيميين وكانت في وقف المعظم تمرتاش الحافظي كما سيأتي ذكره عند ذكر مدرسته ان شاء الله تعالى * (درب ابن طلائع) هذا الدرب على يسرة من سلك من سوق الفرايين الآن الذى كان يعرف قديماً بالحرقيين طالباً الى الجامع الازهر ويسلك في هذا الدرب الى قيسارية السروج وباب سر حمام الخراطين ودار الامير الدمر وعرف هذا الدرب أولا بالامير نور الدولة أبي الحسن على بن نجا بن راجح بن طلائع ثم عرف بدرب الجاولى الكبير وهو الامير عز الدين جاولى الاسدى مملوك أسد الدين شيركوه بن شادى ثم عرف بدرب العماد سنينات ثم عرف بدرب الدمر وبه يعرف الى الآن * (الدمر أمير جان دار سيف الدين) أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون خرج الى الحج في سنة ثلاثين وسبعمائة وكان أمير حاج الركب العراقي تلك السنة يقال له محمد الحويج من أهل توريز بعثه أبو سعيد ملك العراق الى مصر وخف على قلب الملك الناصر ثم بلغه عنه مايكرهه فأخرجه من مصر ولما بلغه أن حويج في هذه السنة أمير الركب العراقى كتب الى الشريف عطيفة أمير مكة أن يعمل الحيلة في قتله بكل مايمكن فأطلع على ذلك ابنه مباركا وخواص قواده فاستعدوا لذلك فلما وقف الناس بعرفة وعادوا يوم النحر الى مكة قصد العبيد اثارة فتنة وشرعوا في النهب لينالوا غرضهم من قتل أمير الركب العراقى فوقع الصارخ وليس عند المصريين خبر مما كتبه السلطان فنهض أمير الركب الامير سيف الدين خاص ترك والامير أحمد قريب السلطان والامير الدمر أمير جان دار في مماليكهم وأخذ الدمر يسب الشريف رميثة وأمسك بعض قوّاده وأحدق به فقام اليه الشريف عطيفة ولاطفه فلم يرجع وكان حديد النفس شجاعا فأقدم اليهم وقد اجتمع قواد مكة وأشرافها وهم ملبسون يريدون الركب العراقيّ وضرب مبارك بن عطيفة بدبوس فأخطأه وضربه مبارك بحربة نفذت من صدره فسقط عن فرسه الى الارض فارتج الناس ووقع القتال فخرج أمير الركب العراقي واحترس على نفسه فسلم وسقط في يد أمير مكة اذ فات مقصوده وحصل مالم يكن بارادته ثم سكنت الفتنة ودفن الدمر وكان قتله يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة فكانما نادى مناد في القاهرة والقلعة والناس فى صلاة العيد بقتل الدمر ووقوع الفتنة بمكة ولم يبق أحد حتى تحدث بذلك و بلغ السلطان فلم يكترث بالخبر وقال أين مكة من مصر ومن أتى بهذا الخبر واستفيض هذا الخبر

بقتل الدمر حتى انتشر في اقليم مصر كله فما هو الا أن حضر مبشر الحاج في يوم الثلاثاء ثاني المحرم سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فأخبروا بالخبر مثلما أشيع فكان هذا من أغرب ماسمع به ولما بلغ السلطان خبر قتل الدمر غضب غضباً شديداً وصار يقوم ويقعد وأبطل السماط وأمر بجرد من العسكر ألف فارس كل منهم بخودة وجوشن ومائة فردة نشاب وفاس برأسين أحدهما للقطع والآخر للهدم ومع كل منهم جملان وفرسان وهجين ورسم لامير هذا العسكر أنه اذا وصل الى ينبع وعداه لا يرفع رأسه الى السماء بل ينظر الى الارض ويقتل كل من يلقاه من العربان الا من علم أنه أمير عرب فانه يقيده ويسجنه معه وجرد من دمشق ستمائة فارس على هذا الحكم وطلب الامير أيتمش أمير هذا الجيش ومن معه من الامراء والمقدمين وقال له بدار العدل يوم الخدمة واذا وصلت الى مكة لا تدع أحداً من الاشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم يسكن مكة وناد فيها من أقام بمكة حل دمه ولا تدع شيئاً من النخل حتى تحرقه جميعه ولا تترك بالحجاز دمنة عامرة وأخرب المساكن كلها وأقم في مكة بمن معك حتى أبعث اليك بعسكر ثاني وكان القضاة حاضرين فقال قاضى القضاة جلال الدين القزويني يامولانا السلطان هذا حرم قد أخبر الله عنه أن من دخله كان آمناً وشرفه فرد عليه جوابا في غضب فقال الامير ايتمش ياخوندفان حضر رميثة للطاعة وسأل الامان فقال أمنه ثم لما سكن عنه الغضب كتب باستقرار أهل مكة وتأمينهم وكتب امانا (نسخته) هذا أمان الله سبحانه وتعالى وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم وأماننا للمجلس العالى الاسدى دمنة بن الشريف نجم الدين محمد أبي نمر بأن يحضر الى خدمة الصنجق الشريف صحبة الجناب العالى السيفى ايتمش الناصرى آمناً على نفسه وأهله وماله وولده وما يتعلق به لا يخشى حلول سطوة قاصمة • ولا يخاف مؤاخذة حاسمة • ولا يتوقع خديعة ولا مكراه • ولا يحذر سوأ ولا ضرراه • ولا يستشعر مخافة ولا ضرارا ولا يتوقع وجلا • ولا يرهب بأسا وكيف يرهب من أحسن عملا • بل يحضر الى خدمة الصنجق آمناً على نفسه وماله وآله • مطمئناً واثقاً بالله ورسوله • وبهذا الامان الشريف المؤكد الاسباب. المبيض الوجه الكريم الاحساب • وكلما يخطر بباله أنا نؤاخذ به فهو مغفور • ولله عاقبة الامور • وله منا الاقبال والتقديم • وقد صفحنا الصفح الجميل وان ربك هو الخلاق العليم • فليثق بهذا الامان الشريف ولا يسيء به الظنون • ولا يصغى الى قول الذين لايعلمون • ولا يستشير في هذا الامر الا نفسه • فيومه عندنا ناسخ لامسه • وقد قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بى فليظن بى خيراه فتمسك بعروة هذا الامان فانها وثقى • واعمل عمل من لايضل ولا يشقى • ونحن قد أمناك فلا تخف • ورعينا لك الطاعة والشرف • وعفا الله عما سلف • ومن أمناه فقد فاز فطب نفساً وقر عينا فأنت أمير الحجاز والحمد لله وحده) وكان

الدمر فيه شهامة وشجاعة وله سعادة طائلة ضخمة ومتاجر وزراعات اقتنى بها أموالا جزيلة وزوج ابنه بابنـة قاضي القضاة جلال الدين القزويني *(درب قيطون) هذا الدرب بين قيسارية جهاركس وقيسارية أمير على وهو نافذ الى خلف مستوقد حمام القاضى وكان من حقوق درب الاسوانى *(درب السراج) هـذا الدرب على يسرة من سلك من الجامع الازهر طالباً درب الاسوانى وخط الاكفانيين وكان من جملة خط درب الاسوانى ثم أفرد فصار من خط الجامع الازهر وكان يعرف أولا بدرب السراج ثم عرف بدرب الشامى وهو الآن يعرف بدرب ابن الصدر عمر *(درب القاضى) هذا الدرب يقابل مستوقد حمام القاضي على يمنة من سلك من درب الاسوانى الى الجامع الازهر وهو من حقوق درب الاسوانى كان يعرف اولا بزقاق عزاز غلام أمير الجيوش شاور السعدى وزير العاضد ثم عرف بالقاضى السعيد أبى المعالى هبة الله بن فارس ثم عرف بزقاق ابن الامام وعرف أخيرا بدرب ابن لؤلؤ وهو شمس الدين محمد بن لؤلؤ التاجر بقيسارية جهاركس *(درب البيضاء)* هو من جملة خط الاكفانيين الآن المسلوك اليه من الجامع الازهر وسوق الفرايين عرف بذلك لأنه كان به دار تعرف بالدار البيضاء *(درب المنقدى)* هـذا الدرب بين سوق الخيميين وسوق الخراطين على يمنة من سلك من الخراطين الى الجامع الازهر كان يعرف قديماً بزقاق غزال وهو صنيعة الدولة أبو الظاهر اسماعيل بن مفضـل بن غزال ثم عرف بدرب المنقدى وهو الآن يعرف بدرب الامير بكتمر استادار العلاى *(درب خرابة صالح) هذا الدرب على يسرة من سلك من أول الخراطين الى الجامع الازهر كان موضعه في القـديم مارستانا ثم صار مساكن وعرف بخرابة صالح وفيه الآن دار الامير طينال التى صارت بيد ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر وفيه أيضاً باب سوق الصنادقيين *(درب الحسام) هذا الدرب على يمنة من سلك من آخر سويقـة الباطلية الى الجامع الازهر عرف بحسام الدين لاجين الصفدى استادار الامير منجك *(درب المنصورى) هـذا الدرب بأول الحارة الصالحيـة تجاه درب أمير حسين عرف أولا بدرب الجوهرى وهو شهاب الدين أحمـد بن منصور الجوهرى كان حياً فى سـنة ثمانين وستمائة وعرف أخيراً بدرب المنصورى وهو الامير قطلوبغا المنصورى حاجب الحجاب في أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين *(درب أمير حسين) هذا الدرب فى طريق من سلك من خط خان الدميري طالباً الى حارة الصالحية وحارة البرقية استجده الامير حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ومات في ليلة السبت رابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبعمائة وكان آخر من بقى من أولاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون وهو والد الملك الاشرف شعبان بن حسين *(درب القماحين) هذا الدرب

كان يعرف بخط قصر ابن عمار من جملة حارة كتامة قريباً من الحارة الصالحية وفيه اليوم دار خوند شقرا وحمام كراى وراء مدرسة ابن الغنام *(درب العسل) هـذا الدرب على يمنـة من خرج من خط السبع خوخ يريد المشهد الحسيني كان يعرف أولا بخوخة الامير عقيل ابن الخليفة المعز لدين الله أبي تميم معد أول خلفاء الفاطميين بالقاهرة ومات في سـنة أربع وسبعين وثلثمائة هو وأخوه الامير تميم بن المعز بالقاهرة ودفنا بتربة القصر *(درب الجباسة) هذا الدرب تجاه من يخرج من سوق الابارين الى المشهد الحسيني وهو من جملة القصر الـكبير وبه دار خوخى التي تعرف اليوم بدار بهادر *(درب ابن عبد الظاهر) هذا الدرب بجوار فندق الذهب بخط الزراكشة العتيق وفي صفه وهو من حقوق دار العلم التى استجدت في خلافة الآمر ووزارة المأمون البطايحى فلما زالت الدولة اختط مساكن وسكن هناك القاضى محيي الدين بن عبـد الظاهر فعرف به *(درب الخازن) هذا الدرب ملاصق لسور المدرسة الصالحية التي للحنابلة ومجاور لباب سر قاعة مدرسة الحنابلة والسبيل الذى على باب فنـدق مسرور الصغير استجده الامير علم الدين سنجر الخازن الاشرفي والى القاهرة المنسوب اليـه حكر الخازن بخط الصليبة وسنجر هذا كانت فيه حشمة وله ثروة زائدة ويحب أهل العلم تنقل في المباشرات الى أن صار والى القاهرة فاشتهر بدقة الفهم وصدق الحدس الذى لايكاد يخطئ مع عقل وسياسة واحسان الى الناس وعزل بالامير قديدار ومات عن تسعين سـنة في ثامن جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة *(درب الحبيشى) هذا الدرب على يمنة من سلك من خط الزراكشة العتيق طالبا سوق الابارين وهو بجوار دار خواجا المجاورة لخان منجك أصله من جملة القصر النافعى وكان يعرف بخط القصر النافعى ثم عرف بخط سوق الوراقين وهو الآن يعرف بدرب الحبيشي وهو الامير سيف الدين بلبـان الحبيشى أحد الامراء الظاهرية بيبرس *(درب بقولا) الصفار بحارة الروم كان يعرف بدرب الرومي الجزار *(درب دغمش) هـذا الدرب ينفذ الى الخوخة التي تخرج قبالة حمام الفاضل المرسوم لدخول النساء كان يعرف قديماً بدرب دغمش ويقال طغمش ثم عرف بدرب كوز الزير ويقال كوز الزيت ويعرف بدرب القضاة بني غنم من حقوق حارة الروم *(درب ارقطاى) هذا الدرب بحارة الروم كان يعرف بدرب الشماع ثم عرف بدرب شمخ وهو تاج العرب شمخ الحلبي ثم عرف بدرب المعظم وهو الامير عز الملك المعظم ابن قوام الدولة جبر بجيم وباء موحدة ثم عرف بدرب ارسل وهو الامير عز الدين ارسل بن قرأ رسلان الـكاملي والد الامير جاولى المعظمى المعروف بجاولى الصغير ثم عرف بدرب الباسعردى وهو الامير علم الدين سنجر الباسعردى أحد أكابر المماليك البحرية الصالحية البجمية وولى نيابة حلب ثم عرف

الى الآن بدرب ابن ارقطاى والعامة تقول رقطاى بغير همز وهو ارقطاى الامير سيف الدين الحاج ارقطاى أحد مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاون وصار الى أخيه الملك الناصر محمد فجمله جمدارا وكان هو والامير ايتمس نائب الكرك بينهما اخوة ولهما معرفة بلسان الترك القيجاقي ويرجع اليهما في الياسة التى هى شريعة جنكزخان التي تقول العامة وأهل الجهل في زماننا هذا حكم السياسة يريدون حكم الياسة ثم ان الملك الناصر أخرجه مع الامير تنكز الى دمشق ثم استقر في نيابة حمص لسبع مضين من رجب سنة عشر وسبعمائة فباشرها مدة ثم نقله الى نيابة صفد في سنة ثمان عشرة فأقام بها وعمر فيها املاكا وتربة فلما كان في سنة ست وثلاثين طلب الى مصر وجهز الأمير ايتمش أخوه مكانه وعمل أمير ماية بمصر فلما توجه العسكر الى اياس خرج معهم وعاد فكان يعمل نيابة الغيبة اذا خرج السلطان للصيد ثم أخرج الى نيابة طرابلس عوضاً عن طينال فأقام بها الى أن توجه الطنبغا الى طشطمر نائب حلب وكان معه بعسكر طرابلس فلما جرى من هروب الطنبغا ماجرى كان ارقطاي معه فامسك واعتقل بسكندرية ثم افرج عن ارقطاي في أول سلطنة الملك الصالح اسماعيل بوساطة الامير ملكتمر الحجازى وجعل أميراً الى أن مات الصالح وقام من بعده الملك الكامل شعبان ورسم له بنيابة حلب عوضاً عن الأمير يلبغا اليحياوى فحضر اليها في جمادى الاولى سنة ست وأربعين فأقام بها نحو خمسة أشهر ثم طلب الى مصر فحضر اليها فلم يكن غير قليل حتى خلع الكامل وتسلطن المظفر حاجي وولاه نيابة السلطنة بمصر فباشرها الى أن خلع المظفر وأقيم في السلطنة الملك الناصر استعفى من النيابة وسأل نيابة حلب فأجيب وولى نيابة حلب وخرج اليها وما زال فيها الى أن نقل منها الى نيابة دمشق ففرح أهلها به وساروا الى حلب فرحل عنها فنزل به مرض وسار وهو مريض فمات بعين مباركة ظاهر حلب يوم الاربعاء خامس جمادى الاولى سنة خمسين وسبعمائة وقد أناف عن السبعين فعاد أهل دمشق خائبين وكان زكيا فطناً محجاجا لسنا مع عجمة في لسانه وله تشيب مطبوع وميل الى الصور الجميلة مايكاد يملك نفسه اذا شاهدها مع كرم في المأكول * (درب البنادين) بحارة الروم يعرف بالبنادين من جملة طوائف العساكر في الدولة الفاطمية ثم عرف بدرب أمير جاندار وهو ينفذ الى حمام الفاضل المرسوم بدخول الرجال وأمير جاندار هذا هو الامير علم الدين سنجر الصالحى المعروف بأمير جندار * (درب المكرم) بحارة الروم يعرف بالقاضى المكرم جلال الدين حسين بن ياقوت البزار نسيب ابن سنا الملك * (درب الضيف) بحارة الديلم عرف بالقاضى ثقة الملك أبى منصور نصر بن القاضي الموفق أمير الملك أبى الظاهر اسماعيل بن القاضى أمين الدولة أبى محمد الحسن بن على بن نصر ابن الضيف كان موجودا في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وبه أيضاً رحبة تعرف

برحبة الضيف منسوبة اليه * (درب الرصاصي) بحارة الديلم هذا الدرب كان يعرف بحكر الامير سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك من وزراء الدولة الفاطميـة ثم عرف بحكر تاج الملك بدران بن الامير سيف الدين المـذكور ثم عرف بالامير عز الدين أيبك الرصاصى * (درب ابن المجاور) هذا الدرب على يسرة من دخـل من أول حارة الديلم كان فيه دار الوزير نجم الدين بن المجاور وزير الملك العزيز عثمان عرف به وهو يوسف ابن الحسين بن محمد بن الحسين أبو الفتح نجم الدين الفارسى الشيرازى المعروف بابن المجاور كان والده صوفياً من أهل فارس ثم من شيراز قدم دمشق وأقام في دويرة الصوفية بهـا وكان من الزهد والدين بمكان وأقام بمكة وبها مات في رجب سنة ست وثمانين وخمسمائة وكان أخوه أبو عبد الله قد سمع الحديث وحدث وقدم الى القاهرة ومات بدمشق أول رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة * (درب الـكهارية) هذا الدرب فيه المدرسة الـكهارية بجوار حارة الجودرية المسلوك اليه من القماحين ويتوصل منه الى المدرسة الشريفيـة * (درب الصفيرة) بتشديد الفاء هذا الدرب بجوار باب زويلة وهو من حقوق حارة المحمودية وكان نافذا الى المحمودية وهو الآن غير نافذ وأصله درب الصفيراء تصغير صفراء هكذا يوجد في الكتب القديمة وقد دخل بجميع ما كان فيه من الدور الجليلة بالجامع المؤيدى * (درب الانجب) هذا الدرب تجاه بئر زويلة التي من فوق فوهتها اليوم ربع يونس من خط البندقانيين يعرف بالقاضى الانجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن نصر بن على أحد الشهود في أيام قاضى القضاة سنان الملك أبى عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسر وكان حياً في سـنة بضع وعشرين وخمسمائة وينسب الى الحسين بن الانجب المقدسى أحد الشهود المعدلين وكان موجوداً في سنة ستمائة ثم عرف هذا الدرب بأولاد العميد الدمشـقى فانه كان مسكنهم ثم عرف بالبساطي وهو قاضى القضاة جمال الدين يوسف * (درب كنيسة جدة) بضم الجيم هذا الدرب بالبندقانيين كان يعرف بدرب بنت جدة ثم عرف بدرب الشيخ السديد الموفق * (درب ابن قطز) هذا الدرب بجوار مستوقد حمام الصاحب ورباط الصاحب من خط سويقة الصاحب عرف بناصر الدين بن بلغاق بن الامير سيف الدين قطز المنصورى ومات بعد سنة ثمان وتسعين وستمائة * (درب الحريرى) هذا الدرب من جملة دار الديباج هـو ودرب ابن قطز المذكور قبله ويتوصل اليه اليوم من أول سويقة الصاحب وفيه المدرسة القطبية عرف بالقاضى نجم الدين محمد بن القـاضى فتح الدين عمر المعروف بابن الحريرى فانه كان سا كناً فيه * (درب ابن عرب) هذا الدرب بخط سويقة الصاحب كان يعرف بدرب بنى أسامة الكتاب أهل الانشاء في الدولة الفاطميـة ثم عرف بدرب بنى الزبير الا كابر الرؤساء في الدولة الفاطمية ثم سكنه القاضى عـلاء الدين على بن عرب محتسب

القاهرة في أيام الامير بليغاق وكيل بيت المال فعرف به الى اليوم وابن عرب هذا هو علاء الدين أبو الحسن على بن عبد الوهاب بن عثمان بن على بن محمد عرف بابن عرب ولى الحسبة بالقاهرة في آخر صفر سنة خمس وستين وسبعمائة وولى وكالة بيت المال أيضاً وتوفي * (درب ابن مغنش) هذا الدرب تجاه المدرسة الصاحبية عرف أخيراً بتاج الدين موسى كاتب السعدى وناظر الخاص فى الايام الظاهرية برقوق وله به دار مليحة وكان ماجنا متهتكا يرمى بالسوء وأما الديانة فانه قبطى وعنه أخذ سعد الدين ابراهيم بن غراب وظيفة ناظر الخاص وعاقبه بين يديه ثم صار يتردد بعد ذلك الى مجلسه وهلك في واقعة تيمور لنك بدمشق في شعبان سنة ثلاث وثمانمائة بعد مااحترق بالنار لما احترقت دمشق وأكل الكلاب بعضه *(درب مشترك) هذا الدرب يقرب من درب العداس تجاه الخط الذي كان يعرف بالمسطاح وفيه الآن سوق الجوارى عرف أولا بدرب الاخناي قاضى القضاة برهان الدين المالكي فانه كان يسكن فيه ثم هو الآن يقال له درب مشترك وهذه كلمة تركية أصلها بلسانهم اج ترك بضم الهمزة واشمامها ثم جيم بين الجيم والشين ومعني ذلك ثلاث وترك بتاء مثناة من فوق ثم راء مهملة وكاف ومعناها النخل ومعنى هذا الاسم ثلاث نخيل وعربته العامة فقالت مشترك وهو مشترك السلاح دار الظاهر برقوق فانه سكن بها ومات فى سنة

* (درب العداس) هذا الدرب فيما بين دار الديباج والوزيرية عرف بعلى بن عمر العداس صاحب سقيفة العداس * (درب كاتب سيدى) هذا الدرب من جملة خط الملحيين كان يعرف بدرب تقى الدين الاطرياني أحد موقعى الحكم عند قاضى القضاة تقى الدين الاخناوى ثم عرف بالوزير الصاحب علم الدين عبد الوهاب القبطى الشهير بكاتب سيدى * (الوزير كاتب سيدى) * تسمى لما اسلم بعبد الوهاب بن القسيس وتلقب علم الدين وعرف بين الكتاب الاقباط بكاتب سيدى وترقى في الخدم الديوانية حتى ولى ديوان المرتجع وتخصص بالوزير الصاحب شمس الدين ابراهيم كاتب ارلان فلما أشرف من مرضه على الموت عين للوزارة من بعده علم الدين هذا فولاه الملك الظاهر وظيفة الوزارة بعدموت الوزير شمس الدين في سادس عشرى شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة فباشر الوزارة الى يوم السبت رابع عشرى رمضان سنة تسعين وسبعمائة ثم قبض عليه وأقيم في منصب الوزارة بدله الوزير الصاحب كريم الدين بن الغنام وسلمه اليه وكان قد أراد مصادرة كريم الدين فاتفق استقراره في الوزارة وتمكنه منه فألزمه بحمل مال قرره عليه فيقال انه حمل في هذا اليوم ثلثمائة ألف درهم عنها اذ ذاك نحو العشرة آلاف مثقال ذهباً ومات بعد ذلك من هذه السنة وكان كاتبا بليغاً كتب بيده بضعاً وأربعين رزمة من الورق وكانت أيامه ساكنة والاحوال متمشية وفيه لين * (درب مخاص) هذا الدرب بحارة زويلة عرف بمخاص

الدولة أبي الحيا مطرف المستنصرى ثم عرف بدرب الرايض وهو الأمير طراز الدولة الرايض باصطبل الخلافة * (درب كوكب) هذا الدرب هو الآن زقاق شارع يسلك فيه من حارة زويلة الى درب الصقالبة عرف أولا بالقائد الأعز مسعود المستنصر ثم عرف بكوكب الدولة ابن الخناكي * (درب الوشاقى) بحارة زويلة عرف بالامير حسام الدين سنقر الوشاقي المعروف بالاعسر السلاح دار أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب * (درب الصقالبة) بحارة زويلة عرف بطائفة الصقالبة أحد طوائف العساكر في أيام الخلفاء الفاطميين وهم جماعة * (درب الكنجي) بحارة زويلة كان يعرف بدرب حليلة ثم عرف بالامير شمس الدين سنقر شاه الكنجي الحاجب الظاهرى قتله قلاون أول سلطنته * (درب رومية) هذا الدرب كان في القديم فيما بين زقاق القابلة ودرب الزراق فزقاق القابلة فيه اليوم كنيسة اليهود بحارة زويلة ويتوصل منه الى السبع سقايات ودار بيبرس التي عرفت بدار كاتب السر ابن فضل الله تجاه حمام ابن عبود ودرب الزراق هو اليوم من جملة خط سويقة الصاحب وبينهما الآن دور لايوصل اليه الا بعد قطع مسافة ودرب رومية كان يعرف أولا بزقاق حسين بن ادريس العزيزى أحد أتباع الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ثم عرف بدرب رومية وهو بجوار زقاق القابلة الذي عرف بزقاق العسل ثم عرف بزقاق المعصرة وعرف اليوم بزقاق الكنيسة *(درب الخضيرى) هذا الدرب يقابل باب الجامع الاقمر البحرى وهو من جملة حقوق القصر الصغير الغربى عرف بالامير عز الدين ايدمر الخضيرى أحد أمراء الملك المنصور قلاوون *(درب شعلة) هو الشارع المسلوك فيه من باب درب ملوخيا الى خط الفهادين والعطوفية وقد خرب *(درب نادر) هذا الدرب بجوار المدرسة الجمالية فيما بين درب راشد ودرب ملوخيا عرف بسيف الدولة نادر الصقلبي وتوفى لاثنتى عشرة خلت من صفر سنة اثنين وثمانين وثلثمائة فبعث اليه الخليفة العزيز بالله لكفنه خمسين قطعة من ديباج مثقل وخلف ثلثمائة ألف دينار عيناً وآنية من فضة وذهب وعبيدا وخيلا وغير ذلك مما بلغت قيمته نحو ثمانين ألف دينار وكان أحد الخدام ذكره المسيحي فى تاريخه وقد ذكر ابن عبد الظاهر أن بالسويقة التي دون باب القنطرة دربا يعرف بدرب نادر فلعله نسب اليه درب كان هناك في القديم أيضاً *(درب راشد) هذا الدرب تجاه خزانة البنود عرف بيمين الدولة راشد العزيزى *(درب النميرى) عرف بالامير سيف المجاهدين محمدبن النميرى أحد أمراء الخليفة الحافظ لدين الله وولى عسقلان في سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت ولايتها أكبر من ولاية دمشق وهذا الدرب كان ينفذ الى درب راشد وهو الآن غير نافذ وفي داخله درب يعرف باولاد الداية طاهر وقاسم الافضلين أحد أتباع الافضل بن أمير الجيوش وعرف الآن بدرب الطفل

وهو من جملة خطة قصر الشوك فانه قبالة باب قصر الشوك وبينهما سويقة رحبة الايدمرى
*(درب قراصيا) هذا الدرب من جملة الدروب القديمة وكان تجاه باب قصر الزمرذ الذى
في مكانه اليوم المدرسة الحجازية وهذا الدرب اليوم من جملة خطه رحبة باب العيد بجوار
سجن الرحبة وقدهدمه الامير جمال الدين يوسف الاستادار وهدم كثيرا من دوره وعملها
وكالة فمات ولم تكمل وهي الى الآن بغير تكملة ثم كمله الملك المؤيد شيخ وجمله وقفاً على
جامعه وهو الى الآن خان عامر *(درب السلامى) هـذا الدرب من جملة خط رحبة باب
العيد وفيه الى اليوم أحد أبواب القصر المسمى بباب العيد والعامة تسميه القاهرة وهـذا
الدرب يسلك منه الى خط قصر الشوك والى المارستان العتيق الصلاحي والى دار الضرب
وغير ذلك *(عرف بخواجا مجد الدين السـلامى) * اسماعيل بن محمد بن ياقوت الخواجا
مجد الدين السلامى تاجر الخاص في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان يدخل الى بلاد
الططر ويجر ويعود بالرقيق وغيره واجتهد مع جوبان الى أن اتفق الصلح بين الملك الناصر
وبين القان أبى سـعيد فانتظم ذلك بسفارته وحسن سعيه فازدادت وجاهته عند الملـكين
وكان الملك الناصر يسفره ويقرر معـه أمورا فيتوجه ويقضيها على وفق مراده بزيادات
فأحبـه وقربه ورتب له الرواتب الوافرة في كل يوم من الدراهم واللحم والعليق والسكر
والحلواء والـكماج والرقاق مما يبلغ في اليوم مائة وخمسين درهما عنها يومئذ ثمانيـة مثاقيل
من الذهب وأعطاه قرية أراك ببعلبك وأعطى مماليكه اقطاعات في الحلقة وكان يتوجه الى
الاردن ويقيم فيه الثلاث سنين والاربع والبريد لا ينقطع عنه وتجهز اليه التحف والاقمشة
ليفرقها على من يراه من خواص أبى سعيد وأعيان الاردن ثقة بمعرفته ودرايته وكان النشو
ناظر الخاص لا يفارقه ولا يصبر عنه ومن أملاكه ببلاد المشرق السلامية والبادورة والمراوزة
والمناصف ولما مات الملك الناصر تغير عليه الامير قوصون وأخذ منه مبلغاً يسيرا وكان ذا
عقل وافر وفكر مصيب وخبرة بأخلاق الملوك وما يليق بخواطرها ودراية بما يتحفها به من
الرقيق والجواهر ونطق سعيد وخلق رضى وشكالة حسـنة وطلعة بهية ومات في داره من
درب السلامى هذا يوم الاربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ودفن
بتربته خارج باب النصر ومولده في سنة احدى وسبعين وستمائة بالسلامية بلدة من أعمال
الموصل على يوم منها بالجانب الشرقي وهى بفتح السـين المهملة وتشديد اللام وبعد الميم ياء
مثناة من تحت مشددة ثم تاء التأنيث *(درب خاص ترك) هذا الدرب برحبة باب العيد
عرف بالامير الـكبير ركن الدين بيبرس المعروف بخاص الترك الـكبير أحد الامراء الصالحية
النجمية أو بالامير عز الدين أيبك المعروف بخاص الترك الصغير سـلاح دار الملك الظاهر
ركن الدين بيبرس البندقدارى *(درب شاطى) هذا الدرب يتوصل منه الى قصر الشوك

عرف بالامير شرف الدين شاطى السلاح دار في أيام الملك المنصور قلاوون وكان أميرا كبيراً مقدما بالديار المصرية وأخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الشام فاقام بدمشق وكانت له حرمة وافرة وديانة وفيه خير ومات بها في الحادى والعشرين من شعبان سنة أثنين وثلاثين وسبعمائة *(درب الرشيدى) هذا الدرب مقابل باب الجوانية عرف بالامير عز الدين ايدمر الرشيدي مملوك الامير بلبان الرشيدي خوش داش الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وولى الامير ايدمر هذا استادارا لاستاذه بلبان ثم ولى استادارا للامير سلار ومات في تاسع عشر شوال سنة ثمان وسبعمائة وكان سكنه في هذا الدرب وكان عاقلا ذا ثروة وجاه وكان في القديم موضع هذا الدرب براحا قدام الحجر *(دربالفريجية) هذا الدرب على يمنة من خرج من الجملون الصغير طالبا درب الرشيدي المذ كور وهو من الدروب التي كانت في أيام الخلفاء *(درب الاصفر) هذا الدرب تجاه خانقاه الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وموضع هذا الدرب هو المنحر الذي تقدم ذكره *(درب الطاوس) هـذا الدرب في الحدرة التي عند باب سر المارستان المنصوري على يمنة من ابتدا الخروج منه وكان موضعه بجوار باب الساباط أحد أبواب القصر الصغير وقد تقدم ذكره ودرب الطاوس أيضاً بالقرب من درب العداس فيما بين باب الخوخة والوزيرية *(درب مايجار) هذا الدرب بجوار جامع أمير حسين من حكر جوهر النوبى خارج القاهرة عرف بالامير مايجار الرومى الواقدى في أيام الملك الظاهر بيبرس وقد خربت تلك الديار في سلطنة الملك المؤيد شيخ *(درب كوسا) هو الآن يسلك فيـه على شاطئ الخليج الكبير من قنطرة الامير حسين الي قنطرة الموسكي عرف بحسام الدين كوسا أحد مقـدمى الحلقة في أيام الملك المنصور قلاوون مات بعد سنة ثلاث وثمانين وستمائة وهذا الموضع تجاه دار الذهب التي تعرف اليوم بدار الامير حسين الططري السلاح دار الناصرى وقد خربت أيضاً *(درب الجاكي) هذا الدرب بالحكر عرف بالامير شرف الدين ابراهيم بن على بن الجنيد الجاكي المهمندار المنصورى وقد دثر في أيام المؤيد على يد الامير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الاستادار لما خرب ماهناك *(درب الحرامى) بالحكر عرف بسعد الدين حسين بن عمر ابن محمد الحرامى وابنه محيي الدين يوسف وكانا من أجناد الحلقة *(درب الزراق)بالحكر عرف بالامير عز الدين ايدمر الزراق أحد الامراء ولاه الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون نيابة غزة في سنة خمس وأربعين وسبعمائة فأقام بها مدة ثم استعفى بعد موت الملك الصالح وعاد الى القاهرة ثم توجه الى دمشق للحوطة على موجود الخاصكية يلبغا اليحياوى فى الايام المظفرية وعاد فلما ركب العسكر على الملك المظفر لم يكن معـه سوى الزراق واق سنقر وايدمر الشمسى فنقم الخاصكية عليهم ذلك وأخرجوهم الى الشام فوصلوا اليها في أول

شوال سنة ثمان وأربعين فأقام الزراق بدمشق ثم ورد مرسوم السلطان حسن بتوجهم
الى حلب فتوجه اليها على اقطاع وبها مات وكان دينا لينا فيه خير وكان هذا الدرب عامرا
وفيه دار الزراق الدار العظيمة وقد خرب هذا الدرب وما حوله منذ كانت الحوادث فى
سنة ست وثمانمائة ثم نقضت الدار فى أيام المؤيدشيخ على يد ابن أبى الفرج *(زقاق طريف)
بالطاء المهملة هذا الزقاق من أزقة البرقية عرف بالامير فخر الدين طريف بن بكتوت وكان
يعرف بزقاق منار بن ميمون بن منار توفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة
*(زقاق منعم) بحارة الديلم كان يعرف بمساطب الديلم والاتراك ثم عرف بالامير منعم الدولة
باتكين البوسحاقى ثم عرف بزقاق جمال الدولة ثم بزقاق الجلاطى ثم بزقاق الصهرجتي وهو
القاضى المنتخب ثقة الدولة أبو الفضل محمد بن الحسين بن هبة الله بن وهيب الصهرجتى
وكان حياً في سنة ستين وخمسمائة *(زقاق الحمام) بحارة الديلم عرف قديما بخوخة المنقدى
ثم عرف بخوخة سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك ثم عرف بزقاق حمام
الرصاصى ثم عرف بزقاق المزار *(زقاق الحرون) بحارة الديلم عرف بالامير الاوحد
سلطان الجيوش زرى الحرون رفيق العادل بن السلار وزير مصر فى أيام الخليفة الظافر
بأمر الله ثم عرف بابن مسافر عين القضاة ثم عرف بزقاق القبة *(زقاق الغراب) بالجودرية
كان يعرف بزقاق أبى العز ثم عرف بزقاق ابن أبى الحسن العقيلى ثم قيل له زقاق الغراب
نسبة الى أبى عبد الله محمد بن رضوان الملقب بغراب *(زقاق عامر) بالوزيرية عرف
بعامر القماح في حارة الاقانصة *(زقاق فرج) بالجيم من جملة أزقة درب ملوخيا عرف
بفرج مهتار الطشتخاناه للملك المنصور قلاوون كان حيا فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة
*(زقاق حدرة) الزاهدى بحارة برجوان عرفت بالامير ركن الدين بيبرس الزاهدى
الرماح الاحدب أحد الامراء وممن له عدة غزوات في الفرنج ولما تمالأ الامراء على الملك
السعيد ابن الظاهر وسبقهم الى القلعة كان قدامه بيبرس الزاهدى هذا فسقط عن فرسه
وخرجت له حدبة في ظهره ومات فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة وكان مكان هذه الحدرة
أخصاصا وهي الآن مساكن بينها زقاق يسلك فيه من رأس الحارة الى رحبة الافيال

(ذكر الخوخ)

والقصد ايراد ماهو مشهور من الخوخ أولذكره فائدة والا فالخوخ والدروب والازقة
كثيرة جداً *(الخوخ السبع) كانت سبع خوخ فيما يقال متصلة باصطبل الطارمة يتوصل
منها الخلفاء اذا أرادوا الجامع الازهر فيخرجون من باب الديلم الذى هو اليوم باب المشهد
الحسينى الى الخوخ ويعبرون منها الى الجامع الازهر فانه كان حينئذ فيما بين الخوخ والجامع
رحبة كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا الخط يعرف أولا بخوخة الامير عقيل ولم

يكن فيه مسا كن ثم عرف بعد انقضاء دولة الفاطميين بخط الخوخ السبع وليس لهذه الخوخ اليوم أثر ألبتة ويعرف اليوم بالابارين * (باب الخوخة) * هو أحد أبواب القاهرة مما يلي الخليج في حد القاهرة البحري يسلك اليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودى وكان هذا الباب يعرف أولا بخوخة ميمون دبه ويخرج منه الى الخليج الكبير وميمون دبه يكنى بأبي سعيد أحد خدام العزيز بالله كان خصياً * (خوخة ايد غمش) هذه الخوخة في حكم أبواب القاهرة يخرج منها الى ظاهر القاهرة عند غلق الابواب في الليل وأوقات الفتن اذا غلقت الابواب فينتهى الخارج منها الى الدرب الاحمر واليانسية ويسلك من هناك الى باب زويلة ويصار اليها من داخل القاهرة اما من سوق الرقيق أو من حارة الروم من درب أرقطاي وهذه الخوخة بجوار حمام ايد غمش وهو * (ايد غمش الناصرى) * الامير علاء الدين أصله من مماليك الامير سيف الدولة بلبان الصالحي ثم صار الى الملك الناصر محمد بن قلاوون فلما قدم من الكرك جعله أميرا خور عوضاً عن الامير بيبرس الحاجب ولم يزل حتي مات الملك الناصر فقام مع قوصون ووافقه على خلع الملك المنصور أبي بكر ابن الملك الناصر ثم لما هرب الطنبغا الفخرى اتفق الامراء مع ايد غمش على الامير قوصون فوافقهم على محاربته وقبض على قوصون وجماعته وجهزهم الي الاسكندرية وجهز من أمسك الطنبغا ومن معه وأرسلهم أيضاً الى الاسكندرية وصار ايد غمش في هذه النوبة هو المشار اليه فى الحل والعقد فأرسل ابنه فى جماعة من الامراء والمشايخ الى الكرك بسبب احضار أحمد ابن الملك الناصر محمد فلما حضر أحمد من الكرك وتلقب بالملك الناصر واستقر أمره بمصر أخرج ايد غمش نائباً بحلب فسار الى عين جالوت واذا بالفخرى قد صار اليه مستجيراً به فآمنه وأنزله في خيمة فلما ألقى عنه سلاحه واطمأن قبض عليه وجهزه الى الملك الناصر أحمد وتوجه الى حلب فأقام بها الى أن استقر الملك الصالح اسماعيل بن محمد في السلطنة نقله عن نيابة حلب الى نيابة دمشق فدخلها في يوم العشرين من صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وما زال بها الى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة منها فعاد من مطعم طيوره وجلس بدار السعادة حتي انقضت الخدمة وأكل الطارى وتحدث ثم دخل الى داره فاذا جواريه يختصمن فضرب واحدة منهن ضربتين وشرع في الضربة الثالثة فسقط ميتا ودفن من الغد في تربته خارج ميدان الحصى ظاهر دمشق وكان جواداً كريماً وله مكانة عند الملك الناصر الكبير بحيث انه امر أولاده الثلاثة وكان قد بعث الملك الصالح بالقبض عليه فبلغ القاصد موته في قطيا فعاد * (خوخة الارقي) بحارة الباطلية يخرج منها الى سوق الغنم وغيره وهي بجوار داره * (خوخة عسيلة) هذه الخوخة من الخوخ القديمة الفاطمية وهي بحارة الباطلية مما يلى حارة الديلم في ظهر الزقاق المعروف بخرابة العجيل بجوار دار

الست حدق * (خوخة الصالحية) هذه الخوخة بجوار حبس الديلم قريبة من دار الصالح طلائع بن رزيك التي هدمها ابن قايماز وعمرها وكانت تعرف هذه الخوخة أولا بخوخة بجتكين وهو الامير جمال الدولة بجتكين الظاهري ثم عرفت بخوخة الصالح طلائع بن رزيك لان داره كانت هناك وبها كان سكنه قبل أن يلي وزارة الظافر * (خوخة المطوع) هذه الخوخة بحارة كتامة في أولها مما يلي الجامع الازهر عند اصطبل الحسام الصفدي عرفت بالمطوع الشيرازي * (خوخة حسين) هذه الخوخة في الزقاق الضيق المقابل لمن يخرج من درب الاسوانى ويسلك فيه الى حكر الرصاصي بحارة الديلم ويعرف هذا الزقاق بزقاق المزار وفيه قبر تزعم العامة ومن لاعلم عنده أنه قبر يحيي بن عقب وأنه كان مؤدبا للحسين ابن علي بن أبي طالب وهو كذب مختلق وافك مفترى كقولهم في القبر الذي بحارة برجوان انه قبر جعفر الصادق وفي القبر الآخر انه قبر أبي تراب النخشبي وفي القبر الذي على يسرة من خرج من باب الحديد ظاهر زويلة انه قبر زارع النوى وانه صحابي وغير ذلك من أكاذيبهم التي اتخذها لهم شياطينهم أنصاباً ليكونوا لهم عزاً وسيأتي الكلام على هذه المزارات في مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * (وحسين هذا) * هو الامير سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء صهر بني رزيك وزوج ابنة الصالح بن رزيك وكان كردياً قدمه الصالح بن رزيك ابن الصالح لما ولى الوزارة ونوه به فلما مات وقام من بعده ابنه رزيك بن الصالح في الوزارة كان حسين هذا هو مدبر أمره بوصية الصالح واستشار حسينا في صرف شاور عن ولاية قوص فأشار عليه بابقائه فأبى وولى الامير ابن الرفعة مكانه وبلغ ذلك شاور فخرج من قوص الى طريق الواحات . فلما سمع رزيك بمسيره رأى في النوم مناما عجيباً فأخبر حسينا بأنه رأى مناما فقال ان بمصر رجلا يقال له أبو الحسن علي بن نصر الارتاجي وهو حاذق في التعبير فاحضره وقال رأيت كأن القمر قد أحاط به حنش وكأنني رواس في حانوت فغالطه الارتاجي في تعبير الرؤيا وظهر ذلك لحسين فأمسك حتي خرج وقال له ماأعجبني كلامك والله لابد أن تصدقني ولا بأس عليك فقال يامولاي القمر عندنا هو الوزير كما أن الشمس الخليفة والحنش المستدير عليه حبس مصحف وكونه رواس اقلبها تجده شاور مصحفاً وما وقع لي غير هذا فقال حسين اكتم هذا عن الناس وأخذ حسين في الاهتمام بأمره ووطأ انه يريد التوجه الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان قد أحسن الى أهلها وحمل اليها مالا وقماشاً وأودعه عند من يثق به هذا وأمر شاور يقوى ويتزايد ويصل الارجاف به الى أن قرب من القاهرة فصاح الصائح في بني رزيك وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف فارس فأول من نجا بنفسه حسين وسار فسأل عنه رزيك فقالوا خرج فانقطع قلبه لان حسينا كان مذكورا بالشجاعة مشهورا بها وله تقدم

في الدولة ومكانة وممارسة للحروب وخبرة بها ولم يثبت بعد خروج حسين بل انهزم الى ظاهر اطفيح فقبض عليه ابن النيض مقدم العرب وأحضره الى شاور فحبسه وصدقت رؤياه ومات حسين في سنة * (خوخة الحلبي) هذه الخوخة في آخر اصطبل الطارمة بجوار حمام الامير علم الدين سنجر الحلبي وفي ظهر داره * (سنجر الحلبي) * أحد المماليك الصالحية ترقي في الخدم الى أن ولاه الملك المظفر سيف الدين قطز نيابة دمشق فلما قتل قطز على عين جالوت وقام من بعده في السلطنة بالديار المصرية الملك الظاهر بيبرس ثار سنجر بدمشق في سنة ثمان وخمسين وستمائة ودعا الي نفسه وتلقب بالملك المجاهد وبقى اشهرا والملك الظاهر يكاتب أمراء دمشق الى أن خامروا على سنجر وحاصروه بقلعة دمشق أياماً فلما خشي أن يقبض عليه فر من القلعة الى بعلبك فجهز اليه الظاهر الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى وما زال يحاصره حتى أخذه أسيراً وبعث به الى الديار المصرية فاعتقله الظاهر وما زال في الاعتقال من سنة تسع وخمسين الى سنة تسع وثمانين وستمائة مدة تنيف على ثلاثين سنة مدة أيام الملك الظاهر وولديه وأيام الملك المنصور قلاوون فلما ولى الملك الاشرف خليل بن قلاوون أخرجه من السجن وخلع عليه وجعله أحد الأمراء الاكابر على عادته فلم يزل أميراً بمصر الى أن مات على فراشه في سنة اثنين وتسعين وستمائة وقد جاوز تسعين سنة وانحنى ظهره وتقوس * (خوخة الجوهرة) هذه الخوخة بآخر حارة زويلة عرفت اليوم بخوخة الوالى لقربها من دار الامير علاء الدين الكورانى والى القاهرة وكان من خير الولاة يحفظ كتاب الحاوى في الفقه على مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه وأقام في ولاية القاهرة من محرم سنة تسع وأربعين وسبعمائة بعد أستدمر القلنجي والى القاهرة الى * (خوخة مصطفى) هذه الخوخة بآخر زقاق الكنيسة من حارة زويلة يخرج منها الى القبو الذى عند حمام طاب الزمان المسلوك منه الى قبو منظرة اللؤلؤة على الخليج عرفت بالامير فارس المسلمين مصطفى أحد أمراء بني أيوب الملوك وهو أيضاً صاحب هذا الحمام * (خوخة ابن المأمون) هذه الخوخة في حارة زويلة بالدرب الذى بقرب حمام الكويك ويقال لهذه الخوخة اليوم باب حارة زويلة وأصلها خوخة فى درب ابن المأمون البطايحي * (خوخة كوتية أق سنقر) هذه الخوخة في الزقاق الذى بظهر المدرسة الفخرية بآخر سويقة الصاحب كان يسلك منها الى الخليج من جوار باب الذهب وموضعها بحذاء بيت القاضى أمين الدين ناظر الدولة ولم تزل الى أن بنى المهتار عبد الرحمن البابادارة بجوارها فى سنى بضع وتسعين وسبعمائة فسدها وعرفت هذه الخوخة أخيراً بخوخة المسيري وهو قمر الدين بن السعيد المسيرى * (خوخة أمير حسين) هذه الخوخة من جملة الوزيرية يخرج منها الى تجاه قنطرة أمير حسين فتحها الامير شرف الدين

حسين بن أبي بكر بن اسماعيل بن حيدرة بيك الرومي حين بني القنطرة على الخليج الكبير وأنشأ الجامع بحكر جوهر النوبى * وجرى في فتح هذه الخوخة أمر لا بأس بإيراده وهو أن الامير حسين قصد أن يفتح في السور خوخة ليمر الناس من أهل القاهرة فيها الى شارع بين السورين ليعمر جامعه فمنعه الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة من ذلك الا بمشاورة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان للامير حسين اقدام على السلطان وله به مؤانسة فعرفه أنه أنشأ جامعاً وسأله أن يفسح له في فتح مكان من السور ليصير طريقاً نافذاً يمر فيه الناس من القاهرة ويخرجون اليه فأذن له في ذلك وسمح به فنزل الى السور وخرق منه قدر باب كبير ودهن عليه رنكه بعد ماركب هناك بابا ومر الناس منه واتفق أنه اجتمع بالخازن والى القاهرة وقال له على سبيل المداعبة كم كنت تقول ماأخليك تفتح في السور بابا حتى تشاور السلطان هاأنا قد شاورته وفتحت بابا على رغم أنفك فحنق الخازن من هذا القول وصعد الى القلعة ودخل على السلطان وقال ياخوند أنت رسمت للامير شرف الدين أن يفتح في السور بابا وهو سور حصين على البلد فقال السلطان انما شاورني أن يفتح خوخة لاجل حضور الناس للصلاة في جامعه فقال الخازن ياخوند مافتح الا بابا يعادل باب زويلة وعمل عليه رنكه وقصد يعمل سلطانا على البارد وما جرت عادة أحد بفتح سور البلد فأثر هذا الكلام من الخازن في نفس السلطان أثراً قبيحاً وغضب غضباً شديداً وبعث الى النائب وقد اشتد حنقه بأن يسفر حسين بن حيدر الى دمشق بحيث لايبيت في المدينة فخرج من يومه من البلد بسبب ماتقدم ذكره

(ذكر الرحاب)

الرحبة باسكان الحاء وفتحها الموضع الواسع وجمعها رحاب اعلم أن الرحاب كثيرة لاتتغير الا بأن بني فيها فتذهب ويبقى اسمها أو يبني فيها ويذهب اسمها ويجهل وربما انهدم بنيان وصار موضعه رحبة أو دارا أو مسجدا والغرض ذكر مافيه فائدة * (رحبة باب العيد) هذه الرحبة كان أولها من باب الريح أحد أبواب القصر الذى أدركنا هدمه على يد الامير جمال الدين الاستادار في سنة احدى عشرة وثمانمائة والى خزانة البنود وكانت رحبة عظيمة في الطول والعرض غاية في الاتساع يقف فيها العساكر فارسها وراجلها في أيام مواكب الاعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه من باب العيد ويذهبون في خدمته لصلاة العيد بالمصلى خارج باب النصر ثم يعودون الى أن يدخل من الباب المذكور الى القصر وقد تقدم ذكر ذلك ولم تزل هذه الرحبة خالية من البناء الى مابعد الستمائة من الهجرة فاختط فيها الناس وعمروا فيها الدور والمساجد وغيرها فصارت خطة كبيرة من أجل أخطاط القاهرة وبقى اسم رحبة باب العيد باقياً عليها لاتعرف الا به * (رحبة قصر الشوك) هذه الرحبة

كانت قبلي القصر الكبير الشرقي في غاية الاتساع كبيرة المقدار وموضعها من حيث دار الامير الحاج آل ملك بجوار المشهد الحسيني والمدرسة الملكية الى باب قصر الشوك عند خزانة البنود وبينها وبين رحبة باب العيد خزانة البنود والسفينة وكان السالك من باب الديلم الذى هو اليوم المشهد الحسينى الى خزانة البنود يمر في هذه الرحبة ويصير سور القصر على يساره والمناخ ودار افتكين على يمينه ولا يتصل بالقصر بنيان ألبتة وما زالت هذه الرحبة باقية الى أن خرب القصر بفناء أهله فاختط الناس فيها شيأ بعد شئ حتى لم يبق منها سوى قطعة صغيرة تعرف برحبة الايدمرى * (رحبة الجامع الازهر) هذه الرحبة كانت أمام الجامع الازهر وكانت كبيرة جداً تبتدئ من خط اصطبل الطارمة الى الموضع الذى فيه مقعد الاكفانيين اليوم ومن باب الجامع البحري الى حيث الخراطين ليس بين هذه الرحبة ورحبة قصر الشوك سوى اصطبل الطارمة فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الازهر تترجل العساكر كلها وتقف في هذه الرحبة حتى يدخل الخليفة الى الجامع وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر الجوامع ولم تزل هذه الرحبة باقية الى أثناء الدولة الايوبية فشرع الناس في العمارة بها الى أن بقى منها قدام باب الجامع البحري هذا القدر اليسير * (رحبة الحلى) هذه الرحبة الآن من خط الجامع الازهر ومن بقية رحبة الجامع التي تقدم ذكرها عرفت بالقاضى نجم الدين أبى العباس أحمد بن شمس الدين على بن نصر الله بن مظفر الحلى التاجر العادل لانها تجاه داره * (رحبة البانياسى) هذه الرحبة بدرب الاتراك تجاه دار الامير طيدمر الجمدار الناصرى وعرفت بالامير نجم الدين محمود بن موسى البانياسى لان داره كانت فيها ومسجده المعلق هناك ومات بعد سنة خمسمائة * (رحبة الايدمري) هذه الرحبة من جملة رحبة باب قصر الشوك وعرفت بالايدمري لان داره هناك * (والايدمرى) * هذا مملوك عز الدين ايدمر الحلى نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر بيبرس ترقى في الخدم حتى تأمر في أيام الملك الظاهر بيبرس وعلت منزلته في أيام الملك المنصور قلاوون ومات سنة سبع وثمانين وستمائة ودفن بتربته في القرافة بجوار الشافعي رضى الله عنه * (رحبة البدرى) هذه الرحبة يدخل اليها من رحبة الايدمرى من باب قصر الشوك ومن جهة المارستان العتيق وهي من جملة القصر الكبير عرفت بالامير بيدمر البدرى صاحب المدرسة البدرية فان داره هناك * (رحبة ضروط) هذه الرحبة بجوار دار آل ملك وهي من جملة رحبة قصر الشوك عرفت بالامير ضروط الحاجب فانه كان يسكن هناك * (رحبة اقبغا) هذه الرحبة هى الآن سوق الخيميين وهى من جملة رحبة الجامع الازهر التي مر ذكرها عرفت بالامير اقبغا عبد الواحد أستادار الملك الناصر وصاحب المدرسة الاقبغاوية * (رحبة مقبل) هذه الرحبة كانت تعرف بخط بين المسجدين لان هناك مسجدين أحدهما يقابل

الآخر ويسلك من هذه الرحبة الى سويقة الباطلية والى زقاق تريده وعرفت أخيراً بالامير زين الدين مقبل الرومى أمير جاندار الملك الظاهر برقوق * (رحبة ألدمر) هذه الرحبة في الدرب أول سوق الفرايين مما يلى الا كفانيين عرفت بالامير سيف الدين ألدمر الناصرى المقتول بمكة * (رحبة قردية) هذه الرحبة بخط الا كفانيين تجاه دار الامير قرديه الجمدار الناصري وكانت هذه الدار تعرف قديماً بالامير سنجر الشكارى وله أيضاً مسجد معلق يدخل من تحته الى الرحبة المذكورة وهناك اليوم قاعة الذهب التي فيها الذهب الشريط لعمل المزركش * (رحبة المنصوري) قبالة دار المنصورى عرفت بالامير قطلوبغا المنصورى المقدم ذكره * (رحبة المشهد) هذه الرحبة تجاه المشهد الحسينى كانت رحبة فيما بين باب الديلم أحد أبواب القصر الذى هو الآن المشهد الحسينى وبين اصطبل الطارمة * (رحبة أبى البقاء) هذه الرحبة من جملة رحبة باب العيد تجاه باب قاعة ابن كتيلة بخط السفينة عرفت بقاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن على بن تمام السبكي الشافعي ومولده في سنة سبع وسبعمائة أحد العلماء الا كابر تقلد قضاء القضاة بديار مصر والشام ومات في * (رحبة الحجازية) هذه الرحبة تجاه المدرسة الحجازية وهى من جملة رحبة باب العيد عرفت برحبة الحجازية * (رحبة قصر بشتاك) هذه الرحبة تجاه قصر بشتاك وهى من جملة الفضاء الذى بين القصرين * (رحبة سلار) تجاه حمام البيسري ودار الامير سلار نائب السلطنة هي أيضاً من جملة الفضاء الذى كان بين القصرين * (رحبة الفخري) هذه الرحبة بخط الكافورى تجاه دار الامير سيف الدين قطلوبغا الطويل الفخرى السلاح دار الاشرفي أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون * (رحبة الا كز) بخط الكافورى هذه الرحبة تجاه دار الامير سيف الدين الا كز الناصرى الوزير وتعرف أيضاً برحبة الابو بكرى لانها تجاه دار الامير سيف الدين الابو بكرى السلاح دار الناصرى وهى شارعة في الطريق يسلك اليها من دار الامير تنكز ويتوصل منها الى دار الامير مسعود وبقية الكافورى * (رحبة جعفر) هذه الرحبة تجاه حارة برجوان يشرف عليها شباك مسجد تزعم العوام أن فيه قبر جعفر الصادق وهو كذب مختلق وافك مفترى ما اختلف أحد من أهل العلم بالحديث والآثار والتاريخ والسير أن جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام مات قبل بناء القاهرة بدهر وذلك انه مات سنة ثمان وأربعين ومائة والقاهرة بلا خلاف اختطت فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعد موت جعفر الصادق بنحو مائتي سنة وعشر سنين والذى أظنه أن هذا موضع قبر جعفر بن أمير الجيوش بدر الجمالي المكنى بأبي محمد الملقب بالمظفر ولما ولى أخوه الافضل ابن أمير الجيوش الوزارة من بعد أبيه جعل أخاه المظفر جعفرا يلى العلامة عنه ونعت بالاجل المظفر سيف الامام جلال

الاسلام شرف الانام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين أبي محمد جعفر بن أمير الجيوش بدر الجمالى وتوفي ليلة الخميس لسبع خلون من جمادى الاولى سنة أربع عشرة وخمسمائة مقتولا يقال قتله خادمه جوهر بمباطنة من القائد أبي عبد الله محمد بن فاتك البطايحى ويقال بل كان يخرج فى الليل يشرب فجاء ليلة وهو سكران فمازحه دراب حارة برجوان وتراميا بالحجارة فوقعت ضربة في جنبه آلت به الى الموت والذي نقل أنه دفن بتربة أبيه أمير الجيوش فاما أن يكون دفن هنا أولا ثم نقل أو لم يدفن هنا ولكنه من جملة ماينسب اليه فانه بجوار دار المظفر التى من جملتها دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى وما قاربها كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر دار المظفر * (رحبة الأفيال) هذه الرحبة من جملة حارة برجوان يتوصل اليها من رأس الحارة ويسلك فى حدرة الزاهدى اليها وأدركتها ساحة كبيرة والمشيخة تسميها رحبة الافيال وكذا يوجد في مكاتيب الدور القديمة ويقال ان الفيلة في أيام الخلفاء كانت تربط بهذه الرحبة أمام دار الضيافة ولم تزل خربة الى ما بعد سنة سبعين وسبعمائة فعمر بها دويرات ووجد فيها بئر متسعة ذات وجهين تشبه أن تكون البئر التي كانت سوّاس الفيلة يستقون منها ثم طمت هذه البئر بالتراب *(رحبة مازن) هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه باب دار مازن التي خربت وفيها المسجد المعروف بمسجد بنى الكويك *(رحبة اقوش) هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه قاعة الامير جمال الدين اقوش الرومى السلاح دار الناصرى التى حل وقفها بهاء الدين محمد بن البرجي ثم بيعت من بعده ومات اقوش سنة خمس وسبعمائة *(رحبة برلغى) هذه الرحبة عند باب سر المدرسة القراسنقرية تجاه دار الامير سيف الدين برلغى الصغير صهر الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهذه الرحبة من جملة خط دار الوزارة *(رحبة لؤلؤ) هذه الرحبة بحارة الديلم فى لدرب الذى بخط ابن الزلابي وهى تجاه دار الاميربدر الدين لؤلؤ الزردكاش الناصرى وهو من جملة من فر مع الامير قراسنقرواقوش الافرم الى ملك التتربوسعيد *(رحبة كوكاى) هذه الرحبة بحارة زويلة عرفت بالامير سيف الدين كوكاى السلاح دار الناصرى وفيها المدرسة القطبية الجديدة *(رحبة ابن أبي ذكري) هذه الرحبة بحارة زويلة وهى التى فيها البئر السائلة بالقرب من المدرسة العاشورية عرفت بالامير ابن أبى ذكرى وهى من الرحاب القديمة التي كانت أيام الخلفاء وبها الآن سوق حارة اليهود القرايين * (رحبة بيبرس) هذه الرحبة يتوصل اليها من سويقة المسعودى ومن حمام ابن عبود عرفت بالملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير فان بصدرها داره التى كانت سكنه قبل أن يتقلد سلطنة ديار مصر وقد حل وقفها وبيعت *(رحبة بيبرس الحاجب) هذه الرحبة بخط حارة العدوية عند باب سر الصاغة عرفت بالاميربيبرس الحاجب

لان داره بها وبيبرس هذا هو الذي ينسب اليه غيط الحاجب بجوار قنطرة الحاجب وبهذه الرحبة الآن فندق الامير الطواشي زمام الدور السلطانية زين الدين مقبل وبه صار الآن هذا الخط يعرف بخط فندق الزمام بعد ما كنا نعرفه يعرف بخط رحبة بيبرس الحاجب * رحبة الموفق) تعرف هذه الرحبة بحارة زويلة تجاه دار الصاحب الوزير موفق الدين أبي البقاء هبـة الله ابن ابراهيم المعروف بالموفق الـكبير وهي بالقرب من خوخة الموفق المتوصل منها الى الـكافورى من حارة زويلة * رحبة أبي تراب) هـذه الرحبة فيما بين الخرشتف وحارة برجوان تشبه أن تكون من جملة الميدان أدركتها رحبة بها كيمان تراب وسبب نسبتها الى أبي تراب أن هناك مسجدا من مساجد الخلفاء الفاطميين تزعم العامة ومن لاخلاق له أن به قبر أبي تراب النخشبي وهذا القول من أبطل الباطل وأقبح شيء في الكذب فان أبا تراب النخشبي هو أبو تراب عسكر بن حصين النخشبي صحب حاتما الاصم وغيره وهو من مشايخ الرسالة ومات بالبادية نهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين قبل بناء القاهرة بنحو مائة وثلاث سنين وقد أخبرني القاضي الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل ابن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومي خال أبي رحمه الله قبل أن يختلط قال اخبرني مؤدبي الذي قرأت عليه القرآن أن هذا المكان كان كوما وأن شخصاً حفر فيه يبني عليه دارا فظهرت له شرافات فما زال يتبع الحفر حتى ظهر هذا المسجد فقال الناس هـذا أبو تراب من حينئذ ويؤيد ما قال اني أدركت هـذا المسجد محفوفا بالكيمان من جهاته وهو نازل في الارض ينزل اليه بنحو عشر درج وما برح كذلك الى ما بعد سـنة ثمانين وسبعمائة فنقلت الكيمان التراب التي كانت هناك حوله وعمر مكانها ما هنالك من دور وعمل عليها درب من بعد سـنة تسعين وسبعمائة وزالت الرحبة والمسجد على حاله وأنا قرأت على بابه في رخامة قد نقش عليها بالقلم الكوفي عدة أسطر تتضمن أن هـذا قبر أبي تراب حيدرة بن المستنصر بالله أحد الخلفاء الفاطميين وتاريخ ذلك فيما أظن بعد الاربعمائة ثم لما كان في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة سولت نفس بعض السفهاء من العامة له أن يتقرب بزعمه الى الله تعالى بهدم هـذا المسجد ويعيد بناءه فجبي من الناس مالا شحذه منهم وهدم المسجد وكان بناء حسنا وردمه بالتراب نحو سبعة أذرع حتي ساوي الارض التي تسلك المارة منها وبناه هذا البناء الموجود الآن وبلغني أن الرخامة التي كانت على الباب نصبوها على شـكل قبر أحدثوه في هذا المسجد وبالله ان الفتنة بهـذا المكان وبالمكان الآخر من حارة برجوان الذي يعرف بجعفر الصادق لعظيمة فانهما صارا كالانصاب التي كانت تتخذها مشركوا العرب يلجأ اليهما سفهاء العامة والنساء في أوقات الشدائد وينزلون بهذين الموضعين كربهم وشدائدهم التي لا ينزلها العبد الا بالله ربه ويسئلون في هذين الموضعين مالا يقدر عليه الا الله تعالى

وحده من وفاء الدين من غير جهـة معينة وطلب الولد ونحو ذلك ويحملون النذور من الزيت وغيره اليهما ظناً أن ذلك ينجيهم من المكاره ويجلب اليهم المنافع ولعمرى ان هى الا كرة خاسرة ولله الحمد على السلامة *(رحبة ارقطاى) هذه الرحبة بحارة الروم قدام دار الامير الحاج ارقطاى نائب السلطنة بالديار المصرية *(رحبة ابن الضيف) هـذه الرحبة بحارة الديلم وهى من الرحاب القديمـة عرفت بالقاضى أمين الملك اسماعيل بن أمين الدولة الحسن بن علىّ بن نصر بن الضيف وفي هذه الرحبة الدار المعروفة باولاد الامير طنبغا الطويل بجوار حكر الرصاصى وتعرف هـذه الرحبة أيضاً بحمدان البزاز وبابن المخزومي *(رحبة وزير بغداد) هذه الرحبة بدرب ملوخيا عرفت بالامير الوزير نجم الدين محمود ابن على بن شردين المعروف بوزير بغداد قدم الى مصر يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة هو وحسام الدين حسن بن محمد بن محمد الغورى الحنفى فارّين من العراق بعد قتل موسى ملك التتر فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمـد بن قلاون باقطاع امرة تقدمـة ألف مكان الامير طاز بغا عند وفاته في ليلة السبت ثامن عشرى جمادى الاولى من السـنة المذكورة فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاون وقام في الملك من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر بن محمد قلد الوزارة بالديار المصرية للامير نجم الدين محمود وزير بغداد فى يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وبنى له دار الوزارة بقلعة الجبل وأدركناها دار النيابة وعمل له فيها شباك يجلس فيه وكان هذا قد أبطله الملك الناصر محمد وخربت قاعة الصاحب فلم يزل الى أن صرف في أيام الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاون عن الوزارة بالامير ملكتمر السرجوانى فى مستهل رجب سـنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ثم أعيد في آخر ذى الحجة بعد تمنع منه واشترط أن يكون جمال الكفاة ناظر الخاص معه صفة مشير فأجيب الى ذلك فلما قبض على جمال الكفاة صرف وزير بغداد وولى بعده الوزارة الامير سيف الدين ايتمش الناصرى فى يوم الاربعاء ثانى عشرى ربيع الآخر سنة خمس وأربعين بحكم استعفائه منها فباشرها ايتمش قليلا وسأل أن يعفى من المباشرة فأعفى وذلك لقلة المتحصل وكثرة المصروف في الانعام على الجوارى والخدام وحواشيهم وكانت الكلف في كل سنة ثلاثين ألف ألف دينار والمتحصل خمسة عشر ألف ألف نحو النصف ومرتب السكر فى شهر رمضان كان ألف قنطار فبلغ ثلاثة آلاف قنطار *(رحبة الجامع الحاكمي) هذه الرحبة من غير قاهرة المعز التي وضعها القائد جوهر وكانت من جملة الفضاء الذى كان بين باب النصر والمصلى فلما زاد أمير الجيوش بدر الجمالى فى مقدار السور صارت من داخل باب النصر الآن وكانت كبيرة فيما بين الحجر والجامع الحاكمي وفيما بين باب النصر القديم وباب النصر الموجود الآن ثم بنى فيها المدرسة القاصدية التي هى تجاه الجامع

وما فى صفها الى حمام الجاولى وبنى فيها الشيخ قطب الدين الهرماس دارا ملاصقة لجدار الجامع ثم هدمت كما سيأتى فى خبرها ان شاء الله تعالى عند ذكر الدور وفى موضعها الآن الربع والحوانيت سفله والقاعة الجارى ذلك فى أملاك ابن الحاجب وأدركت انشاءها فيما بعد سنة ثلاثين وهذه الرحبة تؤخذ أجرتها لجهة وقف الجامع *(رحبة كتبغا) هذه الرحبة من جملة اصطبل الجميزة وهى الآن من خط الصيارف يسلك اليها من الجملون الكبير بسوق الشرابشيين ومن خط طواحين الملحيين وغيره عرفت بالملك العادل زين الدين كتبغا فانها تجاه داره التي كان يسكنها وهو أمير قبل أن يستقر فى السلطنة وسكنها بنوه من بعده فعرفت به ثم حل وقفها فى زمننا وبيعت *(رحبة خوند) هذه الرحبة بآخر حارة زويلة فيما بينها وبين سويقة المسعودى يتوصل اليها من درب الصقالبة ومن سويقة المسعودى وهى من الرحاب القديمة كانت تعرف في أيام الخلفاء برحبة ياقوت وهو الامير ناصر الدولة ياقوت والى قوص أحد أجلاء الامراء ولما قام طلائع بن رزيك بالوزارة فى سنة تسع واربعين وخمسمائة هم ناصر الدولة ياقوت بالقيام عليه فبلغ طلائع الملقب بالصالح ابن رزيك ذلك فقبض عليه وعلى أولاده واعتقلهم فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فلم يزل في الاعتقال الى أن مات فيه يوم السبت سابع عشر رجب سنة ثلاث وخمسين فأخرج الصالح أولاده من الاعتقال وأمرهم وأحسن اليهم ثم عرفت هذه الرحبة من بعده بولده الامير ربيع الاسلام محمد بن ياقوت ثم عرفت فى الدولة الايوبية برحبة ابن منقذ وهو الامير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ ثم عرفت برحبة الفلك المسيري وهو الوزير فلك الدين عبد الرحمن المسيرى وزير الملك العادل أبى بكر بن الملك العادل بن أيوب ثم عرفت الآن برحبة خوند وهى الست الجليلة أردوتكين ابنة نوغيه السلاح دار زوج الملك الاشرف خليل بن قلاون وامرأة أخيه من بعده الملك الناصر محمد وهي صاحبة تربة الست خارج باب القرافه وكانت خيرة وماتت أيما فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة *(رحبة قرا سنقر) هذه الرحبة برأس حارة بهاء الدين تجاه دار الامير قرا سنقر وبها الآن حوض تشرب منه الدواب *(رحبة بيغرا) بدرب ملوخيا عرفت بالامير سيف الدين بيغرا لانها تجاه داره *(رحبة الفخرى) بدرب ملوخيا عرفت بالامير منكلى بغا الفخرى صاحب التربة بظاهر باب النصر لانها تجاه داره *(رحبة سنجر) هذه الرحبة بحارة الصالحية في آخر درب المنصورى عرفت بالامير سنجر الجمقدار علم الدين الناصري لانها تجاه داره ثم عرفت برحبة ابن طرغاي وهو الامير ناصر الدين محمد بن الامير سيف الدين طرغاي الجاشنكير نائب طرابلس *(رحبة ابن علكان) هذه الرحبة بالجودرية في الدرب المجاور للمدرسة الشريفية عرفت بالامير شجاع الدين عثمان بن علكان

الكردي زوج ابنة الامير يازكوج الاسدي وبابنه منها الامير أبو عبد الله سيف الدين محمد ابن عثمان وكان خيرا استشهد على غزة بيد الفرنج في غرة شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وستمائة وكانت داره ودار أبيه بهذه الرحبة ثم عرفت بعد ذلك برحبة الامير علم الدين سنجر الصيرفي الصالحي * (رحبة ازدمر) بالجودرية هذه الرحبة بالدرب المذكور أعلاه عرفت بالامير عز الدين ازدمر الاعمى الكاشف لانها كانت أمام داره * (رحبة الاختاي) هذه الرحبة فيما بين دار الديباج والوزيرية بالقرب من خوخة أمير حسين عرفت بقاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الاختاى المالكي لانها تجاه داره وقد عمر عليها درب في أعوام بضع وتسعين وسبعمائة * (رحبة باب اللوق) رحاب باب اللوق خمس رحاب ينطلق عليها كلها الآن رحبة باب اللوق وبها تجتمع أصحاب الحلق وارباب الملاعب والحرف كالمشعبذين والحايليين والحواة والمتأففين وغير ذلك فيحشر هنالك من الخلائق للفرجة ولعمل الفساد مالا يحصر كثرة وكان قبل ذلك في حدود ماقبل الثمانين وسبعمائة من سنى الهجرة انما تجتمع الناس لذلك في الطريق الشارع المسلوك من جامع الطباخ بالخط المذكور الى قنطرة قدادار * (رحبة التبن) هذه الرحبة قريبة من رحبة باب اللوق في بحرى منشاة الجوانية شارعة في الطريق العظمى المسلوك فيها من رحبة باب اللوق الى قنطرة الدكة ويتوصل اليها السالك من عدة جهات وكانت هذه الرحبة قديما تقف بها الجمال باحمال التبن لتباع هناك ثم اختطت وعمرت وصارت بها سويقة كبيرة عامرة بأصناف المأكولات والخط انما يعرف برحبة التبن وقد خرب بعد سنة ست وثمانمائة * (رحبة الناصرية) هذه الرحبة كانت فيما بين الميدان السلطانى والبركة الناصرية أيام كانت تلك الخطة عامرة وكان يتفق في ليالى أيام ركوب السلطان الى الميدان في كل سنة من الاجتماع والانس ماستقف على بعض وصفه عند ذكر المنتزهات ان شاء الله تعالى وقد خربت الاماكن التى كانت هناك وجهات هذه الرحبة الا عند القليل من الناس * (رحبة ارغون ازكه) والعامة تقول رحبة ازكي بياء وهى رحبة كبيرة بالقرب من البركة الناصرية وهذه الرحبة وما حولها من جملة بستان الزهري الآتى ذكره ان شاء الله في الاحكار وعرفت بالامير ارغون ازكي

* (ذكر الدور) *

قال ابن سيده الدار المحل يجمع البناء والعرصة التى هى من داريدور لكثرة حركات الناس فيها والجمع أدور وأدؤر وديار وديارة وديارات وديران ودور ودورات والدارة لغة في الدار والدار البلد والايت من الشعر مازاد على طريقة واحدة وهو مذكر يقع على الصغير والكبير وقد يقال للمبني من غير الابنية التى هى الاخبية بيت وجمع البيت أبيات

وأبايت وبيوت وبيوتات والبت أخص من الدار فكل دار بيت ولا ينعكس ولم تكن العرب تعرف البيت الا الخباء ثم لما سكنوا القري والامصار وبنوا بالمدرو اللبن سموا منازلهم التي سكونها دورا وبيوتاً وكانت الفرس لاتبيح شريف البنيان كما لاتبيح شريف الاسماء الا لاهل البيوتات كصنيعهم في النواويس والحمامات والقباب الخضر والشرف على حيطان الدار وكالعقد على الدهليز * (دار الاحمدى) هذه الدار من جملة حارة بهاء الدين وبها مشترف عال فوق بدنة من بدنات سور القاهرة ينظر منه أرض الطبالة وخارج باب الفتوح وهى أحدى الدور الشهيرة عرفت بالامير بيبرس الاحمدى * (بيبرس الاحمدى) ركن الدين أمير جاندار تنقل في الخدم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الى أن صار أمير جاندارأحد المقدمين فلما مات الملك الناصر قوى عزم قوصون على اقامة الملك المنصور أبى بكر بعد أبيه وخالف بشتاك فلما نسب المنصور الى اللعب حضر الى باب القصر بقلعة الجبل وقال أى شئ هذا اللعب فلما ولى الناصر أحمد أخرجه لنيابة صفد فأقام بها مدة ثم أحس من الناصر أحمد بسوء فخرج من صفد بعسكره الى دمشق وليس بها نائب فهم الامراء بامساكه ثم أخروا ذلك وأرسلوا اليه الاقامة فقدم البريد من الغد بامساكه فكتب الامراء من دمشق الي السلطان يشفعون فيه فعاد الجواب بأنه لابد من القبض عليه ونهب ماله وقطع رأسه وارساله فأبوا من ذلك وخلعوا الطاعة وشقوا العصا جميعا فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من مصر بخلع الناصر أحمد واقامة الصالح اسماعيل في الملك بدله والاحمدى مقيم بقصر تنكز من دمشق فورد عليه مرسوم بنيابة طرابلس فتوجه اليها وأقام بها نحو الشهرين ثم طلب الى مصر فسار اليها وأخرج لمحاصرة أحمد بالكرك فحصره مدة ولم ينل منه شيأ ثم عاد الى القاهرة فأقام بها حتى مات فى يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة ست وأربعين وسبعمائة وله من العمر نحو الثمانين سنة وكان أحد الابطال الموصوفين بقوة النفس وشدة العزم ومحبة الفقراء وايثار الصالحين وله مماليك قد عرفوا بالشجاعة والنجدة وكان ممن يقتدى برأيه وتتبع آثاره لمعرفته بالايام والوقائع وما برحت ذريته بهذه الدار الى الآن وأظنها موقوفة عليهم * (دار قرا سنقر) هذه الدار برأس حارة بهاء الدين أنشأها الامير شمس الدين قرا سنقر وبها كان سكنه وهى احدى الدور الجليلة ووجد بها فى سنة اثنتي عشرة وسبعمائة لما احيط بها اثنان وثلاثون ألف ألف دينار ومائة ألف وخمسون ألف درهم فضة وسروج مذهبة وغير ذلك فحمل الجميع الى بيت المال ولم تزل جارية في اوقاف المدرسة القرا سنقرية الى أن اغتصبها الامير جمال الدين يوسف الاستادار فيما اغتصب من الاوقاف وجعلها وقفا على مدرسته التي أنشأها برحبة باب العيد فلما قتله الملك الناصر فرج ابن برقوق وارتجع جميع ماخلفه وصار في جملة الاموال السلطانية ثم افردمن الاوقاف

التي جعلها جمال الدين على مدرسته شيأ وجعل باقيها لاولاده وعلى تربته التي انشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق بالصحراء تحت الجبل خارج باب النصر فلما قتل الملك الناصر فرج صارت هذه الدار بيد الامير طوغان الدوادار وكانوا كسارق من سارق وما من قتيل يقتل الا وعلى ابن آدم الاول كفل منه لانه أول من سن القتل * (دار البلقيني) هذه الدار تجاه مدرسة شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني من حارة بهاء الدين انشأها قاضى قضاة العساكر بدر الدين محمد بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الشافعي ومات في يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة ولم تكمل فاشتراها أخوه قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام وكملها وبها الآن سكنه وهي من أجل دور القاهرة صورة ومعنا وقد ذكرت الاخوين أباهما في كتابى المنعوت بدرر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة فانظر هناك أخبارهم * (دار منكوتمر) هذه الدار بحارة بهاء الدين بجوار المدرسة المنكوتمرية انشأها الامير منكوتمر نائب السلطنة بجوار مدرسته الآتى ذكرها عند ذكر المدارس ان شاء الله تعالى وهي من الدور الجليلة وبها الى اليوم بعض ذريته وهي وقف * (دار المظفر) هذه الدار كانت بحارة برجوان انشأها أمير الجيوش بدر الجمالى الى أن مات فلما ولى الوزارة من بعده ابنه الافضل ابن أمير الجيوش وسكن دار القباب التي عرفت بدار الوزارة وقد تقدم ذكرها صار أخوه المظفر أبو محمد جعفر بن أمير الجيوش بهذه الدار فعرفت به وقيل لها دار المظفر وصارت من بعده دار الضيافة كما مر في هذا الكتاب وآخر ما أعرفه انها كانت ربعا وحماما وخرائب فسقط الربع بعد سنة سبعين وسبعمائة وكانت الحمام قد خربت قبل ذلك فلم تزل خرابا الى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة فشرع قاضى القضاة شمس الدين محمد بن احمد بن أبى بكر الطرابلسى الحنفى في عمارتها فلما حفر أساس جداره القبلي ظهر تحت الردم عتبة عظيمة من حجر صوان مانع يشبه أن يكون عتبة دار المظفر وكان الامير جهاركس الخليلى اذ ذاك يتولى عمارة المدرسة التى انشأها الملك الظاهر برقوق بخط بين القصرين فبعث بالرجال لهذه العتبة وتكاثروا على جرها الى العمارة فجعلها في المزملة التي تشرب منها الناس الماء بدهليز المدرسة الظاهرية وكمل قاضى القضاة شمس الدين بناء داره حيث كانت دار المظفر فجاءت من احسن دور القاهرة وتحول اليها بأهله وما زال فيها حتى مات بها وهو متقلد وظيفة قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية في ليلة السبت الثامن عشر من ذى الحجة سنة تسع وتسعين وسبعمائة وله من العمر سبعون سنة وأشهر ومولده بطرابلس الشام وأخذ الفقه على مذهب أبى حنيفة رحمه الله عن جماعة من أهل طرابلس ثم خرج منها الى دمشق فقرأ على صدر الدين محمد بن منصور الحنفى ووصل الى القاهرة وقاضى الحنفية بها قاضى

القضاة جمال الدين عبد الله التركماني فلازمه وولاه العقود وأجلسه ببعض حوانيت الشهود فتكسب ممن تحمل الشهادة مدة وقرأ على قاضي القضاة سراج الهدى ولازمه فولاه نيابة القضاء بالشارع فباشرها مباشرة مشكورة وأجازه العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي بالافتاء والتدريس فلما مات صدر الدين بن منصور قلده الملك الظاهر برقوق قضاء القضاة مكانه في يوم الاثنين ثاني عشرى شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وسبعمائة فباشر القضاء بعفة وصيانة وقوة في الاحكام لها النهاية ومهابة وحرمة وصولة تذعن لها الخاصة والعامة الي أن صرف في سابع عشر رمضان سنة احدي وتسعين وسبعمائة بشيخنا قاضي القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم التركماني فلم يزل الى أن عزل مجد الدين وولى من بعده قاضي القضاة وناظر الجيوش جمال الدين محمود القيصري وهو ملازم داره وما بيده من التدريس وهو على حال حسنة وتجلد من الكفافة الى أن استدعاه السلطان في يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الاول سنة تسع وتسعين وسبعمائة فقلده وظيفة القضاء عوضا عن محمود القيصري فلم يزل حتي مات من عامه رحمه الله تعالى وهذه الدار على يسرة من سلك من باب حارة برجوان طالبا المسجد المسمى بجعفر وأما الحمام فانها في مكانها اليوم ساحة بجوار دار قاضي القضاة شمس الدين ومن جملة حقوق دار المظفر رحبة الافيال وحدرة الزاهدى الى الدار المعروفة بسكنى قريباً من حمام الرومي * (دار ابن عبد العزيز) هذه الدار بحارة برجوان على يمنة من سلك من باب الحارة طالبا حمام الرومي هي أيضاً من جملة دار المظفر كانت طاحونا ثم خربت فابتدأ عمارتها فخر الدين أبو جعفر محمد بن عبد اللطيف ابن الكويك ناظر الاحباس ومات ولم تكمل فصارت لامرأته وابنة عمه خديجة فماتت في رجب سنة اثنتين وستين وسبعمائة وقد تزوجت من بعده بالقاضي الرئيس بدر الدين حسن ابن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبي طالب بن على بن عبد الله بن سيدهم النجمي السيراوني فانتقلت اليه ومات في سنة أربع وسبعين وسبعمائة في العشرين من جمادى الاولى وورثه من بعد موته كريم الدين ابن أخيه وهو عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبي طالب بن على بن عبد الله بن سيدهم ومات آخر ربيع الاول سنة سبع وثمانمائة عن سبعين سنة وولى نظر الجيوش بديار مصر للظاهر برقوق فباعها لقريبه شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد العزيز وكملها وسكنها مدة طويلة الى أن باعها في سنة خمس وتسعين وسبعمائة بألفي دينار ذهباً لخوند فاطمة ابنة الامير منجك فوقفتها على عتقائها وهي الى اليوم بيدهم وتعرف ببيت ابن عبد العزيز المذكور لطول سكنه بها وكان خيراً عارفا يلي كتابة ديوان الجيش وعدة مباشرات ومات ليلة الثاني عشر من صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة * (دار الجمقدار) هذه الدار على يسرة من سلك من باب حارة برجوان

تحت القبو طالباً حمام الرومى عرفت بالامير علم الدين سنجر الجمقدار من الامراء البرجية وقدمه الملك الناصر محمد تقدمة ألف بعد مجيئه من الكرك الى مصر ثم أخرجه الى الشام فأقام بها الى أن حضر قطلوبغا الفخرى في نوبه أحمد بالكرك فحضر معهم واستقر من الامراء بالديار المصرية الى أن مات يوم الجمعة تاسع رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة وقد كبر وارتعش وكان روميا ألثغ ثم صار لخالد بن الزراد المقدم فلما قبض عليه ومات في ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة تحت المقارع ارتجعت عنه لديوان السلطان حسن فصارت في يد ورثته الى أن باع بعض أولاده اسهما منها فاشتراها الامير سودون الشيخونى نائب السلطنة ثم تنقلت وبعضها وقف بيد أولاد السلطان حسن بن محمد بن قلاوون الى أن ملك ماتملك منها بالشراء قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى الكركي وسكنها الى أن سافر فصارت من بعده لورثته فباعوها للشيخ زين الدين أبى بكر القمنى وهى بيده الآن * (دار أقوش) الرومى بحارة برجوان هذه الدار من أجل دور القاهرة وبابها من نحاس بديع الصنعة يشبه باب المارستان المنصورى وكان تجاهها اصطبل كبير يعلوه ربع فيه عدة مساكن عرفت بالامير جمال الدين أقوش الرومى السلاح دار الناصرى وتوفي سنة سبع وسبعمائة وهى مما وقفه على تربته بالقرافة وقد خرب اصطبلها وعلوه وبيع نقض ذلك وتداعت الدار أيضا للسقوط فبيعت انقاضا وصارت من جملة الاملاك * (دار بنت السعيدى) هذه الدار بحارة برجوان عرفت بقاعة حنيفة بنت السعيدى الى أن اشتراها شهاب الدين أحمد بن طوغان دوادار الامير سودون الشيخونى نائب السلطان في سنة تسع وتسعين وسبعمائة فأخذ عدة مساكن مما حولها وهدمها وصيرها ساحة بها فصارت من أعظم الدور اتساعا وزخرفة وفيها آبار سبعة معينة وفسقية ينقل اليها الماء بساقية على فوهة بئر وما زال صاحبها شهاب الدين فيها الى أن سافر الى الاسكندرية في محرم سنة ثمان وثمانمائة فمات رحمه الله وانتقلت من بعده لغير واحد بالبيع * (دار الحاجب) هذه الدار فيما بين الخرشتف وحارة برجوان كان مكانها من جملة الميدان وكان يسلك من حارة برجوان في طريق شارعه الى باب الكافورى فلما عمر الامير بكتمر هذه الدار جعل اصطبلها حيث كانت الطريق وركب بابا بخوخة مما يلى حارة برجوان واشترط عليه الناس ان لايمنع المارة من سلوك هذا المكان فوفي بما اشترط وما برح الناس يمرون من هذا الطريق في وسط الاصطبل على باب داره سالكين من حارة برجوان الى الكافورى والخرشتف ومنها الى حارة برجوان وأنا سلكت من هذه الطريق غير مرة وكان يقال لها خوخة الحاجب ثم لما طال الامد وذهبت المشيخة نسيت هذه الطريق وقفل الباب وانقطع سلوك الناس منه وصارت تلك الطريق من جملة حقوق الدار وما برحت هذه الدار ينصب على بابها الطوارق

دائما كما كانت عادة دور الامراء في الزمن القديم فلما تغيرت الرسوم وبطل ذلك قلعت الطوارق من جانبي الباب وأعلى اسكفته وباب هذه الدار تجاه باب الكافوري وعرفت بالامير سيف الدين بكتمر الحاجب صاحب الدار خارج باب النصر والمدرسة بجواره ثم حل وقفها سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وبيعت كما بيع غيرها من الاوقاف وهناك ترى ترجمته * (دار تنكز) هذه الدار بخط الكافورى كانت للامير ايبك البغدادى وهى من أجل دور القاهرة وأعظمها أنشأها الامير تنكز نائب الشام وأظنه أوقفها فى جملة ماأوقف وكان بها ولده وسكنها قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن جماعة فأنفق في زخرفتها على ما أشيع سبعة عشر ألف درهم عنها يومئذ مايذيف عن سبعمائة دينار مصرية ولم تزل هذه الدار وقفا الى ان بيعت على انها ملك في سنة احدى وعشرين وثمانمائة بدون الف دينار لزين الدين عبد الباسط بن خليل فجدد بناءها وبني تجاهها جامعه * (تنكز الاشرفى) سيف الدين أبو سعيد خليل جلبه الى مصر وهو صغير الخواجا علاء الدين السوسى فنشأ بها عند الملك الاشرف خليل بن قلاوون فلما ملك السلطان الناصر محمد بن قلاوون امره امرة عشرة قبل توجهه الى الكرك وسافر معه الى الكرك وترسل عنه منها الى الافرم فاتهمه ان معه كتباً الى الامراء بالشام وعرض عليه العقوبة فارجف منه وعاد الى الناصر فقال له ان عدت الى الملك فانت نائب دمشق فلما عاد الى الملك جهزه الى دمشق فوصلها في العشرين من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة فباشر النيابة وتمكن فيها وسار بالعساكر الى ملطية وافتتحها في محرم سنة خمس عشرة وعظم شأنه وأمن الرعايا حتي لم يكن أحد من الامراء يظلم ذميا فضلا عن مسلم خوفامن بطشه وشدة عقوبته وكان السلطان لايفعل شيئاً بمصر الا ويشاوره فيه وهو بالشام وقدم غير مرة على السلطان فاكرمه وأجله بحيث انه أنعم عليه في قدومه الى مصر سنة ثلاث وثلاثين بما مبلغه ألف ألف درهم وخمسون ألف درهم عنها خمسون ألف دينار ونيف سوي الخيل وزادت أملاكه وسعادته وانشأ جامعا بدمشق بديع الوصف بهج الزي وعدة مواضع وكان الناس في أيامه قد أمنوا كل سوء الا انه كان يتخيل خيالا فيحتد خلقه ويشتد غضبه فهلك بذلك كثير من الناس ولا يقدر أحد أن يوضح له الصواب لشدة هيبته وكان اذا غضب لايرضى ألبتة بوجه واذا بطش كان بطشه بطش الجبارين ويكون الذنب صغيراً فلا يزال يكبره حتي يخرج في عقوبة فاعله عن الحد ولم يزل الى أن أشيع بدمشق انه يريد العبور الى بلاد الططر فبلغ ذلك السلطان فتنكر له وجهز اليه من قبض عليه في ثالث عشرى ذي الحجة سنة أربعين وأحيط بماله وقدم الامير بشتاك الى دمشق لقبضه وخرج الى مصر ومعه من مال تنكز وهو من الذهب العين ثلاثمائة ألف وستة وثلاثون ألف دينار ومن الدراهم الفضة ألف ألف وخمسمائة

ألف درهم ومن الجوهر واللؤلؤ والزركش والقماش ثمانمائة حمل ثم استخرج بعد ذلك
من بقايا أمواله أربعون ألف دينار وألف ألف ومائة ألف درهم فلما وصل تنكز الى
قلعة الجبل جهز الى الاسكندرية واعتقل فيها نحو الشهر وقتل في محبسه ودفن بها في يوم
الثلاثاء حادى عشرى المحرم سنة احدى وأربعين وسبعمائة ومن الغريب انه أمسك يوم
الثلاثاء ودخل مصر يوم الثلاثاء ودخل الاسكندرية يوم الثلاثاء وقتل يوم الثلاثاء ثم نقل الى
دمشق فدفن بتربته جوار جامعه ليلة الخامس من رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة بعد
ثلاث سنين ونصف بشفاعة ابنته * (دار أمير مسعود) هذه الدار بآخر خط الكافورى
عرفت بالامير بدر الدين مسعود بن خطير الرومى أحد الامراء بمصر أخرجه الملك الناصر
محمد بن قلاوون في ذى الحجة سنة أربعين وسبعمائة الى نيابة غزة ثم نقل منها الى امرة
دمشق وولى نيابة طرابلس ثم أعيد الى دمشق وأصله من أتباع الامير تنكز فشكره عند
الملك الناصر وقدمه حتى صار أميرا حاجباً فلما قتل تنكز أخرجه لنيابة غزة وتنقل في
نيابة طرابلس ثلاث مرات الى أن استعفى من النيابة فأنعم عليه بامرة في دمشق وعلى ولديه
بامرة طبلخاناه وما زال مقيما بها حتى مات في سابع شوال سنة أربع وخمسين وسبعمائة
بدمشق ومولده بها ليلة السبت سابع جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وستمائة * (دار
نائب الكرك) هذه الدار فيما بين خط الخرشتف وخط باب سر المارستان المنصوري وهي
من جملة أرض الميدان عرفت بالامير اقوش الاشرفي المعروف بنائب الكرك صاحب الجامع
* (اقوش الاشرفي) * جمال الدين ولاه الملك الناصر محمد بن قلاون نيابة دمشق بعد
مجيئه من الكرك وعزله تنكز بعد قليل واعتقله الى شهر رجب سنة خمس عشرة وسبعمائة
ثم افرج عنه وجعله رأس الميمنة وصار يقوم له اذا قدم مميزا له عن غيره من الامراء وكان
لا يلبس مصقولا ويمشى من داره هذه الى الحمام وهو حامل المئزر والطاسة وحده فيدخل
الحمام ويخرج عريانا فاتفق مرة ان رجلا رآه فعرفه وأخذ الحجر وحك رجله وغسله وهو
لا يكلمه كلمة واحدة فلما خرج وصار الى داره طلب الرجل وضربه وقال له أنا مالى مملوك
ما عندى غلام مالى طاسة حتى تتجرأ على أنت وكان يتوجه الى معبد له في الجبل الاحمر
وينفرد فيه وحده اليومين والثلاثة ويدخل منه الى القاهرة وهو ماش وذيله على كتفه حتى
يصل الى داره وباشر نظر المارستان المنصورى مباشرة جيدة ثم أخرجه السلطان الى
نيابة طرابلس فى أول سنة أربع وثلاثين وسبعمائة فأقام بها ثم طلب الاقالة فأعفى وقبض
عليه واعتقل بقلعة دمشق ثم نقل منها الى صفد فحبس بها في برج ثم أخرج منها الى
الاسكندرية فمات بها معتقلا في سنة ست وثلاثين وسبعمائة وكان عسوفا جبارا في بطشه
مات عدة من الناس تحت الضرب قدامه وكان كريماً سمحا الى الغاية وعرف بنائب الكرك

لأنه أقام في نيابتها من سنة تسعين وستمائة الى سنة تسع وسبعمائة * (دار ابن صغير) هذه الدار من جملة الميدان وهى اليوم من خط باب سر المارستان المنصورى أنشأها علاء الدين على بن نجم الدين عبد الواحد بن شرف الدين محمد بن صغير رئيس الأطباء ومات بحلب عند ماتوجه اليها فى خدمة الملك الظاهر برقوق فى يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة ودفن بها ثم نقلته ابنته الى القاهرة ودفنته بظاهرها * (داربيبرس الحاجب) هذه الدار بخط حارة العدوية وهى الآن من خط باب سر المارستان عرفت بالامير بيبرس الحاجب صاحب غيط الحاجب فيما بين جسر بركة الرطلى والجرف *(بيبرس الحاجب) * الامير ركن الدين ترقى فى الخدم الى أن صار أميرا خور فلما حضر الملك الناصر من الكرك عزله بالامير ايد غمش وعمله حاجباً وناب فى الغيبة عن الامير تنكز بدمشق لما حج ثم تجرد الى اليمن وعاد فتنكر عليه السلطان وحبسه فى ذى القعدة سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأفرج عنه في رجب سنة خمس وثلاثين وجهزه من الاسكندرية الى حلب فصار بها أميراً من أمرائها ثم تنقل منها الى أمرة بدمشق بعد عزل تنكز فلم يزل بها الى أن توجه الفخرى وطشتمر الى مصر فأقره على نيابة الغيبة بدمشق وكان قد أسن ومات فى شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وادركنا له حفيدا يعرف بعلاء الدين أمير على بن شهاب الدين أحمد بن بيبرس الحاجب قرأ القراآت السبع على والده وكان حسن الاداء للقراءة مشهوراً بالعلاج يعالج بمائة وعشرة أرطال مات وهو ساح فى سابع ربيع الآخر سنة احدى وثمانمائة * (دار عباس) هذه الدار كانت فى درب شمس الدولة عرفت بالوزير عباس بن يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس أصله من المغرب وترقى فى الخدم حتى ولى الغربية ولقب بالامير ركن الاسلام وكانت أمه تحت الامير المظفر على بن السلار والى البحيراء والاسكندرية فلما رحل على بن السلار الى القاهرة وأزال الوزير نجم الدين سليمان بن مصال من الوزارة واستقر مكانه في وزارة الخليفة الظافر بأمر الله وتلقب بالعادل قدمه لمحاربة بن مصال فلم ينل غرضاً فخرج اليه عباس حتي ظفر به وولى ناصر الدين نصير بن عباس ولاية مصر بشفاعة جدته أم عباس فاختص به الخليفة الظافر واشتغل به عمن سواه وكان جريا مقداما فخرج اليه أبو عباس بالعسكر لحفظ عسقلان من الفرنج ومعه من الامراء ملهم والضرغام وأسامة بن منقذ وكان أسامة خصيصاً بعباس فلما نزلوا بلبيس تذاكر عباس وأسامة مصر وطيبها وماهم خارجون اليه من مقاساة السفر ولقاء العدو فتأوه عباس أسفاً على مفارقة لذاته بمصر وأخذ يثرب على العادل بن السلار فقال له أسامة لو أردت كنت انت سلطان مصر فقال كيف لى بذلك قال هذا ولدك ناصر الدين بينه وبين الخليفة مودة عظيمة فخاطبه على لسانه أن تكون سلطان مصر موضع زوج أمك فانه يحبك

ويكرهه فاذا أجابك فاقتله وصر فى منزلته فاعجب عباس ذلك وجهز ابنه لتقرير ماأشار به أسامة فسار الى القاهرة ودخلها على حين غفلة من العادل واجتمع بالخليفة وفاوضه فيما تقرر فأجابه اليه ونزل الى دار جدته وكان من قتله للعادل على بن سلار ما كان فماج الناس وسرح الطائر من القصر الى عباس وهو على بلبيس فى الانتظار فقام من فوره ودخل القـاهرة سحر يوم الاحد ثانى عشر المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فوجد عدة من الاتراك قد نفروا وخرجوا يداً واحدة الى الشام فصار الى القصر وخلع عليه خلع الوزارة فبـاشر الامور وضبط الاحوال وأكرم الامراء وأحسن الى الاجناد وازدادت مخالطة ولده للخليفة فخاف أن يقتله كما قتل ابن السلار فما زال به حتى قتل الخليفة الظافر كما تقدم ذكره وصار الى القصر على العادة فلما جلس فى مقطع الوزارة سأل الاجتماع على الخليفة فدخل الزمام الى دور الحرم فلم يجد الخليفة فلما عاد اليه أحضر أخوى الظافر واتهمهما بقتله وقتلهمـا قدامه واستدعى بولد الظافر عيسى ولقبه بالفائز بنصر الله وكثرت النياحة على الظافر وبحث أهل القصر على كيفية قتله فكتبوا الى طلائع بن رزيك وهو والى الاشمونين يستدعونه لحشد وسار فاضطرب عباس وكثرت مناكدة أهل القاهرة له حتي انه مر يوما فرمي من طاقة تشرف على شارع بقدر مملوء طعاما حارا فعول على الفرار وخرج ومعه ابنه وأسامة ابن منقذ وجميع مالهم من اتباع ومال وسلاح ودخل طلائع الى القاهرة واستقر في وزارة الخليفة الفائز فسير أهل القصر الى الفرنج البريد بطلب عباس فخرجوا اليه وكانت بينهم وبينه وقعة فر فيها أسامة في جماعة الى الشام فظفر به الفرنج وقتلوه وأخـذوا ابنه فى قفص من حديد وجهزوه الى القاهرة وذلك في شهر ربيع الاول سنة تسع وأربعين وخمسمائة فلما وصل ابنه الى القصر قتل وصلب على باب زويلة وأحرق بعد ذلك ثم عرفت هـذه الدار بعد ذلك بدار تقى الدين صاحب حماه ثم خربت وحكر مكانها فصار يعرف بحكر صـاحب حماه وبني فيه عدة دور وموضعها الآن بداخل درب شمس الدولة بالقرب من حمام عباس التي تعرف اليوم بحمام الكويك * (دار ابن فضل الله) هذه الدار فيما بـين حارة زويلة والبندقانيين كان موضعها من جملة اصطبل الجميزة عرفت بابن فضل الله * وبنو فضل الله جماعة أولهم بمصر * (شرف الدين) عبد الوهاب بن الصاحب جمال الدين أبى المآثر فضل الله ابن الامير عز الدين الحلى بن دعجان العمري ولى كتابة السر للملك الناصر محمـد بن قلاون ثم صرفه عنها وولاه كتابة السر بدمشق فلم يزل بها حتي مات في ثالث شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة وقد عمر وبلغ أربعاً وتسعين سنة وخلف أموالا جمـة ورثاه الشهاب محمود وقد ولى بعده وارثاه علاء الدين على بن غانم والجمال ابن نباتة وكان فاضلا بارعاً أديبا عاقلا وقورا ناهضا ثقة أميناً مشكورا مليح الخط جيد الانشاء حدث عن الشيخ

عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام وغيره ومنهم (محيي الدين) يحيى بن الصاحب جمال الدين أبي المآثر فضل الله بن مجلي بن دعجان بن خلف بن نصر بن منصور بن عبد الله ابن علي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العمري ولي كتابة السر بالديار المصرية عن الملك الناصر نقل اليها من كتابة سر دمشق لما مرض علاء الدين باستدعائه الى مصر وأقيم بدله في كتابة سر دمشق شرف الدين أبو بكر ابن الشهاب محمود وكان استقراره في محرم سنة ثلاثين وسبعمائة فباشرها الى ثاني عشر شعبان سنة ثنتين وثلاثين ونقل منها الى كتابة السر بدمشق وطلب شرف الدين ابن الشهاب محمود فاستقر في كتابة السر بمصر الى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وطلب محيي الدين من دمشق هو وابنه شهاب الدين أحمد فوصلا الى القاهرة غرة جمادى الاولى وخلع عليهما ورسم لهما بكتابة السر ونقل ابن الشهاب محمود الى كتابة السر بدمشق فلم يزل محيي الدين يباشر كتابة السر هو وابنه الى أن كان من تنكز السلطان لولده شهاب الدين ماكان وذلك انه كان استعفى من الوظيفة لثقل سمعه وكبر سنه فأذن له أن يقيم ابنه القاضي شهاب الدين يباشر عنه فصار الاسم لمحيي الدين والمباشر ابنه شهاب الدين الى أن حضر الامير تنكز نائب الشام الى القلعة وسأل السلطان في علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد ابن مفضل المعروف بابن القطب أن يوليه كتابة السر بدمشق وكان السلطان لايمنع تنكز شيأ يسأله فخلع عليه وأقره في ذلك عوضاً عن جمال الدين عبد الله ابن الاثير فأخذ شهاب الدين ينقصه عند السلطان بأنه نصراني الاصل وليس من أهل صناعة الانشاء ونحو ذلك والسلطان مغض عنه غير ملتفت الى مايرمي به رعاية لتنكز فلما كتب توقيع ابن القطب أراد تكثير الالقاب والزيادة له في المعلوم فامتنع شهاب الدين من كتابة ذلك وكان حاد المزاج قوي النفس شرس الاخلاق ففاجأ السلطان بغلاظة ومخاشنة في القول وكان من كلامه كيف تعمل قبطيا أسلميا كاتب السر وتزيد في معلومه و بالغ في الجراءة حتي قال مايفلح من يخدمك وخدمتك على حرام ونهض قائماً لشدة حنقه وكان هذا منه بحضرة الامراء فغضبوا لذلك وهموا بضرب عنقه فأغضى السلطان عنه وبلغ محيي الدين ما كان من ابنه فبادر الى السلطان وقبل الارض واعترف بخطأ ابنه واعتذر عن تأخره بثقل سمعه فرسم له أن يكون ابنه علاء الدين على يدخل ويقرأ البريد فاعتذر بأنه صغير لايقوم بالوظيفة فقال السلطان أنا أربيه مثل ما أعرف فصار يخلف أباه كما كان شهاب الدين وانقطع شهاب الدين في منزله مدة سنين الى أن مات أبوه محيي الدين في يوم الاربعاء تاسع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة عن ثلاث وتسعين سنة وهو متمتع بحواسه فدفن ظاهر القاهرة ثم نقل الى تربتهم من سفح قاسيون بدمشق وكان صدرا معظما رزينا كامل السودد حركا كاتبا

بارعا دبر الاقاليم بكفايته وحسن سياسته ووفور عقله وأمانته وشدة تحرزه وله النظم والنثر البديع الرايق فمن شعره

تضاحكني ليلى فأحسب ثغرها * سنا البرق لكن أين منه سنا البرق
وأخفت نجوم الصبح حين تبسمت * فقمت بفرعيها أشد على الشرق
وقلت سواء جنح ليل وشعرها * ولم أدر أن الصبح من جهة الفرق

* (علاء الدين) * على بن يحيي بن فضل الله العمرى استقل بوظيفة كتابة السر قبل موت ابيه محيي الدين وخلع عليه يوم الاثنين رابع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وله من العمر أربع وعشرون سنة فخرج وفي خدمته الحاجب والدوادار وتقدم أمر السلطان للموقعين بامتثال ما يأمرهم به عن السلطان فشق ذلك على أخيه شهاب الدين وحسده وربما قيل انه سمه فكان يعتريه دم منه الى أن مات ثم انه كتب قصة يسأل فيها السفر الى الشام وشكا كثرة الكلفة وكان قبل ذلك جرى ذكره في مجلس السلطان فذمه وتهدده فعند ماقرئت عليه قصته تحرك ما كان ساكنا من غضبه ورسم بايقاع الحوطة عليه فحمل من داره الى قاعة الصاحب من قلعة الجبل في رابع عشرى شعبان سنة تسع وثلاثين وخرج اليه الامير طاجار الدوادار وأمر به فعرى من ثيابه ليضرب بالمقارع فرفق به ولم يضرب به واستكتبه خطه بحمل عشرة آلاف فأحيط بداره وأخرج سائر ماوجد له وبيع عليه وأرسل مملوكه الى بلاد الشام فباع كل ماله فيها واقترض خمسين الف درهم حتي حمل من ذلك كله مائة وأربعين الف درهم عنها سبعة آلاف دينار فسكن أمره وخف الطلب عنه وأقام الى ثالث عشر ربيع الآخر سنة أربعين مدة سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً ففرج الله عنه بأمر عجيب وهو أنه لما كان يباشر عن أبيه وقع شخص من الكتاب بشئ زور فرسم السلطان بقطع يده فلم يزل شهاب الدين يتلطف في أمره حتي عفا السلطان عنه من قطع يده وأمر به فسجن طول هذه السنين الى أن قدر الله سبحانه انه رفع قصة يسأل فيها العفو عنه فلما قرئت على السلطان لم يعرفه فسأل عن خبره وشأنه فقيل له لا يعرف خبر هذا الا شهاب الدين بن فضل الله فبعث اليه بقاعة الصاحب يستخبره عنه فطالعه بقصته وما كان منه فألان الله له قلب السلطان ورسم بالافراج عن الرجل وعن شهاب الدين وعن مملوكه ففرج الله عن الثلاثة ونزل شهاب الدين الى داره وأقام الى أن قبض السلطان على الامير تنكز نائب الشام فاستدعى شهاب الدين الى حضرته وحلفه وولاه كتابة السر بدمشق عوضاً عن شرف الدين خالد بن عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن خالد بن نصر المخزومي المعروف بابن القيسراني فباشرها حتي مات بدمشق وانفرد أخوه علاء الدين بكتابة السر الى أن مات ليلة الجمعة التاسع والعشرين

من شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة بمنزله من القاهرة عن سبع وخمسين سنة وترك ستة بنين وأربع بنات * (بدر الدين) محمد بن على بن يحيي بن فضل الله ولاه الملك الاشرف شعبان بن حسين كتابة السر وأبوه في مرض موته يوم الخميس ثامن عشري شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة وله من العمر تسع عشرة سنة وجعل أخاه عز الدين حمزة نائبا عنه فباشر الى شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة فصرف بأوحد الدين عبد الواحد بن اسماعيل بن يس ولزم داره فلم يره أحد ألبتة الى أن مات أوحد الدين فنزل اليه الامير يونس الدوادار واستدعاه فركب بثياب جلوسه من غير خف ولافرجية ولاشاش وصعد الى القلعة فخلع عليه في اليوم الرابع من ذى الحجة سنة ست وثمانين فلما ثار الامير يلبغا الناصري على الملك الظاهر وخلعه من الملك وأقام الملك الصالح حاجي بن الاشرف شعبان بن حسين ولقبه بالملك المنصور ثم خرج الملك الظاهر برقوق من محبسه بالكرك وسار الى محاربة الامير تمربغا منطاش ومعه المنصور حاجى فخرج ابن فضل الله فلما انهزم منطاش على شقحب واستولى برقوق على المنصور والخليفة والقضاة والخزائن وكان ابن فضل الله وأخوه عز الدين فى من فرّ مع منطاش الى دمشق فأقام بها واستولى برقوق على تخت الملك بقلعة الجبل فولى علاء الدين علىّ بن عيسى الكركي كتابة السر وأخذ ابن فضل الله يتحيل فى الخروج من دمشق وسير الى السلطان مطالعة فيها من شعره

يقبل الارض عبد بعد خدمتكم * قد مسه ضرر مامثله ضرر
حصر وحبس وترسيم أقام به * وفرقة الاهل والاولاد والفكر
لكنه والورى مستبشرون بكم * يرجو بكم فرجا يأتى وينتظر
والشغل يقضى لان الناس قد ندموا * اذ عاينوا الجور من منطاش ينتشر
جوزوا كما فرطوا فى حقكم ورأوا * ظلما عظيما به الا كباد تنفطر
والله ان جاءهم من بابكم أحد * قاموا لكم معه بالروح وانتصروا
الله ينصركم طول المدا أبدا * يامن زمانهم من دهرنا غرر

قدم الى القاهرة ومعه أخوه عز الدين حمزة وجمال الدين محمود القيصرى ناظر الجيش وتاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر وشمس الدين محمد بن الصاحب فما زال في داره الى أن سافر الملك الظاهر الى بلاد الشام في سنة ثلاث وتسعين فتقدم أمره اليه بالمسير مع العسكر فسار بطالا وقدر الله تعالى ضعف علاء الدين الكركي فولاه كتابة السر وصرف الكركي في شوال وكانت هذه ولاية ثالثة فباشر وتمكن هذه المرة من سلطانه تمكنا زائدا الى أن سافر السلطان الى البلاد الشامية في سنة ست وتسعين فمات بدمشق يوم الثلاثاء لعشرين من شوال سنة ست وتسعين وسبعمائة ودفن بتربتهم بسفح قاسيون ومات أخوه

حمزة بدمشق أيضاً في أوائل المحرم سنة سبع وتسعين وسبعمائة ودفن بها وانقطع بموتهما هذا البيت فلم يبق من بعدهما الا كما قال الله سبحانه فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * ومن شعر البدر محمد بن فضل الله ما كتبه عنواناً لكتاب الملك الظاهر برقوق جوابا عن كتاب تمرلنك الوارد الى مصر في سنة ست وتسعين وسبعمائة وعنوانه

سلام واهداء السلام من البعد * دليل على حفظ المودة والعهد

فافتتح البدر العنوان بقوله

طويل حياة المرء كاليوم فى العد * نخبرته أن لايزيد على العد
فلا بد من نقص لكل زيادة * لان شديد البطش يقتص للعبد

وكتب فيه من شعره أيضاً جواباً عن كثرة تهديد تمرلنك وافتخاره

السيف والرمح والنشاب قدعلمت * منا الحروب فسل منها تلبيكا
اذا التقينا تجد هذا مشاهدة * في الحرب فاثبت فأمر الله آتيكا
بخدمة الحرمين الله شرفنا * فضلا وماكنا الامصار تمليكا
وبالجميل وحلو النصر عودنا * خذ التواريخ واقرأها فتنبيكا
والانبياء لنا الركن الشديد وكم * بجاههم من عدو راح مفكوكا
ومن يكن ربه الفتاح ناصره * ممن يخاف وهذا القول يكفيكا

(وقال)

اذا المرء لم يعرف قبيح خطيئة * ولا الذنب منه مع عظيم بليته
فذلك عين الجهل منه مع الخطا * وسوف يرى عقباه عند منيته
وليس يجازى المرء الا بفعله * وما يرجع الصياد الا بنيته

وهذه الدار كانت موجودة قبل بنى فضل الله وتعرف بدار بيبرس فعمر فيهامحي الدين وابنه علاء الدين وكانت من أبهج دور القاهرة وأعظمها وما زالت بيد أولاد بدر الدين وأخيه عز الدين حمزة الى أن تغلب الامير جمال الدين على أموال الخلق فأخذ ابن أخيه الامير شهاب الدين أحمد الحاجب المعروف بسيدي أحمد ابن أخت جمال الدين دار بنى فضل الله منهم كما أخذ خاله دور الناس وأوقافهم وعوض أولاد ابن فضل الله عنها وغير كثيرا من معالمها وشرع في الازدياد من العمارة اقتداء بخاله فأخذ دوراكانت بجوار مستوقد حمام ابن عبود المقابلة لدار ابن فضل الله واغتصب لها الرخام والاحجار والاخشاب وهدم عدة دور وكثيرا من الترب بالقرافة منها تربة الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكانت عجيبة البناء وأدخل ذلك في عمارته المذكورة ووسع فيها من جهة البندقانيين ما كان خرابامنذ

الحريق الذي تقدم ذكره وأنشأ من هناك حوض ماء يشرب منه الدواب فلما قارب ا كمالها قبض الملك الناصر فرج على خاله جمال الدين يوسف استادار وقتله وكان أحمد هـذا ممن قبض عليه معه فوضع الامير تغرى بردى وهو يومئذ أجل أمراء الناصر يده على هذه الدار وما رضى بأخذها حتى طلب كتابها فاذا به قد تضمن أن احمد قد وقف هذه الدار فـلم يزل بقضاة العصر حتى حكموا له بهذه الدار وجعلوها له بطريق من طرقهم فأقام فيها حتي أخرجه الناصر لنيابة دمشق في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة فنزل بها الامير دمرداش فلما قتل الناصر وقام من بعده الملك المؤيد شيخ وقبض على الامير دمرداش ثارت ابنة جمال الدين وهي امرأة أحمد المذكور ولها منه أولاد وأرادت استرجاع الدار كما فعلت في مدرسة أبيها وكان لها ولورثة تغري بردي مخاصمات واستقرت لبنى تغرى بردى * (دار بيبرس) هذه الدار فيما بين دار ابن فضل الله والسبع قاعات فى ظهر حارة زويلة وقريبة من سويقة المسعودى تشبه أن تكون من جملة اصطبل الجميزة كانت دار الشريف بن تغلب صاحب المدرسة الشريفية برأس حارة الجودرية ثم عرفت بالامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فانه كان يسكنها وهو أمير قبـل أن يلى السلطنة وجدد رخامها من الرخام الذى دل عليـه الامير ناصر الدين محمد بن الامير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح بالقصر الذى عرف بقصر أمير سلاح من جملة قصر الخلفاء كما سيأتى خبر ذلك عند ذكر الخانقاة الركنية بيبرس فان بيبرس هذا هو الذى أنشأها ولم تزل الى أن هدمها ناصر الدين محمـد بن البارزى الحموي كاتب السر بعد ما اشتراها نقضاً كما اشترى غيرها من الاوقاف وذلك في سنة احدى وعشرين وثمانمائة * (السبع قاعات) هذه الدار عرفت بالسبع قاعات وهي يتوصل اليها من جوار دار بيبرس المذكورة ومن سويقة الصاحب وقد صارت عدة مساكن جليلة ومكانها من جملة اصطبل الجميزة أنشأها الوزير الصاحب علم الدين بن زنبور ووقفها من جملة ما وقف فلما قبض عليه الامير صرغتمش حل أوقافه ووعد بالسبع قاعات خوند قطلوبنك ابنة الامير تنكز الحسامى نائب الشام أم السلطان الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون ولقنه الشريفان شرف الدين على بن حسين بن محمد نقيب الاشراف وأبو العبـاس الصفراوي أن الناصر لما قبض على كريم الدين الـكبير بعث الى كريم الدين من شهد عليه أن جميع ما صار بيده من الاملاك وقفها وطلقها انما هو من مال السلطان دون ماله وشهد بذلك عند قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فأثبت بهذه الشهادة أن أملاك كريم الدين جارية في أملاك السلطان فأقر السلطان ما وقفه كريم الدين منها على حاله وسماه الوقف الناصرى فلما جلس السلطان الملك الصالح بدار العدل و حضر قاضى القضاة والامراء وغيرهم من أهـل الدولة على العادة تكلم الامير صرغتمش مع قاضى القضاة عز الدين عبـد العزيز بن بدر الدين

محمد بن جماعة في حل أوقاف ابن زنبور فانها ملك السلطان ومن ماله اشتراها وذكر قضية كريم الدين فأجابه بأن تلك القضية كانت صحتها مشهورة وذلك أن خزائن السلطان وحواصله وأمواله كلها كانت بيد كريم الدين وفي داره يتصرف فيها على مايختاره جعل له السلطان بتوكيله والاذن له في التصرف بخلاف ابن زنبور فانه كان يتصرف في ماله الذى اكتسبه من المتجر وغيره مما وقفه وثبت وقفه وحكم قضاة الاسلام بصحته لاسبيل الى حله وساعده في ذلك القاضى موفق الدين عبد الله الحنبلي وتردد الكلام بينهما في ذلك فاحتج عليهما الامير صرغتمش بما لقناه الشريفان من مشاطرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عماله وأخذه من كل عامل نصف ماله وان مال الوزير جميعه من مال السلطان فقال له ابن جماعة ياأمير ان كنت تبحث معنا في هذه المسئلة بحثنا معك وان كان أحد قد ذكرها لك فليحضر حتى نبحث معه فيها فان الذى ذكر لك هذه المسئلة انما قصد أن تصادر الناس وتأخذ أموالهم فوافقه رفقته الثلاثة قضاة على قوله وأراد ابن جماعة بقوله هذا التعريض بالشريفين وكان اختصاصهما بالامير صرغتمش وقيامهما على ابن زنبور مشهورا فشق هذا على الامير صرغتمش وانفض المجلس وقد اشتد حنقه لما رد عليه من كلامه وعورض فيه من مراده فبعثت خوند أم السلطان الى ابن جماعة تعرفه ماوعدت به من مصير السبع قاعات اليها وأكدت عليه في أن لايعارضها في حل أوقاف ابن زنبور فأجابها بتقبيح هذا وخوفها سوء عاقبته فكفت عنه ولقوة غيظ الامير صرغتمش مرض مرضا شديداً من انفتاح صدره ونفثه الدم حتى خيف عليه الموت ثم عوفي بعد ذلك بأيام وذلك كله في سنة أربع وخمسين وسبعمائة واستمرت السبع قاعات وقفاً بيد ذرية ابن زنبور الى يومنا هذا الا ان الامير صرغتمش المذكور أخذ رخامها ووجد فيها شيئاً كثيراً من صيني ونحاس وقماش وغير ذلك قد أخفي في زواياها * (علم الدين) عبد الله بن تاج الدين أحمد ابن ابراهيم المعروف بابن زنبور أول ماباشر به استيفاء الوجه القبلي شريكالوهب بن سنجر وطلع صحبته الامير علم الدين عبد الرزاق كاشف الوجه القبلي ونهض فيه فلما كانت مصادرة ابن الجيعان كاتب الاصطبل طلب السلطان سائر الكتاب وكان منهم ابن زنبور فعرضهم ليختار منهم فشكر الفخر ناظر الجيش منه وقال هو ولد تاج الدين رفيقه وشكره الاكوز فلما انفض المجلس طلبه وخلع عليه فباشر نظر الاصطبل في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ونال فيه سعادة طائلة واستمر الى أن مات السلطان الملك الناصر محمد وحكم الامير ايدغمش فباشر استيفاء الصحبة فلما قبض على جمال الكفاة ناظر الخاص وناظر الجيش وعلى الموفق ناظر الدولة وعلى الصفى ناظر البيوت المعروف بكاتب قوصون في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ومات جمال الكفاة في العقوبة يوم الاحد سادس شهر ربيع الاول عين ابن زنبور

لوظيفة نظر الخاص ثم قرر فيها القاضى موفق الدين هبة الله بن ابراهيم ناظر الدولة وكان ابن زنبور وهو مستوفى الصحبة قد سيره جمال الكفاة قبل القبض عليه لكشف القلاع الشامية ومعه جارا كتمر الحاجب ابعادا له وكان الامير أرغون العلائى يعنى به فلما قبض على جمال الكفاة تحدث له العلائى مع السلطان الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون في نظر الخاص فبعث في طلبه ثم لم يحضر الا بعد شهر فتحدث الوزير نجم الدين محمود بن على المعروف بوزير بغداد مع السلطان فى ولاية الموفق نظر الخاص فخلع عليه وحضر ابن زنبور من الشام فباشر نظر الدولة علم الدين بن سهلوك وابن زنبور على ما هى عادته فى استيفاء الصحبة ونهض في المباشرة وحصل الاموال ودخل هو والوزير نجم الدين وشكيا توقف الدولة من كثرة الانعامات والاطلاقات للخدم والجوارى ومن يلوذ بهم فتقرر الحال مع الامراء على كتابة أوراق بكلفة الدولة فلما قرئت بحضر من الامراء بلغت الكلف ثلاثين ألف ألف درهم والمتحصل خمسة عشر ألف درهم فابطل ما استجد بعد موت الملك الناصر بأسره فلم يستمر غير شهر واحد حتى عاد الامر على ما كان عليه بحيث بلغ مصروف الحوائج خاناه في كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم بعد ما كانت في أيام الناصر محمد ثلاثة عشر ألف درهم فلما مت الملك الصالح اسماعيل وأقيم فى الملك من بعده أخوه الملك الكامل سيف الدين شعبان بن محمد صرف الموفق عن نظر الخاص ونقل ابن زنبور من استيفاء الصحبة اليها واستقر فخر الدين السعيد في استيفاء الصحبة وذلك فى ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة فباشر ذلك الى اخريات رجب نيفا وثمانين يوما فولى الملك الكامل نظر الخاص لفخر الدين ابن السعيد مستوفى الدولة وأعاد ابن زنبور من نظر الخاص الى استيفاء الدولة فلما كان في المحرم سنة سبع وأربعين اعيد نجم الدن وزير بغداد الى الوزارة وقرر ابن زنبور في نظر الدولة فاستمر الى أن قتل الكامل شعبان وأقيم فى الملك من بعده أخوه الملك المظفر حاجي في مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين فطلب ابن زنبور وأعيد الى نظر الخاص وقبض على فخر الدين بن السعيد وطولب بالحمل وأضيف اليه نظر الجيش فباشر ذلك الى سنة احدى وخمسين فاضيف اليه الوزارة في يوم الخميس سابع عشري ذى القعدة وخلع عليه وكان له يوم عظيم جدا فلما كان يوم السبت جلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة في دست الوزارة واستدعى جميع المباشرين وطلب المقدم ابن يوسف وشد وسطه على ما كان عليه وطاب المعاملين وسلفهم على اللحم وغيره واستكتب المباشرين انه لم يكن في بيت المال ولا الاهرا من الدراهم والغلال شىء ألبتة ودخل بها وقرأها على السلطان والامراء وشرع في عرض أرباب الوظائف كلهم وطلب حساب الاقاليم بأسرها وولى صهره فخر الدين ماجد فرويتة نظر البيوت

وأنفق جامكية شهر وحمل الرواتب الى الدور السلطانيـة والاسمطة من السكر والزيت والقـلوبات وغـير ذلك وأقام بكتمر المومني في وظيفـة شد الدواوين وألزم نفسه في المجلس السلطاني بحضرة الامراء انه يباشر الوزارة بغير معلوم وقرر ابنه في ديوان المماليك والتزم انه لايتناول معلوما بل يوفر المعـلومين للسلطان وابطل رمى الشعير والبرسيم من بلاد مصر وكان يحصل برميها ضرر كبير فان ذلك كان يحصل من سائر البـلاد فيغرم على كل اردب أكثر من ثمنـه والتزم بتكفية بيت المال من الشعير والبرسيم بغـير ذلك فبطل على يديه وكتب به مرسوم وكتب نقشا على حجر في جانب باب القلة من قلعـة الجبل وأمر بقيـاس أراضى الجـيزة فجاء زيادتها عن الارتفـاع الذي مضى ثلثمائة ألف درهم وعنها خمسة عشر ألف دينار فلم يزل الى سابع عشرى شوال سـنة ثلاث وخمسين وسبعمائة فاحيط به وقبض عليه حسدا له على ما صار اليـه ولم يجتمع لغيره في الدولة التركية وتولى القيام عليه الامير صرغتمش لانه علم أنه من جهة الامير شيخو ويقوم له بجميع ما يختاره وأعانه عليـه الاميرطاز وما زال يدأب في ذلك الى أن عاد السطان الملك الصالح من دمشق في يوم الاثنين خامس عشرى شوال سـنة ثلاث وخمسين وسبعمائة الى قلعة الجبل وعمل يوم الخميس سماطا مهما في القلعـة ولما انفض السماط خلع على سائر أرباب الوظائف من الامراء وعلى الوزير وسائر المباشرين فاتفق لما قدره الله تعالى أنه حضر الى الامير صرغتمش وهو يومئـذ رأس نوبة عشر تشريف غير تشريفه ودون رتبتـه فاخذه ودخل الى الامير شيخو وألقى البقجة قدامه وقال انظر فعل الوزير معى وكشف الخلعة فقال شيخو هـذا غلط فقام وقد أخذه من الغضب شبه الجنون وقال هـذا شغل الوزير وأنا ما أصبر على ان أهان لهذا الحد ولا بد لى من القبض عليه ومهما شئت أنت افعل بى وخرج فاذا الوزير داخل لشيخو وعليه خلعة فصاح في مماليكه خذوه فكشفوا الخلعة عنه وسحبوه الى بيت صرغتمش وسرح مماليكه في القبض على جميع حاشية الوزير فقبض على سائر من يلوذ به لانهم كانوا قد اجتمعوا بالقلعـة وخالطت العـامة المماليك في القبض على الـكتاب وأخذوا منهم في ذلك اليوم شيئاً كثيرا حتى ان بعض الغلمان صار اليه في ذلك اليوم سـتة عشر دواة من دوي الـكتاب فلم يمكن منها أربابها الا بمال يأخذه على كل دواة ما بين عشرين الى خمسين درهما وأما ما سلبوه من العمائم والثياب والمهاميز الفضة فشيء كثير وخرج الامير قشتمر الحاجب وغيره في جماعة الى دوره التى بالصوصة من مصر فأوقعوا الحوطة على حريمـه وأولاده وختموا سائر بيوته وبيوت حواشيه وكانوا قد اجتمعوا وتزينوا لقدوم رجالهم من السفر وأنزل الوزير في مكان مظلم من بيت صرغتمش فلمـا أصبح طلب ولد الوزير وصار به صرغتمش الى بيت أبيه وأحضر أمه ليعاقبـه وهى تنظره حتى يدلوه على المال ففتحوا له

خزانة وجد فيها خمسة عشر ألف دينار وخمسين ألف درهم فضة وأخرج من بئر صندوق فيه ستة آلاف دينار وشيء من المصالح وحضرت أحماله من السفر فوجد فيها ستة آلاف دينار ومائة وخمسون ألف درهم فضة وغير ذلك من تحف وثياب وأصناف وألزم والى مصر باحضار بناته فنودي عليهن في مصر والقاهرة وهجمت عدة دور بسببهن ونال الناس من نكاية أعدائهم في هذه الكائنة كل غرض فانه كان الرجل يتوجه الى أحد من جهة صرغتمش ويرمى عدوه بأن عنده بعض حواشى ابن زنبور فيؤخذ بمجرد التهمة ولقى الناس من ذلك بلاء عظيما ثم حمل الى داره وعرى ليضرب فدل على مكان استخرج منه نحو من خمسة وستين ألف دينار فضرب بعد ذلك وعريت زوجته وضرب ولده فوجد له شيء كثير الى الغاية قال الصفدى خليل بن ايبك الملقب صلاح الدين في كتاب أعيان العصر وأما ما أخذ منه في المصادرة فى حال حياته فنقلت من خط الشيخ بدر الدين الحمصى في ورقة بخطه على ما أملاه القاضى شمس الدين محمد البهنسى أوانى ذهب وفضة ستون قنطارا جوهر ستون رطلا لؤلؤ أردبان ذهب مصكوك مائتا ألف وأربعة آلاف دينار ضمن صندوق ستة آلاف حياصة ضمن صناديق زركش ستة آلاف كلوته ذخائر عدة قماش بدنه ألفان وستمائة فرجية بسط (٣) آلاف صنجة دراهم خمسون ألف درهم شاشات ثلثمائة شاش دواب عاملة سبعة آلاف حلابة ستة آلاف خيل وبغال ألف دراهم ثلاثة ارادب معاصر سكر خمسة وعشرون معصرة اقطاعات سبعمائة كل اقطاع خمسة وعشرون ألف درهم عبيد مائة خدام ستون جوارى سبعمائة أملاك القيمة عنها ثلاثمائة ألف دينار مراكب سبعمائة رخام القيمة عنه مائتا ألف درهم نحاس قيمته اربعة آلاف دينار سروج وبدلات خمسمائة مخازن ومتاجر أربعمائة ألف دينار نطوع سبعة آلاف دواب خمسمائة بساتين مائتان سواقي ألف وأربعمائة وكان في وقت القبض عليه اشد الناس قياما في افساد صورته الشريف شرف الدين على بن الحسين نقيب الاشراف والشريف أبو العباس الصفراوى وبدر الدين ناظر الخاص وأمين الدين والصوّاف واستادار الامير صرغتمش فأول ما فتحوه من أبواب المكايد أن حسنوا لصرغتمش أن يأمره بالاشهاد عليه أن جميع ماله من الاملاك والبساتين والاراضى الوقف والطلق جميعها من مال السلطان دون ماله فصير اليه ابن الصدر عمر وشهود الخزانة فاشهد عليه بذلك ثم كتبوا فتيى في رجل يدعى الاسلام ويوجد في بيته كنيسة وصلبان وشخوص من تصاوير النصارى ولحم الخنزير وزوجته نصرانية وقد رضى لها بالكفر وكذلك بناته وجواريه وانه لا يصلى ولا يصوم ونحو ذلك وبالغوا في تحسين قتله حتى قالوا لصرغتمش والله لو فتحت جزيرة قبرص ما كتب لك اجر من الله بقدر ما يؤجرك الله على ما فعلته مع هذا فاخرج في باشا وزنجير وضرب في رحبة

قاعة الصاحب من القلعة بالمقارع وتوالت عقوبته وأسلم لشاد الدواوين ليعاقبه حتى يموت فقام الامير شيخو فى أمره فرده صرغتمش الى داره وأكرمه وأقام عنده الى سابع عشرى المحرم سنة أربع وخمسين فاخرجه من داره وتسلمه شاد الدواوين وعاقبه عقوبة الموت فى قاعة الصاحب فاتفق ركوب الامير شيخو من داره الى القلعة وابن زنبور يعاقب فغضب من ذلك ووقف ومنع من ضربه وبلغ الخبر صرغتمش فصعد الى القلعة وجرى له مع شيخو عدة مفاوضات كادت تفضى الى فتنة وآل الامر فيها الى تسفير ابن زنبور الى قوص فأخرج من ليلته وكانت مدة شدته ثلاثة أشهر وأقام بمدينة قوص الى ان عرض له مرض اقام به احد عشر يوما ومات يوم الاحد سابع عشر ذي القعدة سنة أربع وخمسين وسبعمائة وله بالقاهرة السبيل الذى على يسرة من دخل من باب زويلة بجوار خزانة شمائل وقد دخل في الجامع المؤيدي * (دار الدوادار) هذه الدار فيما بين حارة زويلة واصطبل الجميزة وهى اليوم من جملة خط السبع قاعات عرفت (٣) * (دار فتح الله) هذه الدار اليوم بخط سويقة المسعودي كان موضعها زقاقا يعرف بزقاق البنادة وفيه باب قاعة انشأها سعد الدين ابراهيم بن عبد الوهاب بن النجيب أبى الفضائل الميمونى أحد مباشري ديوان الجيش وهي قاعة في غاية الملاحة من جودة رخام وكثرة دهان وحسن ترتيب ومات الميمونى في ثانى ذى الحجة سنة خمس وتسعين وسبعمائة فسكنها فتح الله بن معتصم وهو يومئذ رئيس الاطباء فلما ولى كتابة السر شره الى العمارة فأخذ مافي الزقاق المذكور من الدور شيئاً بعد شيء وأخرج منها سكانها وهدمها وابتني قاعة تجاه قاعة الميمونى وجعل فيها بئرا وفسقية ماء وبنى بها حماما ثم انشأ اصطبلا كبيرا لخيوله ولم يقنع بذلك حتي حمل القضاة على الحكم له باستبدال دار الميمونى وكانت وقفا على أولاد الميمونى ومن بعدهم على الحرمين فعمل له طرق فى جواز الاستبدال بها على ما صار القضاة يعتمدونه منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فلما تم حكم القضاة له بتملكها غير بابها وزاد في سعتها وأضاف اليها عدة مواضع مما كان بجوارها وغرس في جانبها عدة اشجار وزرع كثيرا من الازهار التي حملت اليه من بلاد الشام وبالغ في تحسين رخام هذه الدار وانشأ دهيشة كبسة الى الغاية بوسطها فسقية ماء يخرط اليها الماء من شاذروان عجيب الصنعة بهج الزي وتشرف هذه الدهيشة على هذه الجنينة التي أبدع فيها كل الابداع وركب علو هذه القاعة الاروقة العظيمة وبنى بجوارها عدة مساكن لمماليكه ومسجدا معلقا كان يصلى فيه وراء امام راتب قرره له بمعلوم جار فجاءت هذه الدار من اجل دور القاهرة وابهجها ووقف ذلك كله مع اشياء غيرها على تربته التي انشأها خارج باب البرقية وعلى عدة جهات من البر فلما نكب اكره حتي رجع عن وقف هذه الدار على ما عينه في كتاب وقفه وجعلها وقفا

على أولاد السلطان الملك المؤيد شيخ فلما مات المؤيد عاد ذلك الى وقف فتح الله * (فتح الله) ابن معتصم بن نفيس الاسرايلى الداودى العنانى التبريزى رئيس الاطباء وكاتب السر ولد بتبريز فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة وكان قد قدم جده نفيس الى القاهرة في سنة اربع وخمسين فأسلم وعظم بين الناس ثم قدم فتح الله مع ابيه فنشا بالقاهرة في كفالة عمه ونظر في الطب وعاشر الفقهاء واتصل بصحبة بعض الامراء فعرف منه احد مماليكه وكان يسمى بشيخ فلما تأمر شيخ قربه وأنكحه أمة وفوض اليه أمر ديوانه ثم مات عمه بديع بن نفيس فأقره الملك الظاهر برقوق مكانه في رياسة الاطباء فباشرها مباشرة مشكورة واختص بالملك الظاهر برقوق اختصاصا كبيرا فلما مات بدر الدين محمود الكلساني قلده وظيفة كتابة السر وخلع عليه في يوم الاثنين حادى عشر جمادى الاولى سنة احدى وثمانمائة ومات الظاهر وقد جعله أحد أوصيائه فما زال الى أوائل ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة فقبض عليه واستقر بدله في كتابة السر سعد الدين ابراهيم بن غراب وضرب حتى حمل مالا ثم أفرج عنه فلزم داره الي شهر رمضان فحمل الى دار الوزير فخر الدين ماجد بن غراب وألزم بمال آخر فحمله واطلق فقام الامير جمال الدين يوسف الاستادار في امره وما زال بالملك الناصر فرج الى أن اعاده الى كتابة السر في أوائل ذي الحجة فاستقر فيها وتمكن من اعدائه وأراه الله مصارعهم واتسعت أحواله وانفرد بسلطانه وانيط به جل الامور فاصبح عظيم المصر نافذ الامر قائما بتدبير الدولة لا يجد أحد من عظماء الدولة بدا من حسن سفارته وابدا للناس دينا وخيرا وتواضعا وحسن وساطة بين الناس وبين السلطان فلما كان من أمر الناصر وهزيمته على اللجون ما كان وقع فتح الله مع الخليفة المستعين بالله العباسى ابن محمد المتوكل على الله وعدة من كتاب الدولة في قبضة الامير ابن شيخ ونوروز وما زال عندهما حتى قتل الناصر وأقيم من بعده أمير المؤمنين المستعين بالله وهو على حاله من نفوذ الكلمة وتدبير الامور فلما استبد الامير شيخ بمملكة الديار المصرية واعتقل الخليفة وتلقب بالملك المؤيد شيخ في شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة أقر فتح الله على رتبته ثم قبض عليه يوم الخميس تاسع شوال وعوقب غير مرة واحيط بجميع امواله واسبابه وحواشيه وبيع عليه بعض ما وجد له وحمل ما تحصل منه فبلغ ما ينيف عن أربعين ألف دينار سوي ما أخذ مما لم يبع وهو ما يجاوز ذلك وما زال في العقوبة الى أن خنق في ليلة الاحد خامس عشر شهر ربيع سنة ست عشرة وثمانمائة وحمل من الغد الى تربته فدفن بها وكان رحمه الله من خير أهل زمانه رياضة وديانة وطيب مقال وتأله وتنسك ومحبة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن قيام مع السلطان في امر الناس وبه كفى الله عن الناس من شر الناصر فرج شيئاً كثيرا وقد ذكرته بأبسط من هذا في كتابى درر العقود

الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة وفي كتابي خلاصة التبر في أخبار كتاب السر * (دار ابن قرقه) هذه الدار من الدور القديمة وهي بخط سويقة المسعودي الى خط بين السورين وقد تغيرت معالمها قال ابن عبد الظاهر دار ابن قرقه هي الآن سكن الامير صارم الدين المسعودي والى القاهرة باول حارة زويلة من جهة باب الخوخة على يسرة السالك الى داخل الحارة وهي معروفة اليوم والى جانبها الحمام المعروفة بابن قرقه أيضا وهذه الدار والحمام أنشأهما أبو سعيد بن قرقه الحكيم وباعهما في حال مصادرته مما خرج عليه فابتاعهما منه علم السعداء ثم سكنها الكامل ابن شاور وهما من جهة الخليج انتهى وهذه الدار والحمام قد هدمتا وصار موضع الدار الجامع المعروف بجامع ابن المغربي برأس سويقة الصاحب وما يجاوره من دور ابن أبي شاكر وآخر ما بقي منها شيء هدمه الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبي شاكر في رمضان سنة أربع وتسعين وسبعمائة *(وابن قرقه)* هذا كان يتولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح وكان ماهرا في علم الطب والهندسة ونحو ذلك من علوم الاوائل وقتله الخليفة الحافظ لدين الله من أجل انه دبر السم لابنه حسن بن الحافظ عند ما ثار الجند وطلبوا من الخليفة قتل ابنه حسن كما تقدم ذكره فلما سكنت الدهماء قبض عليه الخليفة واعتقله بخزانة البنود وقتله في سنة تسع وعشرين وخمسمائة *(دار خوند) هذه الدار من حقوق حارة زويلة عرفت بالست الجليلة خوندار دوتكين ابنة نوغية السلاح دار الططرى تزوج بها الملك الاشرف خليل بن قلاون ومات عنها فتزوجها من بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاون وولدت منه ولدين وماتا ثم طلقها ونزلت من القلعة فسكنت هذه الدار وأنشأت لها تربة بالقرافة تعرف الآن بتربة الست وجعلت لها عدة أوقاف وكانت من الخير على جانب عظيم لها معروف وصدقات واحسان عميم وماتت ولها ما ينيف على الالف ما بين جارية وخادم اعتقتهم كلهم وخلفت اموالا تخرج عن الحد في الكثرة وكانت وفاتها في ليلة السبت ثالث عشري المحرم سنة أربع وعشرين وسبعمائة ودفنت بتربتها فتقدم أمر السلطان للامراء والقضاة لشهود جنازتها وحمل ما تركته من الاموال والجواهر وطلب أخوها جمال الدين خضر بن نوغية وصولح على ارثه منها بمائة وعشرين ألف درهم عنها يومئذ سبعة آلاف دينار ولم تزل هذه الدار الى ان هدمت فأخذها الامير صلاح الدين محمد استادار السلطان ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله في شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة وأدخلها في داره التي أنشأها فجاءت من أجل دور القاهرة *(دار الذهب) هذه الدار خارج القاهرة فيما بين باب الخوخة وباب سعادة بناها الافضل أبو القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي وكان فيما بين باب القنطرة وباب الخوخة منظرة اللؤلؤة التي تقدم ذكرها عند ذكر مناظر

الخلفاء ويجاورها من حيز باب الخوخة دار الفلك وبناها فلك الملك أحد الاستاذين الحاكمية ويلاصقها دار الذهب هذه ويجاور دار الذهب دار الشابورة ودار الذهب عرفت اخيرا بدار الامير بهادر الاعسر شاد الدواوين ثم الآن عرفت بدار الامير الوزير المشير الاستادار فخر الدين عبد الغنى ابن الامير الوزير الاستادار تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج الارمنى الاصل وعني بها وهدم كثيرا من الدور التي كانت تجاهها على بر الخليج الشرقي وانشأ هناك دارا يتطرق اليها من هـذه الدار بساباط وأنشأ بجوارها جامعه الآتى ذكره وحمامه ثم هدم كثيرا من الدور التي كانت على الخليج وما وراءها بتلك الاحكار التي في الجانب الغربى من الخليج وغرس في أراضى تلك الدور الاشجار وجعلها بستانا تجاه داره فمات قبل أن تكمل وصار اكثر مواضع الدور التي خربها هناك كيمانا *(دار الحاجب) خارج باب النصر تجاه مصلى الاموات هـذه الدار أنشأها الامير سيف الدين كهرداش المنصورى أحد المماليك الزراقين وهو الذى فتح جزيرة ارواد في المراكب المتوجهة الى بلاد الفرنج وتولى عمارة مأذنة المدرسة المنصورية لما تهدمت في الزلزلة وتقدم وكثرت أمواله ومات بدمشق في سنة أربع عشرة وسبعمائة فاشترى هذه الدار الامير سيف الدين بكتمر الحاجب ولم تزل بها ذريته من بعد الامير جمال الدين عبـد الله بن بكتمر والامير ناصر الدين محمد بن عبد الله وبها الآن ولدا الامير ناصر الدين وهما الامير على وعبد الرحمن وما برح هذا البيت فيه الامرة والسعادة *(بكتمر الحاجب) الامير سيف الدين كان أميرا خور ثم ولى شد الدواوين بدمشق في نيابة الافرم ولم يكن لاحـد معه كلام في عزل ولا ولاية ثم ولى الحجوبية وتوجه الى صفد كاشفا على الامير ناهض الدين عمر بن أبى الخـير والى الولاة وشاد الدواوين بها ومعه معين الدين بن حشيش فحرر الكشف ورفعه حتى قال فيه زين الدين عمر بن حلاوات موقع صفد

يا قاصدا صفدا فعد عن بلدة * من جور بكتمر الامير خراب
لا شافع تغني شفاعته ولا * جان له مما جناه متاب
حشر وميزان ونشر صحائف * وجرائد معروضة وحساب
وبها زبانية تحث على الورى * وسلاسل ومقامع وعقاب
ما فاتهم من كل ما وعدوا به * في الحشر الا راحم وهاب

ولما قدم الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك الى دمشق ولاه الحجوبية ودخل في خدمتـه الى مصر وهو حاجب ثم أخرجه ثانيا نائبا الى غزة في سنة عشر وسبعمائة فأقام بها قليلا وطلبه وولاه الوزارة بالديار المصرية عوضا عن الصاحب فخر الدين بن الخليلى فى رمضان سنة عشر فباشر الوزارة الى أن قبض عليه مستهل ربيع الاول سنة

خمس عشرة واعتقل مدة سنة ونصف وأخذ كثير من ماله ثم أفرج عنه وأخرج الى صفد نائباً في سنة ست عشرة وأنعم عليه بمائة ألف درهم عنها يومئذ خمسة آلاف دينار فاقام بها عشرة أشهر وطلب الى مصر فصار من الامراء المشهورة فاذا تكلم السلطان في المشورة لا يرد عليه غيره لما عنده من المعرفة والخبرة وتزوج بابنة الامير جمال الدين اقوش المعروف بنائب الكرك وأولاده الذين ذكرنا منها وسرق له مال كثير من خزانته بهذه الدار ادعي انه مبلغ مائة ألف درهم وكان في الباطن على ما قيل سبعمائة ألف درهم فما جسر يتفوه خوفا من السلطان وكان اذ ذاك والى القاهرة الامير سيف الدين قدادار المنسوب اليه القنطرة على الخليج فتقدم أمر السلطان اليه بتتبع من سرق المال فدس اليه الامير بكتمر الساقي والوزير مغلطاى الجمالى والقاضى فخر الدين ناظر الجيش فى السر أن يتهاون في امر السرقة نكاية لبكتمر وأخذوا يحتجون لكل من اتهم ويقولون للسلطان لعن الله ساعة هذه العملة كل يوم يموت من الناس تحت المقارع عدة والى متي يقتل المتهم الذي لا ذنب له فلما طال الامر شكا بكتمر الى السلطان في دار العدل فأحضر الوالى وسبه السلطان فقال ياخوند اللصوص الذين امسكتهم وعاقبتهم اقروا أن سيف الدين بخشى خزنداره اتفق معهم على اخذ المال وجماعة من الزامه الذين في بابه فقال السلطان للجمالى الوزير احضر هؤلاء المذكورين وعاقبهم فأخذ بخشى وعمره وكان عزيزا عند بكتمر قد زوجه بابنته وهو يثق بعقله ودينه وأمانته فشق ذلك عليه واغتم غما شديدا مات منه فجأة فيما بين الظهر الى العصر من يومه سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وكان خبيرا بالامور بصيرا بالحوادث طويل الروح فى الكلام لا يمل من تطويله ولو قعد في الحكم الواحد بين الامير واليهودى ثلاثة أيام ولا يلحقه من ذلك سآمة ألبتة مع معرفة تامة وخبرة بالسياسة لم ير مثله في حق أصحابه لكثرة تذكرهم في غيبتهم والفكر فى مصالحهم وتفقد أحوالهم ومن جفاه منهم عتب عليه وكان سمحا بجاهه بخيلا بماله الى الغاية ساقط الهمة في ذلك وله متاجر وأملاك وسعادة لا تكاد تحصر ومع ذلك فله قدور يكريها اصلاقي الفول والحمص وغير ذلك من العدد والآلات ويماحك على أجرها مماحكة يستحى من ذكرها وأنشأ عدة دور واقتني كثيرا من البساتين وولي من بعده ابنه الامير جمال الدين عبد الله الامرة وكان حاجبا ولابيه فى سيرة البخل والحرص الشديد تابعا ومقلدا وتولى امرة الحاج غير مرة وخرج فى سنة ست وثمانين وسبعمائة من القاهرة لولاية كشف الجسور بالغربية فورد عليه كتاب السلطان الملك الظاهر برقوق بالانكار وفيه تهديد مهول فداخله الخوف ومرض فحمل في محفة الى القاهرة فدخلها يوم الاربعاء النصف من جمادى الاولى من تلك السنة فمات من يومه وأخذ اقطاعه الامير يودى وصار ابنه ناصر الدين أحد

الامراء العشراوات سالكا طريق أبيه وجده في الامساك الي أن مات خامس عشرى شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثمانمائة ودفن بتربتهم خارج باب النصر * (دار الجاولى) هذه الدار من جملة الحجر التى تقدم ذكرها وهي تجاه الخان المجاور لوكالة قوصون أنشأها الامير علم الدين سنجر الجاولى وجعلها وقفاً على المدرسة المعروفة بالجاولية بخط الكبش جوار الجامع الطولونى وعرفت في زماننا بقاعة البغادّدة لسكنى عبد الصمد الجوهرى البغدادى بها هو وأولاده في سنة سبع وأربعين وسبعمائة الى بعد سنة ست عشرة وثمانمائة وهى من الدور الجليلة الا انها قد تشعثت لطول الزمن * (دار أمير أحمد) هذه الدار بجوار دار الجاولى من غربيها عرفت بأمير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاون وعرفت في زماننا بسكن أبو ذقن ناظر المواريث وهى من جملة مااغتصبه جمال الدين يوسف الاستادار من الدور الوقف وجعلها لاخيه شمس الدين محمد البيرى قاضى حلب وشيخ الخانقاه البيبرسية فغير بابها وشرع في عمارتها فقبض عليه عند القبض على أخيه وهوبها * (دار اليوسفى) هذه الدار بجوار باب الجوانية فيما بينها وبين الحوض المعد لشرب الدواب أنشأهاهي والحوض الامير سيف الدين بها در اليوسفى السلاح دار الناصري * (دار ابن البقرى) هذه الدار أنشأها الوزير الصاحب سعد الدين سعد الله بن البقرى ابن أخت القاضي شمس الدين شاكر بن غزيل البقري صاحب المدرسة البقرية أظهر الاسلام وباشر في الخدم الديوانية الى أن ولاه الملك الظاهر برقوق وظيفة نظر الديوان المفرد ونظر الخاص عوضاً عن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس في ثالث شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فباشر ذلك الى تاسع شهر رمضان سنة خمس وثمانين فقبض عليه ونزل الاميريونس الدوادار والامير قرقماس الخازندار الى داره هذه وأحاط بها وأخذ جميع مافيها من المال والثياب والاوانى والحلى والجوارى وغير ذلك وحمل الى القلعة فبلغ قيمة ماوجد بداره في هذه النوبة مائتي ألف دينار وسلم ابن البقري لشاد الدواوين بقاعة الصاحب من القلعة فضرب بالمقارع نيفاً وثلاثين شيباً وولى موفق الدين أبو الفرج نظر الخاص ثم ان الملك الظاهر لما عاد الي المملكة بعد ثورة الامير يلبغا الناصري والامير تمربغا منطاش عليه وخلعه من الملك وسجنه بالكرك ثم قيامه بأهل الكرك ودخوله الى القاهرة وعوده الى المملكة ولى ابن البقرى الوزارة في يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين وسبعمائة عوضا عن موفق الدين أبي الفرج ثم صرف في يوم الخميس لعشرين من شهر رمضان وأعيد الوزير أبو الفرج وأحيط بدور ابن البقرى وأسلم هو وابنه تاج الدين عبدالله الى الامير ناصر الدين محمد بن اقبغا آص فلما استقر الامير ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدى في الوزارة يوم الثلاثاء سابع عشري ذى الحجة منها عوضا عن الوزير أبي الفرج

اشترط على السلطان أمورا منها استخدام الوزراء المعزولين فجلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة وبعث الى من بالقاهرة من الوزراء المعزولين وهم شمس الدين عبد الله المقسى وعلم الدين عبد الوهاب بن الطنساوي المعروف بسن ابرة وسعد الدين سعد الله بن البقري وموفق الدين أبو الفرج وفخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن ابراهيم بن مكانس فأقر المقسى وسن ابرة معا في نظر الدولة وأقر ابن البقرى ناظر البيوت ومستوفي الدولة وقرر أبا الفرج في استيفاء الصحبة وابن مكانس في استيفاء الدولة شريكا لابن البقرى فكانوا يركبون في خدمته دائما ويجلسون بين يديه وربما وقف ابن البقرى على قدميه بحضرته بعد أن كان ابن الحسام دواداره ولا يزال قائما بين يديه فعد الناس هذا من أعظم المحن التي لم يشاهد في الدولة التركية مثلها وهو أن يصير الرجل خادما لمن كان في خدمته فنعوذ بالله من المحن ثم ان الوزير ابن الحسام قبض على ابن البقرى وألزمه بحمل سبعين ألف درهم ثم أعيد الى الوزارة بعد القبض على الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن موسى بن أبي بكر بن أبي شاكر في ذى القعدة سنة خمس وتسعين وقبض عليه وعلى ولده في حادي عشرى شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وسلما مع عدة من الكتاب لشاد الدواوين ثم أفرج عنهما على حمل مال فلما ولى الامير ناصر الدين محمد بن رجب ابن كلفت الوزارة بعد الوزير أبي الفرج قرر ابن البقرى في نظر الدولة عوضا عن بدر الدين الاقفهسى واستخدم بقية الوزراء كما فعل الوزير ابن الحسام فلما خلع السلطان على الامير ناصر الدين محمد بن تنكز وجعله استادار الاملاك في رجب سنة سبع وتسعين قرر ابن البقري ناظر الاملاك وخلع عليه فصار يحدث في نظر الدولة ونظر الاملاك فلما كان يوم الخميس رابع رجب سنة ثمان وتسعين أعيد الى الوزارة وصرف عنها الامير مبارك شاه ناظر الظاهرى واستقر بدر الدين محمد بن محمد الطوخي في نظر الدولة ثم قبض عليه في يوم الخميس رابع ربيع الاول سنة تسع وتسعين وأحيط بسائر ماقدر عليه من موجوده وولى الوزارة بعده ابن الطوخي وعوقب عقاباً شديداً في دار الامير علاء الدين على بن الطبلاوى ثم أخرج نهارا وهو عار مكشوف الرأس وبيده حبل يجر به وثيابه مضمومة بيده الاخرى والناس تراه من درب قراصيا برحبة باب العيد في السوق الى دار ابن الطبلاوى وقد انهك بدنه من شدة الضرب فسجن بدار هناك ثم خنق فى ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسبعمائة وكان أحد كتاب الدنيا الذين انتهت اليهم السيادة فى كتابة الرسوم الديوانية مع عفة الفرج وجودة الرأى وحسن التدبير الا انه لم يوءت سعدا فى وزارته ومابرح ينكب كل قليل وكان يظهر الاسلام ويكتب بخطه كتب الحديث وغيرها ويتهم فى باطن الامر بالتشدد فى النصرانية وولى ابنه تاج الدين عبد الله الوزارة ونظر

الخاص ومات قتيلا تحت العقوبة عند الامير جمال الدين يوسف الاستادار في سنة ثمان
وثمانمائة ودار ابن البقري هذه من أعظم دور القاهرة وهى من جملة خط حارة الجوانية
في أولها * (دار طولباى) هذه الدار بجوار حمام الاعسر برأس حارة الجوانية تجاه درب
الرشيدى أنشأها الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير ثم عرفت بخوند طولباى الناصرية
جهة الملك الناصر * (طلنباي) ويقال دلية ويقال طلوبية ابنة طفاجي بن هندر بن بكر
ابن دوشى خان ابن جنكزخان ذات الستر الرفيع الخاتونى كان السلطان الملك الناصر محمد
ابن قلاون قدجهز الامير ايدغدى الخوارزمى في سنة ست عشرة وسبعمائة يخطب الى ازبك
ملك التتار بنتا من الذرية الجنكزية فجمع أزبك أمراء التومانات وهم سبعون أميرا وكلمهم
الرسول في ذلك فنفروا منه ثم اجتمعوا ثانيا بعد ماوصلت اليهم هداياهم وأجابوا ثم قالوا
الا أن هذا لايكون الا بعد أربع سنين سنة سلام وسنة خطبة وسنة مهاداة وسنة زواج
واشتطوا في طلب المهر فرجع السلطان عن الخطبة ثم توجه سيف الدين طوخي بهدية
وخلعة لأزبك فلبسها وقال لطوخي قد جهزت لاخي الملك الناصر ما كان طلب وعينت له
بنتا من بيت جنكزخان من نسل الملك ياطرخان فقال طوخي لم يرسلنى السلطان فى هذا
فقال أزبك أنا أرسلها اليه من جهتي وأمر طوخى بحمل مهرها فاعتذر بعدم المال فقال
نحن نقترض من التجار فاقترض عشرين ألف دينار وحملها ثم قال لابد من عمل فرح تجتمع
فيه الخواتين فاقترض مالا آخر نحو سبعة آلاف دينار وعمل الفرح وجهزت الخاتون طلنباى
ومعها جماعة من الرسل وهم بانجار من كبار المغل وطقبغاومنعوش وطرجي وعثمان وبكتمر
وقرطبا والشيخ برهان الدين امام الملك أزبك وقاضى حراى فساروا في زمن الخريف
وأقاموا فلم يجدوا ريحا تسير بهم فأقاموا في بر الروم على مينا ابن مشتا خمسة أشهر وقام
بخدمتهم هو والاشكري ملك قسطنطينية وأنفق عليهم الاشكرى ستين ألف دينار فوصلوا
الى الاسكندرية فى شهر ربيع الاول سنة عشرين وسبعمائة فلما طلعت الخاتون من المراكب
حملت فى خركاة من الذهب على العجل وجرها المماليك الى دار السلطنة بالاسكندرية وبعث
السلطان الى خدمتها عدة من الحجاب وثمانى عشرة من الحرم ونزلت في الحراقة فوصلت
الى القلعة يوم الاثنين خامس عشرى ربيع الاول المذكور وفرش لها بالمناظر فى الميدان
دهليز أطلس معدنى ومد لهم سماط وفى يوم الخميس ثانى عشريه أحضر السلطان رسل أزبك
ووصل رسل ملك الكرج ورسل الاشكرى بتقادمهم ثم بعث الى الميدان الامير سيف الدين
ارغون النائب والامير بكتمر الساقي والقاضى كريم الدين ناظر الخاص فمشوا فى خدمة الخاتون
الى القلعة وهي فى عز ثم عقد عليها يوم الاثنين سادس ربيع الآخر على ثلاثين ألف دينار حالة
المعجل منها عشرون ألفا وعقد العقد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وقبل عن السلطان

النائب أرغون وبنى عليها وأعاد الرسل بعد أن شملهم من الانعام ما أربى على أملهم ومعهم هدية جليلة فساروا فى شعبان وتأخر قاضى حراى حتى حج وعاد فى سنة احدى وعشرين وماتت فى رابع عشرى ربيع الآخر سنة خمس وستين وسبعمائه ودفنت بتربتها خارج باب البرقية بجوار تربة خوند طغاى أم انوك *(دار حارس الطير) هذه الدار بداخل درب قراصيا بخط رحبة باب العيد عرفت بالامير سيف الدين سنبغا حارس الطير ترقى فى الخدم الى أن صار نائب السلطنة بديار مصر فى أيام السلطان حسن بن محمد بن قلاون بعد يلبغاروس ثم عزل بالامير قبلاى وجهز الى نيابة غزة فاقام بها شهراً وقبض عليه وحضر مقيداً الى الاسكندرية فى شعبان سنة اثنين وخمسين وسبعمائة فسجن بها مدة ثم أخرج الى القدس فاقام بطالا مدة ثم نقل الى نيابة غزة فى شعبان سنة ست وخمسين وسبعمائة *(الدار القردمية) هذه الدار خارج باب زويلة بخط الموّازين من الشارع المسلوك فيه الى رأس المنجبية بناها الامير الجاى الناصرى مملوك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وكان من أمره أنه ترقى فى الخدم السلطانية حتى صار دوادار السلطان بغير امرة رفيقاً للامير بهاء الدين ارسلان الدوادار فلما مات بهاء الدين استقر مكانه بامرة عشرة مدة ثلاث سنين ثم أعطى امرة طبلخاناه وكان فقيهاً حنفياً يكتب الخط المليح ونسخ بخطه القرآن الكريم فى ربعة وكان عفيفاً عن الفواحش حليما لا يكاد يغضب مكباً على الاشتغال بالعلم محباً لاقتناء الكتب مواظباً على مجالسة أهل العلم وبالغ فى اتقان عمارة هذه الدار بحيث انه أنفق على بوابتها خاصة مائة ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو الخمسة آلاف مثقال من الذهب فلما تم بناؤها لم يمتع بها غير قليل ومرض فمات فى أوائل شهر رجب وقيل فى رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة وهو كهل فدفن بقرافة مصر فسكنها من بعده خوند عائشة خاتون المعروفة بالقردمية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون زماناً فعرفت بها وكانت هذه المرأة ممن يضرب بغناها وسعادتها المثل الا أنها عمرت طويلا وتصرفت فى مالها تصرفا غير مرضي فتلف فى اللهو حتي صارت تعد من جملة المساكين وماتت فى الخامس من جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ومخدتها من ليف ثم سكن هذه الدار الامير جمال الدين محمود ابن على الاستادار مدة وأنشأ تجاهها مدرسة *(دار الصالح) هذه الدار بحارة الديلم قريباً من السجن وكانت دار الصالح طلائع بن رزيك يسكنها وهو أمير قبل أن يلى الوزارة بناها في سنة سبع وأربعين وخمسمائة وما زالت باقية الى أن خربها الامير الوزير ركن الدين عمر بن محمد بن قايماز في سنة أربع وتسعين وسبعمائة وبناها على ما هى عليه الآن *(دار بهادر) هذه الدار بالقاهرة جوار المشهد الحسينى فى درب جرجي المقابل للابارين المسلوك منه الى دار الضرب وغيره أنشأها الامير بهادر راس نوبة أحد مماليك الملك المنصور قلاوون

واتفق أنه كان ممن مالأ الامير بدر الدين بيدرا على قتل الملك الاشرف خليل بن قلاوون فلما قدر الله بانتقاض أمر بيدر أو قتله واقامة الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد أخيه الاشرف خليل قبض على جماعة ممن وافق على قتل الملك الاشرف خليل وقد تجمعت المماليك الاشرفية مع الامير علم الدين سنجر الشجاعي وهو يومئذ وزيرا لديار المصرية في دار النيابة من قلعة الجبل عند الامير زين الدين كتبغا نائب السلطنة واذا بالامير بهادر المذكور قد حضر هو والامير جمال الدين أقوش الموصلي الحاجب المعروف بنميلة وكانا قد اختفيا فرقا من سطوة الاشرفية حتى دبر أمرهما النائب وأذن لهما في طلوع القلعة فما هو الا أن أبصرهما الاشرفية سلوا سيوفهم وضربوا رقبتيهما في أسرع وقت فدهش الحاضرون وما استطاعوا أن يتكلموا خوفا من الاشرفية واتفق في بناء هذه الدار ما فيه عبرة لمن اعتبر وذلك أن بهادر هذا لما حفر أساسها وجد هناك قبوراً كثيرة فاخرج تلك العظام ورماها فبلغ ذلك قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد فبعث اليه ينهاه عن نبش القبور ورمى العظام ويخوفه عاقبة ذلك فقال اذا مت يجروا رجلى ويرمونى فقال القاضى لما أعيد عليه هذا الجواب وقد يكون ذلك فقدر الله أنه لما ضربت رقبته ورقبة اقوش ربط في رجليهما حبل وجرا من دار النيابة بالقلعة الى المجاير بالكيمان نعوذ بالله من سوء عاقبة القضاء ثم عرفت هذه الدار بيت الامير جركتمر ابن بهادر المذكور وكان خصيصاً بالامير قوصون فبعثه لقتل السلطان الملك المنصور أبى بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما نفاه الى مدينة قوص بعد خلعه فتولى قتله فلما قبض على قوصون قبض على جركتمر في ثانى شعبان سنة اثنين وأربعين وسبعمائة وقتل بالاسكندرية هو وقوصون في ليلة الثلاثاء ثامن عشر شوال تولى قتلهما الامير ابن طشتمر طلبة وأحمد بن صبيح وكان جركتمر هذا فيه أدب وحشمة واول أمره كان من أصحاب الامير بيبرس الجاشنكيرى فقدمه وأعطاه امرة عشرة ثم اتصل بالامير ارغون النائب فأعطاه امرة طبلخاناه وكان يلعب بالاكرة ويجيد في لعبها الى الغاية ثم عرفت هذه الدار بالامير سيف الدين بهادر المنجكي استادار الملك الظاهر برقوق لسكنه بها وتجديد عمارتها وأنشأ بجوارها حماماً وكانت وفاته يوم الاثنين الثانى من جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة وهذه الدار باقية الى اليوم تسكنها الامراء *(دار البقر) هذه الدار خارج القاهرة فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل بالخط الذي يقال له اليوم حدرة البقر كانت دارا للابقار التي برسم السواقى السلطانية ومنشرا للزبل وفيه ساقية ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأها داراً واصطبلا وغرس بها عدة أشجار وتولى عمارتها القاضى كريم الدين عبد الكريم الكبير فبلغ المصروف على عمارتها ألف ألف درهم وعرفت بالامير طقتمر الدمشقى ثم عرفت بدار الامير طاش تمر حمص اخضر وهذه الدار باقية الى وقتنا

هذا ينزلها أمراء الدولة *(قصر بكتمر الساقى) هـذا القصر من أعظم مساكن مصر وأجلها قدراً وأحسنها بنياناً وموضعه تجاه الـكبش على بركة الفيل أنشأه الملك الناصر محمد ابن قلاون لسكن أجل أمراء دولته الامير بكتمر الساقى وأدخل فيه أرض الميـدان التى أنشأها الملك العادل كتبغا وقصد أن يأخذ قطعة من بركة الفيل ليتسع بها الاصطبل الذي للامير بكتمر بجوار هذا القصر فبعث الى قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى ليحكم باستبدالها على قاعدة مذهبه فامتنع من ذلك تنزهاً وتورعا واجتمع بالسلطان وحدثه فى ذلك فلما رأى كثرة ميل السـلطان الى أخذ الارض نهض من المجلس مغضباً وصار الى منزله فأرسل القاضى كريم الدين الـكبير ناظر الخواص الى سراج الدين الحنفى عن أمر السلطان وقلده قضاء مصر منفرداً عن القاهرة فحـكم باستبدال الارض في غرة رجب سـنة سبع عشرة وسبعمائة فلم يلبث سوى مدة شهرين ومات في أول شهر رمضان فاستدعى السلطان قاضى القضاة شمس الدين الحريرى وأعاده الى ولايته وكمل القصر والاصطبل على هيئـة قل ما رأت الاعين مثلها بلغت النفقة على العمارة في كل يوم مبلغ ألف وخمسمائة درهم فضة مع جاه العمل لان العجل التي تحمل الحجارة من عند السلطان والحجارة أيضا من عنـد السلطان والفعلة فى العمارة أهل السجون المقيدون من المحابيس وقدر لو لم يكن في هـذه العمارة جاه ولا سخرة لـكان مصروفها في كل يوم مبلغ ثلاثة آلاف درهم فضة وأقاموا في عمارته مدة عشرة أشهر فتجاوزت النفقة على عمارته مبلغ ألف ألف درهم فضة عنهـا زيادة على خمسين ألف دينار سوى ما حمل وسوى من سخر فى العمل وهو بحو ذلك فلما تمت عمارته سكنه الامير بكتمر الساقى وكان له في اصطبله هذامائة سطل نحاس لمائة سائس كل سائس على ستة أرؤس خيل سوى ما كان له في الحشارات والنواحي من الخيل وكان من المغرب يغلق باب اصطبله فلا يصير لاحد به حس ولما تزوج أنوك بن السـلطان الملك الناصر محمد بن قلاون بابنة الامير بكتمر الساقى فى سـنة أثنين وثلاثين وسبعمائة خرج شوارها من هذا القصر وكان عدة الحمالين ثمانمائة حمال المساند الزركش على أربعين حمالا عدتها عشرة مساند والمدورات ستة عشر حمالا والـكراسى اثنا عشر حمالا وكراسى لطاف أربعة حمالين وفضيات تسعة وعشرون حمالا وسلم الدكك أربعة حمالين والدكك والتخوت الابنوس المفضضة والموشقة مائة واثنين وستين حمالا والنحاس الـكفت ثمانيـة وأربعين حمالا والصينى ثلاثة وثلاثين حمالا والزجاج المذهب اثنى عشر حمالا والنحاس الشامى اثنين وعشرين حمالا والبعلبكي المدهون اثني عشر حمالا والخونجات والمحافي والزبادي والنحاس تسعة وعشرين حمالا وصناديق الحوائج خاناه ستة حمالين وغير ذلك تتمة العدة والبغال المحملة الفرش واللحف والبسط والصناديق التي فيها المصاغ تسعة وتسعين بغلا قال العلامة صلاح

الدين خليل بن ايبك الصفدى قال لى المهذب الكاتب الزركش والمصاغ ثمانون قنطارا بالمصري ذهب ولما مات بكتمر هذا صار هذا الوقف من بعده من جملة أوقافه فتولى أمره وأمر سائر أوقافه أولاده حتي انقرض أولاده وأولاد أولاده فصار أمر الاوقاف الى ابن ابنته وهو أحمد بن محمد بن قرطاى المعروف بأحمد بن بنت بكتمر وهذا القصر في غاية من الحسن ولا ينزله الا أعيان الامراء الى أن كانت سنة سبع عشرة وثمانمائة وكان العسكر غائباً عن مصر مع الملك المؤيد شيخ فى محاربة الامير نوروز الحافظي بدمشق عمد هذا المذكور الى القصر فأخذ رخامه وشبابيكه وكثيراً من سقوفه وأبوابه وغير ذلك وباع الجميع وعمل بدل ذلك الرخام البلاط وبدل الشبابيك الحديد بالخشب وفطن به أعيان الناس فقصدوه وأخذوا منه أصنافا عظيمة بثمن وبغير ثمن وهو الآن قائم البناء يسكنه الامراء

*(الدار البيسرية) هذه الدار بخط بين القصرين من القاهرة كانت في آخر الدولة الفاطمية لما قويت شوكة الفرنج قد أعدت لمن يجلس فيها من قصاد الفرنج عند ماتقرر الامر معهم على أن يكون نصف مايحصل من مال البلد للفرنج فصار يجلس في هذه الدار قاصد معتبر عند الفرنج يقبض المال فلما زالت الدولة بالغز ثم زالت دولة بنى أيوب وولى سلطنة مصر الملوك من الترك الى أن كانت أيام الملك الظاهر ركن الدين بيسري البندقدارى شرع الامير ركن الدين بيبرس الشمسى الصالحي النجمى في عمارتها في سنة تسع وخمسين وستمائة وتأنق في عمارتها وبالغ في كثرة المصروف عليها فأنكر الملك الظاهر ذلك من فعله وقال له ياأمير بدر الدين أى شئ خليت للغزاة والترك فقال صدقات السلطان والله ياخوند مابنيت هذه الدار الا حتي يصل خبرها الى بلاد العدو ويقال بعض مماليك السلطان عمر دارا غرم عليها مالا عظيما فأعجب من قوله ذلك السلطان وأنعم عليه بألف دينار عينا وعد هذا من أعظم انعام السلطان فجاء سعة هذه الدار باصطبلها وبستانها والحمام بجانبها نحو فدانين ورخامها من أبرج رخام عمل في القاهرة وأحسنه صنعة فكثر تعجب الناس اذ ذاك من عظمها لما كان فيه أمراء الدولة ورجالها حينئذ من الاقتصاد حتى ان الواحد منهم اذا صار أميرا لايتغير عن داره التي كان يسكنها وهو من الاجناد وعند ماكملت عمارة هذه الدار وقفها وأشهد عليه بوقفها اثنين وتسعين عدلا من جملتهم قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد وقاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الاعز وقاضى القضاة تقى الدين بن رزين قبل ولايتهم القضاء في حال تحملهم الشهادة ومازالت بيد ورثة بيسرى الى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة فشرهت نفس الامير قوصون الى أخذها وسأل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في ذلك فأذن له في التحدث مع ورثة بيسري فأرسل اليهم ووعدهم ومناهم وأرضاهم حتي أذعنوا له فبعث السلطان الى قاضى القضاة شرف الدين الحرانى الحنبلى يلتمس منه الحكم باستبدالها

كما حكم باستبدال بيت قتال السبع وحمامه الذى أنشأ جامعه بخط خارج الباب الجديد من الشارع فأجاب الى ذلك ونزل اليها علاء الدين بن هلال الدولة شاد الدواوين ومعه شهود القيمة فقومت بمائة ألف درهم وتسعين ألف درهم نقرة وتكون الغبطة للايتام عشرة آلاف درهم نقرة لتتم الجملة مائتي ألف درهم نقرة وحكم قاضى القضاة شرف الدين الحرانى ببيعها وكان هذا الحكم مما شنع عليه فيه ثم اختلفت الايدى في الاستيلاء على هذه الدار واقتدى القضاة بعضهم ببعض فى الحكم باستبدالها وآخر ما حكم به من استبدالها فى أعوام بضع وثمانين وسبعمائة فصارت من جملة الاوقاف الظاهرية برقوق وهى الآن بيد ابنة بيرم وكان لها باب بوابته من أعظم ما عمل من البوابات بالقاهرة ويتوصل الى هذه الدار من هذا الباب وهو بجوار حمام بيسرى من شارع بين القصرين وقد بنى تجاه هذا الباب حوانيت حتي خفى وصار يدخل الى هذه الدار من باب آخر بخط الخرشتف *(بيسرى)* الامير شمس الدين الشمسى الصالحى النجمى أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب البحرية تنقل فى الخدم حتي صار من أجل الامراء فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى واشتهر بالشجاعة والكرم وعلو الهمة وكانت له عدة مماليك راتب كل واحد منهم مائة رطل لحم وفيهم من له عليه فى اليوم مبلغ ستين عليقة لخيله وبلغ عليق خيله وخيل مماليكه فى كل يوم ثلاثة آلاف عليقة سوي عائف الجمال وكان ينعم بالالف دينار وبالخمسمائة غير مرة ولما فرق الملك العادل كتبغا المماليك على الامراء بعث اليه بستين مملوكا فأخرج اليهم في يومهم لكل واحد فرسين وبغلا وشكا اليه استاداره كثرة خرجه وحسن له الاقتصاد في النفقة فخنق عليه وعزله وأقام غيره وقال لايرنى وجهه أبداً ولم يعرف عنه انه شرب الماء فى كوز واحد مرتين وانما يشرب كل مرة فى كوز جديد ثم لا يعاود الشرب منه وتنكر عليه الملك المنصور قلاوون فسجنه فى سنة ثمانين وستمائة وما زال فى سجنه الي أن مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الاشرف خليل فأفرج عنه فى سنة اثنين وتسعين وستمائة بعد عوده من دمشق بشفاعة الامير بيدرا والامير سنجر الشجاعي وأمر أن يحمل اليه تشريف كامل ويكتب له منشور بامرة مائة فارس وانه يلبس التشريف من السجن فجهز التشريف وحمل اليه المنشور فى كيس حرير أطلس وعظم فيه تعظيما زائدا وأثني عليه ثناء جما وسار اليه بيدر والشجاعى والدوادار والافرم الى السجن ليمشوا فى خدمته الى أن يقف بين يدى السلطان فامتنع من لبس التشريف والتزم بأيمان مغلظة أنه لايدخل على السلطان الا بقيده ولباسه الذى كان عليه فى السجن وتسامعت الامراء وأهل القلعة بخروجه فهرعوا اليه وكان لخروجه نهار عظيم ودخل على السلطان بقيده فأمر به ففك بين يديه وأفيض عليه التشريف فقبل الارض واكرمه السلطان وأمره فنزل الى داره وخرج الناس الى رؤيته وسروا

بخلاصه فبعث اليه السلطان عشرين فرساً وعشرين اكديشا وعشرين بغلا وأمر جميع
الامراء أن يبعثوا اليه فلم يبق أحد حتي سير اليه مايقدر عليه من التحف والسلاح وبعث
اليه أمير سلاح ألفي دينار عينا وكانت مدة سجنه احدى عشرة سنة وأشهراً فصار يكتب
بعد خروجه من السجن بيسرى الاشرفى بعد ما كان يكتب بيسري الشمسى وما زال الى
أن تسلطن الملك المنصور لاجين فأخذ الامير منكوتمر يغريه بالامير بيسرى ويخوفه منه
وانه قد تعين للسلطنة فعمله كاشف الجيزة وأمره أن يحضر الخدمة يومى الاثنين والخميس
بالقلعة ويجلس رأس الميمنة تحت الطواشى حسام الدين بلال المغيثى لاجل كبره وتقدمه ثم
زاد منكوتمر فى الاغراء به والسلطنة تستمهله الى أن قبض عليه وسجنه فى سنة سبع وتسعين
وستمائة وأحاط بسائر موجوده وحبس عدة من مماليكه فسر منكوتمر بمسكه سرورا عظيما
واستمر فى السجن الى أن مات فى تاسع عشر شوال سنة ثمان وتسعين وستمائة وعليه ديون
كثيرة ودفن بتربته خارج باب النصر رحمه الله تعالى * (قصر بشتاك) هذا القصر هو
الآن تجاه الدار البيسرية وهو من جملة القصر الكبير الشرقي الذى كان مسكنا للخلفاء
الفاطميين ويسلك اليه من الباب الذى كان يعرف فى أيام عمارة القصر الكبير فى زمن
الخلفاء بباب البحر وهو يعرف اليوم بباب قصر بشتاك تجاه المدرسة الكاملية وما زال الى
أن اشتراه الامير بدر الدين بكتاش الفخرى المعروف بامير سلاح وأنشأ دورا واصطبلات
ومساكن له ولحواشيه وصار ينزل اليه هو والامير بدر الدين بيسرى عند انصرافهما من
الخدمة السلطانية بقلعة الجبل فى موكب عظيم زائد الحشمة ويدخل كل منهما الى داره
وكان موضع هذا القصر عدة مساجد فلم يتعرض لهدمها وأبقاها على ماهي عليه فلمامات أمير
سلاح وأخذ الامير قوصون الدار البيسرية كما تقدم ذكره أحب الامير بشتاك أن يكون
له أيضاً دار بالقاهرة وذلك أن قوصون وبشتاك كانا يتناظران فى الامور ويتضادان في
سائر الاحوال ويقصد كل منهما أن يسامي الآخر ويزيد عليه فى التجمل فأخذ بشتاك
يعمل فى الاستيلاء على قصر أمير سلاح حتي اشتراه من ورثته فأخذ من السلطان الملك
الناصر محمد بن قلاوون قطعة أرض كانت داخل هذا القصر من حقوق بيت المال وهدم
دارا كانت قد أنشئت هناك عرفت بدار قطوان الساقي وهدم أحد عشر مسجدا وأربعة
معابد كانت من آثار الخلفاء يسكنها جماعة الفقراء وأدخل ذلك فى البناء الا مسجدا منها
فانه عمره ويعرف اليوم بمسجد الفجل فجاء هذا القصر من أعظم مبانى القاهرة فان ارتفاعه
فى الهواء أربعون ذراعا ونزول أساسه فى الارض مثل ذلك والماء يجرى بأعلاه وله شبابيك
من حديد تشرف على شارع القاهرة وينظر من أعلاه عامة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين
وهو مشرق جليل مع حسن بنائه وتأنق زخرفته والمبالغة فى تزويقه وترخيمه وأنشأ أيضاً

فى أسفله حوانيت كان يباع فيها الحلوى وغيرها فصار الامر أخيراً كما كان أولا بتسمية الشارع
بين القصرين فانه كان أولا كما تقدم بالقاهرة القصر الكبير الشرقي الذى قصر بشتاك من
جملته وتجاهه القصر الغربي الذى الخرشتف من جملته فصار قصر بشتاك وقصر بيسرى وما
بينهما من الشارع يقال له بين القصرين ومن لاعلم له يظن انما قيل لهذا الشارع بين
القصرين لاجل قصر بيسرى وقصر بشتاك وليس هذا بصحيح وانما قيل له بين القصرين
قبل ذلك من حين بنيت القاهرة فانه كان بين القصرين القصر الكبير الشرقي والقصر الصغير
الغربي وقد تقدم ذلك مشروحا مبيناً * ولما أكمل بشتاك بناء هذا القصر والحوانيت التى
في أسفله والخان المجاور له فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة لم يبارك له فيه ولا تمتع به وكان
اذا نزل اليه ينقبض صدره ولا تنبسط نفسه مادام فيه حتي يخرج منه فترك المجئ اليه فصار
يتعاهده أحياناً فيعتريه ماتقدم ذكره فكرهه وباعه لزوجة بكتمر الساقي وتداوله ورثتها
الى أن أخذه السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فاستقر بيد أولاده الى أن
تحكم الامير الوزير المشير جمال الدين الاستادار في مصر اقام من شهد عند قاضى القضاة
كمال الدين عمر بن العديم الحنفى بأن هذا القصر يضر بالجار والمار وانه مستحق للازالة
والهدم كما عمل ذلك فى غير موضع بالقاهرة فحكم له باستبداله وصار من جملة أملاكه
فلما قتله الملك الناصر فرج بن برقوق استولى على سائر ما تركه وجعل هذا القصر فيما عينه
للتربة التى أنشاها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر فاستمر في جملة أوقاف
التربة المذكورة الى أن قتل الملك الناصر بدمشق فى حرب الامير شيخ والامير نوروز
وقدم الامير شيخ الى مصر هو والخليفة المستعين بالله العباسي ابن محمد وقف له من
بقى من أولاد جمال الدين وأقاربه وكان لاهل الدولة يومئذ بهم عناية فحكم قاضى
القضاة صدر الدين على بن الادمى الحنفى بارتجاع أملاك جمال الدين التي وقفها على
ما كانت عليه فتسلمها أخوه وصار هذا القصر اليهم وهو الآن بيدهم *(قصر الحجازية)
هذا القصر بخط رحبة باب العيد بجوار المدرسة الحجازية كان يعرف أولا بقصر الزمرذ
فى أيام الخلفاء الفاطميين من أجل ان باب القصر الذى كان يعرف بباب الزمرذ كان
هناك كما تقدم ذكره فى هذا الكتاب عند ذكر القصور فلما زالت الدولة الفاطمية
صار من جملة ماصار بيد ملوك بني أيوب واختلفت عليه الايدى الى أن اشتراه الامير بدر
الدين أمير مسعود بن خطير الحاجب من اولاد الملوك بنى أيوب واستمر بيده الى أن رسم
بتسفيره من مصر الى مدينة غزة واستقر نائب السلطنة بها في سنة احدى وأربعين وسبعمائة
وكاتب الامير سيف الدين قوصون عليه وملكه اياه فشرع في عمارة سبع قاعات لكل قاعة
اصطبل ومنافع ومرافق وكانت مساحة ذلك عشرة افدنة فمات قوصون قبل ان يتم بناء

ما أراد من ذلك فصار يعرف بقصر قوصون الى أن اشترته خوندتتر الحجازية ابنة الملك
الناصر محمد بن قلاوون وزوج الامير ملكتمر الحجازى فعمرته عمارة ملوكية وتأنقت فيه
تأنقا زائدا وأجرت الماء الى أعلاه وعملت تحت القصر اصطبلا كبيرا لخيول خدامها وساحة
كبيرة يشرف عليها من شبابيك حديد فجاء شيئاً عجيبا حسنه وأنشأت بجواره مدرستها
التى تعرف الى اليوم بالمدرسة الحجازية وجعلت هذا القصر من جملة ماهو موقوف عليها
فلما ماتت سكنه الامراء بالاجرة الى أن عمر الامير جمال الدين يوسف الاستادار داره
المجاورة للمدرسة السابقية وتولى استادارية الملك الناصر فرج صار يجلس برحبة هذا القصر
والمقعد الذى كان بها وعمل القصر سجنا يحبس فيه من يعاقبه من الوزراء والاعيان فصار
موحشاً يروع النفوس ذكره لما قتل فيه من الناس خنقا وتحت العقوبة من بعد ماأقام دهراً
وهو مغنى صبابات وملعب أتراب وموطن أفراح ودار عز ومنزل لهو ومحل أمانى النفوس
ولذاتها ثم لما فحش كلب جمال الدين وشنع شرهه في اغتصاب الاوقاف أخذ هذا القصر
يتشعث شئ من زخارفه وحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى باستبداله كما
تقدم الحكم في نظائره فقلع رخامه فلما قتل صار معطلا مدة وهم الملك الناصر فرج ببنائه
رباطا ثم انثنى عزمه عن ذلك فلما عزم على المسير الى محاربة الامير شيخ والأمير نوروز
في سنة أربع عشرة وثمانمائة نزل اليه الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم بن البشيري وقلع
شبابيكه الحديد لتعمل آلات حرب وهو الآن بغير رخام ولا شبابيك قائم على أصوله لايكاد
ينتفع به الا ان الامير المشير بدر الدين حسن بن محمد الاستادار لما سكن في بيت الامير
جمال الدين جعل ساحة هذا القصر اصطبلا لخيوله وصار يحبس في هذا القصر من يصادره
أحياناً * وفي رمضان سنة عشرين وثمانمائة ذكر الامير فخر الدين عبد الغني بن أبى الفرج
الاستادار مايجده المسجونون في السجن المستجد عند باب الفتوح بعد هدم خزانة شمائل
من شدة الضيق وكثرة الغم فعين هذا القصر ليكون سجنا لارباب الجرائم وأنعم على جهة
وقف جمال الدين بعشرة آلاف درهم فلوسا عن أجرة سنتين فشرعوا في عمله سجنا
وأزالوا كثيرا من معالمه ثم ترك على مابقى فيه ولم يتخذ سجناً * (قصر يلبغا اليحياوى) هذا
القصر موضعه الآن مدرسة السلطان حسن المطلة على الرميلة تحت قلعة الجبل وكان قصرا
عظيما أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ببنائه لسكن
الامير يلبغا اليحياوى وأن يبني أيضاً قصر يقابله برسم سكني الامير الطنبغا الماردينى لتزايد
رغبته فيهما وعظيم محبته لهما حتى يكونا تجاهه وينظر اليهما من قلعة الجبل فركب بنفسه
الى حيث سوق الخيل من الرميلة تحت القلعة وسار الى حمام الملك السعيد وعين اصطبل
الامير أيدغمش أميرا خور وكان تجاهها ليعمره هو وما يقابله قصرين متقابلين ويضاف اليه

اصطبل الامير طاشتمر الساقى واصطبل الجوق وأمر الامير قوصون أن يشترى مايجاور اصطبله من الاملاك ويوسع في اصطبله وجعل أمر هذه العمارة الى الامير اقبغاعبدالواحد فوقع الهدم فيما كان بجوار بيت الامير قوصون وزيد في الاصطبل وجعل باب هذا الاصطبل من تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة وأمر السلطان بالنفقة على العمارة من مال السلطان على يد النشو وكان للملك الناصر رغبة كبيرة في العمارة بحيث انه افرد لها ديوانا وبلغ مصروفها في كل يوم اثنى عشر ألف درهم نقرة وأقل ما كان يصرف من ديوان العمارة في اليوم برسم العمارة مبلغ ثمانية آلاف درهم نقرة فلما كثر الاهتمام في بناء القصرين المذكورين وعظم الاجتهاد في عمارتهما وصار السلطان ينزل من القلعة لكشف العمل ويستحث على فراغهما وأول مابدئ به قصر يلبغا اليحياوى فعمل أساسه حضيرة واحدة انصرف عليها وحدها مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة ولم يبق في القاهرة ومصر صانع له تعلق في العمارة الا وعمل فيها حتى كمل القصر فجاء في غاية الحسن وبلغت النفقة عليه مبلغ أربعمائة ألف ألف وستين ألف درهم نقرة منها ثمن لازورد خاصة مائة ألف درهم فلما كملت العمارة نزل السلطان لرؤيتها وحضر يومئذ من عند الامير سيف الدين طرغاى نائب حلب تقدمة من جملتها عشرة أزواج بسط أحدها حرير وعدة أوانى من بلور ونحوه وخيل وبخاتى فأنعم بالجميع على الامير يلبغا اليحياوي وأمر الامير أقبغا عبد الواحد أن ينزل الى هذا القصر ومعه اخوان سلار برفقته وسائر أرباب الوظائف لعمل مهم فبات النشو ناظر الخاص هناك لتعبية مايحتاج اليه من اللحوم والتوابل ونحوها فلما تهيأ ذلك حضر سائر أمراء الدولة من أول النهار وأقاموا بقصر يلبغا اليحياوى في أكل وشرب ولهو وفي آخر النهار حضرت اليهم التشاريف السلطانية وعدتها أحد عشر تشريفاً برسم أرباب الوظائف وهم الامير أقبغا عبد الواحد والاستادار والامير قوصون الساقي والامير بشتاك والامير طقوزدمر أمير مجلس في آخرين وحضر لبقية الامراء خلع وأقبية على قدر مراتبهم فلبس الجميع التشاريف والخلع والاقبية وأركبوا الخيول المحضرة اليهم من الاصطبل السلطانى بسروج وكنابيش مابين ذهب وفضة بحسب مراتبهم وساروا الى منازلهم وذبح فى هذا المهم ستمائة رأس غنم وأربعون بقرة وعشرون فرساً وعمل فيه ثلثمائة قنطار سكر برسم المشروب فان القوم يومئذ لم يكونوا يتظاهرون بشرب الخمر ولا شئ من المسكرات ألبتة ولا يجسر أحد على عمله في مهم ألبتة وما زالت هذه الدار باقية الى أن هدمها السلطان الملك الناصر حسن وأنشأ موضعها مدرسته الموجودة الآن * (اصطبل قوصون) هذا الاصطبل بجوار مدرسة السلطان حسن وله بابان باب من الشارع بجوار حدرة البقر وبابه الآخر تجاه باب السلسلة الذى يتوصل منه الى الاصطبل السلطانى وقلعة الجبل أنشأه الامير علم الدين سنجر الجمقدار فأخذه منه الامير

سيف الدين قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال فزاد فيه قوصون اصطبل الامير سنقر الطويل وأمره الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارة هذا الاصطبل فبنى فيه كثيراً وأدخل فيه عدة عمائر مابين دور واصطبلات فجاء قصراً عظيما الى الغاية وسكنه الامير قوصون مدة حياة الملك الناصر * فلما مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر عمل عليه قوصون وخلعه وأقام بعده بدله الملك الاشرف كجك بن الملك الناصر محمد فلما كان في سنة اثنين وأربعين وسبعمائة حدث في شهر رجب منها فتنة بين الامير قوصون وبين الامراء وكبيرهم ايدغمش أميراخور فنادى ايدغمش في العامة يا كسابة عليكم باصطبل قوصون انهبوه هذا وقوصون محصور بقلعة الجبل فأقبلت العامة من السؤال والغلمان والجند الى اصطبل قوصون فمنعهم المماليك الذين كانوا فيه ورموهم بالنشاب وأتلفوا منهم عدة فثارت مماليك الامير يلبغا اليحياوي من أعلى قصر يلبغا وكان بجوار قصر قوصون حيث مدرسة السلطان حسن ورموا مماليك قوصون بالنشاب حتى انكفوا عن رمي النهابة فاقتحم غوغا الناس اصطبل قوصون وانتهبوا ما كان بركاب خاناته وحواصله وكسروا باب القصر بالفوس وصعدوا اليه بعد ماتسلقوا الى القصر من خارجه فخرجت مماليك قوصون من الاصطبل يدا واحدة بالسلاح وشقوا القاهرة وخرجوا الى ظاهر باب النصر يريدون الامراء الواصلين من الشام فأتت النهابة على جميع مافي اصطبل قوصون من الخيل والسروج وحواصل المال التي كانت بالقصر وكانت تشتمل من أنواع المال والقماش والأواني الذهب والفضة على مالا يحد ولا يعد كثرة وعند ماخرجت العامة بما نهبته وجدت مماليك الامراء والاجناد قد وقفوا على باب الاصطبل في الرميلة لانتظار من يخرج وكان اذا خرج أحد بشيء من النهب أخذه منه أقوى منه فان امتنع من اعطائه قتل واحتمل النهابة أكياس الذهب ونثروها في الدهاليز والطرق وظفروا بجواهر نفيسة وذخائر ملوكية وأمتعة جليلة القدر وأسلحة عظيمة وأقمشة مثمنة وجروا البسط الرومية والآمدية وما هو من عمل الشريف وتقاتلوا عليها وقطعوها قطعاً بالسكاكين وتقاسموها وكسروا أواني البلور والصيني وقطعوا سلاسل الخيل الفضة والسروج الذهب والفضة وفككوا اللجم وقطعوا الخيم وكسروا الخركاوات وأتلفوا سترها وأغشيتها الاطلس والزركش * وذكر عن كاتب قوصون أنه قال أما الذهب المكيس والفضة كان ينيف على أربعمائة ألف دينار وأما الزركش والحوايص والمعصبات مابين خوانجات واطباق فضة وذهب فانه فوق المائة ألف دينار والبلور والمصاغ المعمول برسم النساء فانه لا يحصر وكان هناك ثلاثة أكياس أطلس فيها جوهر قد جمعه في طول أيامه لكثرة شغفه بالجوهر لم يجمع مثله ملك كان ثمنه نحو المائة ألف دينار وكان في حاصله عدة مائة وثمانين زوج بسط منها ما طوله من أربعين ذراعا الى ثلاثين ذراعا عمل البلاد وستة عشر زوج من عمل الشريف بمصر ثمن كل زوج

اثنا عشر ألف درهم نقرة منها أربعة أزواج بسط من حرير وكان من جملة الخام نوبة خام جميعها أطلس معدني قصب جميع ذلك نهب وكسر وقطع وانحط سعر الذهب بديار مصر عقيب هذه النهبة من دار قوصون حتى بيع المثقال باحد عشر درهما لكثرته في أيدى الناس بعد ما كان سعر المثقال عشرين درهماً ومن حينئذ تلاشي أمر هذا القصر لزوال رخامه في النهب وما برح مسكنا لا كابر الامراء وقد اشتهر أنه من الدور المشؤمة وقد ادركت في عمرى غير واحد من الامراء سكنه وآل أمره الى مالا خير فيه وممن سكنه الامير بركة الزيني ونهب نهبة فاحشة وأقام عدة أعوام خرابا لا يسكنه أحدثم أصلح وهو الآن من أجل دور القاهرة *(دار أرغون الكاملي) هذه الدار بالجسر الاعظم على بركة الفيل أنشأها الامير أرغون الكاملي في سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأدخل فيها من أرض بركة الفيل عشرين ذراعا *(ارغون الكاملي) الامير سيف الدين نائب حلب ودمشق تبناه الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون وزوجه أخته من أمه بنت الامير أرغون العلائي في سنة خمس وأربعين وسبعمائة وكان يعرف أوّلا بأرغون الصغير فلما مات الملك الصالح وقام من بعده في مملكة مصر أخوه الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون اعطاه امرة مائة وتقدمة الف ونهى أن يدعى أرغون الصغير وتسمي أرغون الكاملي فلما مات الامير قطليجا الحموي في نيابة حلب رسم له الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون بنيابة حلب فوصل اليها يوم الثلاثاء حادى عشر شهر رجب سنة خمسين وسبعمائة وعمل النيابة بها على أحسن ما يكون من الحرمة والمهابة وهابه التركمان والعرب ومشت الاحوال به ثم جرت له فتنة مع أمراء حلب فخرج في نفر يسير الى دمشق فوصلها لثلاث بقين من ذى الحجة سنة احدى وخمسين فاكرمه الامير ايتمش الناصرى نائب دمشق وجهزه الى مصر فأنعم عليه السلطان وأعاده الى نيابة حلب فأقام بها الى أن عزل ايتمش من نيابة دمشق في أول سلطنة الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون فنقل من نيابة حلب الى نيابة دمشق فدخلها في حادي عشرى شعبان سنة اثنتين وخمسين وأقام بها فلم يصف له بها عيش فاستعفى فلم يجب وما زال بها الى أن خرج يلبغا روس وحضر الى دمشق فخرج الى لد واستولى يلبغا روس على دمشق فلما خرج الملك الصالح من مصر وسار الى بلاد الشام بسبب حركة يلبغا روس تلقاه أرغون وسار بالعساكر الى دمشق ودخل السلطان بعده وقد فر يلبغا روس فقلده نيابة حلب في خامس عشرى شهر رمضان وعاد السلطان الى مصر فلم يزل الامير أرغون بحلب وخرج منها الى الابلستين في طلب ابن دلغادر وحرقها وحرق قراها ودخل الى قيصرية وعاد الى حلب في رجب سنة أربع وخمسين فلما خلع الملك الصالح باخيه الملك الناصر حسن في شوال سنة خمس وخمسين طلب الامير أرغون من حلب في آخر

شوال فحضر الى مصر وعمل أمير مائة مقدم ألف الى تاسع صفر سنة ست وخمسين فأمسك وحمل الى الاسكندرية واعتقل فيها وعنده زوجته ثم نقل من الاسكندرية الى القدس فأقام بها بطالا وبنى هناك تربة ومات بها يوم الخميس لخمس بقين من شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمائة *(دارطاز) هـذه الدار بجوار المدرسة البندقدارية تجاه حمام الفارقانى على يمنة من سلك من الصليبة يريد حدرة البقر وباب زويلة أنشأها الامير سيف الدين طاز في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وكان موضعها عدة مساكن هدمها برضا أربابها وبغير رضاهم وتولى الامير منجك عمارتها وصار يقف عليها بنفسه حتى كملت فجاءت قصرا مشيدا واصطبلا كبيرا وهي باقية الي يومنا هـذا يسكنها الامراء وفي يوم السبت سابع عشرى جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين عمل الاميرطاز في هذه الدار وليمة عظيمة حضرها السلطان الملك الصالح صالح وجميع الامراء فلما كان وقت انصرافهم قدم الاميرطاز للسلطان أربعة أفراس بسروج ذهب وكنابيش ذهب وقدم للامير سنجر فرسين كذلك وللامير صرغتمش فرسين ولكل واحد من أمراء الالوف فرسا كذلك ولم يعهد قبل هـذا أن أحدا من ملوك الاتراك نزل الى بيت أمير قبل الصالح هذا وكان يوما مذكورا *(طاز) الامير سيف الدين أمير مجلس اشتهر ذكره في أيام الملك الصالح اسماعيل ولم يزل أميرا الى أن خلع الملك الكامل شعبان وأقيم المظفر حاجي وهو أحد الامراء الستة أرباب الحل والعقد فلما خلع الملك المظفر وأقيم الملك الناصر حسن زادت وجاهته وحرمته وهو الذى أمسك الامير يلبغا روس في طريق الحجاز وأمسك أيضا الملك المجاهد سيف الاسلام على ابن المؤيد صاحب بلاد اليمن بمكة وأحضره الى مصر وهو الذي قام في نوبة السلطان حسن لما خلع وأجلس الملك الصالح صالح على كرسى الملك وكان يلبس في درب الحجاز عباءة وسر قولا ويخفى نفسه ليتجسس على أخبار يلبغا روس ولم يزل على حاله الى ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فخلع الصالح وأعيد الناصر حسن فأخرج طاز الى نيابة حلب وأقام بها *(دارصرغتمش) هذه الدار بخط بئرالوطاويط بالقرب من المدرسة الصرغتمشية المجاورة لجامع أحمد بن طولون من شارع الصليبة كان موضعها مساكن فاشتراها الامير صرغتمش وبناها قصرا واصطبلا في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وحمل اليه الوزراء والكتاب والاعيان من الرخام وغيره شيئاً كثيرا وقد ذكر التعريف به عند ذكر المدرسة الصرغتمشية من هذا الكتاب في ذكر المدارس وهذه الدار عامرة الى يومنا هذا يسكنها الامراء ووقع الهدم في القصر خاصة في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة *(دار الماس) هـذه الدار بخط حوض ابن هنس فيما بينه وبين حدرة البقر بجوار جامع الماس أنشأها الامير الماس الحاجب واعتنى برخامها عناية كبيرة واستدعى به من البلاد فلما

قتل في صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلع ما في هذه الدار من الرخام فقلع جميعه ونقل الى القلعة وهذه الدار باقية الى يومنا هذا ينزلها الامراء *(دار بهادر المقدم) هذه الدار بخط الباطلية من القاهرة أنشأها الامير الطواشى سيف الدين بهادر مقدم المماليك السلطانية في أيام الملك الظاهر برقوق * وبهادر هذا من مماليك الامير يلبغا وأقام في تقدمة المماليك جميع الايام الظاهرية وكثر ماله وطال عمره حتى هرم ومات في أيام الملك الناصر فرج وهو على امرته وفى وظيفته تقدمة المماليك السلطانية يوم الاحد سابع عشر رجب سنة اثنتين وثمانمائة وموضع هذه الدار من جملة ما كان احترق من الباطلية في أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم في ذكر حارة الباطلية عند ذكر الحارات من هذا الكتاب ولما مات المقدم بهادر استقرت من بعده منزلا لامراء الدولة وهي باقية على ذلك الى يومنا هذا *(دار الست شقراء) هذه الدار من جملة حارة كتامة وهى اليوم بالقرب من مدرسة الوزير الصاحب كريم الدين بن غنام بجوار حمام كراي وهى من الدور الجليلة عرفت بخوند الست شقراء ابنة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون وتزوجها الامير روس ثم انحط قدرها واتضعت فى نفسها الى أن ماتت في يوم الثلاثاء ثامن عشرى جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وسبعمائة *(دار ابن عنان) هذه الدار بخط الجامع الازهر أنشأها نور الدين على بن عنان التاجر بقيسارية جهاركس من القاهرة وتاجر الخاص الشريف السلطانى فى أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد ابن قلاوون كان ذا ثروة ونعمة كبيرة ومال متسع فلما زالت دولة الاشرف أجمع وداخله وهم أظهر فاقة وتذكر أنه دفن مبلغا كبيرا من الالف مثقال ذهب فى هذه الدار ولم يعلم به أحد سوى زوجته أم أولاده فاتفق أنه مرض وخرس ومرضت زوجته أيضاً فمات يوم الجمعة ثامن عشر شوال سنة تسع وثمانين وسبعمائة وماتت زوجته أيضاً فأسف أولاده على فقد ماله وحفروا مواضع من هذه الدار فلم يظفروا بشيء ألبتة وأقامت مدة بأيديهم وهى من وقف أبيهم ومات ولده شمس الدين محمد بن على بن عنان يوم السبت تاسع صفر سنة ثلاث وثمانمائة ثم باعوها سنة سبع عشر وثمانمائة كما بيع غيرها من الاوقاف *(دار بهادر الاعسر) هذه الدار بخط بين السورين فيما بين سويقة المسعودى من القاهرة وبين الخليج الكبير الذي يعرف اليوم بخليج اللؤلؤة كان مكانها من جملة دار الذهب التي تقدم ذكرها في ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب والى يومنا هذا بجوار هذه الدار قبو فيما بينها وبين الخليج يعرف بقبو الذهب من جملة اقباء دار الذهب ويمر الناس من تحت هذا القبو * بهادر هذا هو الامير سيف الدين بهادر الاعسر اليحياوي كان مشرفا بمطبخ الامير سيف الدين فجا الامير شكار ثم صار زردكاش الامير الكبير يلبغا الخاصكي وولى بعد ذلك مهمندار السلطان

بدار الضيافة وولي وظيفة شد الدواوين الى أن قدم الامير يلبغا الناصري نائب حلب بعساكر الشام الى مصر وأزال دولة الملك الظاهر برقوق في جمادي سنة احدى وتسعين وسبعمائة قبض عليه ونفاه من القاهرة الى غزة ثم عاد بعدذلك الى القاهرة وأقام بها الى أن مات بهذه الدار في يوم عيد الفطر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وحصرت تركته وكان فيها عدة كتب في أنواع من العلوم وهذه الدار باقية الى يومنا هذا وعلى بابها بئر بجانبها حوض يملأ لشرب الدواب منه *(دار ابن رجب) هذه الدار من جملة أراضى البستان الذى يقال له اليوم الكافورى كان اصطبلا للامير علاء الدين على بن كلفت التركمانى شاد الدواوين فيما بين داره ودار الامير تنكز نائب الشام فلما استقر ناصر الدين محمد بن رجب في الوزارة أنشأ هذا الاصطبل مقعداً صار يجلس فيه وقصراً كبيراً واستولى من بعده على ذلك كله أولاده فلما عمر الامير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته بخط رحبة باب العيد أخذ هذا القصر والاصطبل في جملة ما أخذ من أملاك الناس وأوقافهم فلما قتله الملك الناصر فرج واستولى على جميع ما خلفه أفرد هذا القصر والاصطبل فيما أفرده للمدرسة المذكورة فلم يزل من جملة أوقافها الى أن قتل الملك الناصر فرج وقدم الامير شيخ نائب الشام الى مصر فلما جلس على تخت الملك وتلقب بالملك المؤيد في غرة شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة وقف اليه من بقى من أولاد علاء الدين على بن كلفت وهما امرأتان كانت احداهما تحت الملك المؤيد قبل أن يلى نيابة طرابلس وهو من جملة أمراء مصر في أيام الملك الظاهر برقوق وذكرتا ان الامير جمال الدين الاستادار أخذ وقف أبيهما بغير حق وأخرجتا كتاب وقف أبيهما ففوض أمر ذلك لقاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقيني الشافعى فلم يجد بيد أولاد جمال الدين مستندا فقضى بهذا المكان لورثة ابن كلفت وبقائه على ما وقفه حسبما تضمنه كتاب وقفه فتسلم مستحقوا وقف ابن كلفت القصر والاصطبل وهو الآن بايديهم وبينهم وبين أولاد ابن رجب نزاع فى القصر فقط *(محمد بن رجب) ابن محمد بن كلفت الامير الوزير ناصر الدين نشأ بالقاهرة على طريقة مشكورة فلما استقر ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدى شاد الدواوين بعد انتقال الامير جمال الدين محمود بن على من شاد الدواوين الى استادارية السلطان في يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة أقام ابن رجب هذا استادارا عند الامير سودون باق وكانت أول مباشراته ثم ولى شد الدواوين بعد الامير ناصر الدين محمد بن اقبغا آص في ثامن شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين فباشر ذلك الى أن صرف بابن اقبغا آص في سابع عشرى ذى الحجة وعوض في شد الدواوين بشد دواليب الخاص عوضاً عن خاله الامير ناصر الدين محمد بن الحسام عند انتقاله الى الوزارة فلم يزل الى أن توجه الملك الظاهر برقوق الى

الشام وأقام الامير محمود الاستادار فقدم عليه ابن رجب بكتاب السلطان وهو مختوم فاذا فيه أن يقبض على ابن رجب ويلزمه بحمل مبلغ مائة وستين ألف درهم نقرة فقبض عليه في رابع شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وأخذ منه مبلغ سبعين ألف درهم نقرة فلما كان في يوم الاثنين رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين صرف السلطان عن الوزارة الصاحب موفق الدين أبا الفرج واستقر بابن رجب في منصب الوزارة وخلع عليه فلم يغير زى الامراء وباشر الوزارة على قالب ضخم وناموس مهاب وصار أميرا وزيرا مدبر الممالك وسلك سيرة خاله الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام في استخدام كل من باشر الوزارة فاقام الصاحب سعد الدين بن نصر الله بن البقرى ناظر الدولة والصاحب كريم الدين عبدالكريم ابن الغنام ناظر البيوت والصاحب علم الدين عبدالوهاب سن ابرة مستوفي الدولة والصاحب تاج الدين عبدالرحيم بن أبي شاكر رفيقاً له في استيفاء الدولة وأنعم عليه بامرة عشرين فارساً في سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين فلم يزل على ذلك الى أن مات من مرض طويل في يوم الجمعة لاربع بقين من صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وهو وزير من غير نكبة فكانت جنازته من الجنائز المذكورة وقد ذكرته في كتاب درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة *(دار القايجي) هذه الدار من جملة خط قصر بشتاك كانت أولا من بعض دور القصر الكبير الشرقي الذى تقدم ذكره عند ذكر قصور الخلفاء ثم عرفت بدار جمال الكفاة وهو القاضى جمال الدين ابراهيم المعروف بجمال الكفاة ابن خالة النشو ناظر الخاص كان أولا من جملة الكتاب النصارى فاسلم وخدم في بستان الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى كان ميداناً للملك الظاهر بيبرس بأرض اللوق ثم خدم في ديوان الامير بيدمر البدرى فلما عرض السلطان دواوين الامراء واختار منهم جماعة كان من جملة من اختاره السلطان جمال الكفاة هذا فجعله مستوفياً الى أن مات المهذب كاتب الامير بكتمر الساقي فولاه السلطان مكانه في ديوان الامير بكتمر فخدمه الى أن مات فخدم بديوان الامير بشتاك الى أن قبض الملك الناصر على النشو ناظر الخاص ولاه وظيفة نظر الخاص بعد النشو ثم أضاف اليه وظيفة نظر الجيش بعد المكين بن قزوينة عند غضبه عليه ومصادرته فباشر الوظيفتين الى أن مات الملك الناصر فاستمر فى أيام الملك المنصور أبي بكر والملك الاشرف كجك والملك الناصر أحمد فلما ولى الملك الصالح اسمعيل جعله مشير الدولة مع مابيده من نظر الخاص والجيش وكان الوزير اذ ذاك الامير نجم الدين محمود وزير بغداد وكتب له توقيع باستقراره في وظيفة الاشارة فعظم أمره وكثر حساده الى أن قبض عليه وضرب بالمقارع وخنق ليلة الاحد سادس شهر ربيع الاول سنة خمس وأربعين وسبعمائة ودفن بجوار زاوية ابن عبود من القرافة وكانت مدة نظره فى الخاص خمس سنين وشهرين تنقص

أياماً وكان مليح الوجه حسن العبارة كثير التصرف ذكياً يعرف باللسان التركي ويتكلم به ويعرف باللسان النوبي والتكروري ولم تزل هذه الدار بغير تكملة الى أن ترأس القاضى شمس الدين محمد بن أحمد القليجي الحنفى كان أولا يكتب على ميضة الغزل وهى يومئذ مضمنة لديوان السلطان ثم اتصل بقاضى القضاة سراج الدين عمر بن اسحاق الهندى وخدمه فرفع من شأنه واستنابه في الحكم فعيب ذلك على الهندى وقال فيه شمس الدين محمد بن محمد الصائغ الحنفى

ولما رأينا كاتب المكس قاضيا * علمنا بان الدهر عاد الى ورا
فقلت لصحبي ليس هذا تعجبا * وهل يجلب الهندى شيئاً سوى الخمرا

وولى افتاء دار العدل وناب عن القضاة فى الحكم بعد مباشرة توقيع الحكم عدة سنين فعظم ذكره وبعد صيته وصار يتوسط بين القضاة والامراء في حوائجهم ويخدم أهل الدولة فيما يعن لهم من الامور الشرعية فصار كثير من أمور القضاة لا يقوم به غيره حتى لقد كان شيخنا الاستاذ قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون يسميه دريد بن الصمة يعنى أنه صاحب رأي القضاة كما أن دريد بن الصمة كان صاحب رأى هوازن يوم حنين فلما نجم أمره أخذ هذه الدار وقد تم بناء جدرانها فرخمها وزخرفها وبيضها فجاءت فى أعظم قالب وأحسن هندام وأبهج زى وسكنها الى أن مات يوم الثلاثا لعشرين من شهر رجب سنة سبع وتسعين وسبعمائة بعد ما وقفها فاستمرت في يد أولاده مدة الى أن أخذها الامير جمال الدين يوسف الاستادار كما أخذ غيرها من الدور *(دار بهادر المعزى) هذه الدار بدرب راشد المجاور لخزانة البنود من القاهرة عمرها الامير سيف الدين بهادر المعزى كان أصله من أولاد مدينة حلب من أبناء التركمان واشتراه الملك المنصور لاجين قبل أن يلى سلطنة مصر وهو في نيابة السلطنة بدمشق فترقي حتى صار أحد أمراء الالوف الى أن مات في يوم الجمعة تاسع شعبان سنة تسع وثلاثين وسبعمائة عن ابنتين احداها تحت الامير أسدمر المعزى والاخرى تحت مملوكه اقتمر وترك مالا كثيرا منه ثلاثة عشر ألف دينار وستمائة ألف درهم نقرة وأربعمائة فرس وثلثمائة جمل ومبلغ خمسين ألف أردب غلة وثمان حوايص ذهب وثلاث كلوتات زركش واثنى عشر طراز زركش وعقارا كثيرا فأخذ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جميع ما خلفه وكان جميل الصورة معروفا بالفروسية ورمي في القبق النشاب بيمينه ويساره ولعب الرمح لعبا جيدا وكان لين الجانب حلو الكلام جميل العشرة الا أنه كان مقترا على نفسه فى مأكله وسائر أحواله لكثرة شحه بحيث أنه اعتقل مرة فجمع من راتبه الذي كان يجري عليه وهو في السجن مبلغ اثنى عشر ألف درهم نقرة أخرجها معه من الاعتقال *(دار طينال) هذه الدار بخط الخراطين في داخل الدرب

الذى كان يعرف بخربة صالح كان موضعها وما حولها في الدولة الفاطمية مارستانا وأنشأ هذه الدار * الامير طينال أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون أقامه ساقيا ثم عمله حاجبا صغيرا ثم أعطاه امرة دكتمر وجعله أمير مائة مقدم ألف فباشر ذلك مدة ثم أخرجه لنيابة طرابلس فأقام بها زمانا ثم نقله الى نيابة صفد فمات بها في ثالث شهر ربيع سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وكان تترى الجنس قصيرا الى الغاية مليح الوجه مشكورا في أحكامه محبا لجمع المال شحيحا وهذه الدار تشتمل على قاعتين متجاورتين وهى من الدور الجليلة ولطينال أيضاً قيسارية بسويقة أمير الجيوش *(دار الهرماس) هذه الدار كانت بجوار الجامع الحاكمي من قبليه شارعة في رحبة الجامع على يسرة من يمر الى باب النصر عمرها الشيخ قطب الدين محمد بن المقدسى المعروف بالهرماس وسكنها مدة وكان أثيرا عند السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاوون له فيه اعتقاد كبير فعظم عند الناس قدره واشتهر فيما بينهم ذكره الى أن دبت بينه وبين الشيخ شمس الدين محمد بن النقاش عقارب الحسد فسعى به عند السلطان الى أن تغير عليه وأبعده ثم ركب في يوم سنة احدى وستين وسبعمائة من قلعة الجبل بعساكره الى باب زويلة فعند ما وصل اليه ترجل الامراء كلهم عن خيولهم ودخلوا مشاة من باب زويلة كما هى العادة وصار السلطان راكبا بمفرده وابن النقاش أيضاً راكب بجانبه وسائر الامراء والمماليك مشاة في ركابه على ترتيبهم الى أن وصل السلطان الى المارستان المنصورى بين القصرين فنزل اليه ودخل القبة وزار قبر أبيه وجدّه واخوته وجلس وقد حضر هناك مشايخ العلم والقضاة فتذاكروا بين يديه مسائل علمية ثم قام الى النظر فى أمور المرضى بالمارستان فدار عليهم حتي انتهى غرضه من ذلك وخرج فركب وسار نحو باب النصر والناس مشاة فى ركابه الا ابن النقاش فانه راكب بجانبه الى أن وصل الى رحبة الجامع الحاكمى فوقف تجاه دار الهرماس وأمر بهدمها فهدمت وهو واقف وقبض على الهرماس وابنه وضرب بالمقارع عدة شيوب ونفى من القاهرة الى مصياف فقال الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى فى ذلك

قد ذاق هرماس الخساره * من بعد عز وجساره
حسب البهتان يبقى * أخرب الله دياره

فلما قتل السلطان فى سنة اثنين وستين عاد الهرماس الى القاهرة وأعاد بعض داره فلما كانت سنة ثمانين وسبعمائة صارت هذه الدار الى الامير جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب فانشأها قاعة وعدة حوانيت وربعا علو ذلك وانتقل من بعده الى أولاده وهو بأيديهم الى اليوم * (دار أوحد الدين) هذه الدار بداخل درب السلامى فى رحبة باب العيد مقابل قصر الشوك والى جانب المارستان العتيق الصلاحي كان موضعها من حقوق

القصر الكبير وصار أخيراً طاحونا فهدمها القاضي أوحد الدين عبد الواحد أيام كان يباشر توقيع الامير الكبير برقوق بعد سنة ثمانين وسبعمائة فلما حفر أساس هذه الدار وجد فيه هيئة قبة معقودة من لبن وفي داخلها انسان ميت قد بليت أكفانه وصار عظما نخراً وهو في غاية طول القامة يكون قدر خمسة أذرع وعظام ساقيه خلاف ماعهد من الكبر ودماغه عظيم جداً فلما كملت هذه الدار سكنها أيام مباشرته وظيفة كتابة السر الي أن مات بها وقد حبسها على أولاده فاستمرت بأيديهم الى أن أخذها منهم الامير جمال الدين يوسف الاستادار كما أخذ غيرها من الاوقاف فاستمرت في جملة مابيده الى أن قتله الملك الناصر فرج فقبضها فيما قبض مما خلفه جمال الدين فلما قتل الملك الناصر فرج واستقل الملك المؤيد شيخ بمملكة مصر استرجع أولاد جمال الدين ماكان أخذه الناصر من أملاك جمال الدين وصارت بايديهم الي أن وقف له أولاد أوحد الدين في طلب دار أبيهم فعقد لذلك مجلس اجتمع فيه القضاة فتبين أن الحق بيد أولاد أوحد الدين فقضى باعادة الدار الى ماوقفها عليه أوحد الدين فتسلمها أولاد أوحد الدين من ورثة جمال الدين وهي الآن بأيديهم * (عبد الواحد) بن اسماعيل ابن ياسين الحنفي أوحد الدين كاتب السر ولد بالقاهرة ونشأ بها في كنف قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن على التركماني الحنفي لصهارة كانت بين ابيه وبين التركمانية وباشر توقيع الحكم مدة واتفق أن أميراً من أمراء الملك الاشرف شعبان بن حسين يعرف بيونس الرماح مات فادعى برقوق العثماني أحد المماليك اليلبغاوية أنه ابن عم يونس هذا وأنه يستحق ارثه لموته عن غير ولد وحضر الى المدرسة الصالحية بين القصرين حيث يجلس القضاة للحكم بين الناس حتي يثبت ما ادعاه فلما أراد الله من اسعاد جد أوحد الدين لم يقف برقوق على أحد من موقعي الحكم الا عليه وأخبره بما يريد فبادر الى توريق سؤال باسم برقوق وانهائه أنه ابن عم يونس الرماح وان عنده بينة تشهد بذلك ودخل بهذا السؤال الى قاضي القضاة وأنهى العمل حتي ثبت أن برقوق ابن عم يونس يستحق ارثه فلما فرغ من ذلك دفع برقوق الى أوحد الدين مبلغ دراهم أجرة توريقه كما هي عادة أهل مصر في هذا فامتنع من أخذها وألحف برقوق في سؤاله وهو يمتنع فتقلد له برقوق المنة بذلك واعتقد أمانته وخيره وصار لكثرة ركونه اليه اذا قدم فلاحو اقطاعه يبعثهم اليه حتي يحاسبهم عما حملوه من الخراج فلما قتل الملك الاشرف وثارت المماليك وكان من أمرهم ما كان الى أن تغلب برقوق وصار من جملة الامراء واستولى على الاصطبل السلطاني في شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة وصار أميرا خور أقام أوحد الدين موقعاً عنده وما زال أمر برقوق يزداد قوة حتي أنيطت به أمور المملكة كلها فصار أوحد الدين صاحب الحل والعقد وكاتب السر بدر الدين محمد بن على بن فضل الله اسما لامعنى له الى أن جلس الامير برقوق على تخت المملكة

في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة فقرر القاضى أوحد الدين في وظيفة كتابة السر عوضا عن ابن فضل الله وخلع عليه في يوم السبت ثانى عشر شوال من السنة المذكورة فباشر كتابة السر على القالب الجائر وضبط الامور أحسن ضبط وعكف سائر الناس على بابه لتمكنه من سلطانه وكان الامير يونس الدوادار يرى أنه أكثر الناس من الامراء تمكينا من السلطان وجرت العادة بانتماء كاتب السر الى الدوادار فأحب أوحد الدين الاستبداد على الامير يونس الدوادار فقال للسلطان سرا في غيبة يونس ان السلطان يرسم بكتابة مهمات الدولة وأسرار المملكة الى البلاد الشامية وغيرها والامير الدوادار يريد من المملوك أن يطلع على ذلك فلم يقدر المملوك على مخالفته ولا أمكنه اعلامه الا باذن فأنف السلطان من ذلك وقال الحذر أن يطلع على شئ من مهمات السلطان أو أسراره فقال أخاف منه أن سأل ولم أعلمه فقال السلطان ماعليك منه فرأى أنه قد تمكن حينئذ فأمسك أياما ثم أراد الازدياد من الاستبداد فقال للسلطان سرا قد رسم السلطان أن لا يطلع أحد على سر السلطان ولا يعرف بما يكتب من المهمات وطائفة البريدية كلهم يمشون فى خدمة الدوادار فاذا اقتضت آراء السلطان تسفير أحد منهم في مهم يحتاج المملوك الى استدعائه من خدمة الامير الدوادار فاذا التمس منى أني أخبره بالمعنى الذى توجه فيه البريدى لاأقدر على اعلامه بذلك ولا آمن ان كتمته وانصرف فلما كان من الغد وطلع الامراء الى الخدمة على العادة قال السلطان للامير يونس الدوادار أرسل البريدية كلهم الى كاتب السر ليمشوا ويركبوا معه فلم يجد بدا من ارسالهم وحصل عنده من ارسالهم المقيم المقعد فصار البريدية يركبون نوبا في خدمة أوحد الدين ويتصرف في أمور الدولة وحده مع سلطانه فانفرد بالكلمة وخضع له الخاص والعام الا انه نغص عليه في نفسه ومرض مرضاً طويلا سقطت معه شهوة الطعام بحيث انه لم يكن يشتهى شيئاً من الغذاء وتنوع له المأ كل بين يديه لكى تميل نفسه الى شئ منها ومتي تناول غذاء تقيأه في الحال وما زال على ذلك الى أن مات عن سبع وثلاثين سنة في يوم السبت ثانى ذي الحجة سنة ست وثمانين وسبعمائة ودفن خارج باب النصر فلم يتأخر أحد من الامراء والاعيان عن جنازته وكان حسن السياسة رضي الخلق عاقلا كثير السكون جيد السيرة جميل الصورة حسن الهيئة عارفا بأمر دنياه محبا للمداراة صاحب باطن قليل العلم رحمه الله * (ربع الزيتى) هذا الربع كان بجوار قنطرة الحاجب التي على الخليج الناصرى وكان يشتمل على عدة مساكن ينزلها أهل الخلاعة للقصف فانه كان يشرف من جهاته الاربع على رياض وبساتين ففى شرقيه غيط الزيتى وقد خرب وموضعه اليوم بركة ماء وفي غربيه غيط الحاجب بيبرس وأدركته عامراً وهو اليوم مزارع بعد ما كان له باب كبير بجانبه حوض ماء للسبيل وعليه سياج من طين دائر به ومن قبلي هذا الربع الخليج وقنطرة

الحاجب والجنينة التي بأرض الطبالة ومن بحريه بساتين تتصل بالبعل وكوم الريش ومازال هذا الربع معمورا باللذات آهلا بكثرة المسرات الى أن كانت سنة الغرقة وهي سنة خمس وخمسين وسبعمائة فخربت دور كوم الريش وغيرها ووصل ماء النيل الى قنطرة الحاجب فخرب ربع الزيتي وأهمل أمره حتى صار كوما عظيما تجاه قنطرة الحاجب وغيط الحاجب وسمعت من أدركته يخبر عن هذا الربع بعجائب من الملاذ التي كانت فيه وكانت العامة تقول في هزلها ستي أين كنتي وأين رحتي وأين جيتي قالت من ربع الزيتي

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

*(الدار التي في أول البرقية من القاهرة التي حيطانها حجارة بيض منحوتة) هذه الدار بقي منها جدار على يمين من سلك من المشهد الحسيني يريد باب البرقية وبقي منها أيضاً جدار على يمين من سلك من رحبة الايدمري الى باب البرقية وهي دار الامير صبيح بن شاهنشاه أحد أمراء الدولة الفاطمية في أيام الصالح طلائع بن رزيك وكانت في غاية الكبر والتحسين قال بعض أصحاب الصالح يا مولانا أبقاك الله حتى تتم دار ابن شاهنشاه وكان الضرغام قبل أن يلي وزارة مصر قد فرس العادل أباشجاع رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك فظهر منه فارسا في غاية الفروسية بحيث انه قد حضر في يوم عيد الحلقة وأخذ رمحا وحربة وقوسا وسهما فأخذ الحلقة بالرمح ورمي بالسهم فأصاب الغرض وحذف بالحربة فأثبتها في المرمى ولعب بالرمح في غاية الحسن ثم دخل صبيح بن شاهنشاه فعمل مثل ذلك فتحرك الضرغام وكان يلبس عمامة بعذبة وأكمام واسعة على زي المصريين يومئذ فتلثم بعذبته ولف أكمامه وأخذ رمحه ولعب به في غاية الحسن وطرد كذلك ودخل في الحلقة وأخذها فعجب منه كل من في العسكر فأخذ عند ذلك الامير صبيح بن شاهنشاه المبخرة وأتى اليه وقال يامولاى كفاك الله أمر العين فان هذا شيء ما يقدر عليه أحد وجعل يدور حول فرسه ويبخره والضرغام يتبسم ويعجبه ذلك وبعد هذا كان قتل ابن شاهنشاه على يده في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ولم تكمل هذه الدار *(دار التمر) هذه الدار بمدينة مصر من خارجها فيما انحسر عنه ماء النيل بعد الخمسمائة من سني الهجرة وتعرف اليوم بصناعة التمر تجاه الصاغة بخط سوق المعاريج ومن جملتها بيت برهان الدين ابراهيم الحلي ومدرسته وهذه الدار وقفها القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني على فكاك الاسرى من المسلمين ببلاد الفرنج * قال القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر في كتاب الدر النظيم في أوصاف القاضي الفاضل عبد الرحيم ومن جملة بنائه دار التمر بمصر المحروسة ولها دخل عظيم يجمع ويشترى به الاسرى من بلاد الفرنج وذلك مستمر الى هذا الوقت وفي كل وقت يحضر بالاسارى فيلبسون ويطوفون ويدعون له وسمعتهم مراراً يقولون يا ألله يا رحمن يا رحيم ارحم القاضي الفاضل

عبد الرحيم وقال القاضى جمال الدين بن شيث كان للقاضي الفاضل ربع عظيم يؤجره بمبلغ كبير فلما عزم على الحج ركب ومرّ به ووقف عليه وقال ألهم انك تعلم ان هـذا الخان ليس شئ أحب الى منه أو قال أعز على منه ألهم فاشهد انى وقفته على فكاك الاسرى من بلاد الفرنج وقال ابن المتوج ومن جملة الاوقاف الوقف الفاضلى وهو الدار المشهورة بصناعة ألتمر الوقف على فكاك الاسري من يد العدو المشتملة على مخازن وأخصاص وشون ومنازل علوية وحوانيت بمجازها وظاهرها وهى اثنا عشر حانوتاً وخمسة مقاعد وثمانيـة وخمسون مخزناً وخمسة عشر خصاً وست قاعات وساحة وست شون وخمسة وسبعون منزلا وخمسـة مقاعد علوية الاجرة عن ذلك جميعه الى آخر شعبان سنة تسع وثمانين وستمائة فى كل شهر ألف ومائة وست وثلاثون درهما نقرة واستجد بهـا القاضي جمال الدين الوجيزى خليفة الحـكم بمصر حين كان ينظر في الاوقاف داراً من ريع الوقف فأ كلها البحر فامر ببناء زربية أمامها من مال الوقف *(عمارة أم السلطان) هـذه العمارة من جملة المنحر كانت دارا تعرف بالامير جمال الدين ايدغدى العزيزي ولهـا باب من الدرب الاصفر الذى هو الآن تجاه خانقاه بيبرس وباب من المحايريين تجاه الجامع الاقمر عرفت هـذه الدار بالامير مظفر الدين موسى الصالح على بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الالفى ثم خربت فانشأتها خوند أم الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وجعلت منها قيسارية بخط الركن المخلق يباع بها الجلود ويعلوها ربع جليل لسكن العامة يشتمل على عدة طباق ووقفت ذلك على مدرستها بخط التبانة خارج باب زويلة فلم تزل جارية في وقفها الى أن اغتصبها الوزير الامير جمال الدين يوسف الاستادار فيما أخذ من الاوقاف وجعلها وقفاً على مدرسته بخط رحبة باب العيد من القاهرة وجعلت خوند بركة من جملة هذه الدار قاعة لم يعمر فيها سوى بوابتها لا غير وهى أجل بوابات الدور وقد دخلت أيضاً فيما أخذه جمال الدين وصارت بيد مباشرى مدرسته الى أن أخذها السلطان الملك الاشرف أبو العزيزى برسباى الدقاقى الظاهرى وابتدأ بعمالها وكالة فى شوال سنة خمس وعشرين وثمانمائة فكملت فى رجب سنة ست وعشرين وغير من الطراز المنقوش فى الحجارة بجانبي باب الدخول اسم شعبان بن حسين وكتب برسباى فجاءت من أحسن المباني ويعلوها طباق للسكنى ولم يسخر في عمارتها أحد من الناس كما أحـدثه ولاة السوء في عمائرهم بل كان العمـال من البنايين والفعلة ونحوهم يوفون أجورهم من غير عنف ولا عسف فانه كان القائم على عمارتهـا القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش وهـذه عادته في أعماله أن لا يكلف فيهـا العمال غير طاقتهم ويدفع اليهم أجورهم والله أعلم

(ذكر الحمامات)

قال ابن سيده الحمام والحميم والحميمة جميعاً الماء الحار والحميمة أيضاً المحض اذا سخن وقد أحمه وحمه وكلما سخن فقد حم قال ابن الاعرابى والحمائم جمع الحميم الذى هو الماء الحار وهذا خطأ لان فعيلا لا يجمع على فعائل وانما هو جمع الحميمة الذى هو الماء الحار لغة في الحميم مذكر وهو أحد ما جاء من الاسماء على فعال نحو القذاف والجبان والجمع حمامات قال سيبويه جمعوه بالالف والتاء وان كان مذكراً حيث لم يكسر جعلوا ذلك عوضاً من التكسير والاستحمام الاغتسال بالماء الحار وقيل هو الاغتسال بأى ماء كان والحميم العرق واستحم الرجل عرق وأما قولهم لداخل الحمام اذا خرج طاب حميمك فقد يعني به العرق أي طاب عرقك واذا دعى له بطيب العرق فقد دعى له بالصحة لان الصحيح يطيب عرقه وروى عن سفيان الثورى أنه قال ما درهم ينفقه المؤمن هو فيه أعظم أجراً من درهم يعطيه صاحب حمام ليخليه له وقال محمد بن اسحاق فى كتاب المبتدى ان أول من اتخذ الحمامات والطلاء بالنورة سليمان بن داود عليهما السلام وأنه لما دخل ووجد حميمه قال أواه من عذاب الله أواه * وذكر المسيحي فى تاريخه أن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أول من بنى الحمامات بالقاهرة ٠ وذكر الشريف أسعد الجوانى عن القاضى القضاعى أنه كان في مصر الفسطاط ألف ومائة وسبعون حماماً ٠ وقال ابن المتوج ان عدة حمامات مصر في زمنه بضع وسبعون حماماً ٠ وذكر ابن عبد الظاهر أن عدة حمامات القاهرة الى آخر سنة خمس وثمانين وستمائة تقرب من ثمانين حماماً ٠ وأقل ما كانت الحمامات ببغداد فى أيام الخليفة الناصر أحمد ابن المستنصر نحو الالفى حمام *(حمامى السيدة العمة) قال ابن عبد الظاهر حمامي السكافى يعرفان بحمامى السيدة العمة وانتقلتا الى الكامل بن شاور ثم الى ورثة الشريف بن ثعلب وهما الآن بأيديهم ولا تدور الا الواحدة وهاتان الحمامان كانتا على يمنة من يدخل من أول حارة الروم تجاه ربع الحاجب لؤلؤ المعروف الآن بربع الزياتين علو الفندق الذى بابه بسوق الشوايين وكانت احداهما برسم الرجال والاخرى برسم النساء وقد خربتا ولم يبق لهما أثر ألبتة *(حمام الساباط) قال ابن عبد الظاهر كان فى القصر الصغير باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة فى العيد يخرج منه الى الميدان وهو الخرشتف الآن الى المنحر لينحر فيه الضحايا ٠ قلت حمام الساباط هذا يعرف فى زمننا بحمام المارستان المنصورى وهو برسم دخول النساء عند باب سر المارستان المنصورى وهذا الحمام هو حمام القصر الصغير الغربى ويعرف أيضاً بحمام الصنيمة فلما زالت دولة الخلفاء الفاطميين من القاهرة باعها القاضى مؤيد الدين أبو المنصور محمد بن المنذر بن محمد العدل الانصارى الشافعى وكيل بيت المال فى أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب للامير عز الدين

ايبك العزيزى هي وساحات تحاذيها بألف ومائتي دينار فى ذى الحجة سنة تسعين وخمسمائة ثم باعها الامير عز الدين ايبك للشيخ أمين الدين قيماز بن عبد الله الحموي التاجر بألف وستمائة دينار فورثها من بعده من استحق ارثه ثم اشترى من الورثة نصفها الامير الفارس صارم الدين خطلبا الكاملي العادلى في سنة سبع وثلاثين وستمائة وانتقلت أيضاً منها حصة الى ملك الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى الصالحي النجمي استادار الملك الظاهر بيبرس في سنة ثمان وسبعين وستمائة فلما تملك الملك المنصور قلاوون الالفى وأنشأ المارستان الكبير المنصورى صارت فيما هو موقوف عليه وهى الآن في أوقافه ولها شهرة في حمامات القاهرة *(حمام لولو) هذه الحمام برأس رحبة الايدمرى ملاصقة لدار السنانى أنشاها الامير حسام الدين لؤلو الحاجب فى أيام (٣) *(حمام الصنيمة) هذه الحمام كانت بالقرب من خزانة البنود على يسرة من سلك في رحبة باب العيد الى قصر الشوك وقد خربت وعمل في موضعها مبيضة للغزل بالقرب من الجمالية *(حمام تتر) هذه الحمام كانت بخط دار الوزارة الكبرى وقد خربت وصار مكانها دار أعرفت بالامير الشيخ على وهى الدار المجاورة للمدرسة النابلسية فى الزقاق المقابل للخانقاه الصلاحية سعيد السعداء *(وتتر هذا) بتاءين مفتوحتين كل منهما منقوط بنقطتين من فوق أحد مماليك أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب استولى على هذه الحمام وكانت معدة لدار الوزارة في مدة الدولة الفاطمية فعرفت به وما حولها والى الآن يعرف ذلك الخط بخط خرائب تتر والعامة تقول خرائب التتر بالتعريف وهو خطأ *(حمام كرجي) هذه الحمام كانت بخط خرائب تتر أيضاً في جوار المدرسة النابلسية تجاه باب الخانقاه الصلاحية عرفت بالامير علم الدين كرجي الاسدى أحد الامراء الاسدية فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد خربت هذه الحمام وبنى فى مكانها هذا البناء الذى تجاه باب الخانقاه بأول الزقاق *(حمام كتيلة) هذه الحمام كانت داخل باب الخوخة برأس سويقة الصاحب عرفت أخيرا بالامير صارم الدين ساروج شاد الدواوين ثم خربت فى أيام (٣) ومكانها الآن مسمط يذبح فيه الغنم وتسمط *(حمام ابن أبى الدم) هذه الحمام كانت فيما بين سويقة المسعودى وباب الخوخة أنشأها ابن أبى الدم اليهودى أحد كتاب الانشاء في أيام الخليفة الحاكم وتولى ابن خيران الديوان ونقل عنه أنه وسع بين السطور في كتاب كتبه الى الخليفة (٣) وهذه مكاتبة الاعلى الى الادني فلما حضر وأنكر عليه ألحق بين السطر والسطر سطراً مناسباً للفظ والمعنى من غير أن يظهر ذلك فعفا عنه وقد خربت وصار مكانها درباً فيه دور يعرف بسكن القاضى بدر الدين حسن البرديني أحد خلفاء الحاكم العزيزى الشافعى وأدركت بعض آثار هذه الحمام *(حمام الحصينية) هذه الحمام كانت فى سويقة الصاحب من داخل درب الحصينية الذى يعرف اليوم

بدرب ابن عرب وقد خربت *(حمام الذهب) هـذه الحمام كانت بدار الذهب أحد مناظر الخلفاء الفاطميين التي ذكرت فى المناظر من هذا الكتاب وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها أثر *(حمام ابن قرقة) هذه الحمام كانت بخط سويقة المسعودى من حارة زويلة أنشأها أبو سعيد بن قرقة الحكيم متولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح في الدولة الفاطمية بجوار داره التي تقدمت في الدور من هذا الكتاب ثم عرفت هذه الحمام في الدولة الأيوبية بالامير صارم الدين المسعودى والى القاهرة المنسوب اليه سويقة المسعودى المذكورة في الاسواق من هذا الكتاب ثم خربت هذه الحمام وعمل في موضعها فندق عرف أخيرا بفندق عمار الحمامي بجوار جامع ابن المغربى من جانبه الغربى وأخذت بئر هذه الحمام فعملت للحمام التي تعرف اليوم بحمام السلطان *(حمام السلطان) هذه الحمام يتوصل اليها الآن من سويقة المسعودى ومن قنطرة الموسكي وهى من الحمامات القديمة عرفت في الدولة الفاطمية بحمام الاوحد ثم عرفت في الدولة الايوبية بحمام ابن يحيي وهو القاضى المفضل هبة الله ابن يحيي العدل ثم عرفت بحمام الطيبرسى ثم هى الآن تعرف بحمام السلطان *(حمام خوند) هذه الحمام بجوار رحبة خوند المذكورة في الرحاب من هذا الكتاب وكانت برسم الدار التي تعرف الآن بدار خوند اردتكين ثم أفردت وصارت الى الآن حماما يدخله عامة الرجال في أوائل النهار ثم تعقبهم النساء من بعد الى أن هدمها الامير صلاح الدين محمد استادار السلطان ابن الامير الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله في شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة وعمل موضعها من جملة داره التي هناك *(حمام ابن عبود) هذه الحمام موضعها فيما بين اصطبل الجميزة المذكورة فى اصطبلات الخلفاء من هذا الكتاب وبين رأس حارة زويلة وهي من الحمامات القديمة عرفت بحمام الفلك وهو القاضى فلك الملك العادل ثم عرفت بالامير على بن أبى الفوارس ثم عرفت بابن عبود وهو الشيخ نجم الدين أبو على الحسين بن محمد بن اسماعيل بن عبود القرشى الصوفي مات فى يوم الجمعة ثالث عشرى شوال سنة اثنين وعشرين وسبعمائة بعد ما عظم قدره ونفذ في أرباب الدولة نهيه وأمره وهو صاحب الزاوية المعروفة بزاوية ابن عبود بسفح الجبل قريبا من الدينورى من القرافة فانظرها في الزوايا من هذا الكتاب ولم تزل هذه الحمام جارية في أوقاف التربة المذكورة الى أن تسلط الامير جمال الدين على أموال أهل مصر فاغتصب ابن أخته الامير شهاب الدين أحمد المعروف بسيدي أحمد ابن أخت جمال الدين هذه الحمام واغتصب دار ابن فضل الله التي تجاه هـذه الحمام واغتصب آدرا أخر بجوارها وعمر هناك دارا عظيمة كما قد ذكر في الدور من هذا الكتاب *(حمام الصاحب) هذه الحمام بسويقة الصاحب عرفت بالصاحب الوزير صفى الدين عبد الله بن شكر الدمري صاحب المدرسة الصاحبية

التي بسويقة الصاحب ثم تعطلت مدة سنين فلما ولى الامير تاج الدين الشوبكي ولاية القاهرة
في ايام الملك المؤيد شيخ جددها وأدار بها الماء في سنة سبع عشرة وثمانمائة *(حمام السلطان)
هـذه الحمام كان موضعها قديما من جملة دار الديباج وهى الآن بخط بين العواميد من
البندقانيين بجوار خوخة سوق الجوار ومدرسة سيف الاسلام أنشأها الامـير فخر الدين
عثمان بن قزل استادار السلطان الملك الـكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وتنقلت
الى أن صارت فى أوقاف الملك الناصر محمد بن قلاوون *(حماما طغريك) هاتان الحمامان
بجوار فندق فخر الدين بالقرب من سويقة حارة الوزيرية أنشأهما الامير حسام الدين طغريك
المهراني أحد الامراء الايوبية *(حمام السوباشى) هذه الحمام كانت بدرب طلائع بخط
الخروقيين الذى يعرف اليوم بسوق الفرايين عرفت بالامير الفارس همام الدين أبو سعيد
برغش السوباشى واسمه عمرو بن نحت بن شيرك العزيزى والى القاهرة *(حمام عجينة)
هذه الحمام كانت بخط الاكفانيين أنشأها الامير فخر الدين أخو الامير عز الدين موسك
في الدولة الايوبية وتنقلت حتى صارت بيد أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى مما أوقف
عليهم وعرفت أخيرا بحمام عجينة ثم خربت بعد سنة أربعين وسبعمائة وموضعها الآن خربة
بجوار الفندق الكبير المعد لديوان المواريث *(حمام درى) هذه الحمام كانت بخط الاكفانيين
الآن عرفت بشهاب الدولة درى الصغير غلام المظفر بن أمير الجيوش قال الشريف محمـد
ابن أسعد الجوانى في كتاب النقط لمعجم ما أشكل من الخطط شهاب الدولة درى المعروف
بالصغير المظفري غلام المظفر أمير الجيوش كان أرمنيا وأسلم وكان من المشددين في مذهب
الامامية وقرأ الجمل فى النحو للزجاجي وكتاب اللمع لابن جنى وكانت له خرائط من القطن
الابيض في يديه ورجليه وكان يتولى خزائن الـكسوة ولا يدخل على بسط السلطان ولا
بسط الخليفة الحافظ لدين الله ولا يدخل مجلسه الا بتلك الخرائط فى رجليه ولا يأخذ
من أحد شيئاً الا وفي يديه خريطة يظن أن كل من لمسه نجسه وسوسة منه فاذا اتفق أنه
صافح أحدا أو مس رقعة بيده من غير خريطة لا يمس ثوبه بها أبدا حتى يغسلها فان لمس
ثوبه بها غسل الثوب وكان الاستاذون المحنكون يرمون له في بساط الخليفة الحافظ العنب
فاذا مشى عليه وانفجر ووصل ماؤه الى رجليه سبهم وحرد فيعجب الخليفة من ذلك ويضحك
ولا يؤاخذه بما صدر منه ومات بعد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقد خربت هذه الحمام
ولم يبق لها أثر يعرف *(حمام الرصاصى) هذه الحمام كانت بحارة الديلم أنشأها الامير سيف
الدين حسين بن أبى الهيجاء المروانى حامل السيف المنصور وأوقفها هي وجميع الآدر المجاورة
لها على أولاده وذريته فلما زالت الدولة الفاطمية عرفت بالامير عز الدين أيبك الرصاصى
ولم تزل باقية الى بعد سنة أربعين وسبعمائة ثم خربت *(حمام الجيوشى) هـذه الحمام

كانت بحارة برجوان على يمنة من دخل من رأس الحارة وكانت من حقوق دار المظفر ابن أمير الجيوش ثم صارت بعد زوال الدولة الفاطمية من جملة ما أوقفه الملك العادل أبو بكر ابن أيوب على رباطه الذي كان بخط التخالين من فسطاط مصر ثم وضع بنو الكويك اصهار قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة أيديهم عليها في جملة ما وضعوا أيديهم عليه من الاوقاف بحارة ابن جماعة وانتفعوا بريعها مدة سنين ثم خربوها بعد سنة أربعين وسبعمائة وموضعها الآن بجوار دار قاضي القضاة شمس الدين محمد الطرابلسي وبعضها داخل في الدار المذكورة وبئرها بجوار القبو الذى يسلك من تحته الى حمام الرومى داخل حارة برجوان ويعلو هذا العقد حاصل الماء الذى للحمام ويمر على مجراه من حجرة مركبة على جدار بجوار القبو الى الحمام المذكورة وآثار هذا الجدار باقية الى اليوم وكان قد استأجر هذه البئر والقبو بعد تعطل الحمام القاضي أبو الفداء تاج الدين اسمعيل بن أحمد ابن الخطباء المخزومى من مباشري أوقاف رباط العادل وبنى على البئر وبجوارها دارا سكنها مدة أعوام وأنشأ باعلى حاصل الماء المركب على القبو مشرفا عاليا تأنق فى ترخيمه ودهانه وكتب بدائره

مشترف كم شبهوه الادبا * لحسنه اذ جاء شيئاً عجبا
فقال قوم قلعة مبنية * وآخرون شبهوه مرقبا
وشاعر أعجبه ترخيمه * فقال تلك روضة فوق الربا
وقائل ماذا ترى تشبيهه * فقلت هذا منبر ابن الخطبا

ثم خربت هذه الدار بعد موت ابن الخطباء واحترقت فى سنة تسع وثمانمائة وآثارها باقية وما زال ابن الخطباء يدفع حكر هذه البئر وهذا القبو لجهة الرباط العادلى حتى خرب وعفى أثره وجهل مكانه وقد رأيته في سنة أربع وتسعين وسبعمائة عامرا *(حمام الرومى) هذه الحمام بجوار حارة برجوان عرفت بالامير سنقر الرومى الصالحي أحد الامراء في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري أنشأها بجوار اسطبله الذي يعرف اليوم باسطبل ابن الكويك وذلك تجاه رحبة داره التي عرفت بدار مازان ووقف هذه الدار والاسطبل والحمام المذكورة في سنة اثنين وستين وستمائة فأما الدار فانها صارت أخيرا بيد رجل من عامة الناس يعرف بعيسى البناء فباعها أنقاضا بعد ما خربها فى سنة سبع وثمانمائة لرجل من المباشرين فهدمها ليعمرها عمارة جليلة فلم يمهل وعاجله القضاء فمات وصارت خربة فابتاعها بعض الناس من ورثة المذكور وشرع فى عمارة شيء منها وأما الاصطبل والحمام فوضع بنو الكويك أيديهم عليهما مدة أعوام حتى صارا ملكا لهم يورثان وهما الآن بيد شرف الدين محمد بن محمد بن الكويك وقد جعل ما يخصه من الحمام وقفا على نفسه ثم على اناس من

بعده وفي هذه الحمام حصة أيضاً وقفها شيخنا برهان الدين ابراهيم الشامي الضرير على أمته وهي بيدها *(سنقر الرومى) الصالحي النجمي أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب البحرية ترقي عنده في الخدم حتى صار جامدار وكان من خوشداشية بيبرس البندقدارى وأصدقائه فلما قتل الفارس اقطاي في أيام الملك المعز أيبك التركماني وخرج البحرية من القاهرة الى بلاد الشام كان سنقر ممن خرج ورافق بيبرس وارتفق بصحبته ونال منه مالا وثيابا وغير ذلك وتنقل معه في الكرك الى أن كان من أمره في الصيد مع صاحب الكرك فطلب سنقر من بيبرس شيأ فلم يجبه وامتنع من اعطائه فحنق وفارقه الى مصر فأقام بها ثم ان بيبرس قدم الى مصر بعد ذلك وقد صار أميرا فلم يعبأ سنقر به ولا قدم اليه شيئاً كعادة الخوشداشية فلما صار الامر الى بيبرس وملك بعد قطز قدم سنقر وأعطاه الاقطاعات الجليلة ونوّه بقدره فلم يرض فصار اذا ورد عليه الانعام السلطانى لايأخذه بقبول ويخلو كل وقت بجماعة بعد جماعة ويفرق فيهم المال فيبلغ ذلك السلطان ويغضى عنه وربما بعث اليه وحذره مع الامير قلاوون وغيره فلم ينته ثم انه قتل مملوكين من مماليكه بغير ذنب فعز قتلهما على السلطان فطلبه في رابع عشرى ذى الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة واعتقله فقال أريد أعرف ذنبى فبعث اليه السلطان يعدد ذنوبه فتحسر وقال أواه لو كنت حاضراً قتل الملك المظفر قطز حتى أعاند فى الذى جرى وكان كثيراً مايقول ذلك وبلغ هذا القول منه السلطان في حال امرته فقال انت أخي وتحسر كونك ماقدرت أن تعين على *(حماما سويد) هاتان الحامان بآخر سويقة أمير الجيوش عرفتا بالامير عز الدين معالى بن سويد وقد خربت احداهما ويقال انها غارت في الارض وهلك فيها جماعة وبقيت الاخرى وهي الآن بيد الخليفة أبى الفضل العباسى بن محمد المتوكل *(حمام طغلق) هذه الحمام بجوار درب المنصورى من خط حارة الصالحية صارت أخيراً بيد ورثة الامير قطلوبغا المنصورى حاجب الحجاب في أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين وكانت معدة لدخول الرجال ثم تعطلت بعد سنة تسعين وسبعمائة وأخذ حاصلها وعهدى بها بعد سنة ثمانمائة أطلالا واهية *(حمام ابن علكان) هذه الحمام كانت بحارة الجودرية أنشأها الامير شجاع الدين عثمان ابن علكان صهر الامير الكبير فخر الدين عثمان بن قزل ثم انتقلت الى الامير علم الدين سنجر الصيرفي الصالحي النجمي وما زالت الى أن خربت بعد سنة أربعين وسبعمائة فعمر مكانها الامير ازدمر الكاشف اسطبلا بعد سنة خمسين وسبعمائة *(حمام الصاحب) هذه الحمام بخط طواحين الملحيين *(حمام كتبغا الاسدى) هذه الحمام موضعها الآن المدرسة الناصرية بخط بين القصرين *(حمام التطمش خان) هذه الحمام كانت بجوار ميضاة الملك ركن الدين الظاهر بيبرس المجاورة للمدرسة الظاهرية بخط بين القصرين أنشأتها الخاتون

التطمش خان زوجة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ثم خربت وصار موضعها زقاقا فلما ولى كمال الدين عمر بن العديم قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية فى سلطنة الملك الناصر فرج شرع في عمارة هذا الزقاق فمات ولم يكمله فوضع الامير جمال الدين يده في العمارة وأنشأها فندقا جعله وقفاً فيما وقف على مدرسته التى أنشأها برحبة بب العيد فلما قتله الملك الناصر فرج واستولى على جميع ماتركه جعل هذا الفندق من جملة ماأرصده للتربة التى أنشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر * (حمام القاضى) هذه الحمام من جملة خط درب الاسوانى وهى من الحمامات القديمة كانت تعرف بانشاء شهاب الدولة بدر الخاص أحد رجال الدولة الفاطميـة ثم انتقلت الى ملك القاضى رضى الدين عبـد الناصر بن تقى الدين فعرفت به ثم صارت الى ملك القاضى السعيد أبى المعالى هبة الله بن فارس وصارت بعده الى ملك القاضى كمال الدين أبي حامد محمد ابن قاضى القضاة صـدر الدين عبد الملك بن درباس المارانى فعرفت بحمام القاضى الى اليوم ثم باع ورثة أبى حامد منها حصة للامـير عز الدين ايدمر الحلى نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وصارت منها حصـة الى الامير علاء الدين طيبرس الخازندارى فجعلها وقفاً على مدرسته المجاورة للجامع الازهر * (حمام الخراطين) هذه الحمام أنشأها الامير نور الدين أبو الحسن على بن نجا بن راجح ابن طلائع فعرفت بحمام ابن طلائع وكان بجوارها ثم حمام أخرى تعرف بحمام السوباشى فخربت ومستوقد حمام ابن طلائع هذه الى الآن من درب ابن طلائع الشارع بسوق الفرايين الآن ولها منه أيضاً باب وصارت أخيراً في وقف الامير علم الدين سنجر السرورى المعروف بالخياط والى القاهرة وتوفي في سنة ثمان وتسعين وستمائة فاغتصبها الامير جمال الدين يوسف الاستادار في جملة مااغتصب من الاوقاف والاملاك وغيرها وجعلها وقفاً على مدرسته برحبة باب العيد وهى الآن موقوفة عليها * (حمام الخشيبة) هذه الحمام بجوار درب السلسلة كانت تعرف بحمام قوام الدولة خير ثم صارت حماما لدار الوزير المأمون ابن البطائحى فلمـا قتل الخليفة الآمر بأحكام الله وعملت خشيبة تمنع الراكب أن يمر من تجاه المشـهد الذى بنى هناك عرفت هذه الحمام بخشيبة تصغير خشبة وقد تقدم ذلك مبسوطاً عند ذكر الاخطاط من هذا الـكتاب • قال ابن عبد الظاهر مدرسة السيوفيين وقفها الامير عز الدين فرج شاه على الحنفية وكانت هذه الدار قديماً تعرف بدار المأمون بن البطائحي وحمام الخشيبة كانت لها فبيعت وهذه الحمام هى الآن في أوقاف خوند طغاي ام انوك ابن الملك النـاصر محمـد بن قلاوون على تربتها التى في الصحراء خارج باب البرقية * (حمام الـكويك) هذه الحمام فيما بين حارة زويلة ودرب شمس الدولة أنشأها الوزير عباس أحد وزراء الدولة الفاطمية لداره التى موضعها الآن درب شمس الدولة ثم جددها شخص من التجار يعرف بنور الدين على

ابن محمد بن أحمد بن محمود بن الـكويك الربعى التـكريتى في سنة تسع وأربعين وسبعمائة فعرفت به الى اليوم * (حمام الجويني) هذه الحمام بجوار حمام ابن الـكويك فيما بينها وبين البندقانيين عرفت بالامير عز الدين ابراهيم بن محمد بن الجوينى والي القاهرة في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب توفي سابخ جمادى الاولى سنة احدى وستمائة فانه أنشـأها بجوار داره والعامة تقول حمام الجهينى بهاء وهو خطأ وتنقلت الى أن اشتراها القاضى أوحد الدين عبد الواحد بن ياسين كاتب السر الشريف في أيام الملك الظاهر برقوق بطريق الوكالة عن الملك الظاهر وجعلها وقفاً على مدرسـته العظمى بخط بين القصرين وهى الآن في جملة الموقوف عليها * (حمام القفاصين) هذه الحمام بالقرب من رأس حارة الديلم أنشـأها نجم الدين يوسف بن المجاور وزير الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب * (حمام الصغيرة) هذه الحمام على يمنة من سلك من رأس حارة بهاء الدين وهي تجاه دار قرا سنقر أنشأها الامير فخر الدين بن رسول التركمانى ورسول هـذا جد ملوك اليمن الآن وقد تعطلت هذه الحمام منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة * (حمام الاعسر) هذه الحمام موضعها من جملة دار الوزارة وهى الآن بجوار باب الجوانية أنشأها الامير شمس الدين سنقر المعزى الظاهرى المنصورى * (سنقر الاعسر) كان أحد مماليك الامير عز الدين ايدمر الظاهرى نائب الشام وجعله دواداره فباشر الدوادارية لاستاذه بدمشق ونفسه تكبر عنها فلما عزل أيدمر من نيابة الشام في أيام الملك المنصور قلاوون وحضر الى قلعة الجبل اختار السلطان عدة من مماليكه منهم سنقر الاعسر هذا فاشتراه وولاه نيابة الاستادارية ثم سيره في سنة ثلاث وثمانين وستمائة الى دمشق وأعطاه امرة وولاه شد الدواوين بها واستادارا فصارت له بالشام سمعة زائدة الى أن مات قلاوون وقام من بعده الاشرف خليل واستوزر الوزير شمس الدين السلعوس طلب سنقر الى القاهرة وعاقبه وصادره فتوصل حتى تزوج بابنة الوزير على صداق مبلغه ألف وخمسمائة دينار فأعاده الى حالته ولم يزل الى أن تسلطن الملك العادل كتبغا واستوزر الصاحب فخر الدين بن خليل وقبض على سنقر وعلى سيف الدين استدمر وصادرهما وأخذ من سنقر خمسمائة ألف درهم وعزله عن شد الدواوين وأحضره الى القاهرة فلما وثب الامير حسام الدين لاجين على كتبغا وتسلطن ولى سنقر الوزارة عوضاً عن ابن خليل في جمادى الاولى سنة ست وتسعين وسبعمائة ثم قبض عليه في ذى الحجة منها وذلك أنه تعاظم في وزارته وقام بحق المنصب يريد أن يتشبه بالشجاعى وصار لايقبل شفاعة أحد من الامراء ويخرق بنوابهم وكان في نفسه متعاظماً وعنده شمم الى الغاية مع سكون فى كلامه بحيث انه اذا فاوض السـلطان في مهمات الدولة كما هي عادة الوزراء لايجيب السلطان بجواب شاف وصار يتبين منه للسلطان قلة الاكتراث به فأخذ في

ذمه وعيبه بما عنده من الكبر وصادفه الغرض من الامراء وشرعوا فى الحط عليه حتى صرف وقيد فأرسل يسأل السلطان عن الذنب الذي أوجب هذه العقوبة فقال ماله عندى ذنب غير كبره فانى كنت اذا دخل الى أحسب انه هو السلطان وأنا الأعسر فصدره منقام وحديثى معه كأنى أحدث أستاذى وقرر من بعده فى الوزارة ابن الخليلى فلما قتل لاجين وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الملك ثانياً أفرج عن سنقر الاعسر وعن جماعة من الامراء وأعاد الاعسر الى الوزارة في جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وفى وزارته هذه كانت هزيمة الملك الناصر بعساكره من غازان فتولى ناصر الدين الشيخي والى القاهرة جباية الاموال من التجار وأرباب الاموال لاجل النفقة على العساكر وقرر فى وزارته على كل أردب غلة خروبة اذا طلع الى الطحان وقرر أيضاً نصف الشمسرة ومعناها انه كان للمنادى على الثياب أجرة دلالته على كل مامبلغه مائة درهم درهمين فيؤخذ منه درهم منهما ويفضل له درهم واستخدم على هاتين الجهتين نحو مائتين من الاجناد البطالين وتحصل في بيت المال من أموال المصادرات مبلغ عظيم ثم خرج الوزير بمائة من مماليك السلطان وتوجه الى بلاد الصعيد وقد وقعت له فى النفوس مهابة عظيمة فكبس البلاد وأتلف كثيراً من المفسدين من أجل أنه لما حصلت وقعة غازان كثر طمع العربان فى المغل ومنعوا كثيرا من الخراج وعصوا الولاة وقطعوا الطريق وما زال يسير الى الاعمال القوصية فلم يدع فرسا لفلاح ولا قاض ولا متعمم حتى أخذه وتتبع السلاح ثم حضر بألف وستين فرسا وثمانمائة وسبعين جملا وألف وستمائة رمح وألف ومائتى سيف وتسعمائة درقة وستة آلاف رأس غنم وقتل عدة من الناس فتمهدت البلاد وقبض الناس مغلهم بتمامه واتفقت واقعة النصارى التي ذكرت عند ذكر كنائس النصارى من هذا الكتاب فى أيامه فامر بالتاج ابن سعيد الدولة أحد مستوفي الدولة وكان فيه زهو وحمق عظيم وله اختصاص بالامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى فعرى وضرب بالمقارع ضرباً مبرحا فأظهر الاسلام وهو في العقوبة فأمسك عنه وألزمه بحمل مال فالتجأ الى زاوية الشيخ نصر المنبجي وترامي على الشيخ فقام في أمره حتى عفى عنه فكره الامراء الاعسر لكثرة شممه وتعاظمه فكلموا الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيري واليه أمر الدولة فى ولاية الامير عز الدين أيبك البغدادى الوزارة وساعدهم على ذلك الامير سلار فولى الاعسر كشف القلاع الشامية واصلاح أمورها وترتيب رجالها وسائر مايحتاج اليه وخلع على الامير أيبك خلع الوزارة فى آخر سنة سبعمائة فلما عاد استقر أحد أمراء الالوف وحج فى صحبة الامير سلار ومات بالقاهرة بعد أمراض فى سنة تسع وسبعمائة وكان عارفا خيرا مهاباً له سعادات طائلة ومكارم مشهورة ولحاشيته ثروة متسعة وغالب مماليكه تأمروا بعده وممن مدحه الوداعى وابن الوكيل *(حمام الحسام) هذه الحمام بداخل باب

الجوانية *(حمام الصوفية) هـذه الحمام بجوار الخانقاه الصـلاحية سعيد السعداء أنشأها السـلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لصوفية الخانقاه وهي الى الآن جارية فى أوقافهم ولا يدخلها يهودى ولا نصراني *(حمام بهادر) هذه الحمام موضعها من جملة القصر وهى بجوار دار جرجي أنشأها الامير بهـادر استادار الملك الظاهر برقوق وقد تعطلت *(حمام الدود) هذه الحمام خارج باب زويلة فى الشارع تجاه زقاق خان حلب بجوار حوض سعد الدين مسعود بن هنس عرفت بالامير سيف الدين الدود الجاشـنكيرى أحد أمراء الملك المعز ايبك التركمانى وخال ولده الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز ايبك فلما وثب الامير سيف الدين قطز نائب السـلطنة بديار مصر على الملك المنصور على ابن الملك المعز ايبك واعتقله وجلس على سرير المملـكة قبض على الامير الدود فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة واعتقله وهذه الحمام الى اليوم بيد ذرية الدود من قبل بناته موقوفة عليهم *(حمام ابن أبي الحوافر) هذه الحمام خارج مدينة مصر بجوار الجامع الجديد النـاصرى كان موضعها وما حولها عامراً بماء النيل ثم انحسر عنه الماء وصار جزيرة فبنى الناس عليها بعد الخمسمائة من سنى الهجرة كما ذكر عند ذكر ساحل مصر من هذا الـكتاب وعرفت هذه الحمام بالقاضي فتح الدين أبى العباس أحمد ابن الشيخ جمال الدين أبى عمر وعثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل بن محمد بن أبي الحوافر رئيس الاطباء بديار مصر ومات ليـلة الخميس الرابع عشر من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة ودفن بالقرافة *(حمام قتال السبع) هذه الحمام خارج باب القوس من ظاهر القاهرة في الشارع المسلوك فيه من باب زويلة الى صليبة جامع ابن طولون وموضعها اليوم بجوار جامع قوصون عمرها الامير جمال الدين اقوش المنصورى المعروف بقتال السبع الموصلى بجانب داره التي هى اليوم جامع قوصون فلما أخذ قوصون الدار المذكورة وهدمها وعمر مكانها هذا الجامع أراد أخذ الحمام وكانت وقفاً فبعث الى قاضي القضاة شرف الدين الحنبلى الحرانى يلتمس منه حل وقفها فأخرب منها جانباً وأحضر شهود القيمة فكتبوا محضراً يتضمن أن الحمام المذكورة خراب وكان فيهم شاهد امتنع من الـكتابة فى المحضر وقال ما يسعني من الله أن أدخل بكرة النهار في هذا الحمام وأطهر فيها ثم أخرج منها وهي عامرة وأشهد بعد ضحوة نهار من ذلك اليوم أنها خراب فشهد غيره وأثبت قاضى القضاة الحنبلى المحضر المذ كور وحكم ببيعهـا فاشتراها الامير قوصون من ورثة قتال السبع وهى اليوم عامرة بعمارة ما حولها *(حمام لؤلؤ) هذه الحمام برأس رحبة الايدمري ملاصقة لدار السنانى من القاهرة أنشأها الامير حسام الدين لؤلؤ الحاجب *(لؤلؤ الحاجب) كان أرمني الاصل ومن جملة أجناد مصر فى أيام الخلفاء الفاطميين فلما استولي صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملـكة مصر خدم تقدمة

الاسطول وكان حيثما توجه فتح وانتصر وغنم ثم ترك الجندية وزوج بناته وكن أربعاً بجهاز كاف وأعطى ابنيه ما يكفيهما ثم شرع يتصدق بما بقي معه على الفقراء بترتيب لا خلل فيه ودواماً لا سآمة معه وكان يفرق في كل يوم اثنى عشر ألف رغيف مع قدور الطعام واذا دخل شهر رمضان أضعف ذلك وتبتل للتفرقة من الظهر في كل يوم الى نحو صلاة العشاء الآخرة ويضع ثلاثة مراكب طول كل مركب أحد وعشرون ذراعا مملوءة طعاماً ويدخل الفقراء أفواجاً وهو قائم مشدود الوسط كأنه راعى غنم وفي يده مغرفة وفي الاخرى جرة سمن وهو يصلح صفوف الفقراء ويقرب اليهم الطعام والودك ويبدأ بالرجال ثم بالنساء ثم بالصبيان وكان الفقراء مع كثرتهم لا يزدحمون لعلمهم أن المعروف يعمهم فاذا انتهت حاجة الفقراء بسط سماطاً للاغنياء تعجز الملوك عن مثله وكان له مع ذلك على الاسلام منة توجب أن يترحم عليه المسلمون كلهم وهي أن فرنج الشوبك والكرك توجهوا نحو مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لينبشوا قبره صلى الله عليه وسلم وينقلوا جسده الشريف المقدس الى بلادهم ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته الا بجعل فأنشأ البرنس ارباط صاحب الكرك سفناً حملها على البر الى بحر القلزم وأركب فيها الرجال وأوقف مركبين على جزيرة قلعة القلزم تمنع أهلها من استقاء الماء فسارت الفرنج نحو عيذاب فقتلوا وأسروا ومضوا يريدون المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم وذلك في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على حران فلما بلغه ذلك بعث الى سيف الدولة ابن منقذ نائبه على مصر يأمره بتجهيز الحاجب لؤلؤ خلف العدو فاستعد لذلك وأخذ معه قيوداً وسار في طلبهم الى القلزم وعمر هناك مراكب وسار الى ايلة فوجد مراكب للفرنج فخرقها وأسر من فيها وسار الى عيذاب وتبع الفرنج حتى أدركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم الا مسافة يوم وكانوا ثلاثمائة ونيفاً وقد انضم اليهم عدة من العربان المرتدة فعند ما لحقهم لؤلؤ فرت العربان فرقا من سطوته ورغبة في عطيته فانه كان قد بذل الاموال حتى انه علق اكياس الفضة على رؤس الرماح فلما فرت العربان التجأ الفرنج الى رأس جبل صعب المرتقى فصعد اليهم في عشرة أنفس وضايقهم فيه فخارت قواهم بعد ما كانوا معدودين من الشجعان واستسلموا فقبض عليهم وقيدهم وحملهم الى القاهرة فكان لدخولهم يوم مشهود وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة بعد ما ساق رجلين من أعيان الفرنج الى منى ونحرهما هناك كما تنحر البدن التي تساق هديا الى الكعبة ولم يزل على فعل المعروف الى أن مات رحمه الله في صميم الفلا وقد قرب منتهاه في اليوم التاسع من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بتربته من القرافة وهي التي حفر فيها البئر ووجد في قعرها عند الماء اسطام مركب وهذه الحمام تفتح تارة وتغلق كثيراً وهي باقية

الى يومنا هذا من جملة أوقاف الملك والله تعالى أعلم بالصواب

(ذكر القياسر)

ذكر ابن المتوج قياسر مصروهى قيسارية المحلى وقيسارية الضيافة وقف المارستان المنصورى وقيسارية شبل الدولة وقيسارية ابن الارسوفى وقيسارية ورثة الملك الظاهر بيبرس وقيساريتا ابن ميسر وقد خربت كلها *(قيسارية ابن قريش) هذه القيسارية في صدر سوق الجملون الكبير بجوار باب سوق الوراقين ويسلك اليها من الجملون ومن سوق الاخفافيين المسلوك اليه من البندقانيين وبعضها الآن سكن الارمنيين وبعضها سكن البزازين قال ابن عبد الظاهر استجدها القاضى المرتضى ابن قريش في الايام الناصرية الصلاحية وكان مكانها اسطبلا انتهى * وهو القاضى المرتضى صفى الدين أبو المجد عبد الرحمن بن على بن عبد العزيز بن على بن قريش المخزومى أحد كتاب الانشاء فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قتل شهيداً على عكا فى يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمسمائة ودفن بالقدس ومولده فى سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسمع السلفى وغيره *(قيسارية الشرب) هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه قيسارية جهاركس قال ابن عبد الظاهر وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على الجماعة الصوفية يعنى بخانقاه سعيد السعداء وكانت اسطبلا انتهى وما برحت هذه القيسارية مرعية الجانب اكراما للصوفية الى أن كانت أيام الملك الناصر فرج وحدثت الفتن وكثرت مصادرات التجار انخرق ذلك السياج وعومل سكانها بأنواع من العسف وهي اليوم من أعمر أسواق القاهرة *(قيسارية ابن أبي أسامة) هذه القيسارية بجوار الجملون الكبير على يسرة من سلك الى بين القصرين يسكنها الآن الخردفوشية وقفها الشيخ الاجل أبو الحسن على بن أحمد بن الحسن بن أبى أسامة صاحب ديوان الانشاء فى أيام الخليفة الآمر باحكام الله وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة وينعت بالشيخ الاجل كاتب الدست الشريف ولم يكن أحد يشاركه في هذا النعت بديار مصر فى زمانه وكان وقف هذه القيسارية فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة وتوفي فى شوال سنة اثنين وعشرين وخمسمائة *(قيسارية سنقر الاشقر) هذه القيسارية على يسرة من يدخل من باب زويلة فيما بين خزانة شمائل ودرب الصغيرة تجاه قيسارية الفاضل أنشأها الامير شمس الدين سنقر الاشقر الصالحي النجمى أحد المماليك البحرية ولم تزل الى أن هدمت وأدخلت فى الجامع المؤيدى لايام من جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة *(قيسارية أمير على) هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه الجملون الكبير بجوار قيسارية جهاركس يفصل بينهما درب قيطون عرفت بالامير على ابن الملك المنصور قلاون الذى عهد له بالملك ولقبه بالملك الصالح ومات فى حياة أبيه كما قد ذكر في فندق الملك الصالح *(قيسارية رسلان) هذه

القيسارية فيما بين درب الصغيرة والحجارين أنشأها الامير بهاء الدين رسلان الدوادار وجعلها وقفا على خانقاه له بمنشأة المهرانى وكانت من أحسن القياسر فلما عزم الملك المؤيد شيخ على بناء مدرسته هدمها فى جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة وعوض أهل الخانقاه عنها خمسمائة دينار *(قيسارية جهاركس) قال ابن عبد الظاهر بناها الامير فخر الدين جهاركس فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكانت قبل ذلك يعرف مكانها بفندق الفراخ ولم تزل فى يد ورثته وانتقل الى الامير علم الدين ايتمش منها جزء بالميراث عن زوجته والى بنت شومان من أهل دمشق ثم اشتريت لوالدة خليل المسماة بشجر الدر الصالحية فى سنة خمس وخمسين وستمائة وهى مع حسنها واتقان بنائها كلها تجرد من الغصب جميع ما فيها وذكر بعض المؤرخين أن صاحبها جهاركس نادى عليها حين فرغت فبلغت خمسة وتسعين ألف دينار على الشريف فخر الدين اسماعيل بن ثعلب وقال لصاحبها أنا أنقدك ثمنها أى نقد شئت ان شئت ذهبا وان شئت فضة وان شئت عروض تجارة وقيسارية جهاركس تجرى الآن فى وقف الامير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بعد سلار على ورثته وقال القاضى شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان *(جهاركس) بن عبد الله فخر الدين أبو المنصور الناصرى الصلاحي كان من أكبر أمراء الدولة الصلاحية وكان كريما نبيل القدر علىّ الهمة بني بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم نر في شيء من البلاد مثلها فى حسنها وعظمها واحكام بنائها وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا وربعا معلقا وتوفى في بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق ودفن في جبل الصالحية وتربته مشهورة هناك رحمه الله وجهاركس بفتح الجيم والهاء وبعد الالف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة ومعناه بالعربى أربعة أنفس وهو لفظ عجمى وقال الحافظ جمال الدين يوسف ابن أحمد بن محمود اليغمورى سمعت الامير الكبير الفاضل شرف الدين أبا الفتح عيسى ابن الامير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أحمد الهكارى البحترى الطائى المقدسى بالقاهرة ومولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالبيت المقدس شرفه الله تعالى وتوفي بدمشق في ليلة الاحد تاسع عشرى ربيع الآخر سنة تسع وستمائة ودفن بسفح جبل قاسيون رحمه الله قال حدثنى الامير صارم الدين خطلبا التبنينى صاحب الامير فخر الدين أبي المنصور جهاركس بن عبد الله الناصرى الصلاحي رحمه الله قال بلغ الامير فخر الدين أن بعض الاجناد عنده فرس قد دفع له فيه ألف دينار ولم يسمح ببيعه وهو في غاية الحسن فقال لى الامير ياخطلبا اذا ركبنا ورأيت فى الموكب هذا الفرس نبهني عليه حتى أبصره فقلت السمع والطاعة فلما ركبنا فى الموكب مع الملك العزيز عثمان ابن الملك الناصر رحمه الله رأيت الجندى على فرسه فتقدمت الى الامير فخر الدين وقلت له هذا الجندى وهذا

الفرس راكبه فنظر اليه وقال اذا خرجنا من سماط السلطان فانظر أين الفرس وعرفني به فلما دخلنا الى سماط الملك العزيزى عجل الامير فخر الدين وخرج قبل الناس فلما بلغ الى الباب قال لى أين الفرس قلت ها هو مع الركاب دار فقال لى أدعه فدعوته اليه فلما وقف بين يديه والفرس معه أمره الامير بأخذ الغاشية ووضع الامير رجله فى ركابه وركبه ومضي به الى داره وأخذ الفرس فلما خرج صاحبه عرفه الركاب دار بما فعله الامير فخر الدين فسكت ومضى الى بيته وبقي أياما ولم يطلب الفرس فقال لى الامير فخر الدين ياخطلبا ما جاء صاحب الفرس ولا طلبه أطلب لى صاحبه قال فاجتمعت به وأخبرته بأن الامير يطلب الاجتماع به فسارع الى الحضور فلما دخل عليه أكرمه الامير ورفع مكانه وحدثه وآنسه وبسطه وحضر سماطه فقربه وخصصه من طعامه فلما فرغ من الاكل قال له الامير يا فلان ما بالك ما طلبت فرسك وله عندنا مدة فقال يا خوند وما عسى أن يكون من هذا الفرس وما ركبه الامير الا وهو قد صاح له وكلما صلح للمولى فهو على العبد حرام ولقد شرفني مولانا بأن جعلني أهلا أن يتصرف في عبده والمملوك يحسب أن هذا الفرس قد أصابه مرض فمات وأما الآن فقد وقع في محله وعند أهله ومولانا أحق به وما أسعد المملوك اذا صلح لمولانا عنده شيء فقال له الامير بلغني أنك أعطيت فيه ألف دينار قال كذلك كان قال فلم لم تبعه فقال يا مولانا هذا الفرس جعلته للجهاد وأحسن ما جاهد الانسان على فرس يعرفه ويثق به وما مقدار هذا الفرس له اسوة برأسي فاستحسن الامير همته وشكره ثم أشار الى فتقدمت اليه فقال لى فى اذنى اذا خرج هذا الرجل فاخلع عليه الخلعة الفلانية من أفخر ملبوس الامير وأعطه ألف دينار وفرسه فلما نهض الرجل أخذته الى الفرش خاناه وخلعت عليه الخلعة ودفعت اليه الكيس وفيه ألف دينار فخدم وشكر وخرج فقدم اليه فرسه وعليه سرج خاص من سروج الامير وعدة فى غاية الجودة فقيل اركب فرسك فقال كيف أركبه وقد أخذت ثمنه وهذه الخلعة زيادة على ثمنه ثم رجع الى الامير فقبل الارض وقال يا خوند تشريف مولانا لا يرد وهذا ثمن الفرس قد أحضره المملوك فقال له الامير فخر الدين يا هذا نحن جربناك فوجدناك رجلا جيدا ولك همة وأنت أحق بفرسك خذ هذا ثمنه ولا تبعه لاحد فخدمه وشكره ودعا له وأخذ الفرس والخلعة والالف دينار وانصرف * وأخبرنى أيضاً الامير شرف الدين بن أبي القاسم قال أخبرنى صارم الدين التبنيني أيضاً أن الامير فخر الدين خدم عنده بعض الاجناد فعرض عليه فأعجبه شكله وقال لديوانه استخدموا هذا الرجل فتكلموا معه وقدروا له فى السنة اثنى عشر ألف درهم فرضي الرجل وانتقل الى حلقة الامير قوصون وضرب خيمته وأحضر بركه فلما كان بعض الايام رجع الامير من الخدمة فعبر فى جنب خيمة هذا الرجل فرأى خيمة حسنة

وخيلا جيادا وجمالا وبغالا وبركا فى غاية الجودة فقال هذا البرك لمن فقيل هذا برك فلان
الذي خدم عند الامير في هذه الايام فقال قولوا له مالك عندنا شغل تمضى في حال سبيلك
فلما قيل للرجل ذلك أمر بأن تحط خيمته وأتى الى وقال يامولانا أنا رائح وها أنا قد حملت
بركي ولكن أشتهى منك أن تسأل الامير ما ذنبى قال فدخلت الى الامير وأخبرته بما قال
الرجل فقال والله ماله عندى ذنب الا أن هذا البرك وهذه الهمة يستحق بها أضعاف ما أعطى
فأنكرت عليه كيف رضي بهذا القدر اليسير وهو يستحق أن تكون أربعين ألف درهم
وتكون قليلة فى حقه فاذا خدم بثلاثين ألف درهم يكون قد ترك لنا عشرة آلاف
درهم فهذا ذنبه عندي فرجعت الى الرجل فاعلمته بما قال الامير فقال انما خدمت
عند الامير ورضيت بهذا القدر لعلمي أن الامير اذا عرف حالى فيما بعد لا يقنع
لى بهذا الجاري فكنت على ثقة من احسان الامير أبقاه الله وأما الآن فلا
أرضى أن أخدم الا بثلاثين ألف درهم كما قال الامير فرجعت الى الامير وأخبرته
بما قال الرجل فقال يجرى له ما طلب وخلع عليه وأحسن اليه وكان الامير فخر الدين
جهاركس مقدم الناصرية والحاكم بديار مصر فى أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين
يوسف بن أيوب الى أن مات العزيز فمال الامير فخر الدين جهاركس الى ولاية ابن الملك
العزيز وفاوض فى ذلك الامير سيف الدين يازكوج الاسدى وهو يومئذ مقدم الطائفة
الاسدية وكان الملك العزيز قد أوصى بالملك لولده محمد وأن يكون الامير الطواشى بهاء الدين
قراقوش الاسدى مدبر أمره فأشار يازكوج باقامة الملك الافضل على بن صلاح الدين فى
تدبير أمر ابن العزيز فكره جهاركس ذلك ثم انهم أقاموا ابن العزيز ولقبوه بالملك المنصور
وعمره نحو تسع سنين ونصبوا قراقوش اتابكاوهم فى الباطن يختلفون عليه وما زالوا يسعون
عليه في ابطال أمر قراقوش حتي اتفقوا على مكاتبة الافضل المتقدم ذكره وحضوره الي
مصر ويعمل أتابكية المنصور مدة سبع سنين حتى يتأهل بالاستبداد بالملك بشرط أن لا يرفع
فوق رأسه سنجق الملك ولا يذكر اسمه في خطبة ولا سكة فلما سار القاصد الى الافضل
بكتب الامراء بعث جهاركس في الباطن قاصداً على لسانه ولسان الطائفة الصلاحية بكتبهم
الى الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكتب الى الامير ميمون القصرى صاحب نابلس يأمره
بأن لا يطيع الملك الافضل ولا يحلف له فاتفق خروج الملك الافضل من صرخد ولقاه
قاصد فخر الدين جهاركس فأخذ منه الكتب وقال له ارجع فقد قضيت الحاجة وسار
الى القاهرة ومعه القاصد فلما خرج الامراء من القاهرة الى لقائه ببلبيس فعمل له فخر الدين
سماطاً احتفل فيه احتفالا زائداً لينزل عنده فنزل عند أخيه الملك المؤيد نجم الدين مسعود
فشق ذلك على جهاركس وجاء الى خدمته فلما فرغ من طعام أخيه صار الى خيمة جهاركس وقعد

ليأكل فرأى جهاركس قاصده الذى سيره فى خدمة الافضل فدهش وأيقن بالشر فللحال استأذن الافضل أن يتوجه الى العرب المختلفين بأرض مصر ليصلح بينهم فأذن له وقام من فوره واجتمع بالامير زين الدين قراجا والامير أسد الدين قراسنقر وحسن لهما مفارقة الافضل فسارا معه الى القدس وغلبوا عليه ووافقهم الامير عز الدين أسامة والامير ميمون القصرى فقدم عليهم فى سبعمائة فارس ولما صاروا كلمة واحدة كتبوا الى الملك العادل يستدعونه للقيام بأتابكية الملك المنصور محمد بن العزيز بمصر وأما الافضل فانه لما دخل من بلبيس الى القاهرة قام بتدبير الدولة وأمر الملك بحيث لم يبق للمنصور معه سوى مجرد الاسم فقط وشرع في القبض على الطائفة الصلاحية أصحاب جهاركس ففروا منه الى جهاركس بالقدس فقبض على من قدر عليه منهم ونهب أموالهم فلما زالت دولة الافضل من مصر بقدوم الملك العادل أبى بكر بن أيوب استولى فخر الدين جهاركس على بانياس بامر العادل ثم انحرف عنه وكانت له أنباء الى أن مات فانقضى أمر الطائفة الصلاحية بموته وموت الامير قراجا وموت الامير أسامة كما انقضى أمر غيرهم * (قيسارية الفاضل) هذه القيسارية على يمنة من يدخل من باب زويلة عرفت بالقاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى وهى الآن في أوقاف المارستان المنصورى أخبرنى شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد العزيز العذرى البشبيشى رحمه الله قال أخبرنى القاضى بدر الدين أبو اسحاق ابراهيم ابن القاضى صدر الدين أبى البركات أحمد بن فخر الدين أبي الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن المعروف بابن الخشاب أن قيسارية الفاضل وقفت بضع عشرة مرة منها مرتين أو أكثر زف كتاب وقفها بالاغاني في شارع القاهرة وهى الآن تشتمل على قيسارية ذات بحرة ماء للوضوء بوسطها وأخرى بجانبها يباع فيها جهاز النساء وشوارهن ويعلوها ربع فيه عدة مساكن * (قيسارية بيبرس) هذه القيسارية على رأس باب الجودرية من القاهرة كان موضعها دارا تعرف بدار الانماط اشتراها وما حولها الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى قبل ولايته السلطنة وهدمها وعمر موضعها هذه القيسارية والربع فوقها وتولى عمارة ذلك مجد الدين بن سالم الموقع فلما كملت طلب سائر تجار قيسارية جهاركس وقيسارية الفاضل وألزمهم باخلاء حوانيتهم من القيساريتين وسكناهم بهذه القيسارية وأكرههم على ذلك وجعل أجرة كل حانوت منها مائة وعشرين درهما نقرة فلم يسع التجار الا استئجار حوانيتها وصار كثير منهم يقوم بأجرة الحانوت الذى ألزم به في هذه القيسارية من غير أن يترك حانوته الذى هو معه باحدى القيساريتين المذكورتين ونقل أيضاً صناع الاخفاف وأسكنهم فى الحوانيت التي خارجها فعمرت من داخلها وخارجها بالناس في يومين وجاء الى مخدومه الامير بيبرس وكان قد ولى السلطنة وتلقب بالملك المظفر وقال بسعادة السلطان أسكنت القيسارية في يوم واحد فنظر اليه طويلا وقال ياقاضى ان كنت

أسكنتها في يوم واحد فهي تخلو في ساعة واحدة فجاء الامر كما قال وذلك أنه لما فر بيبرس من قلعة الجبل لم يبت في هذه القيسارية لاحد من سكانها قطعة قماش بل نقلوا كل ما كان لهم فيها وخلت حوانيتها مدة طويلة ثم سكنها صناع الاخفاف كل حانوت بعشرة دراهم وفي حوانيتها ما أجرته ثمانية دراهم وهي الآن جارية فى أوقاف الخانقاه الركنية بيبرس ويسكنها صناع الاخفاف وأكثر حوانيتها غير مسكون لخرابها ولقلة الاخفافيين ويعرف الخط الذى هي فيه اليوم بالاخفافيين رأس الجودرية * (القيسارية الطويلة) هذه القيسارية فى شارع القاهرة بسوق الخردفوشيين فيما بين سوق المهامزيين وسوق الجوخيين ولها باب آخر عند باب سر حمام الخراطين كانت تعرف قديماً بقيسارية السروج بناها (٣) *(قيسارية (٣)) هذه القيسارية تجاه قيسارية السروج المعروفة الآن بالقيسارية الطويلة بعضها وقفه القاضى الاشرف ابن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى على ملء الصهريج بدرب ملوخيا وبعضها وقف الصالح طلائع بن رزيك الوزير وقد هدمت هذه القيسارية وبناها الامير جانى بك دوادار السلطان الملك الاشرف برسباى الدقماقي الظاهري في سنة ثمان وعشرين وثمانمائة تربيعة تتصل بالوراقين ولها باب من الشارع وجعل علوها طباقا وعلى بابها حوانيت فجاءت من أحسن المبانى *(قيسارية العصفر) هذه القيسارية بشارع القاهرة لها باب من سوق المهامزيين وباب من سوق الوراقين عرفت بذلك من أجل أن العصفر كان يدق بها * أنشأها الامير علم الدين سنجر المسروري المعروف بالخياط والى القاهرة ووقفها في سنة اثنتين وتسعين وستمائة ولم تزل باقية بيد ورثته الى أن ولى القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى الحموي كتابة السر في أيام المؤيد شيخ فاستأجرها مدة أعوام من مستحقيها ونقل اليها العنبريين فصارت قيسارية عنبر وذلك فى سنة ست عشرة وثمانمائة ثم انتقل منها أهل العنبر الى سوقهم فى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة * (قيسارية العنبر) قد تقدم في ذكر الاسواق أنها كانت سجناً وان الملك المنصور قلاون عمرها في سنة ثمانين وستمائة وجعلها سوق عنبر *(قيسارية الفائزى) هذه القيسارية كانت بأول الخرّاطين مما يلي المهامزيين لها باب من المهامزيين وباب من الخرّاطين * أنشأها الوزير الاسعد شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن صاعد بن وهيب الفارسيّ كان من جملة نصارى صعيد مصر وكتب على مبايض ناحية سيوط بدرهم وثلث في كل يوم ثم قدم الى القاهرة وأسلم في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وخدم عند الملك الفائز ابراهيم ابن الملك العادل فنسب اليه وتولى نظر الديوان في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب مدّة يسيرة ثم ولى بعض أعمال ديار مصر فنقل عنه ما أوجب الكشف عليه فندب موفق الدين الامديّ لذلك فاستقرّ عوضه وسجنه مدّة ثم أفرج عنه وسافر الى دمشق وخدم بها الامير جمال

الدين يغمور نائب السلطنة بدمشق فلما قدم الملك المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب من حصن كتبغا الى دمشق بعد موت أبيه ليأخذ مملكة مصر سار معه الى مصر في شوال سنة سبع وأربعين وستمائة فلما قامت شجرة الدرّ بتدبير المملكة بعد قتل المعظم تعلق بخدمة الامير عز الدين ايبك التركماني مقدّم العساكر الى أن تسلطن وتلقب بالملك المعز فولاه الوزارة في سنة ثمان وأربعين وستمائة فأحدث مظالم كثيرة وقرّر على التجار وذوى اليسار أموالا تجبى منهم وأحدث التقويم والتصقيع على سائر الاملاك وجبى منها مالا جزيلا ورتب مكوسا على الدواب من الخيل والجمال والحمير وغيرها وعلى الرقيق من العبيد والجوارى وعلى سائر المبيعات وضمن المنكرات من الخمر والمزر والحشيش وبيوت الزوانى بأموال وسمى هذه الجهات بالحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية وتمكن من الدولة تمكنا زائداً الى الغاية بحيث انه سار الى بلاد الصعيد بعساكر لمحاربة بعض الامراء وكان الملك المعز أيبك يكاتبه بالمملوك وكثر ماله وعقاره حتى انه لم يبلغ صاحب قلم في هذه الدول مابلغه من ذلك واقتنى عدّة مماليك منهم من بلغ ثمنه ألف دينار مصرية وكان يركب في سبعين مملوكا من مماليكه سوى أرباب الاقلام والاتباع وخرج بنفسه الى أعمال مصر واستخرج أموالها وكان ينوب عنه في الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير وكان فاضلا يعرف اللسان التركيّ فصار يضبط له مجالس الامراء ويعرفه مايدور بينهم من الكلام فلم يزل على تمكنه وبسط يده وعظم شأنه الى أن قتل الملك المعز وقام من بعده ابنه الملك المنصور نور الدين عليّ وهو صغير فاستقر على عادته حتي شهد عليه الامير سابق الدين بوزبا الصيرفي والامير ناصر الدين محمد ابن الاطروش الكردي أمير جاندار انه قال المملكة لاتقوم بالصبيان الصغار والرأي أن يكون الملك الناصر صاحب الشام ملك مصر وأنه قد عزم على أن يسير اليه يستدعيه الى مصر ويساعده على أخذ المملكة فخافت أم السلطان منه وقبضت عليه وحبسته عندها بقلعة الجبل ووكلت بعذابه الصارم احمر عينه العمادى الصالحي فعاقبه عقوبة عظيمة ووقعت الحوطة على سائر أمواله وأسبابه وحواشيه وأخذ خطه بمائة ألف دينار ثم خنق لليال مضت من جمادى الاولى سنة خمس وخمسين وستمائة ولف في نخ ودفن بالقرافة واستقر من بعده في الوزارة قاضى القضاة بدر الدين السنجارى مع مابيده من قضاء القضاة ولم تزل هذه القيسارية باقية وكانت تعرف بقيسارية النشاب الى أن أخذها الامير جمال الدين يوسف الاستادار هى والحوانيت على يمنة من سلك من الخرّاطين يريد الجامع الازهر وفيما بينهما كان باب هذه القيسارية وكانت هذه الحوانيت تعرف بوقف تمرتاش وهدم الجميع وشرع في بنائه فقتل قبل أن يكمل وأخذه الملك الناصر فرج فبنيت الحوانيت التي هي على الشارع بسوق المهامزيين وصار ماتبقى ساحة عمرها القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي

ناظر الجيش قيسارية يعلوها ربع وبني أيضاً على حوانيت جمال الدين ربعاً وذلك في سنة خمس وعشرين وثمانمائة وقال الامام عفيف الدين أبو الحسن علىّ بن عدلان يمدح الاسعد الفائزي رحمه الله ابن صاعد وابنه المرتضى

مـذ تولى أمورنا * لم أزل منه ذاهبه
وهو ان دام أمره * شدة العيش ذاهبه

* (قيسارية بكتمر) هذه القيسارية بسوق الحريريين بالقرب من سوق الوراقين كانت تعرف قديماً بالصاغة ثم صارت فندقا يقال له فندق حكم وأصلها من جملة الدار العظمى التي تعرف بدار المأمون بن البطائحى وبعضها المدرسة السيوفية * أنشأ هذه القيسارية الامير بكتمر الساقى في أيام الناصر محمد بن قلاوون * (قيسارية ابن يحيي) هذه القيسارية كانت تجاه باب قيسارية جهاركس حيث سوق الطيور وقاعات الحلوى * أنشأها القاضى المفضل هبة الله بن يحيي التميمى المعدل كان موثقا كاتباً في الشروط الحكمية في حدود سنة اربعين وخمسمائة في الدولة الفاطمية ثم صار من جملة العدول وبقى الى سنة ثمانين وله ابن يقال له كمال الدين عبد المجيد ابن القاضى المفضل ولـكمال الدين ابن يقال له جلال الدين محمد بن كمال الدين عبد المجيد ابن القاضى المفضل هبـة الله بن يحيي مات في آخر سنة ستين وسبعمائة وقد خربت هذه القيسارية ولم يبق لها أثر *(قيسارية طاشتمر) هذه القيسارية بجوار الوراقين لها باب كبير من سوق الحريريين على يسرة من سلك الى الزجاجين وباب من الوراقين * أنشأها الامير طاشتمر في أعوام بضع وثلاثين وسبعمائة وسكنها عقادو الازرار حتى غصت بهم مع كبرها وكثرة حوانيتها وكان لهم منظر بهيج فان أكثرهم من بياض الناس وتحت يد كل معلم منهم عدة صبيان من أولاد الاتراك وغيرهم فطال ما مررت منها الى سوق الوراقين وداخلني حياء من كثرة من أمرّ به هناك ثم لما حدثت المحن في سنة ست وثمانمائة تلاشى أمرها وخرب الربع الذي كان علوها وبيعت أنقاضه وبقيت فيها اليوم بقية يسيرة *(قيسارية الفقراء) هذه القيسارية خارج باب زويلة بخط تحت الربع أنشأها (٣) *(قيسارية بشتاك) خارج باب زويلة بخط تحت الربع أنشأها الامير بشتاك الناصرىّ وهى الآن (٣) *(قيسارية المحسنى) خارج باب زويلة تحت الربع أنشأها الامير بدر الدين بيلبك المحسنى والى الاسكندرية ثم والى القاهرة كان شجاعا مقداما فأخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الشام وبها مات في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فأخذ ابنـه الامير ناصر الدين محمد بن بيلبك المحسني امرته فلما مات الملك النـاصر قدم الى القاهرة وولاه الامير قوصون ولاية القاهرة في سابع عشر صفر سـنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فلما قبض على قوصون في يوم الثلاثاء آخر شهر رجب منها أمسك ابن المحسنى وأعيد نجم الدين الى ولاية القاهرة ثم عزل

من يومه وولى الامير جمال الدين يوسف والى الجيزة فأقام أربعة أيام وعزل بطلب العامة عزله ورجمه فأعيد نجم الدين *(قيسارية الجامع الطولوني) هذه القيسارية كان موضعها في القديم من جملة قصر الامارة الذي بناه الامير أبو العباس أحمد بن طولون وكان يخرج منه الى الجامع من باب فى جداره القبلي فلما خرب صار ساحة أرض فعمر فيها القاضى تاج الدين المناوى خليفة الحكم عن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة قيسارية في سنة خمسين وسبعمائة من فائض مال الجامع الطولونى فكمل فيها ثلاثون حانوتا فلما كانت ليلة النصف من شهر رمضان من هذه السنة رأى شخص من أهل الخير رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وقد وقف على باب هذه القيسارية وهو يقول بارك الله لمن يسكن هذه القيسارية وكرر هذا القول ثلاث مرات فلما قص هذه الرؤيا رغب الناس فى سكناها وصارت الى اليوم هي وجميع ذلك السوق في غاية العمارة وفي سنة ثماني عشرة وثمانمائة أنشأها قاضى القضاة جلال الدين عبدالرحمن ابن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن نصير ابن رسلان البلقينى من مال الجامع المذكور قيسارية أخرى فرغب الناس في سكناها لوفور العمارة بذلك الخط *(قيسارية ابن ميسر الكبرى) هذه القيسارية أدركتها بمدينة مصر فى خط سويقة وردان وهي عامرة يباع بها القماش الجديد من الكتان الابيض والازرق والطرح وتمضى تجار القاهرة اليها في يومي الاحد والاربعاء لشراء الاصناف المذكورة وذكر ابن المتوج أن لها خمسة أبواب وأنها وقف ثم وقعت الحوطة عليها فجرت في الديوان السلطاني وقصدوا بيعها مراراً فلم يقدر أحد على شرائها وكان بها عمد رخام فاخذها الديوان وعوضت بعمد كدان وأنه شاهدها مسكونة جميعها عامرة انتهى وقد خرب ماحولها بعد سنة ستين وسبعمائة وتزايد الخراب حتى لم يبق حولها سوى كيمان فعمل لها باب واحد وتردد الناس اليها في اليومين المذكورين لاغير فلما كانت الحوادث منذ سنة ست وثمانمائة واستولى الخراب على اقليم مصر تعطلت هذه القيسارية ثم هدمت في سنة ست عشرة وثمانمائة *(قيسارية عبد الباسط) هذه القيسارية برأس الخراطين من القاهرة كان موضعها يعرف قديماً بعقبة الصباغين ثم عرف بالقشاشين ثم عرف بالخراطين وكان هناك مارستان ووكالة في الدولة الفاطمية وأدركنا بها حوانيت تعرف بوقف تمرتاش المعظمى فاخذها الامير جمال الدين الاستادار فيما أخذ من الاوقاف فلما قتل أخذ الناصر فرج جانباً منها وجدد عمارتها ووقفها على تربة أبيه الظاهر برقوق ثم أخذها زين الدين عبد الباسط بن خليل فى أيام المؤيد شيخ وعمل في بعضها هذه القيسارية وعلوها ووقفها على مدرسته وجامعه ثم أخذ السلطان الملك الاشرف برسباى بقية الحوانيت من وقف جمال الدين وجدد عمارتها في سنة سبع وعشرين وثمانمائة

(ذكر الخانات والفنادق)

*(خان مسرور) خان مسرور مكانان أحدهما كبير والآخر صغير فالكبير على يسرة من سلك من سوق باب الزهومة الى الحريريين كان موضعه خزانة الدرق التي تقدم ذكرها في خزائن القصر والصغير على يمنة من سلك من سوق باب الزهومة الى الجامع الازهر كان ساحة يباع فيها الرقيق بعد ما كان موضع المدرسة الكاملية هو سوق الرقيق * قال ابن الطوير خزانة الدرق كانت في المكان الذى هو خان مسرور وهى برسم استعمالات الاساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية وغير ذلك * وقال ابن عبد الظاهر فندق مسرور مسرور هذا من خدام القصر خدم الدولة المصرية واختص بالسلطان صلاح الدين رحمه الله وقدمه على حاقته ولم يزل مقدما فى كل وقت وله بر واحسان ومعروف ويقصد في كل حسنة وأجرو بر وبطل الخدمة فى الايام الكاملية وانقطع الى الله تعالى ولزم داره ثم بنى الفندق الصغير الى جانبه وكان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق اشترى ثلثها من والدى رحمه الله والثلثين من ورثة ابن عنتر وكان قد ملك الفندق الكبير لغلامه ريحان وحبسه عليه ثم من بعده على الاسرى والفقراء بالحرمين وهو مائة بيت الا بيتا وبه مسجد تقام فيه الجماعة والجمع ولمسرور المذكور بر كثير بالشام وبمصر وكان قد وصى أن تعمل داره وهى بخط حارة الامراء مدرسة ويوقف الفندق الصغير عليها وكانت له ضيعة بالشام بيعت للامير سيف الدين أبى الحسن القيمرى بجملة كبيرة وعمرت المدرسة المذكورة بعد وفاته انتهى وقد أدركت فندق مسرور الكبير في غاية العمارة تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم وكان فيه أيضاً مودع الحكم الذى فيه أموال اليتامى والغياب وكان من أجل الخانات وأعظمها فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام منذ سنة تيمورلنك وتلاشت أحوال اقليم مصر قل التجار وبطل مودع الحكم فقلت مهابة هذا الخان وزالت حرمته وتهدمت عدة أماكن منه وهو الآن بيد القضاة *(فندق بلال المغيثى) هذا الفندق فيما بين خط حمام خشيبة وحارة العدوية أنشأه الامير الطواشي أبو المناقب حسام الدين بلال المغيثى أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك كان حبشى الجنس حالك السواد خدم عدة من الملوك واستقر لالا الملك الصالح على ابن الملك المنصور قلاوون وكان معظما الى الغاية يجلس فوق جميع أمراء الدولة وكان الملك المنصور قلاوون اذا رآه يقول رحم الله أستاذنا الملك الصالح نجم الدين أيوب أنا كنت أحمل شارموزة هذا الطواشى حسام الدين كلما دخل الى السلطان الملك الصالح حتي يخرج من عنده فأقدمها له وكان كثير البر والصدقات وله أموال جزيلة ومدحه عدة من الشعراء وأجاز على المديح وتجاوز عمره ثمانين سنة فلما خرج الملك الناصر محمد بن قلاون لقتال التتر في سنة تسع وتسعين وستمائة

سافر معه فمات بالسوادة ودفن بها ثم نقل منها بعد وقعة شقحب الى تربته بالقرافة فدفن هناك وما برح هذا الفندق يودع فيه التجار وأرباب الاموال صناديق المال ولقد كنت أدخل فيه فاذا بدائره صناديق مصطفة مابين صغير وكبير لايفضل عنها من الفندق غير ساحة صغيرة بوسطه وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجل وصفه فلما أنشأ الامير الطواشى زين الدين مقبل الزمام الفندق بالقرب منه وأنشأ الامير قلمطاى الفندق بالزجاجين وأخذ الامير بلبغا السالمى أموال الناس فى واقعة تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمائة تلاشي أمر هذا الفندق وفيه الى الآن بقية *(فندق الصالح) هذا الفندق بجوار باب القوس الذى كان أحد بابي زويلة فمن سلك اليوم من المسجد المعروف بسام بن نوح يريد باب زويلة صار هذا الفندق على يساره وأنشأه هو وما يعلوه من الربع الملك الصالح علاء الدين على ابن السلطان الملك المنصور قلاون وكان أبوه لما عزم على المسير الى محاربة التتر ببلاد الشام سلطنه وأركبه بشعار السلطنة من قلعة الجبل فى شهر رجب سنة تسع وسبعين وستمائة وشق به شارع القاهرة من باب النصر الى أن عاد الى قلعة الجبل وأجلسه على مرتبته وجلس الى جانبه فمرض عقيب ذلك ومات ليلة الجمعة الرابع من شعبان فأظهر السلطان لموته جزعاً مفرطاً وحزناً زائداً وصرخ بأعلى صوته واولداه ورمى كلوتته عن رأسه الى الارض وبقى مكشوف الرأس الى أن دخل الامراء اليه وهو مكشوف الرأس يصرخ واولداه فعند ماعاينوه كذلك ألقوا كلوتاتهم عن رؤسهم وبكوا ساعة ثم أخذ الامير طرنطاى النائب شاش السلطان من الارض وناوله للامير سنقر الاشقر فأخذه ومشى وهو مكشوف الرأس وباس الارض وناول الشاش للسلطان فدفعه وقال ايش أعمل بالملك بعد ولدى وامتنع من لبسه فقبل الامراء الارض يسألون السلطان فى لبس شاشه ويخضعون له فى السؤال ساعة حتى أجابهم وغطى رأسه فلما أصبح خرجت جنازته من القلعة ومعها الامراء من غير حضور السلطان وساروا بها الى تربة أمه المعروفة بتربة خاتون قريباً من المشهد النفيسى" فواروه وانصرفوا فلما كان يوم السبت ثانيه نزل السلطان من القلعة وعليه البياض تحزناً على ولده وسار ومعه الامراء بثياب الحزن الى قبر ابنه وأقيم العزاء لموته عدة أيام *(خان السبيل) هذا الخان خارج باب الفتوح قال ابن عبد الظاهر خان السبيل بناه الامير بهاء الدين أبو سعيد قراقوش ابن عبدالله الاسدي" خادم أسد الدين شيركوه وعتيقه لابناء السبيل والمسافرين بغير أجرة وبه بئر ساقية وحوض * وقراقوش هذا هو الذى بني السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الاهرام وعمر بالمقس رباطاً وأسره الفرنج في عكا وهو واليها فافتكه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بعشرة آلاف دينار وتوفي مستهل رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ودفن بسفح الجبل المقطم من القرافة

(خان منكورش) هذا الخان بخط سوق الخيميين بالقرب من الجامع الازهر قال ابن عبد الظاهر خان منكورش بناه الامير ركن الدين منكورش زوج أم الاوحد بن العادل ثم انتقل الى ورثته ثم انتقل الى الامير صلاح الدين أحمد بن شعبان الاربلى فوقفه ثم تحيل ولده في ابطال وقفه فاشتراه منه الملك الصالح بعشرة آلاف دينار مصرية وجعله مرصدا لوالدة خليل ثم انتقل عنها انتهى * قال مؤلفه ومنكورش هذا كان أحد مماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتقدم حتي صار أحد الامراء الصالحية وعرف بالشجاعة والنجدة واصابة الرأي وجودة الرمى وثبات الجاش فلما مات في شوال سنة سبع وسبعين وخمسمائة أخذ اقطاعه الامير ياركوج الاسدي وهذا الخان الآن يعرف بخان النشارين على يسرة من سلك من الخراطين الى الخيميين وهو وقف على جهات بر * (فندق ابن قريش) هذا الفندق قال ابن عبد الظاهر فندق ابن قريش استجده القاضى شرف الدين ابراهيم بن قريش كاتب الانشاء وانتقل الي ورثته انتهى (ابراهيم بن عبد الرحمن بن على بن عبد العزيز بن على بن قريش) أبو اسحاق القرشى المخزومى المصري الكاتب شرف الدين أحد الكتاب المجيدين خطا وانشاء خدم في دولة الملك العادل أبي بكر بن أيوب وفي دولة ابنه الملك الكامل محمد بديوان الانشاء وسمع الحديث بمكة ومصر وحدث وكانت ولادته بالقاهرة في أول يوم من ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وقرأ القرآن وحفظ كثيرا من كتاب المهذب في الفقه على مذهب الامام الشافعي وبرع في الادب وكتب بخطه مايزيد على أربعمائة مجلد ومات في الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة *(وكالة قوصون) هذه الوكالة في معنى الفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والشيرج والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب والرب ونحو ذلك وموضعها فيما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء كانت أخيرا دارا تعرف بدار تمويل البوغاني فأخربها وما جاورها الامير قوصون وجعلها فندقا كبيرا الى الغاية وبدائره عدة مخازن وشرط أن لايؤجر كل مخزن الا بخمسة دراهم من غير زيادة على ذلك ولا يخرج أحد من مخزنه فصارت هذه المخازن تتوارث لقلة أجرتها وكثرة فوائدها وقد أدركنا هذه الوكالة وان رؤيتها من داخلها وخارجها لتدهش لكثرة ماهنالك من أصناف البضائع وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يبتاعها ثم تلاشى أمرها منذ خربت الشام في سنة ثلاث وثمانمائة على يد تيمورلنك وفيها الى الآن بقية ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلثمائة وستين بيتا أدركناها عامرة كلها ويحزر أنها تحوى نحو أربعة آلاف نفس مابين رجل وامرأة وصغير وكبير فلما كانت هذه المحن في سنة ست وثمانمائة خرب كثير من هذه البيوت وكثير منها عامر آهل *(فندق دار التفاح) هذه الدار هي

فندق تجاه باب زويلة يرد اليه الفواكه على اختلاف أصنافها مما ينبت في بساتين ضواحي القاهرة ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية انما يباع في وكالة قوصون اذا قدم ومنها ينقل الى سائر أسواق القاهرة ومصر ونواحيهما وكان موضع دار التفاح هذه في القديم من جملة حارة السودان التي عملت بستاناً في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب * وأنشأ هذه الدار الامير طقوزدمر بعد سنة أربعين وسبعمائة ووقفها على خانقاه بالقرافة وبظاهر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها الفاكهة تذكر رؤيتها وشم عرفها الجنة لطيبها وحسن منظرها وتأنق الباعة في تنضيدها واحتفافها بالرياحين والازهار وما بين الحوانيت مسقوف حتى لايصل الى الفواكه حر الشمس ولا يزال ذلك الموضع غضا طريا الا أنه قد اختل منذ سنة ست وثمانمائة وفيه بقية ليست بذاك ولم تزل الى أن هدم علو الفندق وما بظاهره من الحوانيت في يوم السبت سادس عشر شعبان سنة احدى وعشرين وثمانمائة وذلك أن الجامع المؤيدى جاءت شبابيكه الغربية من جهة دار التفاح فعمل فيها كما صار يعمل في الاوقاف وحكم باستبدالها ودفع في ثمن نقضها ألف دينار افريقية عنها مبلغ ثلاثين ألف مؤيدى فضة ويحصل من أجرتها الى أن ابتدئ بهدمها في كل شهر سبعة آلاف درهم فلوساً عنها ألف مؤيدى فاستشنع هذا الفعل ومات الملك المؤيد ولم تكمل عمارة الفندق * (وكالة باب الجوّانية) هذه الوكالة تجاه باب الجوانية من القاهرة فيما بين درب الرشيدى ووكالة قوصون كان موضعها عدة مساكن فابتدأ الامير جمال الدين محمود بن على الاستادار بهدمها في يوم الاربعاء ثالث عشر جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبناها فندقا وربعا باعلاه فلما كملت رسم الملك الظاهر برقوق أن تكون دار وكالة يرد اليها مايصل الى القاهرة وما يرد من صنف متجر الشام في البحر كالزيت والرب والدبس ويصير مايرد في البر يدخل به على عادته الى وكالة قوصون وجعلها وقفاً على المدرسة الخانقاه التي أنشأها بخط بين القصرين فاستمر الامر على ذلك الى اليوم * (خان الخليلى) هذا الخان بخط الزراكشة العتيق كان موضعه تربة القصر التى فيها قبور الخلفاء الفاطميين المعروفة بتربة الزعفران وقد تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب * أنشأه الامير جهاركس الخليلى أميراخور الملك الظاهر برقوق وأخرج منها عظام الاموات فى المزابل على الحمير وألقاها بكيمان البرقية هوانا بها فانه كان يلوذ به شمس الدين محمد بن أحمد القليجي الذى تقدم ذكره في ذكر الدور من هذا الكتاب وقال له ان هذه عظام الفاطميين وكانوا كفاراً رفضة فاتفق للخليلي في موته أمر فيه عبرة لاولى الالباب وهو أنه لما ورد الخبر بخروج الامير يلبغا الناصري نائب حلب ومجئ الامير منطاش نائب ملطية اليه ومسيرهما بالعساكر الى دمشق أخرج الملك الظاهر برقوق خمسمائة من المماليك وتقدم لعدة من

الامراء بالمسير بهم فخرج الامير الكبير ايتمش الناصرى والامير جهاركس الخليلى هذا والامير يونس الدوادار والامير أحمد بن بلبغا الخاصكي والامير ندكار الحاجب وساروا الى دمشق فلقيهم الناصرى ظاهر دمشق فانكسر عسكر السلطان لمخامرة ابن بلبغا وندكار وفر أيتمش الى قلعة دمشق وقتل الخليلي في يوم الاثنين حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة وترك على الارض عاريا وسوأته مكشوفة وقد انتفخ وكان طويلا عريضا الى أن تمزق وبلى عقوبة من الله تعالى بما هتك من رمم الأئمة وأبنائهم ولقد كان عفا الله عنه عارفا خبيراً بأمر دنياه كثير الصدقة ووقف هذا الخان وغيره على عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير منه في اليوم رغيفان فعمل ذلك مدة سنين ثم لما عظمت الاسعار بمصر وتغيرت نقودها من سنة ست وثمانمائة صار يحمل الى مكة مال ويفرق بها على الفقراء * (فندق طرنطاي) هذا الفندق كان بخارج باب البحر ظاهر المقس وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام وكان فيه ستة عشر عموداً من رخام طول كل عمود ستة أذرع بذراع العمل في دور ذراعين ويعلوه ربع كبير فلما كان في واقعة هدم الكنائس وحريق القاهرة ومصر في سنة احدى وعشرين وسبعمائة قدم تاجر بعد العصر بزيت وزن فى مكسه عشرين ألف درهم نقرة سوى أصناف أخر قيمتها مبلغ تسعين ألف درهم نقرة فلم يتهيأ له الفراغ من نقل الزيت الى داخل هذا الفندق الا بعد العشاء الآخرة فلما كان نصف الليل وقع الحريق بهذا الفندق فى ليلة من شهر ربيع الآخر منها كما كان يقع فى غير موضع من فعل النصارى فأصبح وقد احترق جميعه حتى الحجارة التى كان مبنياً بها وحتى الاعمدة المذكورة وصارت كلها جيراً واحترق علوه وأصبح التاجر يستعطى الناس وموضع هذا الفندق

* (ذكر الاسواق) *

قال ابن سيدة والسوق التى يتعامل فيها تذكر وتؤنث والجمع أسواق وفى التنزيل الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق والسوقة لغة فيها والسوقة من الناس من لم يكن ذا سلطان الذكر والانثى في ذلك سواء وقد كان بمدينة مصر والقاهرة وظواهرها من الاسواق شئ كثير جداً قد باد أكثرها وكفاك دليلا على كثرة عددها أن الذى خرب من الاسواق فيما بين أراضى اللوق الى باب البحر بالمقس اثنان وخمسون سوقا أدركناها عامرة فيها مايبلغ حوانيته نحو الستين حانوتاً وهذه الخطة من جملة ظاهر القاهرة الغربى فكيف ببقية الجهات الثلاث مع القاهرة ومصر وسأذكر من أخبار الاسواق ماأجد سبيلا الى ذكره ان شاء الله تعالى * (القصبة) قال ابن سيدة قصبة البلد مدينته وقيل معظمه والقصبة هى أعظم أسواق مصر وسمعت غير واحد ممن أدركته من المعمرين يقول ان القصبة تحتوى على اثني عشر ألف حانوت كأنهم يعنون مابين أول الحسينية مما يلى الرمل الى المشهد النفيسى ومن اعتبر هذه المسافة

اعتبارا جيدا لا يكاد أن ينكر هذا الخبر وقد أدركت هذه المسافة بأسرها عامرة الحوانيت غاصة بأنواع المآكل والمشارب والامتعة تبهج رؤيتها ويعجب الناظر هيئها ويعجز العادّ عن احصاء ما فيها من الانواع فضلا عن احصاء ما فيها من الاشخاص وسمعت الكافة ممن أدركت يفاخرون بمصر سائر البلاد ويقولون يرمى بمصر في كل يوم ألف دينار ذهبا على الكيمان والمزابل يعنون بذلك مايستعمله اللبانون والجبانون والطباخون من الشقاف الحمر التى يوضع فيها اللبن والتي يوضع فيها الجبن والتى تأكل فيها الفقراء الطعام بحوانيت الطباخين وما يستعمله بياعو الجبن من الخيط والحصر التى تعمل تحت الجبن في الشقاف وما يستعمله العطارون من القراطيس والورق الفوى والخيوط التي تشد بها القراطيس الموضوع فيها حوائج الطعام من الحبوب والافاويه وغيرها فان هذه الاصناف المذكورة اذا حملت من الاسواق وأخذ ما فيها ألقيت الى المزابل ومن أدرك الناس قبل هذه المحن وأمعن النظر فيما كانوا عليه من أنواع الحضارة والترف لم يستكثر ماذكرناه وقد اختل حال القصبة وخرب وتعطل أكثر ماتشتمل عليه من الحوانيت بعد ماكانت مع سعتها تضيق بالباعة فيجلسون على الارض في طول القصبة باطباق الخبز وأصناف المعايش ويقال لهم أصحاب المقاعد وكل قليل يتعرض الحكام لمنعهم واقامتهم من الاسواق لما يحصل بهم من تضيق الشوارع وقلة بيع أرباب الحوانيت وقد ذهب والله ماهناك ولم يبق الا القليل وفى القصبة عدة أسواق منها ما خرب ومنها ما هو باق وسأذكر منها ما يتيسر ان شاء الله تعالى *(سوق باب الفتوح) هذا السوق في داخل باب الفتوح من حد باب الفتوح الآن الى رأس حارة بهاء الدين معمور الجانبين بحوانيت اللحامين والخضريين والفاميين والشرايحية وغيرهم وهو من أجل أسواق القاهرة وأعمرها يقصده الناس من أقطار البلاد لشراء أنواع اللحمان الضأن والبقر والمعز ولشراء أصناف الخضراوات وليس هو من الاسواق القديمة وانما حدث بعد زوال الدولة الفاطمية عند ما سكن قراقوش فى موضعه المعروف بحارة بهاء الدين وقد تناقص عما كان فيه منذ عهد الحوادث وفيه الى الآن بقية صالحة *(سوق المرحلين) هذا السوق أدركته من رأس حارة بهاء الدين الى بحرى المدرسة الصيرمية معمور الجانبين بالحوانيت المملوأة برحالات الجمال وأقتابها وسائر ماتحتاج اليه يقصد من سائر اقاليم مصر خصوصاً في مواسم الحج فلو أراد الانسان تجهيز مائة جمل وأكثر في يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه من ذلك لكثرة ذلك عند التجار في الحوانيت بهذا السوق وفي المخازن فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة وكثر سفر الملك الناصر فرج بن برقوق الى محاربة الامير شيخ والامير نوروز بالبلاد الشامية صار الوزراء يستدعون ما يحتاج اليه الجمال من الرحال والاقتاب وغيرها فاما لا يدفع ثمنها أو يدفع فيها الشيء اليسير من الثمن فاختل من

ذلك حال المرحلين وقلت أموالهم بعد ما كانوا مشتهرين بالغناء الوافر والسعادة الطائلة وخرب معظم حوانيت هذا السوق وتعطل أكثر ما بقي منها ولم يتأخر فيه سوى القليل *(سوق خان الرواسين) هذا السوق على رأس سويقة أمير الجيوش قيل له ذلك من أجل أن هناك خاناً تعمل فيه الرؤس المغمومة وكان من أحسن أسواق القاهرة فيه عدة من البياعين ويشتمل على نحو العشرين حانوتاً مملوأة بأصناف المآكل وقد اختل وتلاشي أمره *(سوق حارة برجوان) هذا السوق من الاسواق القديمة وكان يعرف في القديم أيام الخلفاء الفاطميين بسوق أمير الجيوش وذلك أن أمير الجيوش بدر الجمالى لما قدم الى مصر في زمن الخليفة المستنصر وقد كانت الشدة العظمى بنى بحارة برجوان الدار التي عرفت بدار المظفر وأقام هذا السوق برأس حارة برجوان قال ابن عبد الظاهر والسويقة المعروفة بأمير الجيوش معروفة بأمير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر وهى من باب حارة برجوان الى قريب الجامع الحاكمى وهكذا نشهد مكاتيب دور حارة برجوان القديمة فان فيها والحد القبلى ينتهى الى سويقة أمير الجيوش وسوق حارة برجوان هو فى الحد القبلى من حارة برجوان وأدركت سوق حارة برجوان أعظم أسواق القاهرة ما برحنا ونحن شباب نفاخر بحارة برجوان سكان جميع حارات القاهرة فنقول بحارة برجوان حمامات يعني حمامى الرومي وحمام سويد فانه كان يدخل اليها من داخل الحارة وبها فرنان ولها السوق الذى لا يحتاج ساكنها الى غيره وكان هذا السوق من سوق خان الرواسين الى سوق الشماعين معمور الجانبين بالعدة الوافرة من بياعى لحم الضأن السليخ وبياعى اللحم السميط وبياعي اللحم البقرى وبه عدة كثيرة من الزياتين وكثير من الجبانين والخبازين واللبانين والطباخين والشوايين والبواردية والعطارين والخضريين وكثير من بياعى الامتعة حتي انه كان به حانوت لا يباع فيه الا حوائج المائدة وهي البقل والكرات والشمار والنعناع وحانوت لا يباع فيه الا الشيرج والقطن فقط برسم تعمير القناديل التي تسرج فى الليل وسمعت من أدركت أنه كان يشترى من هذا الحانوت فى كل ليلة شيرج مما يوضع فى القناديل بثلاثين درهما فضة عنها يومئذ دينار ونصف وكان يوجد بهذا السوق لحم الضأن النيء والمطبوخ الى ثلث الليل الاول ومن قبل طلوع الفجر بساعة وقد خرب أكثر حوانيت هذا السوق ولم يبق لها أثر وتعطل بأسره بعد سنة ست وثمانمائة وصار أوحش من وتد فى قاع بعد أن كان الانسان لا يستطيع أن يمر فيه من ازدحام الناس ليلا ونهاراً الا بمشقة وكان فيه قبانى برسم وزن الامتعة والمال والبضائع لا يتفرغ من الوزن ولا يزال مشغولا به ومعه من يستحثه ليزن له فلما كان بعد سنة عشر وثمانمائة أنشأ الامير طوغان الدوادار بهذا السوق مدرسة وعمر ربعاً وحوانيت فتحايي بعض الشيء وقبض على طوغان فى سنة ست عشرة وثمانمائة ولم

تكمل عمارة السوق وفيه الآن بقية يسيرة *(سوق الشماعين) هـذا السوق من الجامع الاقمر الى سوق الدجاجين كان يعرف في الدولة الفاطمية بسوق القماحين وعنده بنى المأمون ابن البطائحي الجامع الاقمر باسم الخليفة الآمر بأحكام الله وبنى تحت الجامع دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح وأدركت سوق الشماعين من الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية والفانوسية والطوافات لا تزال حوانيته مفتحة الى نصف الليل وكان يجلس به في الليـل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين لهن سيما يعرفن بهـا وزى يتميزن به وهو لبس الملاآت الطرح وفي أرجلهن سراويل من أديم أحمر وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال المشالقين فى وقت لعبهم وفيهن من تحمل الحديد معها وكان يباع في هذا السوق في كل ليلة من الشمع بمال جزيل وقد خرب ولم يبق به الا نحو الخمس حوانيت بعدما أدركتها تزيد على عشرين حانوتاً وذلك لقلة ترف الناس وتركهم استعمال الشمع وكان يعلق بهذا السوق الفوانيس في موسم الغطاس فتصير رؤيته فى الليل من أنزه الاشياء وكان به فى شهر رمضان موسم عظيم لكثرة ما يشترى ويكترى من الشموع الموكبية التي تزن الواحدة منهن عشرة أرطال فما دونهـا ومن المزهرات العجيبة الزى المليحة الصنعة ومن الشمع الذى يحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار وما فوقه كل ذلك برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح فيمر في ليالى شهر رمضان من ذلك ما يعجز البليغ عن حكاية وصفه وقد تلاشي الحال في جميع ما قلنا لفقر الناس وعجزهم *(سوق الدجاجين) هذا السوق كان مما يلى سوق الشماعين الى سوق قبو الخرشتف كان يباع فيـه من الدجاج والاوز شيء كثير جليل الى الغاية وفيه حانوت فيه العصافير التى يبتاعها ولدان الناس ليعتقوها فيباع منها في كل يوم عدد كثير جداً ويباع العصفور منها بفلس ويخدع الصبي بأنه يسبح فمن أعتقه دخل الجنة ولـكل واحد حينئذ رغبة في فعـل الخير وكان يوجد في كل وقت بهذه الحوانيت من الاقفاص التي بها هـذه العصافير آلاف ويباع بهذا السوق عدة أنواع من الطير وفي كل يوم جمعة يباع فيه بكرة أصناف القمارى والهزارات والشحارير والببغا والسمان وكنا نسمع أن من السمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم وكذلك بقيـة طيور المسموع يبلغ الواحد منها نحو الالف لتنافس الناس فيها وتوفر عدد المعتنين بها وكان يقال لهم غواة طيور المسموع سيما الطواشية فانه كان يبلغ بهـم الترف أن يقتنوا السمان ويتأنقوا في أقفاصه ويتغالوا في أثمانه حتي بلغنا أنه بيع طائر من السمان بألف درهم فضـة عنها يومئذ نحو الخمسين دينـاراً من الذهب كل ذلك لاعجابهم بصوته وكان صوته على وزن قول القائل طقطلق وعوع وكلـما كثر صياحه كانت المغالاة فى ثمنه فاعتبر بما قصصته عليك حال الترف الذى كان فيه أهل مصر ولا تتخذ حكاية ذلك هزؤا تسخر به فتكون ممن لا تنفعه المواعظ بل يمر بالآيات معرضاً غافلا فتحرم الخير

وكان بهذا السوق قيسارية عملت مرة سوقا للكتبيين ولها باب من وسط سوق الدجاجين وباب من الشارع الذى يسلك فيه من بين القصرين الى الركن المخلق فاتفق أن ولى نيابة النظر في المارستان المنصورى عن الامير الكبير ايتمش النجاسى الظاهرى أمير يعرف بالامير خضر ابن التنكزية فهدم هذا السوق والقيسارية وما يعلوها وأنشأ هذه الحوانيت والرباع التي فوقها تجاه ربع الكامل الذى يعلو ما بين درب الخضيرى وقبو الخرشتف فلما كمل أسكن فى الحوانيت عدة من الزياتين وغيرهم وبقى من الدجاجين بهذا السوق بقية قليلة *(سوق بين القصرين) هذا السوق أعظم أسواق الدنيا فيما بلغنا وكان في الدولة الفاطمية براحا واسعا يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس وراجل ثم لما زالت الدولة ابتذل وصار سوقا يعجز الواصف عن حكاية ما كان فيه وقد تقدم ذكره في الخطط من هذا الكتاب وفيه الى الآن بقية تحزننى رؤيتها اذ صارت الى هذه القلة * (سوق السلاح) هذا السوق فيما بين المدرسة الظاهرية بيبرس وبين باب قصر بشتاك استجد فيما بعد الدولة الفاطمية في خط بين القصرين وجعل لبيع القسى والنشاب والزرديات وغير ذلك من آلات السلاح وكان تجاهه خان يقابل الخان الذى هو الآن بوسط سوق السلاح وعلى بابه من الجانبين حوانيت تجلس فيها الصيارف طول النهار فاذا كان عصريات كل يوم جلس أرباب المقاعد تجاه حوانيت الصيارف لبيع أنواع من المآكل ويقابلهم تجاه حوانيت سوق السلاح أرباب المقاعد أيضاً فاذا أقبل الليل أشعلت السرج من الجانبين وأخذ الناس في التمشى بينهما على سبيل الاسترواح والتنزه فيمر هنالك من الخلاعات والمجون مالا يعبر عنه بوصف فلما أنشأ الملك الظاهر برقوق المدرسة الظاهرية المستجدة صارت في موضع الخان وحوانيت الصرف تجاه سوق السلاح وقل ما كان هناك من المقاعد وبقى منها شيء يسير * (سوق القفيصات) بصيغة الجمع والتصغير هكذا يعرف كانه جمع قفيص فانه كله معد لجلوس أناس على تخوت تجاه شبابيك القبة المنصورية وفوق تلك التخوت أقفاص صغار من حديد مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور النسوان وخلاخيلهن وغير ذلك وهذه الاقفاص يأخذ أجرة الارض التي هي عليها مباشر المارستان المنصورى وأصل هذه الارض كانت من حقوق أرض موقوفة على جامع المقس فدخل بعضها في القبة المنصورية وصار بعضها كما ذكرنا والى اليوم يدفع من وقف المارستان حكر هذه الارض لجامع المقس ولما ولى نظر المارستان الامير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك في سنة ست وعشرين وسبعمائة عمل فيه أشياء من ماله منها خيمة ذرعها مائة ذراع نشرها من أول جدار القبة المنصورية بحذاء المدرسة الناصرية الى آخر حد المدرسة المنصورية بجوار الصاغة فصارت فوق مقاعد الاقفاص تظلهم من حر الشمس وعمل لها حبالا تمد بها عند الحر وتجمع بها اذا امتد الظل وجعلها

مرتفعة في الجو حتى ينحرف الهواء ثم لما كان شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة نقلت الاقفاص منـه الى القيسارية التي استجدت تجـاه الصاغة *(سوق باب الزهومة)* هذا السوق عرف بذلك من أجل أنه كان هناك في الايام الفاطمية باب من أبواب القصر يقال له باب الزهومة تقدم ذكره في ذكر أبواب القصر من هذا الـكتاب وكان موضع هذا السوق في الدولة الفاطمية سوق الصيارف ويقابله سوق السيوفيين من حيث الخشيبة الى نحو رأس سوق الحريريين اليوم وسوق العنبر الذى كان اذ ذاك سجنا يعرف بالمعونة ويقابل السيوفيين اذ ذاك سوق الزجاجين وينتهى الى سوق القشاشين الذي يعرف اليوم بالخراطين فلما زالت الدولة الفاطمية تغير ذلك كله فصار سوق السيوفيين من جوار الصاغـة الى درب السلسلة وبنى فيما بين المدرسة الصالحية وبين الصاغـة سوق فيه حوانيت مما يلي المدرسة الصالحية يباع فيها الامشاط بسوق الامشاطيين وفيه حوانيت فيما بين الحوانيت التي يباع فيها الامشاط وبين الصاغة بعضها سكن الصيارف وبعضها سكن النقليين وهم الذين يبيعون الفستق واللوز والزبيب ونحوه وفي وسط هـذا البناء سوق الـكتبيين يحيط به سوق الامشاطيين وسوق النقليين وجميع ذلك جار في أوقاف المارستان المنصوري * وكان سوق باب الزهومة من أجل أسواق القاهرة وأنخرها موصوفا بحسن المآكل وطيبها * واتفق فى هذا السوق أمر يستحسن ذكره لغرابته في زمننا وهو أنه عبر متولى الحسبة بالقاهرة في يوم السبت سادس عشر شهر رمضان سنة اثنتين وأربعـين وسبعمائة على رجل بوارى بهذا السوق يقال له محمد بن خلف عنده مخزن فيه حمـام وزرازير متغيرة الرائحة لها نحو خمسين يوما فـكشف عنها فبلغت عدتها أربعة وثلاثين ألفا ومائة وستة وتسعين طائرا من ذلك حمام ألف ومائةوستة وتسعون وزرازيرثلاثة وثلاثون ألفاً كلها متغيرة اللون والريح فأدبه وشهره وفيه الى الآن بقايا *(سوق المهامزيين) هذا السوق مما استجد بعـد زوال الدولة الفاطمية وكان بأوله حبس المعونة الذى عمله الملك المنصور قلاوون سوق العنبر ويقابله المارستان والوكالة ودار الضرب في الموضع الذى يعرف اليوم بدرب الشمسى وما يحـذائه من الحوانيت الى حمام الخراطين وما تجاه ذلك وهذا السوق معد لبيع المهاميز وأدركت الناس وهم يتخـذون المهماز كله قالبه وسقطه من الذهب الخالص ومن الفضة الخالصة ولا يترك ذلك الا من يتورع ويتدين فيتخذ القالب من الحديد ويطليه بالذهب أو الفضة ويتخذ السقط من الفضة وقد اضطر الناس الى ترك هذا فقل من بقى سقط مهمازه فضة ولا يكاد يوجد اليوم مهماز من ذهب وكان يباع بهذا السوق البدلات الفضة التي كانت برسم لجم الخيل وتعمل تارة من الفضة المجراة بالمينا وتارة بالفضة المطلية بالذهب فيبلغ زنة ما فى البدلة من خمسمائة درهم فضة الى ما دونها وقد بطل ذلك وكان

يباع به أيضاً سلاسل الفضة ومخاطم الفضة المطلية تجعل تحت لجم الحجور من الخيل خاصة فيركب بها أعيان الموقعين وأكابر الكتاب من القبط ورؤساء التجار وقد بطل ذلك أيضاً ويباع فيه أيضاً الدوى والطرف التى فيها الفضة والذهب كسكاكين الاقلام ونحوها وكانت تجار هذا السوق تعد من بياض العامة ويتصل بسوق المهامزيين هذا *(سوق اللجميين) ويباع فيه آلات اللجم ونحوها مما يتخذ من الجلد وفي هذا السوق أيضاً عدة وافرة من الطلائين وصناع الكفت برسم اللجم والركب والمهاميز ونحو ذلك وعدة من صناع مياتر السروج وقرابيسها وأدركت السروج تعمل ملونة ما بين أصفر وأزرق ومنها ما يعمل من الدبل ومنها ما يعمل سيوراً من الجلد البلغارى الاسود ويركب بهذه السروج السود القضاة ومشايخ العلم اقتداء بعادة بنى العباس في استعمال السواد على ما جدده بديار مصر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد زوال الدولة الفاطمية وأدركت السروج التى تركب بها الاجناد والكتاب يعمل للسرج فى قربوسه ستة أطواق من فضة مقبلة مطلية بالذهب ومقربات من فضة ولا يكاد أحد يركب فرسا بسرج سادج الا أن يكون من القضاة ومشايخ العلم واهل الورع فلما تسلطن الملك الظاهر برقوق اتخذ سائر الاجناد السروج المغرقة وهى التى جميع قرابيسها من ذهب أو فضة اما مطلية أوسادجة وكثر عمل ذلك حتى لم يبق من العسكر فارس الا وسرجه كما ذكرنا وبطل السرج المسقط فلما كانت الحوادث بعدسنة ست وثمانمائة غلب على الناس الفقر وكثرت الفتن فقلت سروج الذهب والفضة وبقى منها الى اليوم بقايا يركب بها أعيان الامراء وأماثل المماليك *(سوق الجوخيين) هذا السوق يلي سوق اللجميين وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج وغواشيها وأدركت الناس وقلما تجد فيهم من يلبس الجوخ وانما يكون من جملة ثياب الاكابر جوخ لا يلبس الا في يوم المطر وانما يلبس الجوخ من يرد من بلادالمغرب والفرنج وأهل الاسكندرية وبعض عوام مصرفاما الرؤساءوالاكابر والاعيان فلا يكاد يوجد فيهم من يلبسه الا في وقت المطر فاذا ارتفع المطر نزع الجوخ وأخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب ابن الخطبا المخزومى خال أبى رحمه الله قال كنت أنوب في حسبة القاهرة عن القاضى ضياء الدين المحتسب فدخلت عليه يوما وانا لابس جوخة لها وجه صوف مربع فقال لى وكيف ترضى أن تلبس الجوخ وهل الجوخ الا لاجل البغلة ثم أقسم علىَّ أن أخلعها وما زال بى حتى عرفته انى اشتريتهامن بعض تجار قيسارية الفاضل فاستدعاه في الحال ودفعها اليه وأمره باحضار ثمنها ثم قال لى لا تعد الى لبس الجوخ استهجانا له فلما كانت هذه الحوادث وغلت الملابس دعت الضرورة أهل مصر الى ترك أشياء مما كانوا فيه من الترفه وصار معظم الناس يلبسون الجوخ فتجد الامير والوزير

والقاضي ومن دونهم ممن ذكرنا لباسهم الجوخ ولقد كان الملك الناصر فرج ينزل أحيانا الى الاصطبل وعليه قمجون من جوخ وهو ثوب قصير الكمين والبدن يخاط من الجوخ بغير بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه فتداول الناس لبسه واجتلب الفرنج منه شيئاً كثيراً لا توصف كثرته ومحل بيعه بهذا السوق ويلي سوق الجوخيين هذا *(سوق الشرابشيين) وهذا السوق مما أحدث بعد الدولة الفاطمية ويباع فيها الخلع التي يلبسها السلطان للامراء والوزراء والقضاة وغيرهم وانما قيل له سوق الشرابشيين لانه كان من الرسم في الدولة التركية ان السلطان والامراء وسائر العساكر انما يلبسون على رؤسهم كلوتة صفراء مضربة تضريبا عريضا ولها كلاليب بغير عمامة فوقها وتكون شعورهم مضفورة مدلاة بدبوقة وهي في كيس حرير اما أحمر أو أصفر وأوساطهم مشدودة ببنود من قطن بعلبكي مصبوغ عوضا عن الحوائص وعليهم أقبية اما بيض أو مشجرة أحمر وأزرق وهي ضيقة الاكمام على هيئة ملابس الفرنج اليوم وأخفافهم من جلد بلغاري أسود وفي أرجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان ومن فوق القبا كمران بحلق وأبزيم وصوالق بلغاري كبار يسع الواحد منها أكثر من نصف ويبة غلة مغروز فيه منديل طوله ثلاثة أذرع فلم يزل هذا زيهم منذ استولوا بديار مصر على الملك من سنة ثمان وأربعين وستمائة الى أن قام في المملكة الملك المنصور قلاوون فغير هذا الزى بأحسن منه ولبسوا الشاشات وأبطلوا لبس الكم الضيق واقترح كل أحد من المنصورية ملابس حسنة فلما ملك ابنه الاشرف خليل جمع خاصكيته ومماليكه وتخير لهم الملابس الحسنة وبدل الكلوتات الجوخ والصفر ورسم لجميع الامراء أن يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركش والطرازات الزركش والكنابيش الزركش والاقبية الاطلس المعدني حتى يميز الامير بلبسه عن غيره وكذلك في الملبوس الابيض أن يكون رفيعاً واتخذ السروج المرصعة والاكوار المرصعة فعرفت بالاشرفية وكانت قبل ذلك سروجهم بقرابيس كبار شنعة وركب كبار بشعة فلما ملك ديار مصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون استجد العمائم الناصرية وهي صغار فلما قام الامير بلبغا العمرى الخاصكي عمل الكلوتات البلبغاوية وكانت كبارا واستجد الامير سلار في أيام الملك الناصر محمد القباء الذي يعرف بالسلارى وكان قبل ذلك يعرف ببغلوطاق فلما تملك الملك الظاهر برقوق عمل هذه الكلوتات الجركسية وهي أكبر من البلبغاوية وفيها عوج وأما الخلع فان السلطان كان اذا أمر أحداً من الاتراك ألبسه الشربوش وهو شئ يشبه التاج كأنه شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامة ويلبس معه على قدر رتبته اما ثوب بخ أو طرد وحش أو غيره فعرف هذا السوق بالشرابشيين نسبة الى الشرابيش المذكورة وقد بطل الشربوش في الدولة الجركسية وكان بهذا السوق عدة تجار لشراء التشاريف والخلع وبيعها على السلطان

في ديوان الخاص وعلى الامراء وينال الناس من ذلك فوائد جليلة ويقتنون بالمتجر في هذا الصنف سعادات طائلة فلما كانت هذه الحوادث منع الناس من بيع هذا الصنف الا للسلطان وصار يجلس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر مايحتاج اليه ومن اشترى من ذلك شيئاً سوى عمال السلطان فله من العقاب ماقدر عليه والامر على هذا الى يومنا الذى نحن فيه وأول من علمته خلع عليه من أهل الدول جعفر بن يحيي البرمكي وذلك ان أمير المؤمنين هارون الرشيد قال في اليوم الذى انعقد له فيه الملك ياأخي ياجعفر قد أمرت لك بمقصورة في دارى وما يصلح لها من الفراش وعشر جوار تكن فيها ليلة مبيتك عندنا فقال يا أمير المؤمنين مامن نعمة متواترة ولا فضل متظاهر الا ورأي أمير المؤمنين أجمل وأتم ثم انصرف وقد خلع عليه الرشيد وحمل بين يديه مائة بدرة دراهم ودنانير وأمر الناس فركبوا اليه حتى سلموا عليه وأعطاه خاتم الملك ليختم به على مايريد فبلغ بذلك صيته أقطار الارض ووصل الى مالم يصل اليه كاتب بعده فاقتدى بالرشيد من بعده وخلعوا على أوليائهم وولاة أعمالهم واستمر ذلك الى اليوم وأول ماعرف شد السيوف فى أوساط الجند ان سيف الدين غازى ابن عماد الدين اتابك زنكي بن اق سنقر صاحب الموصل أمر الاجناد أن لايركبوا الا بالسيوف فى أوساطهم والدبابيس تحت ركبهم فلما فعل ذلك اقتدى به أصحاب الاطراف وهو أيضاً أول من حمل على رأسه الصنجق في ركوبه وغازى هذا هو أخو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ومات فى آخر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة وولى الموصل بعده أخوه قطب الدين مودود *(سوق الحوائصيين) هذا السوق يتصل بسوق الشرابشيين وتباع فيه الحوائص وهى التى كانت تعرف بالمنطقة فى القديم فكانت حوائص الاجناد أولا أربعمائة درهم فضة ونحوها ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الامراء الكبار ثلثمائة دينار وأمراء الطبلخانات مائتى دينار ومقدمى الحلقة من مائة وسبعين الى مائة وخمسين ديناراً ثم صار الامراء والخاصكية فى الايام الناصرية وما بعدها يتخذون الحياصة من الذهب ومنها ماهو مرصع بالجوهر ويفرق السلطان فى كل سنة على المماليك من حوائص الذهب والفضة شيئاً كثيرا وما زال الامر على ذلك الى أن ولى الناصر فرج فلما كان في أيام الملك المؤيد شيخ قل ذلك ووجد فى تركة الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور لما قبض عليه ستة آلاف حياصة وستة آلاف كلوتة جهاركس وما برح تجار هذا السوق من بياض العامة وقد قل تجار هذا السوق فى زمننا وصار أكثر حوانيته يباع فيها الطواقى التى يلبسها الصبيان وصارت الآن من ملابس الاجناد * (سوق الحلاويين) هذا السوق معد لبيع مايتخذ من السكر حلوى وانما يعرف اليوم بحلاوة منوعة وكان من أبهج الاسواق لما يشاهد فى الحوانيت التى بها من الأوانى وآلات النحاس الثقيلة الوزن البديعة الصنعة ذات

القيم الكبيرة ومن الحلاوات المصنعة عدة ألوان وتسمى المجمعة وشاهدت بهذا السوق السكر ينادى عليه كل قنطار بمائة وسبعين درهما فلما حدثت المحن وغلا السكر لخراب الدواليب التى كانت بالوجه القبلي وخراب مطابخ السكر التى كانت بمدينة مصر قل عمل الحلوى ومات أكثر صناعها ولقد رأيت مرة طبقا فيه نقل وعدة شقاف من خزف أحمر فى بعضها لبن وفى بعضها أنواع الاجبان وفيما بين الشقاف الخيار والموز وكل ذلك من السكر المعمول بالصناعة وكانت أيضاً لهم عدة أعمال من هذا النوع يحير الناظر حسنها وكان هذا السوق فى موسم شهر رجب من أحسن الاشياء منظراً فانه كان يصنع فيه من السكر أمثال خيول وسباع وقطاط وغيرها تسمى العلاليق واحدها علاقة ترفع بخيوط على الحوانيت فمنها مايزن عشرة أرطال الى ربع رطل تشتري للاطفال فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لاهله وأولاده وتمتلئ أسواق البلدين مصر والقاهرة وأريافهما من هذا الصنف وكذلك يعمل في موسم نصف شعبان وقد بقى من ذلك الى اليوم بقية غير طائلة وكذلك كانت تروق رؤية هذا السوق في موسم عيد الفطر لكثرة مايوضع فيه من حب الخشكنانج وقطع البسندود والمشاش ويشرع فى عمل ذلك من نصف شهر رمضان فتملأ منه أسواق القاهرة ومصر والارياف ولم ير فى موسم سنة سبع عشرة وثمانمائة من ذلك شئ بالاسواق ألبتة فسبحان محيل الاحوال لا اله الا هو *(سوق الشوايين) هذا السوق أول سوق وضع بالقاهرة وكان يعرف بسوق الشرايحيين وهو من باب حارة الروم الى سوق الحلاويين وما زال يعرف بسوق الشرايحيين الى أن سكن فيه عدة من بياعي الشواء في حدود السبعمائة من سنى الهجرة فزالت عنه النسبة الى الشرايحيين وعرف بالشوايين وهو الآن سكن المتعيشين وانتقل سوق الشرايحيين في زماننا الى خارج باب زويلة وعرف بالبسطيين كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز وفى شهر صفر من سنة خمس وستين وثلثمائة أنشئ سوق الشرايحيين بالقاهرة وذكر ذلك ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة وكان فى القديم باب زويلة الذى وضعه القائد جوهر عند رأس حارة الروم حيث العقد المجاور الآن للمسجد الذى عرف اليوم بسام بن نوح وكان بجواره باب آخر موضعه الآن سوق الماطيين فلما نقل أمير الجيوش باب زويلة الى حيث هو الآن اتسع ما بين سوق الشرايحيين المذكور وبين باب زويلة الكبير وصار الآن فيه سوق الغرابليين وفيه عدة حوانيت تعمل مناخل الدقيق والغرابيل ويقابلهم عدة حوانيت يصنع فيها الاغلاق المعروفة بالضبب وما بعد ذلك الى باب زويلة فيه كثير من الحوانيت يجلس ببعضها عدة من الجبانين لبيع أنواع الجبن المجلوب من البلاد الشامية وأدركنا هناك الى أن حدثت المحن من ذلك شيئاً كثيراً يجاوز الحد فى الكثرة وفي بعض تلك الحوانيت قوم يجلسون لعلاج من عساه ينصدع له عظم أو

ينكسر أو يصيبه جرح يعرفون بالمجبرين وهناك منهم بقية الى يومنا هـذا وبقية الحوانيت ما بين صيارفة وبياعى طرف ومتعيشين فى المآكل وغيرها فهذه قصبة القاهرة وما في ظاهر باب زويلة فانه خارج القاهرة والله تعالى أعلم

(الشارع خارج باب زويلة)

هذا الشارع هو تجاه من خرج من باب زويلة ويمتد فيما بين الطريق السالك ذات اليمين الى الخليج وبين الطريق المسلوك فيه ذات اليسار الى قلعة الجبل ولم يكن هذا الشارع موجوداً على ماهو عليه الآن عند وضع القاهرة وانما حدث بعد وضعها بعدة أعوام على غير هذه الهيئة فلما كثرت العمائر خارج باب زويلة بعد سـنة سبعمائة من سنى الهجرة صار على ماهو عليـه الآن فاما أول أمره فان الخليفة الحاكم بأمر الله أنشأ الباب الجديد على يسرة الخارج من باب زويلة على شاطئ بركة الفيل وهذا الباب أدركت عقده عند رأس المنجبية بجوار سوق الطيور ثم لما اختطت حارة اليانسية وحارة الهلالية صار ساحل بركة الفيل قبالتها واتصلت العمائر من البـاب الجديد الى الفضاء الذى هو الآن خارج المشهد النفيسى فلما كانت الشدة العظمى في خلافة المستنصر وخربت القطائع والعسكر صارت مواضعهـا خراباً الى خلافة الآمر بأحكام الله فعمر الناس حتي صارت مصر والقاهرة لا يتخللهما خراب وبني الناس في الشارع من الباب الجديد الى الجبل عرضاً حيث قلعة الجبل الآن وبنى حائط يستر خراب القطائع والعسكر فعمر من الباب الجديد طولا الى باب الصفا بمدينة مصر حتي صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون يصـلون العشاء الآخرة بالقاهرة ويتوجهون الى سكنهم فى مصر ولا يزالون في ضوء وسرج وسوق موقود من الباب الجـديد خارج باب زويلة الى باب الصـفا حيث الآن كوم الجارح والمعاش مسـتمر فى الليل والنهار ووقف القاضى الرئيس المختار العدل زكي الدين أبو العباس أحمـد بن مرتضى بن سـيد الاهل ابن يوسف حصة من البستان الـكبير المعروف يومئذ بالخاريق الـكبرى الكائن فيما بين القاهرة ومصر بعدوة الخليج على القربات وشرط أنَّ الناظر يشترى في كل فصل من فصول الشتاء من قماش الـكتان الخام أو القطن مايراه ويعمل ذلك جبابا وبغالطيقا محشوّة قطناً وتفرّق على الأيتام الذكور والاناث الفقراء غير البالغين بالشارع الأعظم خارج باب زويلة فيدفع لـكل واحد جبة واحدة أو بغلطاقا فان تعذر ذلك كان على الأيتام المتصفين بالصفات المذكورة بالقاهرة ومصر وقرا فتيهما وكان هذا الوقف في سنة ستين وستمائة فلما كـثرت العمائر خارج باب زويلة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة سبعمائة صار هـذا الشارع أوّله تجـاه باب زويلة وآخره فى الطول الصليبـة التي تنتهى الى جامع ابن طولون وغيره لـكنهم لايريدون بالشارع سوى الى باب القوس الذى بسوق الطيوريين وهو الباب

الجديد وبعد باب القوس سوق الطيوريين ثم سوق جامع قوصون وسوق حوض ابن هنس وسوق ربع طفجي وهذه أسواق بها عدة حوانيت لكنها لاتنتهى الى عظم أسواق القاهرة بل تكون ابدا دونها بكثير فهذا حال القصبة والشارع خارج باب زويلة وقد بقيت عدّة أسواق في جانبى القصبة ولها أبواب شارعة وفيها أسواق أخر فى نواحي القاهرة ومسالكها سيأتي ذكرها بحسب القدرة ان شاء الله تعالى * (سويقة أمير الجيوش) هذه السويقة الآن فيما بين حارة برجوان وحارة بهاء الدين كانت تعرف بسوق الخروقيين فيما بعد زوال الدولة الفاطمية وفى هذا السوق عمر الامير ماز كوج الاسدى مدرسته المعروفة الآن بالازكجية وأدركت الناس الى هذا الزمن الذى نحن فيه لايعرفون هذا السوق الا بسوق أمير الجيوش ويعبرون عنه بصيغة التصغير ولا أعرف لهم مستنداً في ذلك والذى تشهد به الاخبار أن سوق أمير الجيوش هو السوق الذى برأس حارة برجوان ويمتدّ الى رأس سويقة أمير الجيوش الآن وهذه السويقة من أكبر أسواق القاهرة بها عدّة حوانيت فيها الرفاؤون والحباكون وعدّة حوانيت للرسامين وعدّة حوانيت للفرّايين وعدّة حوانيت للخياطين ومعظمها لسكن البزازين والخلعيين وفيها عدّة من بياعى الاقباع ويباع فى هذا السوق سائر الثياب المخيطة والامتعة من الفرش ونحوها وهو شارع من شوارع القاهرة يسلك فيه من باب الفتوح وبين القصرين وباب النصر الى باب القنطرة وشاطئ النيل وغيره وكان مابعد هذا السوق الى باب القنطرة معمور الجانبين بالحوانيت المعدّة لبيع الظرائف والمغازل والكتان والانواع من المأكل والعطر وغيره وقد خرب أكثر هذه الحوانيت فى سنى المحنة وما بعدها ولسويقة أمير الجيوش عدة قياسر وفنادق والله أعلم * (سوق الجملون الصغير) هذا السوق يسلك فيه من رأس سويقة أمير الجيوش الى باب الجوانية وباب النصر ورحبة باب العيد وهو مجاور لدرب الفرحية وفيه المدرسة الصيرمية وباب زيادة الجامع الحاكمي وكان أولا يعرف بالامراء القرشيين بني النورى ثم عرف بالجملون الصغير وبجملون ابن صيرم وهو الامير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد الأمراء فى أيام الملك الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب واليه تنسب المدرسة الصيرمية والخط المعروف خارج باب الفتوح ببستان ابن صيرم وأدركت هذا الجملون معمور الجانبين من أوله الى آخره بالحوانيت ففى أوله كثير من البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان من الخام والازرق وأنواع الطرح وأصناف ثياب القطن وينادى فيه على الثياب بحراج حراج وفيه عدة من الخياطين وعدة من البابية المعدين لغسل الثياب وصقالها وبآخره كثير من الضبيين بحيث لو أراد أحد أن يشترى منه ألف ضبة فى يوم لما عسر عليه ذلك فلما حدثت المحن خرب هذا السوق بخلو حوانيته وصار مقفرا من ساكنيه ثم انه عمر بعد سنة عشر وثمانمائة وفيه الآن نفر من

البزازين وقليل ممن سواهم * (سوق المحايريين) هذا السوق فيما بين الجامع الاقمر وبين جملون ابن صيرم يسلك فيه من سوق حارة برجوان ومن سوق الشماعين الى الركن المخلق ورحبة باب العيد وهو من شوارع القاهرة المسلوكة وفيه عدة حوانيت لعمل المحاير التى يسافر فيها الى الحجاز وغيره وكان فيه تاجران قد تراضيا على مايشتريانه من المحاير المعرضة للبيع ولهذا السوق موسم عظيم عند سفر الحاج وعند سفر الناس الى القدس وبلغنى عن شيخ كان بهذا السوق أنه أوصى بعض صبيانه فقال له يابني لاتزاع أحداً في بيع فانه لا يحتاج اليك الامرة في عمره نخذ عدلك فى ثمن المحارة فانك لاتخشى من عوده مرة أخرى اليك وسوف اذا عاد من سفره اما الى الحجاز أو القدس فانه يحتاج الى بيعها فتراقد عليه فى ثمنها واشترها بالرخيص وكذلك يفعل أهل هذا السوق الى اليوم فانهم لايراعون بائعاً ولا مشترياً الا أن سوقهم لم يبق كما أدركناه فانه حدث سوق آخر يباع فيه المحاير بسوق الجامع الطولونى وصار بسوق الخيميين أيضاً صناع للمحاير وبلغنى أن بالمحايريين هذه أوقف أهل مصر امرأة من جريد مؤتزرة بيدها ورقة فيها سب الخليفة الحاكم بأمر الله ولعنه عند مامنع النساء من الخروج في الطرقات فمند مامر من هناك حسبها امرأة تسأله حاجة فأمر بأخذ الورقة منها فاذا فيها من السب ماأغضبه فأمر بها أن تؤخذ فاذا هي من جريد قد ألبس ثياباً وعمل كهيئة امرأة فاشتد عند ذلك غضبه وأمر العبيد باحراق مدينة مصر فأضرموا فيها النار ولم أقف على هذا الخبر مسطوراً وقد ذكر المسيحي حريق الحاكم بأمر الله لمصر ولم يذكر قصة المرأة * (الصاغة) هذا المكان تجاه المدارس الصالحية بخط بين القصرين قال ابن عبد الظاهر الصاغة بالقاهرة كانت مطبخاً للقصر يخرج اليه من باب الزهومة وهو الباب الذى هدم وبنى مكانه قاعة شيخ الحنابلة من المدارس الصالحية وكان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع الالوان في كل يوم تفرق على أرباب الرسوم والضعفاء وسمي باب الزهومة أى باب الزفر لانه لايدخل باللحم وغيره الا منه فاختص بذلك انتهى . والصاغة الآن وقف على المدارس الصالحية وقفها الملك السعيد بركة خان المسمي بناصر الدين محمد ولد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى على الفقهاء المقررين بالمدارس الصالحية * (سوق الكتبيين) هذا السوق فيمابين الصاغة والمدرسة الصالحية أحدث فيما أظن بعد سنة سبعمائة وهو جار فى أوقاف المارستان المنصوري وكان سوق الكتب قبل ذلك بمدينة مصر تجاه الجانب الشرقى من جامع عمرو بن العاص فى أول زقاق القناديل بجوار دار عمرو وأدركته وفيه بقية بعد سنة ثمانين وسبعمائة وقد دثر الآن فلا يعرف موضعه وكان قد نقل سوق الكتبيين من موضعه الآن بالقاهرة الى قيسارية كانت فيما بين سوق الدجاجين المجاور للجامع الاقمر وبين سوق الحصريين

المجاور للركن المخلق وكان يعلو هذه القيسارية ربع فيه عدة مساكن فتضررت الكتب من نداوة أقبية البيوت وفسد بعضها فعادوا الى سوق الكتب الاول حيث هو الآن وما برح هذا السوق مجمعاً لأهل العلم يترددون اليه وقد أنشدت قديماً لبعضهم

مجالسة السوق مذمومة * ومنها مجالس قد تحتسب

فلا تقربن غير سوق الجياد * وسوق السلاح وسوق الكتب

فهاتيك آلة أهل الوغى * وهاتيك آلة أهل الادب

*(سوق الصنادقيين) هذا السوق تجاه المدرسة السيوفية كان موضعه في القديم من جملة المارستان ثم عرف بفندق الدبابليين وقيل له الآن سوق الصنادقيين وفيه تباع الصناديق والخزائن والاسرّة مما يعمل من الخشب وكان مابظاهرها قديماً يعرف بسكن الدجاجين وأدركناه يعرف بسوق السيوفيين وكان فيه عدّة طباخين لا يزال دخان كوانينهم منعقداً لكثرته حتي قال لى شيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم الحنفى ان قاضي القضاة جلال الدين جاد الله قال لى هذا السوق قطب دائرة الدخان وفى سوق الصنادقيين الى الآن بقية * (سوق الحريريين) هذا السوق من باب قيسارية العنبر الى خط البندقانيين كان يعرف قديماً بسقيفة العدّاس ثم عمل صاغة القاهرة ثم سكن هناك الاساكفة قال ابن عبد الظاهر وكانت الصاغة قديماً فيما تقدّم مكان الاساكفة الآن وهو الى الآن معروف بالصاغة القديمة وكان يعرف بسقيفة العداس كذا رأيت في كتب الاملاك وعرف هذا السوق في زماننا بالحريريين الشرابيين وعرف بعضه بسوق الزجاجين وكان يسكن فيه أيضاً الاساكفة فلما أنشأ الامير يونس الدوادار القيسارية على بئر زويلة بخط البندقانيين فى أعوام بضع وثمانين وسبعمائة نقل الاساكفة من هذا الخط ونقل منه أيضاً بياعى أخفاف النساء الى قيساريته وحوانيته المذكورة *(سوق العنبريين) هذا السوق فيما بين سوق الحريريين الشرابيين وبين قيسارية العصفر وهو تجاه الخراطين كان في الدولة الفاطمية مكانه سجناً لارباب الجرائم يعرف بحبس المعونة وكان شنيع المنظر ضيقاً لا يزال من يجتاز عليه يجد منه رائحة منكرة فلما كان في الدولة التركية وصار قلاوون من جملة الامراء الظاهرية بيبرس صار يمر من داره الى قلعة الجبل على حبس المعونة هذا فيشم منه رائحة رديئة ويسمع منه صراخ المسجونين وشكواهم الجوع والعرى والقمل فجعل على نفسه ان الله تعالى جعل له من الامر شيئا أن يبنى هذا الحبس مكانا حسنا فلما صار اليه ملك ديار مصر والشام هدم حبس المعونة وبناه سوقا أسكنه بياعى العنبر وكان للعنبر اذ ذاك بديار مصر نفاق وللناس فيه رغبة زائدة لا يكاد يوجد بأرض مصر امرأة وان سفلت الا ولها قلادة من عنبر وكان يتخذ منه المخاد والكلل والستور وغيرها وتجار العنبر يعدون

من بياض الناس ولهم أموال جزيلة وفيهم رؤساء وأجلاء فلما صار الملك الى الملك الناصر محمد بن قلاوون جعل هـذا السوق وما فوقه من المساكن وقفا على الجامع الذى أنشأه بظاهر مصر جوار موردة الحلفاء المعروف بالجامع الجديد الناصرى وهو جار فى أوقافه الى يومنا هذا الا أن العنبر من بعد سنة سبعين وسبعمائة كثر فيه الغش حتى صار اسما لا معني له وقلت رغبة الناس في استعماله فتلاشى أمر هذا السوق بالنسبة لما كان ثم لما حدثت المحن بعد سنة ست وثمانمائة قل ترفه أهـل مصر عن استعمال الـكثير من العنبر فطرق هذا السوق ما طرق غـيره من أسواق البلد وبقيت فيه بقية يسيرة الى أن خلع الخليفة المستعين بالله العباسي بن محمد في سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان نظر الجامع الجديد بيده وبيد أبيه الخليفة المتوكل على الله محمد فقصد بعض سفهاء العامة يكاتبه بتعطيل هـذا السوق فاستأجر قيسارية العصفر ونقـل سوق العنبر اليها وصار معطلا نحو سنتين ثم عاد أهل العنبر الى هذا السوق على عادتهم في سنة ثمان عشرة وثمانمائة *(سوق الخراطين) هذا السوق يسلك فيه من سوق المهامزيين الى الجامع الازهر وغيره وكان قديما يعرف بعقبة الصباغين ثم عرف بسوق القشاشين وكان فيما بين دار الضرب والوكالة الآمرية وبين المارستان ثم عرف الآن بسوق الخراطين وكان سوقا كبيرا معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع المهد الذى يربى فيه الاطفال وحوانيت الخراطين وحوانيت صناع السكاكين وصناع الدوى يشتمل على نحو الخمسين حانوتا فلما حدثت المحن تلاشى هذا السوق واغتصب الامير جمال الدين يوسف الاستادار منه عدة حوانيت من أوله الى الحمام التي تعرف بحمام الخراطين وشرع في عمارتها فعوجل بالقتل قبل اتمامها وقبض عليها الملك الناصر فرج فيما أحاط به من أمواله وأدخلها فى الديوان فقام بعمارة الحوانيت التي تجاه قيسارية العصفر من درب الشمسي الى أول الخراطين القـاضي الرئيس تقى الدين عبـد الوهاب بن أبى شاكر فلما كملت جعلها الملك الناصر فيما هو موقوف على تربته التي أنشأها على قـبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر وأفرد الحمام وبعض الحوانيت القديمة للمدرسة التى أنشأها الامير جمال الدين يوسف الاستادار برحبة باب العيد وما يقابل هذه الحوانيت هو وما فوقه وقف على المدرسة القراسنقرية وغيرها وهو متخرب متهدم *(سوق الجملون الـكبير) هذا السوق بوسط سوق الشرابشيين يتوصل منه الي البندقانيين والى حارة الجودرية وغيرها أنشئ فيه حوانيت سكنها البزازون وقفه السلطـان الملك الناصر محمد بن قلاون على تربة مملوكه بلبغا التركمانى عندما مات فى سنة سبع وسبعمائة ثم عمل عليه بابان بطرفيه بعد سنة تسعين وسبعمائة فصارت تغلق فى الليل وكان فيما أدركناه شارعا مسلوكا طول الليل يجلس تجاهه صاحب العسس الذى عرفته العامة فى زماننا بوالى الطوف من بعد صلاة العشاء فى

كل ليلة وينصب قدامه مشعل يشعل بالنار طول الليل وحوله عدة من الاعوان وكثير من السقائين والنجارين والقصارين والهدادين بنوب مقررة لهم خوفا من أن يحدث بالقاهرة فى الليل حريق فيتداركون اطفاءه ومن حدث منه فى الليل خصومة أو وجد سكران أو قبض عليه من السراق تولى أمره والى الطوف وحكم فيه بما يقتضيه الحال فلما كانت الحوادث بطل هذا الرسم في جملة ما بطل وهذا السوق الآن جار في وقف (٣)

*(سوق الفرايين) هذا السوق يسلك فيه من سوق الشرابشيين الى الاكفانيين والجامع الازهر وغير ذلك كان قديما يعرف بسوق الخروقيين ثم سكن فيه صناع الفراء وتجاره فعرف بهم وصار بهذا السوق في أيام الملك الظاهر برقوق من أنواع الفراء ما يجل أثمانها وتتضاعف قيمها لكثرة استعمال رجال الدولة من الامراء والمماليك لبس السمور والوشق والقماقم والسنجاب بعد ما كان ذلك في الدولة التركية من أعز الاشياء التي لا يستطيع أحد أن يلبسها ولقد أخبرني الطواشى الفقيه الكاتب الحاسب الصوفى زين الدين مقبل الرومى الجنس المعروف بالشامى عتيق السلطان الملك الناصر الحسين بن محمد بن قلاون انه وجد في تركة بعض أمراء السلطان حسن قباء بفروقاقم فاستكثر ذلك عليه وتعجب منه وصار يحكي ذلك مدة لعزة هذا الصنف واحترامه لكونه من ملابس السلطان وملابس نسائه ثم تبذلت الاصناف المذكورة حتى صار يلبس السمور آحاد الاجناد وآحاد الكتاب وكثير من العوام ولا تكاد امرأة من نساء بياض الناس تخلو من لبس السمور ونحوه والى الآن عند الناس من هذا الصنف وغيره من الفرو شئ كثير *(سوق البخانقيين) هذا السوق فيما بين سوق الجملون الكبير وبين قيسارية الشرب الآتى ذكرها ان شاء الله تعالى عند ذكر القياسر وباب هذا السوق شارع من القصبة ويعرف بسوق الخشيبة تصغير خشبة فانه عمل على بابه المذكور خشبة تمنع الراكب من التوصل اليه ويسلك من هذا السوق الى قيسارية الشرب وغيرها وهو معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الكوافي والطواقي التي تلبسها الصبيان والبنات وبظاهر هذا السوق أيضاً فى القصبة عدة حوانيت لبيع الطواقي وعملها وقد كثر لبس رجال الدولة من الامراء والمماليك والاجناد ومن يتشبه بهم للطواقى فى الدولة الجركسية وصاروا يلبسون الطاقية على رؤسهم بغير عمامة ويمرون كذلك في الشوارع والاسواق والجوامع والمواكب لا يرون بذلك بأسا بعد ما كان نزع العمامة عن الرأس عاراً وفضيحة ونوعوا هذه الطواقي ما بين أخضر وأحمر وأزرق وغيره من الالوان وكانت اولا ترتفع نحو سدس ذراع ويعمل أعلاها مدوراً مسطحا فحدث فى أيام الملك الناصر فرج منها شيء عرف بالطواقي الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو ثلثى ذراع وأعلاها مدور مقبب وبالغوا في تبطين الطاقية بالورق والكثيرة فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه

الظاهر للناس وجعلوا من أسفل العصابة المذكورة زيقا من فرو القرض الاسود يقال له القندس في عرض نحو ثمن ذراع يصير دائرا بجبهة الرجل وأعلى عنقه وهم على استعمال هذا الزى الى اليوم وهو من أسمج ماعانوه ويشبه الرجال في لبس ذلك بالنساء لمعنيين • أحدهما انه فشا في أهل الدولة محبة الذكران فقصد نساؤهم التشبه بالذكران ليستملن قلوب رجالهن فاقتدى بفعلهن في ذلك عامة نساء البلد • وثانيهما ماحدث بالناس من الفقر ونزل بهم من الفاقة فاضطر حال نساء أهل مصر الى ترك ما أدركنا فيه النساء من لبس الذهب والفضة والجواهر ولبس الحرير حتى لبسن هذه الطواقى وبالغن في عملها من الذهب والحرير وغيره وتواصين على لبسها ومن تأمل احوال الوجود عرف كيف تنشأ أمور الناس في عاداتهم وأخلاقهم ومذاهبهم * (سوق الخلعيين) هذا السوق فيما بين قيسارية الفاضل الآتي ذكرها ان شاء الله تعالى وبين باب زويلة الكبير وكان يعرف قديما بالخشابين وعرف اليوم بالزقيق تصغير زقاق وعرف أيضاً بسوق الخلعيين كأنه جمع خلعي والخلعي في زماننا هو الذى يتعاطي بيع الثياب الخليع وهى التي قد لبست وهذا السوق اليوم من أعمر أسواق القاهرة لكثرة ما يباع فيه من ملابس أهل الدولة وغيرهم وأ كثر ما يباع فيه الثياب المخيطة وهو معمور الجوانب بالحوانيت ويسلك فيه من القصبة ليلا ونهاراً الى حارة الباطلية وخوخة ايدغمش وغير ذلك وفي داخل القاهرة أيضاً عدة أسواق وقد خرب الآن اكثرها * (سويقة الصاحب) هذه السويقة يسلك اليها من خط البندقانيين ومن باب الخوخة وغيرذلك وهي من الاسواق القديمة كانت في الدولة الفاطمية تعرف بسويقة الوزير يعنى أبا الفرج يعقوب ابن كلس وزير الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز الذى تنسب اليه حارة الوزيرية فانها كانت على باب داره التي عرفت بعده في الدولة الفاطمية بدار الديباج وصار موضعها الآن المدرسة الصاحبية ثم صارت تعرف بسويقة دار الديباج يعني دار الطراز ينسج فيها الديباج الذى هو الحرير وقيل لذلك الموضع كله خط دار الديباج ثم عرف هذا السوق بالسوق الكبير في أخريات الدولة الفاطمية فلما ولى صفى الدين عبدالله بن شكر الدميرى وزارة الملك العادل أبى بكر بن أيوب سكن في هذا الخط وأنشأ به مدرسته التى تعرف الى اليوم بالمدرسة الصاحبية وأنشأ به أيضاً رباطه وحمامه المجاورين للمدرسة المذكورة عرفت من حينئذ هذه السويقة بسويقة الصاحب المذكور واستمرت تعرف بذلك الى يومنا هذا ولم تزل من الاسواق المعتبرة يوجد فيها أ كثر مايحتاج اليه من المآكل لوفور نعم من يسكن هنالك من الوزراء وأعيان الكتاب فلما حدثت المحن طرقها ما طرق غيرها من أسواق القاهرة فاختلت عما كانت وفيها بقية * (سوق البندقانيين) هذا السوق يسلك اليه من سوق الزجاجين ومن سويقة الصاحب ومن سوق الابزاريين وغيره وكان يعرف قديما بسوق

بئر زويلة وكان هناك بئر قديمة تعرف ببئر زويلة برسم اصطبل الجميزة الذى كان فيه خيول
الخلفاء الفاطميين وصار موضعه خط البندقانيين بعد ذلك كما ذكر عند اصطبلات الخلفاء
الفاطميين من هذا الكتاب وموضع هذه البئر اليوم قيسارية يونس والربع الذى يعلوها وبقى منها
موضع ركب عليه حجر وأعدت لملء السقائين منها فلما زالت الدولة واختط موضع اصطبل الجميزة
الدور وغيرها وعرف موضع الاصطبل بالبندقانيين قيل لهذا السوق سوق البندقانيين وأدركته
سوقا كبيرا معمور الجانبين بالحوانيت التي قد تهدم أعلاها منذ كان الحريق بالبندقانيين في سنة
احدى وخمسين وسبعمائة كما ذكر في خط البندقانيين عند ذكر الاخطاط من هذا الكتاب وفي هذا
السوق كثير من أرباب المعاش المعدين لبيع المأكولات من الشواء والطعام المطبوخ وأنواع
الاجبان والالبان والبوارد والخبز والفواكه وعدة كثيرة من صناع قسى البندق وكثير من
الرسامين وكثير من بياعي الفقاع فلما حدثت المحن بعد سنة ست وثمانمائة اختل هذا السوق
خللا كبيراً وتلاشى أمره *(سوق الاخفافيين) هذا السوق بجوار سوق البندقانيين يباع
فيه الآن أخفاف النسوان ونعالهن وهو سوق مستجد أنشأه الامير يونس النوروزى دوادار
الملك الظاهر برقوق فى سنة بضع وثمانين وسبعمائة ونقل اليه الاخفافيين بياعى أخفاف
النساء من خط الحريريين والزجاجين وكان مكانه مما خرب فى حريق البندقانيين فركب
بعض القيسارية على بئر زويلة وجعل بابها تجاه درب الانجب وبنى بأعلاها ربعاً كبيراً فيه
عدة مساكن وجعل الحوانيت بظاهرها وبظاهر درب الانجب وبنى فوقها أيضاً عدة مساكن
فعمر ذلك الخط بعمارة هذه الاماكن وبه الي الآن سكن بياعى أخفاف النساء ونعالهن
التى يقال للنعل منها سرموزه وهو لفظ فارسى معناه رأس الخف فان سر رأس وموزه خف
*(سوق الكفتيين) هذا السوق يسلك اليه من البندقانيين ومن حارة الجودرية ومن
الجملون الكبير وغيره ويشتمل على عدة حوانيت لعمل الكفت وهو ما تطعم به أواني
النحاس من الذهب والفضة وكان لهذا الصنف من الاعمال بديار مصر رواج عظيم وللناس
فى النحاس المكفت رغبة عظيمة أدركنا من ذلك شيئاً لا يبلغ وصفه واصف لكثرته
فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت ولا بد أن يكون فى شورة
العروس دكة نحاس مكفت والدكة عبارة عن شيء شبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج
والآبنوس أو من خشب مدهون وفوق الدكة دست طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة
وعدة الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض تبلغ كبراها ما يسع نحو الاردب من القمح
وطول الاكفات التي نقشت بظاهرها من الفضة نحو الثلث ذراع فى عرض أصبعين ومثل
ذلك دست أطباق عدتها سبعة بعضها فى جوف بعض ويفتح أكبرها نحو الذراعين وأكثر وغير
ذلك من المناير والسرج وأحقاق الاشنان والطشت والابريق والمبخرة فتبلغ قيمة الدكة

من النحاس المكفت زيادة على مائتي دينار ذهباً وكانت العروس من بنات الامراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب أو أماثل التجار تجهز فى شورتها عند بناء الزوج عليها سبع دكك دكة من فضة ودكة من كفت ودكة من نحاس أبيض ودكة من خشب مدهون ودكة من صيني ودكة من بلور ودكة كداهي وهي آلات من ورق مدهون تحمل من الصين أدركنا منها فى الدور شيئاً كثيراً وقد عدم هذا الصنف من مصر الا شيئاً يسيراً * حدثني القاضى الفاضل الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل أحمد بن عبد الوهاب ابن الخطباء المخزومى رحمه الله قال تزوج القاضى علاء الدين بن عرب محتسب القاهرة بامرأة من بنات التجار تعرف بست العمائم فلما قارب البناء عليها والدخول بها حضر اليه في يوم وكيلها وأنا عنده فبلغه سلامها عليه وأخبره أنها بعثت اليه بمائة ألف درهم فضة خالصة ليصلح بها لها ما عساه اختل من الدكة الفضة فأجابه الى ما سأل وأمره باحضار الفضة فاستدعى الخدم من الباب فدخلوا بالفضة في الحال وبالوقت أمر المحتسب بصناع الفضة وطلائها فأحضروا وشرعوا في اصلاح ما أرسلته ست العمائم من أواني الفضة واعادة طلائها بالذهب فشاهدنا من ذلك منظراً بديعاً * وأخبرني من شاهد جهاز بعض بنات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون وقد حمل في القاهرة عند مازفت على بعض الامراء في دولة الملك الاشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قلاوون فكان شيئاً عظيما من جملته دكة من بلور تشتمل على عجائب منها زير من بلور قد نقش بظاهره صور ثابتة على شبه الوحوش والطيور وقدر هذا الزير ما يسع قربة ماء وقد قل استعمال الناس في زمننا هذا للنحاس المكفت وعز وجوده فان قوماً لهم عدة سنين قد تصدوا لشراء ما يباع منه وتحية الكفت عنه طلباً للفائدة و بقى بهذا السوق الى يومنا هذا بقية من صناع الكفت قليلة * (سوق الاقباعيين) بخط تحت الربع خارج باب زويلة مما يلى الشارع المسلوك فيه الى قنطرة الخرق ما كان منه على يمنة السالك الى قنطرة الخرق فانه جار في وقف الملك الظاهر بيبرس هو وما فوقه على المدرسة الظاهرية بخط بين القصرين وعلى أولاده ولم يزل الى يوم السبت خامس شهر رمضان سنة عشرين وثمانمائة فوقع الهدم فيه ليضاف الى عمارة الملك المؤيد شيخ المجاورة لباب زويلة وما كان من هذا السوق على يسرة من سلك الى القنطرة فانه جار فى وقف اقبغا عبد الواحد على مدرسته المجاورة للجامع الازهر و بعضه وقف امرأة تعرف بدنيا *(سوق السقطيين)هذا السوق خارج باب زويلة بجوار دار التفاح أنشأه الامير أقبغا عبد الواحد وهو جار في وقفه *(سويقة خزانة البنود) هذه السويقة على باب درب راشد وتمتد الى خزانة البنود وكانت تعرف أولا بسويقة ريدان الصقلبي المنسوب اليه الريدانية خارج باب النصر *(سويقة المسعودى) هذه السويقة من حقوق حارة زويلة بالقاهرة تنسب الى الامير صارم الدين

قايماز المسعودى مملوك الملك المسعود اقسيس ابن الملك الكامل وولى المسعودي هذا ولاية القاهرة وكان ظالماً غاشماً جباراً من أجل انه كان فى دار ابن فرقة التي من جملتها جامع ابن المغربى وبيت الوزير ابن أبى شاكر ثم ان فتح الدين بن معتصم الداودي التبريزى كاتب السر جددها فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة لانه كان يسكن هناك ومات المسعودى في يوم الاثنين النصف من ذي الحجة سنة أربع وستين وستمائة ضربه شخص فى دار العدل بسكين كان يريد أن يقتل بها الامير عز الدين الحلى نائب السلطنة فوقعت فى فؤاد المسعودى فمات لوقته *(سويقة طغلق) هذه السويقة على رأس الحارة الصالحية مما يلى الجامع الازهر عرفت بالامير سيف الدين طغلق السلاح دار صاحب حمام طغلق التي بالقرب من الجامع الازهر على باب درب المنصورى وصاحب دار طغلق التي عرفت اليوم بدار المنصورى في الدرب المذكور وأول ما عمرت هذه السويقة لم يكن فيها غير أربع حوانيت ثم عمرت عمارة كبيرة لما خربت سويقة الصالحية التي كانت مما يلى باب البرقية في حدود سنة ثمانين وسبعمائة ثم تلاشت من سنة ست وثمانمائة كما تلاشى غيرها من الاسواق وبقى فيها يسير جدا *(سويقة الصوانى) هذه السويقة خارج باب النصر وباب الفتوح بخط بستان ابن صيرم عرفت بالامير علاء الدين أبى الحسن على بن مسعود الصوانى مشد الدواوين في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وقيل بل قراجا الصواني أحد مقدمى الحلقة في أيام الملك المنصور قلاوون وكان فى حدود سنة احدى وثمانين وستمائة موجوداً وكانت داره هناك وكان أيضاً في أيام الملك المنصور قلاوون الامير زين الدين أبو المعالى أحمد بن شرف الدين أبى المفاخر محمد الصوانى شادّ الدواوين وكان يسكن بمدينة مصر والامير علم الدين سنجر الصوانى أحد الامراء المقدمين الالوف في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون والملك المظفر بيبرس وهو صاحب البئر التي بالباطلية المعروفة ببئر الدرابزين وعز الدين ايبك الصوانى *(سويقة البلشون) هذه السويقة خارج باب الفتوح عرفت بسابق الدين سنقر البلشون أحد مماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وسلاح داريته وكان له أيضاً بستان بالمقس خارج القاهرة من جوار الدكة يعرف ببستان البلشون *(سويقة اللفت) هذه السويقة كانت خارج باب النصر من ظاهر القاهرة حيث البئر التى فى شمال مصلى الاموات المعروف ببئر اللفت تجاه دار ابن الحاجب كانت تشتمل على عدة حوانيت يباع فيها اللفت والكرنب ويحمل منها الى سائر أسواق القاهرة ويباع اليوم في بعض هذه الحوانيت الدريس لعلف الدواب *(سويقة زاوية الخدام) هذه السويقة خارج باب النصر بجرى سويقة اللفت كان فيها عدة حوانيت يباع فيها أنواع المآكل فلما كانت سنة ست وثمانمائة خربت ولم يبق فيها سوى حوانيت لا طائل بها *(سويقة الرملة) هذه السويقة كانت فيما بين سويقة زاوية الخدّام

وجامع آل ملك حيث مصلى الاموات التي هناك كان فيها عدة حوانيت مملوأة بأصناف المآكل قد خرب سائرها ولم يبق لها أثر البتة *(سويقة جامع آل ملك) أدركتها الى سنة ست وثمانمائة وهى من الاسواق الكبار فيها غالب ما يحتاج اليه من الادام وقد خربت لخراب ما يجاورها *(سويقة أبي ظهير) كانت تلي سويقة جامع آل ملك أدركتها عامرة *(سويقة السنابطة) كانت هناك عرفت بقوم من أهل سنباط سكنوا بها أدركتها أيضاً عامرة *(سويقة العرب) هذه السويقة كانت تتصل بالريدانية خربت فى الغلاء الكائن فى سنة ست وسبعين وسبعمائة وأدركت حوانيت هذه السويقة وهي خالية من السكان الا يسيراً وعقودها من اللبن ويقال له وما وراءه خراب الحسينية وكانت فى غاية العمارة وكان بأولها مما يلى الحسينية فرن أدركته عامرا الى ما بعد سنة تسعين وسبعمائة بلغنى أنه كان قبل ذلك في أعوام ستين وسبعمائة يخبز فيه كل يوم نحو سبعة آلاف رغيف لكثرة من حوله من السكان وتلك الاماكن اليوم لا ساكن فيها الا البوم ولا يسمع بها الا الصدى *(سويقة العزى) هذه السويقة خارج باب زويلة قريباً من قلعة الجبل كانت من جملة المقابر التي خارج القاهرة فيما بين الباب الجديد والحارات وبركة الفيل وبين الجبل الذى عليه الآن قلعة الجبل فلما اختطت هذه الجهة كما تقدم ذكره عند ذكر ظواهر القاهرة عرفت هذه السويقة بالامير عز الدين أيبك العزى نقيب الجيوش واستشهد على عكا عندما فتحها الاشرف خليل ابن قلاوون في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة وهذه السويقة عامرة بعمارة ما حولها *(سويقة العياطين) هذه السويقة بخط المقس بالقرب من باب البحر عرفت بالفقير المعتقد مسعود بن محمد بن سالم العياط لسكنه بالقرب منها وله هناك مسجد بناه في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وأخبرني الشيخ المعمر حسام الدين حسن بن عمر الشهرزورى وكيل أبي رحمه الله أن النشو ناظر الخاص في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون طرح على أهل هذه السويقة عدة أمطار عسل قصب وألزمهم في ثمن كل قنطار بعشرين درهما فوقفوا الى السلطان وعيطوا حتى أعفاهم من ذلك فقيل لها من حينئذ سويقة العياطين ولفظة عياط عند أهل مصر بمعنى صياح والعياط الصياح وأصل ذلك في اللغة أن العطعطة تتابع الاصوات واختلافها في الحرب وهى أيضاً حكاية أصوات المجان اذا قالوا عيط عيط وذلك اذا غلبوا قوما وقد عطعطوا وعطعط بالذئب اذا قال له عاط عاط فحرف عامة مصر ذلك وجعلوا العياط الصياح واشتقوا منه الفعل فاعرف ذلك *(سويقة العراقيين) هذه السويقة بمدينة مصر الفسطاط وانما عرفت بذلك لان قريباً الازدى وزحافا الطائى وكانا من الخوارج خرجا على زياد بن أمية بالبصرة فأتهم زياد بهما جماعة من الازد وكتب الى معاوية بن أبي سفيان يستأذنه في قتلهم فأمر بتغريبهم عن أوطانهم فسيرهم الى مصر وأميرها

مسلمة بن مخلد وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وكان عددهم نحوا من مائتين وثلاثين فنزلوا بالظاهر أحد خطط مصر وكان اذ ذاك طرقا أراد أن يسدبهم ذلك الموضع فنزلوا في الموضع المعروف بكوم سراج وكان فضاء فبنوا لهم مسجدا واتخذوا سوقا لانفسهم فسمي سويقة المراقين

(ذكر العوايد التي كانت بقصبة القاهرة)

اعلم أن قصبة القاهرة ما برحت محترمة بحيث انه كان في الدولة الفاطمية اذا قدم رسول متملك الروم ينزل من باب الفتوح ويقبل الارض وهو ماش الى أن يصل الى القصر وكذلك كان يفعل كل من غضب عليه الخليفة فانه يخرج الى باب الفتوح ويكشف رأسه ويستغيث بعفو أمير المؤمنين حتى يؤذن له بالمصير الي القصر وكان لها عوايد ٠ منها أن السلطان من ملوك بنى أيوب ومن قام بعدهم من ملوك الترك لا بد اذا استقر في سلطنة ديار مصر أن يلبس خلعة السلطان بظاهر القاهرة ويدخل اليها راكبا والوزير بين يديه على فرس وهو حامل عهد السلطان الذى كتبه له الخليفة بسلطنة مصر على رأسه وقد أمسكه بيديه وجميع الامراء ورجال العساكر مشاة بين يديه منذ يدخل الى القاهرة من باب الفتوح أو من باب النصر الى أن يخرج من باب زويلة فاذا خرج السلطان من باب زويلة ركب حينئذ الامراء وبقية العسكر ٠ ومنها أنه لا يمر بقصبة القاهرة حمل تبن ولا حمل حطب ولا يسوق أحد فرسا بها ولا يمر بها سقاء الا وراويته مغطاة ومن رسم أرباب الحوانيت أن يعدوا عند كل حانوت زيرا مملوأ بالماء مخافة أن يحدث الحريق فى مكان فيطفأ بسرعة ويلزم صاحب كل حانوت أن يعلق على حانوته قنديلا طول الليل يسرج الى الصباح ويقام في القصبة قوم يكنسون الازبال والاتربة ونحوها ويرشون كل يوم ويجعل في القصبة طول الليل عدة من الخفراء يطوفون بها لحراسة الحوانيت وغيرها ويتعاهد كل قليل بقطع ما عساه تربى من الاوساخ في الطرقات حتى لا تعلو الشوارع * وأول من ركب بخلع الخليفة في القاهرة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ٠ قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة تاسع شهر رجب وصلت الخلع التي كانت نفذت الى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي من الخليفة ببغداد وهي جبة سوداء وطوق ذهب فلبسها نور الدين بدمشق اظهارا لشعارها وسيرها الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ليلبسها وكانت أنفذت له خلعة ذكر أنه استقصرها واستزراها واستصغرها دون قدره واستقر السلطان صلاح الدين بداره وباتت الخلع مع الواصل بها شاه ملك رأس الطابية فلما كان العاشر منه خرج قاضى القضاة والشهود والمقرئون والخطباء الى خيمته واستقر المسير بالخلعة وهو من الاصحاب النجمية وزينت البلد ابتهاجا بها وفيه

ضربت النوب الثلاث بالباب الناصرى على الرسم النورى في كل يوم فاما دمشق فالنوب المضروبة بها خمس على رسم قديم لان الاتابكية لها قواعد ورسوم مستقرة بينهم في بلادهم وفي حادي عشره ركب السلطان بالخلع وشق بين القصرين والقاهرة ولما بلغ باب زويلة نزع الخلع وأعادها الى داره ثم شمر للعب الاكرة ولم يزل الرسم كذلك في ملوك بني أيوب حتى انقضت أيامهم وقام من بعدهم مماليكهم الاتراك فجروا في ذلك على عادة ملوك بنى أيوب الى أن قام في مملكة مصر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وقتل هولاكو الخليفة المستعصم بالله وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد وقدم على الملك الظاهر أبو العباس أحمد ابن الخليفة الظاهر بالله ابن الخليفة الناصر في شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة فتلقاه وأكرمه وبايعه ولقبه بالخليفة المستنصر بالله وخطب باسمه على المنابر ونقش السكة باسمه فلما كان في يوم الاثنين الرابع من شعبان ركب السلطان الى خيمة ضربت له بالبستان الكبير من ظاهر القاهرة ولبس خلعة الخليفة وهي جبة سوداء وعمامة بنفسجية وطوق من ذهب وسيف بداوى وجلس مجلسا عاما حضر فيه الخليفة والوزير والقضاة والامراء والشهود وصعد القاضي فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب السر منبرا نصب له وقرأ تقليد السلطان الذى عهد به اليه الخليفة وكان بخط ابن لقمان ومن انشائه ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر وشق القاهرة وقد زينت له وحمل الوزير الصاحب بهاء الدين محمد بن على بن حنا التقليد على رأسه قدام السلطان والامراء ومن دونهم مشاة بين يديه حتى خرج من باب زويلة الى قلعة الجبل فكان يوما مشهوداً * وفي ثالث شوال سنة اثنتين وستين وستمائة سلطن الملك الظاهر بيبرس ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان وأركبه بشعار السلطنة ومشى قدامه وشق القاهرة كما تقدم وسائر الامراء مشاة من باب النصر الى قلعة الجبل وقد زينت القاهرة وآخر من ركب بشعار السلطنة وخلعة الخلافة والتقليد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عند دخوله الى القاهرة من البلاد الشامية بعد قتل السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين واستيلائه على المملكة في ثامن جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة وقال المسبحي فى حوادث سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة نودى في السقائين أن يغطوا روايا الجمال والبغال لئلا تصيب ثياب الناس * وقال فى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أمر العزيز بالله أمير المؤمنين بنصب أزيار الماء مملوأة ماء على الحوانيت ووقود المصابيح على الدور وفي الاسواق * وفي ثالث ذى الحجة سنة احدى وتسعين وثلثمائة أمر أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله الناس بان يقدوا القناديل في سائر البلد على جميع الحوانيت وأبواب الدور والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة ففعل ذلك ولازم الحاكم بأمر الله الركوب في الليل وكان ينزل كل ليلة الى موضع موضع والى شارع شارع والى

زقاق زقاق وكان قد ألزم الناس بالوقيد فتناظروا فيه واستكثروا منه في الشوارع والازقة
وزينت القياسر والاسواق بأنواع الزينة وصار الناس في القاهرة ومصر طول الليل في بيع
وشراء وأكثروا أيضاً من وقود الشموع العظيمة وأنفقوا في ذلك أموالا عظيمة جليلة
لاجل التلاهي وتبسطوا في المآكل والمشارب وسماع الاغانى ومنع الحاكم الرجال المشاة بين
يديه من المشى بقربه وزجرهم وانتهرهم وقال لا تمنعوا أحدامنى فاحدق الناس به وأكثروا
من الدعاء له وزينت الصاغة وخرج سائر الناس بالليل للتفرج وغلب النساء الرجال على الخروج
بالليل وعظم الازدحام في الشوارع والطرقات وأظهر الناس اللهو والغناء وشرب المسكرات
في الحوانيت وبالشوارع من أول المحرم سنة احدى وتسعين وثلثمائة وكان معظم ذلك من
ليلة الاربعاء تاسع عشره الى ليلة الاثنين رابع عشريه فلما تزايد الامر وشنع أمر الحاكم
بأمر الله أن لا تخرج امرأة من العشاء ومتى ظهرت امرأة بعد العشاء نكل بها ثم منع
الناس من الجلوس فى الحوانيت فامتنعوا ولم يزل الحاكم على الركوب في الليل الى آخر شهر
رجب ثم نودى فى شهر رجب سنة خمس وتسعين وثلثمائة أن لايخرج أحد بعد العشاء الآخرة
ولا يظهر لبيع ولاشراء فامتنع الناس * وفي سنة خمس وأربعمائة تزايد فى المحرم منها وقوع
النار في البلد وكثر الحريق فى عدة أماكن فأمر الحاكم بامر الله الناس باتخاذ القناديل على
الحوانيت وأزيار الماء مملوأة ماء وبطرح السقائف التي على أبواب الحوانيت والرواشن التي تظل
الباعة فأزيل جميع ذلك من مصر والقاهرة

(ذكر ظواهر القاهرة المعزية)

اعلم أن القاهرة المعزية يحصرها أربع جهات وهي الجهة الشرقية والجهة الغربية والجهة الشمالية
التي تسميها أهل مصر البحرية والجهة الجنوبية التي تعرف فى أرض مصر بالقبلية * فأما الجهة
الشرقية فانها من سور القاهرة الذي فيه الآن باب البرقية والباب الجديد والباب المحروق وتنتهى
هذه الجهة الى الجبل المقطم * وأما الجهة الغربية فانها من سور القاهرة الذى فيه باب القنطرة وباب
الخوخة وباب سعادة وتنتهى هذه الجهة الى شاطئ النيل * وأما الجهة القبلية فانها من سور
القاهرة الذى فيه باب زويلة وتنتهى هذه الجهة الى حدّ مدينة مصر * وأما الجهة البحرية فانها
من سور القاهرة الذى فيه باب النصر وباب الفتوح وتنتهي هذه الجهة الى بركة الجب التى
تعرف اليوم ببركة الحاج وقد كانت هذه الجهة الشرقية عند ماوضعت القاهرة فضاء فيما بين
السور وبين الجبل لابنيان فيه البتة وما زال على هذا الى أن كانت الدولة التركية فقيل
لهذا الفضاء الميدان الاسود وميدان القبق وسيرد ذكر هذا الميدان ان شاء الله تعالى فلما
كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون عمل هذا الميدان مقبرة لأموات المسلمين وبنيت
فيه الترب الموجودة الآن كما ذكر عند ذكر المقابر من هذا الكتاب وكانت الجهة الغربية

تنقسم قسمين أحدهما بر" الخليج الشرقي" والآخر بر الخليج الغربي فأما بر الخليج الشرقي فكان عليه بستان الامير أبي بكر محمد بن طفج الاخشيد وميدانه وعرف هذا البستان بالكافوري فلما اختط القائد جوهر القاهرة أدخل هذا البستان في سور القاهرة وجعل بجانبه الميدان الذي يعرف اليوم بالخرشتف فصارت القاهرة تشرف من غربيها على الخليج وبنيت على هذا الخليج مناظر وهي منظرة اللؤلؤة ومنظرة دار الذهب ومنظرة غزالة كما ذكر عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وكان فيما بين البستان الكافوري والمناظر المذكورة وبين الخليج شارع تجلس فيه عامة الناس للتفرج على الخليج وما وراءه من البساتين والبرك ويقال لهذا الشارع اليوم بين السورين ويتصل بالبستان الكافوري وميدان الاخشيد بركة الفيل وبركة قارون ويشرف على بركة قارون الدور التي كانت متصلة بالعسكر ظاهر مدينة فسطاط مصر كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر البرك وعند ذكر العسكر وأما بر الخليج الغربي فان أوله الآن من موردة الخلفاء فيما بين خط الجامع الجديد خارج مصر وبين منشاة المهراني وآخره أرض التاج والخمس وجوه وما بعدها من بحري القاهرة وكان أول هذا الخليج عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات وكان مابين خط السبع سقايات وبين المعاريج بمدينة مصر غامرا بماء النيل كما ذكر في ساحل مصر من هذا الكتاب وكانت القنطرة التي يفتح سدها عند وفاء النيل ست عشرة ذراعا خلف السبع سقايات كما ذكر عند ذكر القناطر من هذا الكتاب وكان هناك منظرة السكرة التي يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج ولها بستان عظيم ويعرف موضعه اليوم بالمريس ويتصل ببستان منظرة السكرة جنان الزهري وهي من خط قناطر السباع الموجودة الآن بحذاء خط السبع سقايات الى أراضي اللوق ويتصل بالزهري عدة بساتين الى المقس وقد صار موضع الزهري وما كان بجواره على بر الخليج من البساتين يعرف بالحكورة من أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الى وقتنا هذا كما ذكر عند ذكر الاحكار من هذا الكتاب وكان الزهري وما بجواره من البساتين التي على بر الخليج الغربي والمقس كل ذلك مطل على النيل وليس لبر الخليج الغربي كبير عرض وانما يمر النيل في غربي البساتين على الموضع الذي يعرف اليوم باللوق الى المقس فيصير المقس هو ساحل القاهرة وتنتهي المراكب الى موضع جامع المقس الذي يعرف اليوم بجامع المقسي فكان مابين الجامع المذكور ومنية عقبة التي ببر الجيزة بحر النيل ولم يزل الامر على ذلك الى مابعد سنة سبعمائة الا أنه كان قد انحسر ماء النيل بعد الخمسمائة من سني الهجرة عن أرض بالقرب من الزهري عرفت بمنشاة الفاضل وبستان الخشاب وهذه المنشاة اليوم يعرف بعضها بالمريس مما يلي منشأة المهراني وانحسر أيضاً عن أرض تجاه البعل الذي في بحري القاهرة عرفت هذه الارض بجزيرة الفيل وما برح ماء

النيل يحسر عن شيء بعد شيء الى مابعد سنة سبعمائة فبقيت عدة رمال فيما بين منشاة المهرانى وبين جزيرة الفيل وفيما بين المقس وساحل النيل عمر الناس فيها الاملاك والمناظر والبساتين من بعد سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وحفر الملك الناصر محمد بن قلاوون فيها الخليج المعروف اليوم بالخليج الناصرى فصار بر الخليج الغربى بعد ذلك أضعاف ما كان أولا من أجل انطراد ماء النيل عن بر مصر الشرقي وعرف هذا البر اليوم بعدة مواضع وهى في الجملة خط منشاة المهرانى وخط المريس وخط منشاة الكتبة وخط قناطر السباع وخط ميدان السلطان وخط البركة الناصرية وخط الحكورة وخط الجامع الطيبرسى وربع بكتمر وزريبة السلطان وخط باب اللوق وقنطرة الخرق وخط بستان العدة وخط زريبة قوصون وخط حكر ابن الاثير وفم الخور وخط الخليج الناصرى وخط بولاق وخط جزيرة الفيل وخط الدكة وخط المقس وخط بركة قرموط وخط أرض الطبالة وخط الجرف وأرض البعل وكوم الريش وميدان القمح وخط باب القنطرة وخط باب الشعرية وخط باب البحر وغير ذلك وسيأتى من ذكر هذه المواضع مايكفى ويشفى ان شاء الله تعالى * وكانت جهة القاهرة القبلية من ظاهرها ليس فيها سوى بركة الفيل وبركة قارون وهى فضاء يرى من خرج من باب زويلة عن يمينه الخليج وموردة السقائين وكانت تجاه باب الفتوح ويرى عن يساره الجبل ويرى تجاهه قطائع ابن طولون التى تتصل بالعسكر ويري جامع ابن طولون وساحل الحمراء الذى يشرف عليه جنان الزهري ويرى بركة الفيل التى كان يشرف عليها الشرف الذى فوقه قبة الهواء ويعرف اليوم هذا الشرف بقلعة الجبل وكان من خرج من مصلى العيد بظاهر مصر يرى بركتى الفيل وقارون والنيل فلما كانت أيام الخليفة الحاكم بأمر الله أبى على منصور بن العزيز بالله أبى منصور نزار ابن الامام المعز لدين الله أبى تميم معد عمل خارج باب زويلة باباً عرف بالباب الجديد واختط خارج باب زويلة عدة من أصحاب السلطان فاختطت المصامدة حارة المصامدة واختطت اليانسية والمنجبية وغيرها كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فلما كانت الشدة العظمى في خلافة المستنصر بالله اختلت أحوال مصر وخربت خراباً شنيعاً ثم عمر خارج باب زويلة في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله ووزارة المأمون محمد بن فاتك بن البطائحى بعد سنة خمسمائة فلما زالت الدولة الفاطمية هدم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حارة المنصورة التى كانت سكن العبيد خارج باب زويلة وعملها بستاناً فصار ما خرج عن باب زويلة بساتين الى المشهد النفيسى وبجانب البساتين طريق يسلك منها الى قلعة الجبل التى أنشأها السلطان صلاح الدين المذكور على يد الامير بهاء الدين قراقوش الاسدي وصار من يقف على باب جامع ابن طولون يرى باب زويلة ثم حدثت العمائر التى هى الآن خارج باب زويلة بعد سنة سبعمائة وصار خارج باب زويلة

الآن ثلاثة شوارع أحدها ذات اليمين والآخر ذات الشمال والشارع الثالث تجاه من خرج
من باب زويلة وهذه الشوارع الثلاثة تشتمل على عدة أخطاط * فأما ذات اليمين فان من
خرج من باب زويلة الآن يجد عن يمينه شارعا سالكا ينتهي به في العرض الى الخليج
حيث القنطرة التى تعرف بقنطرة الخرق وينتهى به في الطول من باب زويلة الى خط الجامع
الطولونى وجميع مافى هذا الطول والعرض من الاماكن كان بساتين الى مابعد السبعمائة وفى
هذه الجهة اليمني خط دار التفاح وسوق السقطيين وخط تحت الربع وخط القشاشين وخط
قنطرة الخرق وخط شق الثعبان وخط قنطرة آقسنقر وخط الحبانية وبركة الفيل وخط
قبو الكرماني وخط قنطرة طقزدمر والمسجد المعلق وخط قنطرة عمرشاه وخط قناطر
السباع وخط الجسر الاعظم وخط الكبش والجامع الطولونى وخط الصليبة وخط الشارع
وما هناك من الحارات التي ذكرت عند ذكر الحارات من هذا الكتاب * وأما ذات اليسار
فان من خرج من باب زويلة الآن يجد عن يساره شارعا ينتهى به فى العرض الى الجبل
وينتهى به فى الطول الى القرافة وجميع مافى هذه الجهة اليسرى كان فضاء لا عمارة فيه
البتة الى مابعد سنة خمسمائة من الهجرة فلما عمر الوزير الصالح طلائع بن رزيك جامع
الصالح الموجود الآن خارج باب زويلة صار ماوراءه الى نحو قطائع ابن طولون مقبرة
لاهل القاهرة الى أن زالت دولة الخلفاء الفاطميين وأنشأ السلطان صلاح الدين يوسف
ابن أيوب قلعة الجبل على رأس الشرف المطل على القطائع وصار يسلك الى القلعة من هذه
الجهة اليسرى فيما بين المقابر والجبل ثم حدثت بعد المحن هذه العمائر الموجودة هناك شيأ
بعد شئ من سنة سبعمائة وصار في هذه الشقة خط سوق البسطيين وخط الدرب الاحمر
وخط جامع الماردينى وخط سوق الغنم وخط التبانة وخط باب الوزير وقلعة الجبل والرميلة
وخط القيبات وخط باب القرافة * وأما ماهو تجاه من خرج من باب زويلة فيعرف
بالشارع وقد تقدم ذكره عند ذكر الاسواق من هذا الكتاب وهو ينتهى بالسالك الى
خط الصليبة المذكور آنفاً والى خط الجامع الطولونى وخط المشهد النفيسى والى العسكر
وكوم الجارح وغير ذلك من بقية خطط ظواهر القاهرة ومصر وكانت جهة القاهرة
البحرية من ظاهرها فضاء ينتهى الى بركة الجب والى منية الاصبغ التي عرفت بالخندق
والى منية مطر التى تعرف بالمطرية والى عين شمس وما وراء ذلك الا أنه كان تجاه القاهرة
بستان ريدان ويعرف اليوم بالريدانية وعند مصلي العيد خارج باب النصر حيث يصلى الآن على
الاموات كان ينزل هناك من يسافر الى الشام فلما كان قبل سنة خمسمائة ومات أمير الجيوش بدر الجمالى
فى سنة سبع وثمانين وأربعمائة بنى خارج باب النصر له تربة دفن فيها وبني أيضاً خارج
باب الفتوح منظرة قد ذكر خبرها عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وصار أيضاً فيمابين

باب الفتوح والمطرية بساتين قد تقدم خبرها ثم عمرت الطائفة الحسينية بعد سنة خمسمائة خارج باب الفتوح عدة منازل اتصلت بالخندق وصار خارج باب النصر مقبرة الى ما بعد سنة سبعمائة فعمر الناس به حتي اتصلت العمائر من باب النصر الى الريدانية وبلغت الغاية من العمارة ثم تناقصت من بعد سنة تسع وأربعين وسبعمائة الى أن فحش خرابها من حين حدثت المحن في سنة ست وثمانمائة فهذا حال ظواهر القاهرة منذ اختطت والى يومنا هذا ويحتاج ما ذكر هنا الى مزيد بيان والله أعلم

(ذكر ميدان القبق)

هذا الموضع خارج القاهرة من شرقيها فيما بين النقرة التي ينزل من قلعة الجبل اليها وبين قبة النصر التي تحت الجبل الاحمر ويقال له أيضاً الميدان الاسود وميدان العيد والميدان الاخضر وميدان السباق وهو ميدان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى بنى به مصطبة في المحرم من سنة ست وستين وستمائة عند ما احتفل برمى النشاب وأمور الحرب وحث الناس على لعب الرمح ورمى النشاب ونحو ذلك وصار ينزل كل يوم الى هذه المصطبة من الظهر فلا يركب منها الى العشاء الآخرة وهو يرمى ويحرض الناس على الرمى والنضال والرهان فما بقى أمير ولا مملوك الا وهذا شغله وتوفر الناس على لعب الرمح ورمى النشاب وما برح من بعده من أولاده والملك المنصور سيف الدين قلاوون الالفى الصالحي النجمى والملك الاشرف خليل بن قلاوون يركبون فى الموكب لهذا الميدان وتقف الامراء والمماليك السلطانية تسابق بالخيل فيه قدامهم وتنزل العساكر فيه لرمى القبق والقبق عبارة عن خشبة عالية جداً تنصب في براح من الارض ويعمل بأعلاها دائرة من خشب وتقف الرماة بقسيها وترمي بالسهام جوف الدائرة لكى تمر من داخلها الى غرض هناك تمريناً لهم على احكام الرمى ويعبر عن هذا بالقبق في لغة الترك * قال جامع السيرة الظاهرية وفي سابع عشر المحرم من سنة سبع وستين وستمائة حث السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى جميع الناس على رمى النشاب ولعب الرمح خصوصاً خواصه ومماليكه ونزل الى الفضاء بباب النصر ظاهر القاهرة ويعرف بميدان العيد وبنى مصطبة هناك وأقام ينزل في كل يوم من الظهر ويركب منها عشاء الآخرة وهو واقف في الشمس يرمى ويحرض الناس على الرمى والرهان فما بقى أمير ولا مملوك الا وهذا شغله واستمر الحال في كل يوم على ذلك حتي صارت تلك الامكنة لاتسع الناس وما بقى لاحد شغل الا لعب الرمح ورمى النشاب وفي شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وستمائة تقدم السلطان الملك الظاهر الى عساكره بالتأهب للركوب واللعب بالقبق ورمي النشاب واتفقت نادرة غريبة وهو أنه أمر برش الميدان الاسود تحت القلعة لاجل الملعب فشرع الناس فى ذلك وكان يوماً شديد الحر فأمر السلطان

بتبطيل الرش رحمة للناس وقال الناس صيام وهذا يوم شديد الحر فبطل الرش وأرسل الله تعالى مطراً جودا استمر ليلتين ويوما حتي كثر الوحل وتلبدت الارض وسكن العجاج وبرد الجو ولطف الهواء فوكل السلطان من يحفظه من السوق فيه يوم اللعب وهو يوم الخميس السادس والعشرون من شهر رمضان وأمر بركوب جماعة لطيفة من كل عشرة اثنان وكذلك من كل أمير ومن كل مقدم لئلا تضيق الدنيا بهم فركبوا فى أحسن زى وأجمل لباس وأكمل شكل وأبهى منظر وركب السلطان ومعه من خواصه ومماليكه ألوف ودخلوا فى الطعان بالرماح فكل من أصاب خلع عليه السلطان ثم ساق في مماليكه الخواص خاصة ورتبهم أجمل ترتيب واندفق بهم اندفاق البحر فشاهد الناس أبهة عظيمة ثم أقيم القبق ودخل الناس لرمى النشاب وجمل لمن أصاب من المفاردة رجال الحلقة والبحرية الصالحية وغيرهم بغلطاقا بسنجاب وللامراء فرساً من خيله الخاص بتشاهيره ومراواته الفضية والذهبية ومزاخمه وما زال في هذه الايام على هذه الصورة يتنوع في دخوله وخروجه تارة بالرماح وتارة بالنشاب وتارة بالدبابيس وتارة بالسيوف مسلولة وذلك أنه ساق على عادته في اللعب وسل سيفه وسل مماليكه سيوفهم وحمل هو ومماليكه حملة رجل واحد فرأى الناس منظرا عجيباً وأقام على ذلك كل يوم من بكرة النهار الى قريب المغرب وقد ضربت الخيام للنزول للوضوء والصلاة وتنوع الناس فى تبديل العدد والآلات وتفاخروا وتكاثروا فكانت هذه الايام من الايام المشهودة ولم يبق أحد من أبناء الملوك ولا وزير ولا أمير كبير ولا صغير ولا مفردى ولا مقدم من مقدمي الحلقة ومقدمى البحرية الصالحية ومقدمي المماليك الطاهرية البحرية ولا صاحب شغل ولا حامل عصا في خدمة السلطان على بابه ولا حامل طير في ركاب السلطان ولا أحد من خواص كتاب السلطان الا وشرف بما يليق به على قدر منصبه ثم تعدى احسان السلطان لقضاة الاسلام والأئمة وشهود خزانة السلطان فشرفهم جميعهم ثم الولاة كلهم وأصبحوا بكرة يوم الاحد ثامن عشرى شهر رمضان لابسين الخلع جميعهم فى أحسن صورة وأبهج زى وأبهى شكل وأجمل زينة بالكلوتات الزركش بالذهب والملابس التى ما سمع بأن أحدا جاد بمثلها وهى ألوف وخدم الناس جميعهم وقبلوا الارض وعليهم الخلع وركبوا ولعبوا نهارهم على العادة والاموال تفرق والاسمطة تصف والصدقات تنفق والرقاب تعتق وما زال الى أن أهل هلال شوال فقام الناس وطلعوا للهناء فجلس لهم وعليهم خلعه ثم ركب يوم العيد الى مصلاه في خيمة بشعار السلطنة وأبهة الملك فصلي ثم طلع قلعة الجبل وجلس على الاسمطة وكان الاحتفال بها كبيراً وأكل الناس ثم انتهبه الفقراء وقام الى مقر سلطانه بالقبة السعيدة وقد غلقت وفرشت بأنواع الستور والكلال والفرش وكان قد تقدم الى الامراء باحضار أولادهم فاحضروا وخلع عليهم الخلع المتصلة على قدرهم فلما كان هذا

اليوم أحضروا وختنوا باجمعهم بين يدى السلطان وأخرجوا فحملوا في المحفات الى بيوتهم وعمّ الهناء كل دار ثم أحضر الامير نجم الدين خضر ولد السلطان فختن ورمي للناس جملة من الاموال اجتمع منها خزانة ملك كبير فرقت على من باشر الختان من الحكماء والمزينين وغيرهم وانقضت هذه الايام وجري السلطان فيها على عادته كما كان من كونه لم يكلف أحدا من خلق الله تعالى بهدية يهديها ولا تحفة يتحفه بها في مثل هذه المسرة كما جرت عادة من تقدمه من الملوك ولم يبق من لا شمله احسانه غير أرباب الملاهي والاغاني فانه كان في أيامه لم ينفق لهم مبلغ البتة *وممن لعب بهذا الميدان القبق السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاوون وعمل فيه المهم الذى لم يعمل في دولة ملوك الترك بمصر مثله وذلك أن خوندار دوتكين ابنة نوكيه ويقال نوغية السلحدارية اشتملت من السلطان الملك الاشرف على حمل فظن انها تلد ابنا ذكرا يرث الملك من بعده فاخذ عند ما قاربت الوضع في الاحتفال ورسم لوزيره الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس أن يكتب الى دمشق بعمل مائة شمعدان نحاس مكفت بالقاب السلطان ومائة شمعدان أخر منها خمسون من ذهب وخمسون من فضة وخمسين سرجا من سروج الزركش ومائة وخمسين سرجا من المخيش وألف شمعة وأشياء كثيرة غير ذلك فقدر الله تعالى أنها ولدت بنتا فانقبض لذلك وكره ابطال ما قد اشتهر عنه عمله فأظهر أنه يريد ختان أخيه محمد وابن أخيه مظفر الدين موسى ابن الملك الصالح علىّ بن قلاوون فرسم لنقيب الجيش والحجاب بأعلام الامراء والعسكر أن يلبسوا كلهم آلة الحرب من السلاح الكامل هم وخيولهم ويصيروا بأجمعهم كذلك في الميدان الاسود خارج باب النصر فاهتم الامراء والعسكر اهتماما كبيرا لذلك وأخذوا في تحسين العدد وبالغوا في التأنق وتنافسوا في اظهار التجمل الزائد وخرج في اليوم الرابع من أعلام الامراء السوقة ونصبوا عدة صواوين فيها سائر البقول والمآكل فصار بالميدان سوق عظيم ونزل السلطان من قلعة الجبل بعساكره وعليهم لامة الحرب وقد خرج سائر من في القاهرة ومصر من الرجال والنساء الا من خلفه العذر لرؤية السلطان فأقام السلطان يومه وحصل في ذلك اليوم للناس بهذا الاجتماع من السرور مايعز وجود مثله وأصبح السلطان وقد استعد العسكر بأجمعه لرمى القبق ورسم للحجاب بأن لا يمنعوا أحدا من الجند ولا من المماليك ولا من غيرهم من الرمي ورسم للامير بيسرى والامير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح أن يتقدما الناس فى الرمي فاستقبل الامير بيسرى القبق وتحته سرج قد صنع قربوسه الذى من خلفه وطيأ فصار مستلقيا على قفاه وهو يرمى ويصيب يمنة ويسرة والناس بأسرهم قد اجتمعوا للنظر حتى ضاق بهم الفضاء فلما فرغ دخل أمير سلاح من بعده وتلاه الامراء على قدر منازلهم واحدا واحدا فرموا ثم دخل بعد الامراء مقدموا الحلقة ثم الاجناد

والسلطان يعجب برميهم وتزايد سروره حتي فرغ الرمي فعاد الى مخيمه ودار السقاة على الامراء بأوانى الذهب والفضة والبلور يسقون السكر المذاب وشرب الاجناد من أحواض قد ملئت من ذلك وكانت عدتها مائة حوض فشربوا ولهوا واستمروا على ذلك يومين وفي اليوم الثالث ركب السلطان واستدعى الامير بيسرى وأمره بالرمى فسأل السلطان أن يعفيه من الرمي ويمن عليه بالتفرج في رمي النشاب من الامراء وغيرهم فأعفاه ووقف مع السلطان في منزلته وتقدم طفج وعين الغزال وأمير عمر وكيلكدى وقشتمر العجمى وبرانى وأعناق الحسامي وبكتوت ونحو الخمسين من أمراء السلطان الشبان الذين أنشأهم من خاصكيته وعليهم تتريات حرير أطلس بطرازات زركش وكلوتات زركش وحوائص ذهب وكانوا من الجمال البارع بحيث يذهل حسنهم الناظر ويدهش جمالهم الخاطر فتعاظمت مسرّة السلطان برؤيتهم وكثر اعجابه وداخله العجب واستخفه الطرب وارتجت الدنيا بكثرة من حضر هناك من أرباب الملاهي والاغانى وأصحاب الملعوب فلما انقضى اللعب عاد السلطان الى دهليزه فى زينته ومرح في مشيته تيها وصلفا فما هو الا أن عبر الدهليز والناس من الطرب والسرور في أحسن شئ يقع في العالم واذا بالجو قد أظلم وثار ريح عاصف أسود الى أن طبق الارض والسماء وقلع سائر تلك الخيم وألقى الدهليز السلطانى وتزايد حتي ان الرجل لا يرى من بجانبه فاختلط الناس وماجوا ولم يعرف الامير من الحقير وأقبلت السوقة والعامة تنهب وركب السلطان يريد النجاة بنفسه الى القلعة وتلاحق العسكر به واختلفوا فى الطرق لشدّة الهول فلم يعبر الى القلعة حتي أشرف على التلف وحصل في هذا اليوم من نهب الاموال وانتهاك الحرم والنساء مالا يمكن وصفه وما ظن كل أحد الا أن الساعة قد قامت فتنغص سرور الناس وذهب ما كان هناك وما استقر السلطان بالقلعة حتي سكن الريح وظهرت الشمس وكأن ما كان لم يكن فأصبح السلطان وطلب أرباب الملاهى بأجمعهم وحضر الامراء لختان أخيه وابن أخيه وعمل مهم عظيم فى القاعة التى أنشأها بالقلعة وعرفت بالاشرفية وقد ذكر خبر هذا المهم عند ذكر القلعة من هذا الكتاب وما برح هذا الميدان فضاء من قلعة الجبل الى قبة النصر ليس فيه بنيان وللملوك فيه من الاعمال ماتقدم ذكره الى أن كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون فترك النزول اليه وبنى مسطبة برسم طعم طيور الصيد بالقرب من بركة الحبش وصار ينزل هنالك ثم ترك تلك المسطبة فى سنة عشرين وسبعمائة وعاد الى ميدان القبق هذا وركب اليه على عادة من تقدمه من الملوك الى أن بنيت فيه الترب شيئاً بعد شيء حتى انسدت طريقه واتصلت المبانى من ميدان القبق الى تربة الروضة خارج باب البرقية وبطل السباق منه ورمى القبق فيه من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاون كما ذكر عند ذكر المقابر من هذا الكتاب وأنا أدركت عواميد من رخام قائمة بهذا الفضاء تعرف بين الناس بعواميد السباق بين كل

عمودين مسافة بعيدة وما برحت قائمة هنالك الى مابعد سنة ثمانين وسبعمائة فهدمت عند ماعمر الامير يونس الدوادار الظاهري تربته تجاه قبة النصر ثم عمر أيضاً الامير قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق تربة هنالك وتتابع الناس في البنيان الى أن صار كما هو الآن والله أعلم

* (ذكر بر الخليج الغربى) *

قد تقدم أن هذا الخليج حفر قبل الاسلام بدهر وأن عمرو بن العاص رضى الله عنه جدّد حفره فى عام الرمادة باشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى صب ماء النيل فى بحر القلزم وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها حتى عبرت منه الى البحر الملح وانه مابرح على ذلك الى سنة خمسين ومائة فطم ولم يبق منه الا ماهو موجود الآن الا أن فم هذا الخليج الذى يصب فيه الماء من بحر النيل لم يكن عند حفره هذا الفم الموجود الآن ولست أدرى أين كان فمه عند ابتداء حفره فى الجاهلية فان مصر فتحت وماء النيل عند الموضع الذى فيه الآن جامع عمرو بن العاص بمصر وجميع مابين الجامع وساحل النيل الآن انحسر عنه الماء بعد الفتح وآخر ماكان ساحل مصر من عند سوق المعاريج الذى هو الآن بمصر الى تجاه الكبش من غربيه وجميع ماهو الآن موجود من الارض التي فيما بين خط السبع سقايات الى سوق المعاريج انحسر عنه الماء شيئاً بعد شئ وغرس بساتين فعمل عبد العزيز بن مروان أمير مصر قنطرة على فم هذا الخليج في سنة تسع وستين من الهجرة بأوله عند ساحل الحمراء ليتوصل من فوق هذه القنطرة الى جنان الزهري الآتي ذكرها ان شاء الله تعالي وموضع هذه القنطرة بداخل حكر أقبغا المجاور لخط السبع سقايات وما برحت هذه القنطرة عندها السد الذى يفتح عند الوفاء الى مابعد الخمسمائة من الهجرة فانحسر ماء النيل عن الارض وغرست بساتين فعمل الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى هذه القنطرة التي تعرف اليوم بقنطرة السد خارج مصر ليتوصل من فوقها الى بستان الخشاب وزيد فى طول الخليج ما بين قنطرة السباع الآن وبين قنطرة السد المذكورة وصار مافي شرقيه مما انحسر عنه الماء بستانا عرف ببستان الحارة وما في غربيه يعرف ببستان المحلى وكان بطرف خط السبع سقايات كنيسة الحمراء وعدة كنائس أخر بعضها الآن بحكر أقبغا تعرف بزاوية الشيخ يوسف العجمى اسكنناه بها عند ماهدمت بعد سنة عشرين وسبعمائة ومابرحت هذه البساتين موجودة الى أن استولى عليها الامير أقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاون وقلع أخشابها وأذن للناس فى عمارتها فحكرها الناس وبنوا فيها الآدر وغيرها فعرفت بحكر أقبغا * وبأول هذا الخليج الآن من غربيه منشاة المهرانى وقد تقدم خبرها فى هذا الكتاب

عند ذكر مدينة مصر ويجاور منشاة المهرانى بستان الخشاب و بعضه الآن يعرف بالمريس وبعضه عمله الملك الناصر محمد بن قلاون ميدانا يشرف على النيل من غربيه ويعرف ساحل النيل هناك بموردة الجبس كما ذكر عند ذكر الميادين من هذا الكتاب ويجاور بستان الخشاب جنان الزهري وهذه المواضع التي ذكرت كلها مما انحسر عنه النيل ماخلا جنان الزهرى فانها من قبل ذلك وستقف على خبرها وخبر ما يجاورها من الاحكار ان شاء الله تعالى

* (ذكر الاحكار التي في غربى الخليج) *

قال ابن سيده الاحتكار جمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه انتظار وقت الغلاء به والحكرة والحكر جميعا ما احتكر وحكره يحكره حكرا ظلمه وتنقصه وأساء معاشرته انتهى فالتحكير على هذا المنع فقول أهل مصر حكر فلان أرض فلان يعنون منع غيره من البناء عليها * (حكر الزهرى) هذا الحكر يدخل فيه جميع بر ابن التبان الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وشق الثعبان وبطن البقرة وسويقة القيمرى وسويقة صفية وبركة الشقاف وبركة السباعين وقنطرة الخرق وحدرة المرادنيين وحكر الحلبي وحكر البواشقي وحكر كرجي وما بجانبه الى قناطر السباع وميدان المهاري الى الميدان الكبير السلطانى بموردة الجبس وكان هذا قديما يعرف بجنان الزهرى ثم عرف ببستان الزهرى قال أبو سعيد عبد الرحمن بن احمد ابن يونس في تاريخ الغرباء عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرى يكنى أبا العباس وأمه أم عثمان بنت عثمان بن العباس بن الوليد بن عبد الملك ابن مروان مدنى قدم مصر وولى الشرط بفسطاط مصر وحدث يروى عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة روى عنه من أهل مصر أصبغ بن الفرج وسعيد بن أبى مريم وعثمان ابن صالح وسعيد بن عفير وغيرهم وهو صاحب الجنان التي بالقنطرة قنطرة عبد العزيز بن مروان تعرف بجنان الزهرى وهو حبس على ولده الى اليوم وكان كتاب حبس الجنان عند جدى يونس بن عبد الاعلى وديعة عليه مكتوب وديعة لولد ابن العباس الزهرى لا يدفع لاحد الا أن يغرى به سلطان والكتاب عندى الى الآن توفى عبد الوهاب بن موسى بمصر في رمضان سنة عشرة ومائتين وقال القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى في كتاب معرفة الخطط والآثار حبس الزهرى هو الجنان التي عند القنطرة بالحمراء وهو عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز الزهرى قدم مصر وولى الشرط بها والجنان حبس على ولده * وقال القاضى تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج في كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل حبس الزهرى فذكره ثم قال وهذا الحبس أكثره الآن أحكار ما بين بركة الشقاف وخليج شق الثعبان وقد استولى وكيل بيت المال على بعضه وباع من أرضه وآجر

منها واجتمع هو ومحبسه بين يدى الله عز وجل انتهى ولما طال الامد صار للزهرى عدة بساتين منها بستان أبى اليمان وبستان السراج وبستان الحبانية وبستان عزاز وبستان تاج الدولة قيماز وبستان الفرغاني وبستان أرض الطيلسان وبستان البطرك وغيط الكردى وغيط الصفار ثم عرف ببر ابن التبان بعد ذلك قال القاضى محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة شاطئ الخليج المعروف ببر التبان *(ابن التبان المذكور) هو رئيس المراكب فى الدولة المصرية وكان له قدر وأبهة في الايام الآمرية وغيرها ولما كان فى الايام الآمرية تقدم الى الناس بالعمارة قبالة الخرق غربي الخليج فأول من ابتدأ وعمر الرئيس ابن التبان فانه أنشأ مسجداً وبستاناً ودراً فعرفت تلك الخطة به الى الآن ثم بني سعد الدولة والى القاهرة وناهض الدولة على وعدى الدلة أبو البركات محمد بن عثمان وجماعة من فراشى الخاص واتصلت العمارة بالآجر والسقوف النقية والابواب المنظومة من باب البستان المعروف بالعدة على شاطئ الخليج الغربى الى البستان المعروف بأبى اليمين ثم ابتني جماعة غيرهم ممن يرغب في الاجرة والفرجة على التراع التي تتصرف من الخليج الى الزهرى والبساتين من المنازل والدكاكين شيئاً كثيرا وهى الناحية المعروفة الآن بشق الثعبان وسويقة القيمرى الى أن وصل البناء الى قبالة البستان المعروف بنور الدولة الربعي وهذا البستان معروف في هذا الوقت بالخطة المذكورة وهو متلاشى الحال بسبب ملوحة بئره وبستان نور الدولة هو الآن الميدان الظاهرى والمناظر به وتفرقت الشوارع والطرق وسكنت الدكاكين والدور وكثر المترددون اليه والمعاش فيه الى ان استتاب والى القاهرة بها نائبا عنه ثم تلاشت تلك الاحوال وتغيرت الى أن صارت اطلالا وعفت تلك الآثار ثم بعد ذلك حكر آدرا وبساتين وبنى على غير تلك الصفة المقدم ذكرها وبني على ما هو عليه ثم حكر بستان الزهرى آدرا ولم يبق منه الا قطعة كبيرة بستانا وهو الآن أحكار تعرف بالزهرى" ويعرف البر" جميعه ببر" ابن التبان الى هذا الوقت وولايته تعرف بولاية الحكر وبنى به حمام الشيخ نجم الدين بن الرفعة وحمام تعرف بالقيمرى وحمام تعرف بحمام الداية على شاطئ الخليج انتهى * وبستان أبى اليمان يعرف اليوم مكانه بحكر اقبغا وفيه جامع الست مسكة وسويقة السباعين * وبستان السراج فى أرض باب اللوق يعرف موضعه الآن بحكر الخليلى" ويأتى ذكرهما ان شاء الله تعالى • وقيماز هو تاج الدولة صهر الامير بهرام الارمنى وزير الخليفة الحافظ لدين الله وقتل عند دخول الصالح طلائع بن رزيك الى القاهرة فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة • وعزاز هو غلام الوزير شاور بن مجير السعدى وزير الخليفة العاضد لدين الله *(حكر الخليلى) هذا الحكر هو الخط الذي بقرب سويقة السباعين وجامع الست مسكة وهو بجوار حكر الزهرى وكان بستانا يعرف ببستان أبى

اليمان ومنهم من يكتب بستان أبى اليمن بغير ألف بعد الميم ثم عرف ببستان ابن جن حلوان وهو الجمال محمد بن الزكي يحيي بن عبد المنعم بن منصور التاجر فى ثمرة البساتين عرف بابن جن حلوان مات في سنة احدى وتسعين وستمائة وحد هذا البستان القبلى الى الخليج وكان فيه بابه والهماليا والحد البحرى ينتهى الى غيط قيماز والشرقي الى الآدر المحتكرة والغربي ينتهي الى قطعة تعرف قديما بابن أبى التاج ثم عرف ببستان ابن السراج واستأجره ابن جن حلوان من الشيخ نجم الدين بن الرفعة الفقيه المشهور فى سنة ثمان وثمانين وستمائة فعرف به ثم ان هذا البستان حكر بعد ذلك فعرف بحكر الخليلي وهو (٣) *(حكر قوصون) هذا الحكر مجاور لقناطر السباع كان بستانين أحدهما يعرف بالمخاريق الكبرى والآخر يعرف بالمخاريق الصغرى فأما المخاريق الكبرى فان القاضى الرئيس الاجل المختار العدل الامين زكي الدين أبا العباس أحمد بن مرتضى بن سيد الاهل بن يوسف وقف حصة من جميع البستان المذكور الكبير المعروف بالمخاريق الكبرى الذى بين القاهرة ومصر بعدوة الخليج فيما بين البستانين المعروف أحدهما بالمخاريق الصغرى ويعرف قديما بالشيخ الاجل ابن أبى أسامة ثم عرف بغيره والبستان الذى يعرف بدويرة دينار يفصل بينهما الطريق بخط بستان الزهرى وبستان أبي اليمن وكنائس النصارى قبالة جاميز السعدية والسبع سقايات ولهذا البستان حدود أربعة القبلي ينتهى الى الخليج الفاصل بينه وبين المواضع المعروفة بجماميز السعدية والسبع سقايات والحد الشرقى ينتهى الى البستان المعروف بالمخاريق الصغرى المقابل للمجنونة والبحرى ينتهى الى البستان المعروف قديما بابن أبى أسامة الفاصل بينه وبين بستان أبى اليمن المجاور للزهرى والحد الغربي ينتهى الى الطريق وجعل هذا البستان على القربات بعد عمارته وشرط أن الناظر يشترى فى كل فصل من فصول الشتاء ما يراه من قماش الكتان الخام أو القطن ويصنع ذلك جبابا وبغالطيق محشوة قطنا ويفرقها على الايتام الذكور والاناث الفقراء غير البالغين بالشارع الاعظم خارج باب زويلة لكل واحد جبة أو بغلطاق فان تعذر ذلك كان على الايتام المتصفين بالصفة المذكورة بالقاهرة ومصر وقرافتيهما فان تعذر ذلك كان للفقراء والمساكين أينما وجدوا وتاريخ كتاب هذا الوقف فى ذي الحجة سنة ستين وستمائة وأما المخاريق الصغري فانه بعدوة الخليج قبالة المجنونة بالقرب من بستان أبى اليمن ثم عرف أخيرا ببستان بهادر رأس نوبة ومساحته خمسة عشر فدانا فاشتراه الامير قوصون وقلع غروسه وأذن للناس في البناء عليه فحكروه وبنوا فيه الآدر وغيرها وعرف بحكر قوصون* (حكر الحلبى) هذا الحكر الآن يعرف بحكر بيبرس الحاجب وهو مجاور للزهرى ولبركة الشقاف من غربيها وأصله من جملة أراضى الزهرى اقتطع منه وباعه القاضى مجد الدين بن الخشاب وكيل بيت المال لابني

السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاوون فى سنة أربع وتسعين وستمائة وكان يعرف حين
هذا البيع ببستان الجمال بن جن حلوان وبغيط الكردى وببستان الطيلسان وببستان
الفرغاني وحد هذه القطعة القبلى الى بركة الطوابين والى الهدير الصغير والحد البحرى
ينتهى الى بستان الفرغانى والى بستان البواشقى والحد الشرقى الى بركة الشقاف والى الطريق
الموصلة الى الهدير الصغير والحد الغربى الى بستان الفرغانى ثم انتقل هذا البستان الى الامير
ركن الدين بيبرس الحاجب فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون وحكره فعرف به *(حكر
البواشقى) عرف بالامير أزدمر البواشقى مملوك الرشيدى الكبير أحد المماليك البحرية
الصالحية وممن قام على الملك المعز أيبك عند ما قتل الامير فارس الدين اقطاى فى ذي القعدة
سنة احدي وخمسين وستمائة وخرج الى بلاد الروم ثم عرف الآن بحكر كرجي وهو بجوار
حكر الحلبى المعروف بحكر بيبرس *(حكر أقبغا) هذا الحكر بجوار السبع سقايات
بعضه بجانب الخليج الغربى وبعضه بجانب الخليج الشرقى كان بستانا يعرف قديما بجنان
الحارة ويسلك اليه من خط قناطر السباع على يمنة السالك طالبا السبع سقايات بالقرب من
كنيسة الحمراء وكان بعضه بستانا يعرف ببستان المحلى وهو الذي فى غربي الخليج
وكان بستان جنان الحارة بجوار بركة قارون وينتهى الى حوض الدمياطي الموجود
الآن على يمنة من سلك من خط السبع سقايات الى قنطرة السد فاستولى عليه الامير أقبغا
عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون وأذن للناس فى تحكيره فحكر وبنى فيه
عدة مساكن والى يومنا هذا يجبي حكره ويصرف فى مصارف المدرسة الاقبغاوية المجاورة
للجامع الازهر بالقاهرة وأول من عمر في حكر أقبغا هذا أستادار الامير جنكل بن البابا
فتبعه الناس وفي موضع هذا الحكر كانت كنيسة الحمراء التي هدمها العامة فى أيام الملك
الناصر محمد بن قلاون كما ذكر عند ذكر الكنائس من هذا الكتاب وهى اليوم زاوية
تعرف بزاوية الشيخ يوسف العجمى وقد ذكرت في الزوايا أيضاً وهذا الحكر لما بني الناس
فيه عرف بالآدر لكثرة من سكن فيه من التتر والوافدية من أصحاب الامير جنكل بن
البابا وعمر تجاه هذا الحكر الامير جنكل حمامين هما هنالك الى اليوم وانتشأ بعمارة هذا
الحكر بظاهره سوق وجامع وعمر ماعلى البركة أيضاً واتصلت العمارة منه فى الجانبين الى
مدينة مصر واتصلت به عمائر أيضاً ظاهر القاهرة بعد ماكان موضع هذا الحكر مخوفا
يقطع فيه الزعار الطريق على المارة من القاهرة الى مصر وكان والى مصر يحتاج الى أن
يركز جماعة من أعوانه بهذا المكان لحفظ من يمر من المفسدين فصار لما حكر كأنه مدينة
كبيرة وهو الى الآن عامر وأكثر من يسكنه الامراء والأجناد وهذا الحكر كان يعرف
قديماً بالحمراء الدنيا وقد ذكر خبر الحمراوات الثلاث عند ذكر خطط مدينة فسطاط مصر

من هذا الكتاب وفى هذا الحكر أيضاً كانت قنطرة عبد العزيز بن مروان التى بناها على الخليج ليتوصل منها الى جنان الزهرى وبعض هذا الحكر مما انحسر عنه النيل وهى القطعة التى تلي قنطرة السد * (حكر الست حدق) هذا الحكر يعرف اليوم بالمريس وكان بساتين من بعضها بستان الخشاب فعرف بالست حدق من أجل أنها أنشأت هناك جامعا كان موضعه منظرة السكرة فبنى الناس حوله وأكثر من كان يسكن هناك السودان وبه يتخذ المزر ومأوى أهل الفواحش والقاذورات وصار به عدة مساكن وسوق كبير يحتاج محتسب القاهرة أن يقيم به نائباً عنه للكشف عما يباع فيه من المعايش وقد أدركنا المريس على غاية من العمارة الا أنه قد اختل منذ حدثت الحوادث من سنة ست وثمانمائة وبه الى الآن بقية من فساد كبير *(حكر الست مسكة) هذا الحكر بسويقة السباعين بقرب جوار حكر الست حدق عرف بالست مسكة لانها أنشأت به جامعاً وهذا الحكر كان من جملة الزهرى ثم أفرد وصار بستانا تنقل الى جماعة كثيرة فلما عمرت الست مسكة فى هذا الحكر الجامع بنى الناس حوله حتي صار متصلا بالعمارة من سائر جهاته وسكنه الامراء والأعيان وأنشأوا به الحمامات والاسواق وغير ذلك * وكانت حدق ومسكة من جوارى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون نشأتا فى داره وصارتا قهرمانتين لبيت السلطان يقتدى برأيهما فى عمل الاعراس السلطانية والمهمات الجليلة التى تعمل فى الاعياد والمواسم وترتيب شؤون الحريم السلطانى وتربية أولاد السلطان وطال عمرهما وصار لهما من الاموال الكثيرة والسعادات العظيمة مايجل وصفه وصنعا براً ومعروفا كبيرا واشتهرا وبعد صيتهما وانتشر ذكرهما *(حكر طقزدمر) هذا الحكر كان بستاناً مساحته نحو الثلاثين فداناً فاشتراه الامير طقزدمر الحموى نائب السلطنة بديار مصر ودمشق وقلع أخشابه وأذن للناس فى البناء عليه فحكروه وأنشأوا به الدور الجليلة واتصلت عمارة الناس فيه بسائر العمائر من جهاته وأنشأ الامير طقزدمر فيه أيضاً على الخليج قنطرة ليمر عليها من خط المسجد المعلق الى هذا الحكر وصار هذا الحكر مسكن الامراء والاجناد وبه السوق والحمامات والمساجد وغيرها وهو مما عمر فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون ومات طقزدمر فى ليلة الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وسبعمائة *(اللوق) يقال لاق الشيء يلوقه لوقا ولوقه لينه وفي الحديث الشريف لا آكل الا مالوّق لى ولواق أرض معروفة قاله ابن سيده فكأن هذه الارض لما انحسر عنها ماء النيل كانت أرضا لينة والى الآن فى أراضي مصر ما اذا زل عنها ماء النيل لا تحتاج الى الحرث للينها بل تلاق لوقا فصواب هذا المكان أن يقال فيه أراضي اللوق بفتح اللام الا أن الناس انما عهدناهم يقولون قديما باب اللوق وأراضى باب اللوق بضم اللام ويجوز أن يكون من اللق بضم اللام وتشديد القاف قال ابن سيده واللق كل

أرض ضيقة مستطيلة واللق الارض المرتفعة ومنه كتاب عبد الملك بن مروان الى الحجاج
لا تدع خقا ولا لقا الا زرعته حكاه الهروي في الغريبين انتهى والخق بضم الخاء المعجمة
وتشديد القاف الغدير اذا جف وقيل الخق ما اطمأن من الارض واللق ما ارتفع منها وأراضى
اللوق هذه كانت بساتين ومزدرعات ولم يكن بها فى القديم بناء ألبتة ثم لما انحسر الماء عن منشأة
الفاضل عمر فيها كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب ويطلق اللوق فى زمننا على المكان
الذى يعرف اليوم بباب اللوق المجاور لجامع الطباخ المطل على بركة الشقاف وما يسامته الى
الخليج الذي يعرف اليوم بخليج فم الخور وينتهى اللوق من الجانب الغربى الى منشأة
المهرانى ومن الجانب الشرقى الي الدكة بجوار المقس وكان القاضى الفاضل قد اشترى قطعة
كبيرة من أراضى اللوق هذه من بيت المال وغيره بجملة كبيرة من المال ووقفها على العين
الزرقاء بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ٭ وعرفت هذه الارض ببستان ابن
قريش وبعضها دخل في الميدان الظاهرى وعوض عنها أراض باكثر من قيمتها وكان متحصل
هذا الوقف يحمل فى كل سنة الى المدينة لتنظيف العين وتنظيف مجاريها وأما الجانب الغربى
من خليج فم الخور المعروف اليوم بحكر ابن الاثير وبسويقة الموفق وموردة الملح وساحل
بولاق كله فانه محدث عمر بعد سنة سبعمائة كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى قريبا فان
النيل كان يمر من ساحل الحمراء بغربي الزهري على الاراضى التي لما انحسر عنها عرفت
باراضي اللوق الى أن ينتهى الى ساحل المقس وكانت طاقات المناظر التى بالدكة تشرف
على النيل الاعظم ولا يحول بينها وبين رؤية بر الجيزة شيء ويمر النيل من الدكة الى
المقس ويمتد الى زريبة جامع المقس الذي هو الآن على الخليج الناصرى فلما انحسر
ماء النيل عن أراضى اللوق اتصلت بالمقس وصارت عدة أماكن تعرف بظاهر اللوق
وهي بستان ابن ثعلب ومنشأة ابن ثعلب وباب اللوق وحكر قردميه وحكر كريم الدين
ورحبة التبن وبستان السعيدى وبركة قرموط وخور الصعبى وصار بين اللوق وبين
منشأة المهرانى التي هى بأول بر الخليج الغربى منشأة الفاضل والمنشأة المستجدة وحكر
الخليلى وحكر الساباط ويعرف بحكر بستان القاصد وحكر كريم الدين الصغير وحكر
المطوع وحكر العين الزرقاء وفي غربى هذه المواضع على شاطئ النيل زريبة قوصون وموردة
البلاط وموردة الجبس وخط الجامع الطيبرسى وزريبة السلطان وربع بكتمر وأول ما بنيت
الدور للسكن في اللوق أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وذلك أنه جهز
كشافه من خواصه مع الامير جمال الدين الرومى السلاح دار والامير علاء الدين أق سنقر
الناصرى ليعرف أخبار هولاكو ومعهم عدة من العربان فوجدوا طائفة من التتر مستأمنين
وقد عزموا على قصد السلطان بمصر وذلك أن الملك بركة خان ملك التتر كان قد بعثهم نجدة

هولاكو فلما وقع بينهما كتب اليهم بركة يأمرهم بمفارقة هولاكو والمصير اليه فان تعذر عليهم ذلك صاروا الى عسكر مصر فانه كان قد ركن الى الملك الظاهر وترددت القصاد بينهم بعد واقعة بغداد ورحيل هولاكو عن حلب فاختلف هولاكو مع ابن عمه بركة خان وتواقعا فقتل ولد هولاكو فى المصاف وانهزم عسكره وفر الى قلعة في بحيرة أذربيجان فلما وردت الاخبار بذلك الى مصر كتب السلطان الى نواب الشام باكرامهم وتجهيز الاقامات لهم وبعث اليهم بالخلع والانعامات فوصلوا الى ظاهر القاهرة وهم نيف على مائتى فارس بنسائهم وأولادهم في يوم الخميس رابع عشرى ذي الحجة سنة ستين وستمائة فخرج السلطان يوم السبت سادس عشريه الى لقائهم بنفسه ومعه العساكر فلم يبق أحد حتى خرج لمشاهدتهم فاجتمع عالم عظيم تبهر رؤيتهم العقول وكان يوما مشهودا فانزلهم السلطان في دور كان قد أمر بعمارتها من أجلهم فى أراضى اللوق وعمل لهم دعوة عظيمة هناك وحمل اليهم الخلع والخيول والاموال وركب السلطان الى الميدان وأركبهم معه للعب الاكرة وأعطى كبراءهم أمريات فمنهم من عمله أمير مائة ومنهم دون ذلك ونزل بقيتهم من جملة البحرية وصار كل منهم من سعة الحال كالامير فى خدمته الاجناد والغلمان وأفرد لهم عدة جهات برسم مرتبهم وكثرت نعمهم وتظاهروا بدين الاسلام فلما بلغ التتار ما فعله السلطان مع هؤلاء وفد عليه منهم جماعة بعد جماعة وهو يقابلهم بمزيد الاحسان فتكاثروا بديار مصر وتزايدت العمائر فى اللوق وما حوله وصار هناك عدة أحكار عامرة آهلة الى أن خربت شيئاً بعد شيء وصارت كيماناً وفيها ما هو عامر الى يومنا هذا ولما قدمت رسل القان بركة فى سنة احدى وستين وسبعمائة أنزلهم السلطان الملك الظاهر باللوق وعمل لهم فيه مهما وصار يركب فى كل سبت وثلاثاء للعب الاكرة باللوق فى الميدان * وفى سادس ذى الحجة من سنة احدى وستين قدم من المغل والبهادرية زيادة على ألف وثلثمائة فارس فأنزلوا فى مساكن عمرت لهم باللوق بأهاليهم وأولادهم وفي شهر رجب سنة احدى وستين وسبعمائة قدمت رسل الملك بركة ورسل الاشكري فعملت لهم دعوة عظيمة باللوق * فأما بستان ابن ثعلب فانه كان بستاناً عظيم القدر مساحته خمسة وسبعون فداناً فيه سائر الفواكه بأسرها وجميع ما يزدرع من الاشجار والنخل والكروم والنرجس والهليون والورد والنسرين والياسمين والخوخ والكمثرى والنارنج والليمون التفاحي والليمون الراكب والمختن والجميز والقراصيا والرمان والزيتون والتوت الشامى والمصرى والمرسين والتامرحنا والبان وغير ذلك وبه الآبار المعينة وله الهماليات وفيه منظرة عظيمة وعدة دور ومن حقوق هذا البستان الارض التي تعرف اليوم ببركة قرموط والارض التى تعرف اليوم بالخور قبالة الارض المعروفة بالبيضاء بجوار بستان السراج وبستان الزهرى وبستان البورجي فيما بين هذه البساتين وبين خليج الدكة والمقس

وكان على بستان ابن ثعلب سور مبنى وله باب جليل وحده القبلى الى منشأة ابن ثعلب وحده البحرى الى الارض المجاورة للميدان السلطانى الصالحي والى أرض الجزائر وفي هذا الحد أرض الخور وهى من حقوقه وحده الشرقي الى بستان الدكة وبستان الامير قراقوش وحده الغربى الى الطريق المسلوك فيها الى موردة السقائين قبالة بستان السراج وموردة السقائين هذه موضع قنطرة الخرق الآن * وابن ثعلب هذا هو الشريف الامير الكبير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الجعفرى الزينبى أحد أمراء مصر فى أيام الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وغيره وصاحب المدرسة الشريفية بجوار درب كركامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة وانتقل من بعده الى ابنه الامير حصن الدين ثعلب فاشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى بثلاثة آلاف دينار مصرية في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة وكان باب هذا البستان في الموضع الذي يقال له اليوم باب اللوق وكان هذا البستان ينتهى الى خليج الخور وآخره من المشرق ينتهى الى الدكة بجوار المقس ثم انقسم بعد ذلك قطعا وحكرت أكثر أرضه وبنى الناس عليها الدور وغيرها وبقيت منه الى الآن قطعة عرفت ببستان الامير أرغون النائب بديار مصر أيام الملك الناصر ثم عرف بعد ذلك ببستان ابن غراب وهو الآن على شاطئ الخليج الناصرى على يمنة من سلك من قنطرة قدادار بشاطئ الخليج من جانبه الشرقى الى بركة قرموط وبقيت من بستان ابن ثعلب قطعة تعرف ببستان بنت الامير بيبرس الى الآن وهو وقف ومن جملة بستان ابن ثعلب أيضاً الموضع الذي يعرف ببركة قرموط والموضع المعروف بفم الخور *(وأما منشأة ابن ثعلب) فانها بالقرب من باب اللوق وحكرت فى أيام الشريف فخر الدين بن ثعلب المذكور فعرفت به وهى تعرف اليوم بمنشأة الجوانية لان جوانية الفم كانوا يسكنون فيها فعرفت بهم وأدركتها في غاية العمارة بالناس والمساكن والحوانيت وغيرها وقد اختلت بعد سنة ست وثمانمائة وأكثرها الآن زرائب للبقر *(وأما باب اللوق) فانه كان هناك الى مابعد سنة أربعين وسبعمائة بمدة باب كبير عليه طوارق حربية مدهونة على ما كانت العادة فى أبواب القاهرة وأبواب القلعة وأبواب بيوت الامراء وكان يقال له باب اللوق فلما أنشأ القاضى صلاح الدين بن المغربى قيساريته التى بباب اللوق وجعلها لبيع غزل الكتان هدم هذا الباب وجعله فى الركن من جدار القيسارية القبلى مما يلي الغربى وهذا هو باب الميدان الذى أنشأه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل لما اشترى بستان ابن ثعلب وقد ذكر خبر هذا الميدان عند ذكر الميادين من هذا الكتاب *(وأما حكر قردمية)فانه على يمنة من سلك من باب اللوق المذكور الى قنطرة قدادار وكان من جملة بستان ابن ثعلب فحكر وصار أخيرا

بيد ورثة الامير قوصون وكان حكرا عامرا الى ما بعد سنة تسع وأربعين وسبعمائة فخرب عند وقوع الوباء الكبير بمصر وحفرت أراضيه وأخذ طينها فصارت بركة ماء عليها كيمان خلف الدور التى على الشارع المسلوك فيه الى قنطرة قدادار *(وأما حكر كريم الدين) فانه على يسرة من سلك من باب اللوق الى رحبة التبن والى الدكة وكان يعرف قبل كريم الدين بحكر الصهيوني وهذا الحكر الآن آئل الى الدثور *(وأما رحبة التبن) فانها في بحرى منشأة الجوانية شارعة فى الطريق العظمى التي يسلك فيها الى قنطرة الدكة من رحبة باب اللوق عرفت بذلك لانه كانت أحمال التبن تقف بها لتباع هناك فان القاهرة كانت توقر من مرور احمال التبن والحطب ونحوهما بها ثم اختطت من جملة مااختط في غربي الخليج وصار بها عدة مساكن وسوق كبير وقد أدركته غاصا بالعمارة وانما اختل حال هذا الخط من سنة ست وثمانمائة *(وأما بستان السعيدى) فانه يشرف على الخليج الناصرى في هذا الوقت وأدركنا ماحوله عامرا وقد خربت الدور التي كانت هناك من جهة الطريق الشارع من باب اللوق الى الدكة وبها بقية آئلة الى الدثور *(وأما بركة قرموط) فانها من حقوق بستان ابن ثعلب ولما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى رمى فيها ماخرج عند حفره من الطين وادركناها من أعمر بقعة فى أرض مصر وهي الآن خراب كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب *(وأما الخور) فان الخور فى اللغة مصب الماء وهو هنا اسم للارض التي مابين الخليج الناصرى والخليج الذى يعرف بفم الخور وجميع هذه الارض من جملة بستان ابن ثعلب وكان يعرف بالخور الصعي لانه كانت به مناظر تعرف بمناظر الصعي تشرف على النيل وكان على شاطئ الخليج الكبير في هذا الجانب الغربي الذى نحن في ذكره بجوار بستان الحشاب الذى كان يتوصل اليه من قنطرة السد وبعضه الآن الميدان السلطانى بستان يعرف بالجزيرة يعنى بستان الجزيرة المعروف بالصعي وكان من البساتين الجليلة *(وهذا الصعي) هو الشيخ كريم الدولة عبدالواحد ابن محمد بن على الصعي مات في شهر رمضان سنة ثلاث وستمائة بمصر وكان له أخ يعرف بعبد العظيم بن محمد الصعي * ولما انحسر ماء النيل عن الرملة التي قيل لها منية بولاق تجاه المقس وعمرت هناك الدور اتصلت من قبلها بالخور وأنشئ بشاطئ النيل الذى بالخور دور تجل عن الوصف وانتظمت صفاً واحداً من بولاق الى منشأة المهرانى وموردة الحلفاء ومن موردة الحلفاء على ساحل مصر الجديد الى دير الطين غربى بركة الحبش لو أحصى ماأنفق على بناء هذه الدور لقام بخراج مصر أيام كانت عامرة وقد خرب معظمها من سنة ست وثمانمائة وقد تقدم ذكر منشأة الفاضل *(وأما حكر الساباط) وحكر كريم الدين الصغير وحكر المطوع وحكر العين الزرقاء فانها بالقرب من الميدان الكبير السلطانى وقد خربت بعد ما

كانت عامرة بالدور والمتنزهات * (بستان العدة) هذا المكان من جملة الاحكار التى فى غربى الخليج وهو بجوار قنطرة الخرق وبجوار حكر النوبى قريب من باب اللوق تجاه الدور المطلة على الخليج من شرقيه المقابلة لباب سعادة وحارة الوزيرية كان بستانا جليلا وقفه الامير فارس المسلمين بدر بن رزيك أخو الصالح طلائع بن رزيك صاحب جامع الصالح خارج باب زويلة ثم انه خرب فحكر وبني عليه عدة مساكن وحكره يتعاطاه ورثة فارس المسلمين * (حكر جوهر النوبى) هذا الحكر تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربى فى شرقى بستان العدة ويسلك منه الى قنطرة أمير حسين من طريق تجاه باب جامع أمير حسين الذى تعلوه المئذنة وما زال بستانا الى نحو سنة ستين وستمائة فحكر وبنى فيه الدور في أيام الظاهر بيبرس وعرف بجوهر النوبى أحد الأمراء في الايام الكاملية وقد تقدم بديار مصر تقدما زائداً وكان خصياً وهو ممن ثار على الملك العادل أبى بكر بن الكامل وخلعه فلما ملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بعد أخيه العادل قبض على جوهر فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة * (حكر خزائن السلاح) هذا الحكر كان يعرف قديماً بحكر الاوسية وهو فيما بين الدكة وقنطرة الموسكي وقفه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب على مصالح خزائن السلاح هو وعدة أماكن بمدينة مصر مع مدينة قليوب وأراضيها في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وستمائة وظهر كتاب الوقف المذكور من الخزائن السلطانية فى جمادى الاولى سنة خمس عشرة وسبعمائة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون وقد خرب أكثر هذا الحكر وصار كيمانا * (حكر تكان) هذا الحكر بجوار سويقة العجمى الفاصلة بينه وبين حكر خزائن السلاح وكان يعرف قديماً بحكر كوبج وحده القبلى ينتهى الى حكر ابن الاسد جفريل والحد البحرى ينتهى الى حكر العلائى والحد الشرقي ينتهى الى حكر البغدادية والحد الغربى ينتهى الى حكر خزائن السلاح وسويقة العجمى * وتكان هو الامير سيف الدين تكان ويقال تكام بالميم عوضاً عن النون وهذا الحكر استقر أخيراً فى أوقاف خوندارد وتكين ابنة نوكيه السلاح دار زوجة الملك الاشرف خليل بن قلاون على تربتها التى أنشأتها خارج باب القرافة التى تعرف اليوم بتربة الست وقد خرب هذا الحكر وبيعت أنقاضه فى أعوام بضع وتسعين وسبعمائة وجعل بعضه بستاناً فى سنة ست وتسعين وسبعمائة * (حكر ابن الاسد جفريل) هذا الحكر فى قبلى حكر تكان كان بستاناً فحكر وعرف بالامير شمس الدين موسى ابن الامير أسد الدين جفريل أحد أمراء الملك الكامل محمد ابن العادل أبى بكر بن أيوب بمصر * (حكر البغدادية) هذا الحكر بجوار خليج الذكر كان من أعظم البساتين في الدولة الفاطمية فأزال الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب أشجاره ونخله وجعله ميداناً ثم حكر وصارت فيه عدة مساكن وهو

الآن خراب يباب لا يأويه الا البوم والرخم *(حكر خطلبا) هذا الحكر حده القبلي الى الخليج وحده البحرى الى الكوم الفاصل بينه وبين حكر الاوسية المعروف بالجاولى وحده الشرقي الى بستان الجليس الذى عرف بابن منقذ والحد الغربي الى زقاق هناك وكان هذا الحكر بستاناً اشتراه جمال الدين الطواشى من جمال الدين عمر بن ناصح الدين داود ابن اسماعيل الملكى الكاملى في سنة ست عشرة وستمائة ثم ابتاعه منه الطواشى محيي الدين صندل الكاملي في سنة عشرين وستمائة وباعه للامير الفارس صارم الدين خطلبا الكاملي فى سنة احدى وعشرين وستمائة فعرف به * وهو خطلبا بن موسى الامير صارم الدين الفارسي التبتي الموصلى الكاملي استقر في ولاية القاهرة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم أضيفت له ولاية الفيوم فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة ثم صرف عنها وسار متسلمه الى اليمن ليتسلمها فتسلمها في جمادى الاولى وسار هو في سادس شوال منها واليا على مدينة زبيد باليمن ومعه خمسمائة رجل ورفيقه الامير باخل فبلغت النفقة عليه عشرين ألف دينار وكتب للطواشية بنفقة عشرة دنانير لكل منهم على اليمن فأقام باليمن مدة ثم قدم الى القاهرة وصار من أصحاب الامير فخر الدين جهاركس وتأخر الى أيام الملك الكامل وصار من أمرائه بالقاهرة الى أن مات فى ثالث شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة * (حكر ابن منقذ) هذا الحكر خارج باب القنطرة بعدوة خليج الذكر وكان بستانا يعرف ببستان الشريف الجليس ويعرف أيضاً بالبطائحي ثم عرف بالامير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ نائب الملك المعز سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الدين أيوب بن شادى على مملكة اليمن وانتقل بعد ابن منقذ الى الشيخ عبد المحسن ابن عبد العزيز بن على المخزومي المعروف بابن الصيرفي فوقفه على جهات تؤول أخيراً الى الفقراء والمساكين المقيمين بمشهد السيدة نفيسة والفقراء والمساكين المعتقلين في حبوس القاهرة فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ثم ازيلت أنشاب هذا البستان وحكرت أرضه وبنيت الدور والمساكن عليها وهو الآن خراب * (حكر فارس المسلمين بدر بن رزيك) هذا الحكر تجاه منظرة اللؤلؤة كان من جملة البركة المعروفة ببطن البقرة ثم حكر وبني فيه وأكثره الآن خراب *(حكر شمس الخواص مسرور) هذا الحكر فيما بين خليج الذكر وحكر ابن منقذ كان بستاناً لشمس الخواص مسرور الطواشى أحد الخدام الصالحية مات في نصف شوال سنة سبع وأربعين وستمائة بالقاهرة ثم حكر وبنى فيه الدور وموضعه الآن كيمان * (حكر العلائى) هذا الحكر يجاور حكر تكان من بحريه وكان بستانا جليل القدر ثم حكر وصار بعضه وقف تذكار بى خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس وقفته في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة على نفسها ثم من بعدها على الرباط الذى أنشأته داخل الدرب

الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وهو الرباط المعروف برواق البغدادية وعلى المسجد الذى بحكر سيف الاسلام خارج باب زويلة وعلى تربتها التي بجوار جامع ابن عبد الظاهر بالقرافة وصار بعض هذا الحكر في وقف الامير سيف الدين بهادر العلائى متولى البهنساء وكان وقفه في سنة احدى وأربعين وسبعمائة فعرف بالحكر العلائى المذكور وأدركت هذا الحكر وهو من أعمر الاحكار وفيه درب الامير عز الدين أيدمر الزراق أمير جاندار ووالى القاهرة وداره العظيمة ومساكنه الكثيرة فلما حدثت المحن منذ سنة ست وثمانمائة خرب هذا الحكر وأخذت أنقاضه وبقيت دار الزراق الى سنة سبع عشرة وثمانمائة فشرع في الهدم فيها لاجل أنقاضها الجليلة * (حكر الحريرى) هذا الحكر بجوار حكر العلائي المذكور من حده البحرى وهو من جملة الارض المعروفة بالارض البيضاء وكان بستانا ثم حكر وصار في وقف خزائن السلاح وأدركناه عامرا وفيه سوق يعرف بالسويقة البيضاء كانت بها عدة حوانيت وقد خرب هذا الحكر وهذا الحريرى هو الصاحب محيي الدين *(حكر المساح) عرف بالامير شمس الدين سنقر المساح أحد أمراء الظاهر بيبرس قبض عليه في عدة من الامراء في ذى الحجة سنة تسع وستين وستمائة *(الدكة) هذا المكان كان بستاناً من أعظم بساتين القاهرة فيما بين أراضى اللوق والمقس وبه منظرة للخلفاء الفاطميين تشرف طاقاتها على بحر النيل الاعظم ولا يحول بينها وبين بر الجيزة شئ فلما زالت الدولة الفاطمية تلاشى أمر هذا البستان وخرب فحكر موضعه وبنى الناس فيه فصار خطة كبيرة كأنه بلد جليل وصار به سوق عظيم وسكنه الكتاب وغيرهم من الناس وأدركته عامرا ثم انه خرب منذ سنة ست وثمانمائة وبه الآن بقية عما قليل تدثر كما دثر ما هنالك وصار كيمانا

(ذكر المقس وفيه الكلام على المكس وكيف كان أصله في أول الاسلام)

اعلم أن المقس قديم وكان في الجاهلية قرية تعرف بأم دنين وهى الآن محلة بظاهر القاهرة في بر الخليج الغربي وكان عند وضع القاهرة هو ساحل النيل وبه أنشأ الامام المعز لدين الله أبو تميم معد الصناعة التي ذكرت عند ذكر الصناعات من هذا الكتاب وبه أيضاً أنشأ الامام الحاكم بأمر الله أبو على منصور جامع المقس الذى تسميه عامة أهل مصر في زمننا بجامع المقسى وهو الآن يطل على الخليج الناصرى قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر وقد ذكر مسير عمرو بن العاص رضى الله عنه الى فتح مصر فتقدم عمرو بن العاص رضى الله عنه لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى بلبيس فقاتلوه بها نحوا من شهر حتى فتح الله سبحانه وتعالى عليه ثم مضى لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى أم دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يستمده فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف فقاتلهم وذكر تمام الخبر وقال القاضى أبو عبد الله القضاعى المقس كانت ضيعة تعرف بأم دنين وانما سميت المقس لان العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس فقيل المكس فقلب فقيل المقس قال المؤلف رحمه الله الماكس هو العشار وأصل المكس في اللغة الجباية قال ابن سيدة في كتاب المحكم المكس الجباية مكسه يمكسه مكسا والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الاسواق في الجاهلية ويقال للعشار صاحب مكس والمكس انتقاص الثمن في البياعة قال الشاعر

أفى كل أسواق العراق أتاوة * وفى كل ما باع أمرؤ مكس درهم

الا ينتهى عنا رجال وتتقى * محارمنا لا يدرأ الدم بالدم

الاتاوة الخراج ومكس درهم أى نقص درهم فى بيع ونحوه قال وعشر القوم يعشرهم عشرا وعشورا وعشرهم أخذ عشر أموالهم وعشر المال نفسه وعشره كذلك والعشار قابض العشر ومنه قول عيسى بن عمرو لابن هبيرة وهو يضرب بين يديه بالسياط تالله ان كانت الا ثيابا في اسفاط قبضها عشاروك وقال الجاحظ ترك الناس مما كان مستعملا في الجاهلية أمورا كثيرة فمن ذلك تسميتهم للاتاوة بالخراج وتسميتهم لما يأخذه السلطان من الحلوان والمكس بالرشوة وقال الخارجي * أفى كل أسواق العراق أتاوة * البيت وكما قال العبدي فى الجارود

اكابن المعلى خلتنا أم حسبتنا * صوارى نعطي الماكسين مكوسا

الصوارى الملاحون والمكس ما يأخذه العشار انتهى ويقال ان قوم شعيب عليه السلام كانوا مساكين لا يدعون شيئاً الا مكسوه ومنه قيل للمكس البخس لقوله تعالى ولا تبخسوا الناس أشياءهم وذكر أحمد بن يحيي البلاذرى عن سفيان الثورى عن ابراهيم بن مهاجر قال سمعت زياد بن جرير يقول أنا أول من عشر فى الاسلام وعن سفيان عن عبد الله ابن خالد عن عبد الرحمن بن معقل قال سألت زياد بن جرير من كنتم تعشرون فقال ما كنا نعشر مسلما ولا معاهدا بل كنا نعشر تجار أهل الحرب كما كانوا يعشرونا اذا أتيناهم وقال عبد الملك بن حبيب السلمي في كتاب سيرة الامام العدل في مال الله عن السائب ابن يزيد انه قال كنت على سوق المدينة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكنا نأخذ من القبط العشر وقال ابن شهاب كان ذلك يؤخذ منهم فى الجاهلية فألزمهم ذلك عمر بن الخطاب وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأخذ بالمدينة من القبط من الحنطة والزبيب نصف العشر يريد بذلك أن يكثر الحمل الى المدينة من الحنطة والزبيب وكان يأخذ من القطنية العشر وقال مالك

رحمه الله والسنة أن ما أقام الذمة فى بلادهم التي صالحوا عليها فليس عليهم فيها الا الجزية الا أن يتجروا فى بلاد المسلمين ويختلفوا فيها فيؤخذ منهم العشر فيما يديرون من التجارة وان اختلفوا في العام الواحد مرارا الى بلاد المسلمين فعليهم كلما اختلفوا العشر واذا اتجر الذمى فى بلاده من أعلاها الى أسفلها ولم يخرج منها الى غيرها فليس عليه شيء مثل أن يتجر الذمي الشامي في جميع الشام أو الذمى المصرى في جميع مصر أو الذمى العراقى فى جميع العراق وليس العمل عندنا على قول عمر بن عبدالعزيز لزريق بن حيان وا كتب لهم بما يؤخذ منهم كتابا الى مثله من الحول ومن مر بك من أهل الذمة فخذ مما يديرون من التجارات من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير فان نقص منها ثلث دينار فدعها ولا تأخذ منها شيئاً والعمل على أن يؤخذ منهم العشر وان خرجوا في السنة مرارا من كل ما اتجروا به قل أو كثر وهذا قول ربيعة وابن هرمز وقال القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمي أحد أصحاب الامام أبي حنيفة رضى الله عنه فى كتاب الرسالة الى أمير المؤمنين هارون الرشيد وهو كتاب جليل القدر حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم بن المهاجر قال سمعت أبى يذكر قال سمعت زياد بن جرير قال أول من بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه منا على العشور أنا فأمرني أن لا افتش احـدا وما مر على من شيء أخذت من حساب أربعين درهما درهما من المسلمين وأخذت من أهل الذمة من عشرين واحدا وممن لاذمة له العشر وأمرنى أن أغاظ على نصارى بني تغلب قال انهم قوم من العرب وليسوا من أهل الـكتاب فلعلهم يسلمون قال وكان عمر رضى الله عنه قداشترط على نصارى بني تغلب أن لا ينصروا أولادهم وحدثنا أبو حنيفة عن الهيثم عن أنس بن سيرين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال بعثني عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العشور وكتب لى عهد أن آخذ من المسلمين مما اختلفوا به لتجاراتهم ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر وحدثنا عاصم بن سليمان الاحول عن الحسن قال كتب أبو موسى الاشعرى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أهل الحرب فيأخذون منهم العشر فـكتب اليه عمر رضى الله عنه فخذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من أهـل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما وليس فيما دون المـائتين شيء فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم فما زاد فبحسابه وحدثنا عبدالملك بن جريج عن عمرو بن شعيب قال ان أهل منبج قوما من أهل الشرك وراء البحر كتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعنا ندخل أرضك تجارا وتعشرنا قال فشاور عمر رضى الله عنه اصحاب النبى صلى الله عليه وسـلم فى ذلك فأشاروا عليه به فـكانوا أول من عشره من أهل الحرب وحدثنا السدى بن اسماعيل

عن عامر الشعبي عن زياد بن جرير الاسدى قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعثه على عشور العراق والشام وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر فمر عليه رجل من بنى تغلب من نصارى العرب ومعه فرس فقوموها بعشرين ألفا فقال أمسك الفرس وأعطنى ألفا أو خذ منى تسعة عشر ألفا وأعطنى الفرس قال فأعطاه ألفا وأمسك الفرس قال ثم مر عليه راجعا في سنته فقال أعطنى ألفا أخري فقال له التغلبي كلما مررت بك تأخذ منى ألفا قال نعم فرجع التغلبي الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فوافاه بمكة وهو في بيت له فاستأذن عليه فقال من أنت فقال أنا رجل من نصارى العرب وقص عليه قصته فقال له عمر رضى الله عنه كفيت ولم يزده على ذلك قال فرجع الرجل الى زياد بن جرير وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفاً فوجد كتاب عمر رضى الله عنه قد سبق اليه من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئاً الى مثل ذلك اليوم من قابل الا أن تجد فضلا قال فقال الرجل قد والله كانت نفسى طيبة أن أعطيك ألفا وانى أشهد الله تعالى أنى برىء من النصرانية وانى على دين الرجل الذى كتب اليك هذا الكتاب * وحدثنى يحيي بن سعيد عن زريق بن حيان وكان على مكس مصر فذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب اليه أن انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم وما ظهر لك من التجارات من كل أربعين دينارا دينارا فما نقص فبحسابه حتى تبلغ عشرين دينارا فان نقصت فدعها ولا تأخذ منها واذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجاراتهم من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ثم دعها لا تأخذ منها شيئاً واكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم الى مثلها من الحول * وحدثنى أبو حنيفة عن حماد عن ابراهيم أنه قال اذا مر أهل الذمة بالخمر للتجارة أخذ من قيمتها نصف العشر ولا يقبل قول الذمي في قيمتها حتي يؤتى برجلين من أهل الذمة يقومانها عليه فيؤخذ نصف العشر من الذمى * وحدثنا قيس بن الربيع عن أبى فزارة عن يزيد بن الاصم عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أنه قال ان هذه المعاصر والقناطر سحت لا يحل أخذها فبعث عمالا الى اليمن ونهاهم أن يأخذوا من عاصر أو قنطرة أو طريق شيئاً فقدموا فاستقل المال فقالوا نهيتنا فقال خذوا كما كنتم تأخذون * وحدثنا محمد بن عبيد الله عن أنس بن سيرين قال أرادوا أن يستعملونى على عشور الابلة فأبيت فلقينى أنس بن مالك رضي الله عنه فقال مايمنعك قلت العشور أخبث ما عمل عليه الناس قال فقال لى لم لا تفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه صنعه فجعل على أهل الاسلام ربع العشر وعلى أهل الذمة نصف العشر وعلى أهل المنزل ممن ليس له ذمة العشر وقال أبو الحسن المسعودى ان كيقباذ أحد ملوك الفرس أول من أخذ العشر من

الارض وعمر بلاد بابل ومملكة الفرس ورأيت في التوراة التى في يد اليهود ان أول من أخرج العشر من مواشيه وزروعه وجميع ماله خليل الله ابراهيم عليه السلام وكان يدفع ذلك الى ملك أورشليم التي هي أرض القدس واسمه ملكي صادق فلما مات الخليل ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه اقتدى به بنوه فى ذلك من بعده وصاروا يدفعون العشر من أموالهم الى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام فأوجب على بنى اسرائيل اخراج العشر فى كل ما ملكت أيمانهم من جميع أموالهم بأنواعها وجعل ذلك حقاً لسبط لاوى الذين هم قرابة موسي عليه السلام * وقال ابن يونس في تاريخ مصر كان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه أحد من شهد فتح مصر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والياً لعمرو ابن العاص رضى الله عنه على المكس وكان زريق بن حيان على مكس ابلة في خلافة عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه قال مؤلفه رحمه الله ومع ذلك فقد كان أهل الورع من السلف يكرهون هذا العمل روى ابن قتيبة في كتاب الغريب أن النبى صلي الله عليه وسلم قال لعن الله سهيلا كان عشاراً(١) باليمن فمسخه الله شهابا وروى ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن ميمون عن أبي ابراهيم المعافرى عن خالد بن ثابت أن كعباً أوصاه وتقدم اليه حين مخرجه مع عمرو ابن العاص أن لا يقرب المكس فهذا أعزك الله معنى المكس عند أهل الاسلام لا ما أحدثه الظالم هبة الله بن صاعد الفائزى وزير الملك المعز أيبك التركمانى أول من أقام من ملوك الترك بقلعة الجبل من المظالم التى سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية وتعرف اليوم بالمكوس فذلك الرجس النجس الذى هو أقبح المعاصى والذنوب الموبقات لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده وتكرر ذلك منه وانتهاكه للناس وأخذ أموالهم بغير حقها وصرفها في غير وجهها وذلك الذى لا يقربه متق وعلى آخذه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * ولنرجع الى الكلام فى المقس فنقول من الناس من يسميه المقسم بالميم بعد السين قال ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة وسمعت من يقول أنه المقسم قيل لان قسمة الغنائم عند الفتوح كانت به ولم أره مسطوراً وقال العماد محمد بن أبى الفرج محمد ابن حامد الكاتب الاصفهاني في كتاب سنا البرق الشامى وجلس الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب في البرج الذى بجوار جامع المقسم في السابع والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وهذا المقسم على شاطيء النيل يزار وهناك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذى قسمت فيه الغنائم عند استيلاء الصحابة رضى الله عنهم على مصر فلما أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بادارة السور على مصر والقاهرة

---

(١) (قوله كان عشارا باليمن) ينافي ماتقدم عن يحيى بن سعيد من انه كان على مكس مصر فلعله ولى المحلين فليحرر اه

تولى ذلك الامير بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التى تلى القاهرة عند المقسم وبني فيه برجا مشرفا على النيل وبني مسجداً جامعاً واتصلت العمارة منه الى البلد وجامعه تقام فيه الجمعة والجماعات وهذا البرج عرف بقلعة قراقوش وما برح هنالك الى أن هدمه الصاحب الوزير شمس الدين عبدالله المقسى وزير الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون في سنة بضع وسبعين وسبعمائة عند ما جدد جامع المقس الذى أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله فصار يعرف بجامع المقسى هذا الى اليوم وما برح جامع المقس هذا يشرف على النيل الاعظم الى ما بعد سنة سبعمائة بعدة أعوام * قال جامع السيرة الطولونية وركب أحمد بن طولون في غداة باردة الى المقس فأصاب بشاطئ النيل صيادا عليه خلق لا يواريه منه شيء ومعه صبي له في مثل حاله وقد ألقى شبكته فى البحر فلما رآه رق لحاله وقال يا نسيم ادفع الى هذا عشرين ديناراً فدفعها اليه ولحق ابن طولون فسار أحمد بن طولون ولم يبعد ورجع فوجد الصياد ميتاً والصبي يبكى ويصيح فظن ابن طولون أن بعض سودانه قتله وأخذ الدنانير منه فوقف بنفسه عليه وسأل الصبى عن أبيه فقال له هذا الغلام وأشار الى نسيم الخادم دفع الى أبى شيئاً فلم يزل يقلبه حتي وقع ميتاً فقال فتشه يا نسيم فنزل وفتشه فوجد الدنانير معه بحالها فحرض الصبي أن يأخذها فأبى وقال هذه قتلت أبى وان أخذتها قتلتنى فأحضر ابن طولون قاضى المقس وشيوخه وأمرهم أن يشتروا للصبي داراً بخمسمائة دينار تكون لها غلة وأن تحبس عليه وكتب اسمه في أصحاب الجرايات وقال أنا قتلت أباه لان الغني يحتاج الي تدريج والا قتل صاحبه هذا كان يجب أن يدفع اليه دينار بعد دينار حتي تأتيه هذه الجملة على تفرقة فلا تكثر في عينه * وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البيسانى رحمه الله في تعليق المتجددات لسنة سبع وسبعين وخمسمائة وفيه يعنى يوم الثلاثاء لست بقين من المحرم ركب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أعز الله نصره لمشاهدة ساحل النيل وكان قد انحسر وتشمر عن المقس وما يليه وبعد عن السور والقلعة المستجدين بالمقس وأحضر أرباب الخبرة واستشارهم فاشير عليه باقامة الجراريف لرفع الرمال التي قد عارضت جزائرها طريق الماء وسدته ووقفت فيه وكان الافضل بن أمير الجيوش لما ربي قدام دار الملك جزيرة رمل كما هي اليوم أراد أن يقرب البحر وينقل الجزيرة فأشير عليه بأن يبنى مما يلى الجزيرة أنفا خارجا في البحر ليلقى التيار وينقل الرمل فعسر هذا وعظمت غرامته فاشار عليه ابن سيد أن يأخذ قصارى فخار وتثقب ويعمل تحتها رؤس برانخ وتلطخ بالزفت وتكب القصارى عليها وتدفن في الرمل فاذا زاد النيل وركبها نزل من خروق القصارى الى الرؤس فأدارها الماء ومنعتها القصارى أن تنحدر ودامت حركة الرمل بتحريك الماء للرؤس فانتقل الرمل وذكر أن للزفت خاصية في تحويل الرمل قال وفى هذا الوقت احترق

النيل وصار البحر مخايض يقطعها الراجل وتوحل فيه المراكب وتشمر الماء عن ساحل المقس ومصر وربي جزائر رملية أشفق منها على المقياس لئلا يتقلص النيل عنه ويحتاج الى عمل غيره وخشى منها أيضاً على ساحل المقس لكون بنيان الصور كان اتصل بالماء وقد تباعد الآن عن السور وصار المد قوّته من بر الغرب ووقع النظر فى اقامة جراريف لتقطع الجزائر التي رباها البحر وعمل أنوف خارجة في بر الجيزة ليميل بها الماء الى هذا الجانب ولم يتم شيء من ذلك * وقال ابن المتوج فى سنة خمسين وستمائة انتهى النيل فى احتراقه الى أربعة أذرع وسبعة عشر أصبعاً وانتهى في زيادته الى ثمانية عشر ذراعا وكان مثل ذلك في دولة الملك الاشرف خليل بن قلاون وكان نيلا عظيما سد فيه باب المقس يعنى الباب الذى يعرف اليوم بباب البحر عند المقس وفي سنة اثنتين وستين وستمائة أحضر الى الملك الظاهر بيبرس طفل وجد ميتاً بساحل المقس له رأسان وأربعة أعين وأربعة أرجل وأربعة ايد وأخبرني وكيل أبى الشيخ المعمر حسام الدين حسين بن عمر السهروردى رحمه الله ومولده سنة اثنتين وسبعمائة بالمقس انه يعرف باب البحر هذا اذا خرج منه الانسان فانه يرى بر الجيزة لا يحول بينه وبينها حائل فاذا زاد ماء النيل صار الماء عند الوكالة التى هي الآن خارج باب البحر المعروفة بوكالة الجبن واذا كان أيام احتراق النيل بقيت الرمال تجاه باب البحر وذلك قبل أن يحفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري فلما حفر الخليج المذكور أنشأ الناس البساتين والدور كما يجيء ان شاء الله تعالى ذكره وأدركنا المقس خطة في غاية العمارة بها عدة أسواق ويسكنها أمم من الاكراد والاجناد والكتاب وغيرهم وقد تلاشت من بعد سنة سبع وسبعين وسبعمائة عند حدوث الغلاء بمصر في أيام الملك الاشرف شعبان ابن حسين فلما كانت المحن منذ سنة ست وثمانمائة خربت الاحكار والمقس وغيره وفيه الى الآن بقية صالحة وبه خمسة جوامع تقام بها الجمعة وعدة أسواق ومعظمه خراب

(ذكر ميدان القمح)

هذا المكان خارج باب القنطرة يتصل من شرقيه بعدوة الخليج ومن غربيه بالمقس وبعضهم يسميه ميدان الغلة وكان موضعاً للغلال أيام كان المقس ساحل القاهرة وكانت صبر القمح وغيره من الغلال توضع من جانب المقس الى باب القنطرة عرضاً وتقف المراكب من جامع المقس الى منية الشيرج طولا ويصير عند باب القنطرة في أيام النيل من مراكب الغلة وغيرها ما يستر الساحل كله * قال ابن عبد الظاهر المكان المعروف بميدان الغلة وما جاوره الى ما وراء الخليج لما ضعف أمر الخلافة وهجرت الرسوم القديمة من التفرج في اللؤلؤة وغيرها بنت الطائفة الفرحية الساكنون بالمقس لانهم ضاق بهم المقس قبالة اللؤلؤة حارة سميت بحارة اللصوص بسبب تعديهم فيها مع غيرهم الى أن غيروا تلك المعالم وقدكان

ذلك قديما بستاناً سلطانياً يسمى بالمقسي أمر الظاهر بن الحاكم بنقل أنشابه وحفره وجعله بركة قدام اللؤلؤة مختلطة بالخليج وكان للبستان المقدم ذكره ترعة من البحر يدخل منها الماء اليه وهو خليج الذكر الآن فامر بابقائها على حالها مسلطة على البركة والخليج يستنقع الماء فيها فلما نسي ذلك على ما ذكرناه عمد المذكورون وغيرهم الى اقتطاع البركة من الخليج وجعلوا بينها وبين الخليج جسراً وصار الماء يصل اليها من الترعة دون الخليج وصارت منتزها للسودان المذكورين فى أيام النيل والربيع ولما كانت الايام الآمرية أحب اعادة النزهة فتقدم وزيره المأمون بن البطائحي باحضار عرفاء السودان المذكورين وأنكر عليهم ذلك فاعتذروا بكثرة الرمال فامر بنقل ذلك وأعطاهم انعاما فبنوا حارة بالقرب من دار كافور التي أسكنت بها الطائفة المأمونية قبالة بستان الوزير ومن المساجد الثلاثة المعلقة في شرقيها ثم أحضر الابقار من البساتين والعدد والآلات ونقض الجسر الذى بين البركة والخليج وعمق البركة الى أن صار الخليج مسلطا عليها قال مؤلفه رحمه الله تعالى هذه البركة عرفت ببطن البقرة وقد ذكر خبرها عند ذكر البرك من هذا الكتاب وقد صار هذا الميدان اليوم سوقا تباع فيه القشة من النحاس العتيق والحصر وغير ذلك وفي بعضه سوق الغزل وبه جامع يشرف على الخليج وسكن هناك طائفة من المشارقة الحياك وفيه سوق عامر بالمعايش

(ذكر أرض الطبالة)

هذه الارض على جانب الخليج الغربى بجوار المقس كانت من أحسن منتزهات القاهرة يمر النيل الاعظم من غربيها عند ما يندفع من ساحل المقس حيث جامع المقس الآن الى أن ينتهي الى الموضع الذى يعرف بالجرف على جانب الخليج الناصرى بالقرب من بركة الرطلى ويمر من الجرف الى غربي البعل فتصير أرض الطبالة نقطة وسط من غربيها النيل الاعظم ومن شرقيها الخليج ومن قبليها البركة المعروفة ببطن البقرة والبساتين التي آخرها حيث الآن باب مصر بجوار الكبارة وحيث المشهد النفيسى ومن بحريها أرض البعل ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمس وجوه وقبة الهواء فكانت رؤية هذه الارض شيئاً عجيبا فى أيام الربيع وفيها يقول سيف الدين على بن قزل المشد

الى طبالة يعزون أرضا * لها من سندس الريحان بسط
وقد كتب الشقيق بها سطوراً * وأحسن شكلها للطل نقط
رياض كالعرائس حين تجلي * يزين وجهها تاج وقرط

وانما قيل لها أرض الطبالة لان الامير أبا الحارث ارسلان البساسيرى لما غاضب الخليفة القائم بأمر الله العباسى وخرج من بغداد يريد الانتماء الى الدولة الفاطمية بالقاهرة

أمده الخليفة المستنصر بالله ووزيره الناصر لدين الله عبد الرحمن البازورى حتى استولى على بغداد وأخذ قصر الخلافة وأزال دولة بنى العباس منها وأقام الدولة الفاطمية هناك وسير عمامة القائم وثيابه وشباكه الذى كان اذا جلس يستند اليه وغير ذلك من الاموال والتحف الى القاهرة فى سنة خمسين وأربعمائة فلما وصل ذلك الى القاهرة سر الخليفة المستنصر سروراً عظيما وزينت القاهرة والقصور ومدينة مصر والجزيرة فوقفت نسب طبالة المستنصر وكانت امرأة مرجلة تقف تحت القصر في المواسم والاعياد وتسير أيام الموكب وحولها طائفتها وهى تضرب بالطبل وتنشد فأنشدت وهى واقفة تحت القصر

يا بنى العباس ردوا * ملك الامر معد * ملككم ملك معار * والعوارى تسترد

فأعجب المستنصر ذلك منها وقال لها تمنى فسألت أن تقطع الارض المجاورة للمقس فأقطعها هذه الارض وقيل لها من حينئذ أرض الطبالة وأنشأت هذه الطبالة تربة بالقرافة الكبري تعرف بتربة نسب قال ابن عبد الظاهر أرض الطبالة منسوبة الى امرأة مغنية تعرف بنسب وقيل بطرب مغنية المستنصر قال فوهبها هذه الارض المعروفة بأرض الطبالة وحكرت وبنيت آدرا وبيوتا وكانت من ملح القاهرة وبهجتها انتهى ثم ان أرض الطبالة خربت في سنة ست وتسعين وستمائة عند حدوث الغلاء والوباء في سلطنة الملك العادل كتبغا حتي لم يبق فيها انسان يلوح وبقيت خراباً الى ما بعد سنة احدى عشرة وسبعمائة فشرع الناس فى سكناها قليلا قليلا فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة كانت هذه الارض بيد الامير بكتمر الحاجب فما زال بالمهندسين حتى مروا بالخليج من عند الجرف على بركة الطوابين التى تعرف اليوم ببركة الحاجب وبركة الرطلى فمروا به من هناك حتي صب في الخليج الكبير من آخر أرض الطبالة فعمر الامير بكتمر المذكور هناك القنطرة التي تعرف بقنطرة الحاجب على الخليج الناصري وأقام جسرا من القنطرة المذكورة الى قريب من الجرف فصار هذا الجسر فاصلا بين بركة الحاجب والخليج الناصرى وأذن للناس في تحكيره فبنوا عليه وعلى البركة الدور وعمرت بسبب ذلك أرض الطبالة وصار بها عدة حارات منها حارة العرب وحارة الاكراد وحارة البزازرة وحارة العياطين وغير ذلك وبقى فيها عدة أسواق وحمام وجوامع تقام بها الجمعة وأقبل الناس على التنزه بها أيام النيل والربيع وكثرت الرغبات فيها لقربها من القاهرة وما برحت على غاية من العمارة الى أن حدث الغلاء في سنة سبع وسبعين وسبعمائة أيام الاشرف شعبان بن حسين فخرب كثير من حارات أرض الطبالة وبقيت منها بقية الى أن دثرت منذ سنة ست وثمانمائة وصارت كيماناً وبقى فيها من العامر الآن الاملاك المطلة على البركة التي ذكرت عند ذكر البرك من هذا الكتاب وفيها بقعة تعرف بالجنينة تصغير جنة من أخبث بقاع الارض يعمل

فيها بمعاصي الله عز وجل وتعرف ببيع الحشيشة التي يبتلعها أراذل الناس وقد فشت هـذه الشجرة الخبيثة في وقتنا هـذا فشوا زائدا وولع بها أهل الخلاعة والسخف ولوعا كثيرا وتظاهروا بها من غير احتشام بعد ما أدركناها تعد من أرذل الخبائث وأقبح القاذورات وما شيء في الحقيقة أفسد لطباع البشر منها ولاشتهارها في وقتنا هذا عند الخاص والعام بمصر والشام والعراق والروم تعين ذكرها والله تعالى أعلم

(ذكر حشيشة الفقراء)

قال الحسن بن محمد في كتاب السوانح الادبية في مدائح القنبية سألت الشيخ جعفر بن محمد الشيرازي الحيدري ببلدة تستر في سنة ثمان وخمسين وستمائة عن السبب في الوقوف على هـذا العقار ووصوله الى الفقراء خاصة وتعديه الى العوام عامة فذكر لى أن شيخه شيخ الشيوخ حيدرا رحمه الله كان كثير الرياضة والمجاهدة قليل الاستعمال للغذاء قد فاق في الزهادة وبرز في العبادة وكان مولده بنشاور من بلاد خراسان ومقامه بجبل بين نشاور ومارماه وكان قد اتخذ بهذا الجبل زاوية وفي صحبته جماعة من الفقراء وانقطع في موضع منها ومكث بها أكثر من عشر سنين لا يخرج منها ولا يدخل عليه أحد غيرى للقيام بخدمته قال ثم ان الشيخ طلع ذات يوم وقد اشتد الحر وقت القائلة منفردا بنفسه الى الصحراء ثم عاد وقد علا وجهه نشاط وسرور بخلاف ماكنا نعهده من حاله قبل وأذن لاصحابه في الدخول عليه وأخذ يحادثهم فلما رأينا الشيخ على هذه الحالة من المؤانسة بعد اقامته تلك المدة الطويلة في الخلوة والعزلة سألناه عن ذلك فقال بينما أنا في خلوتى اذ خطر ببالى الخروج الى الصحراء منفردا فخرجت فوجدت كل شيء من النبات ساكنا لا يتحرك لعدم الريح وشدة القيظ ومررت بنبات له ورق فرأيته في تلك الحال يميس بلطف ويتحرك من غير عنف كالثمل النشوان فجعلت أقطف منه أوراقا وآكلها فحدث عندى من الارتياح ما شاهدتموه وقوموا بنا حتى أوقفكم عليه لتعرفوا شكله قال فخرجنا الى الصحراء فأوقفنا على النبات فلما رأيناه قلنا هذا نبات يعرف بالقنب فأمرنا أن نأخذ من ورقه ونأكله ففعلنا ثم عدنا الى الزاوية فوجدنا في قلوبنا من السرور والفرح ما عجزنا عن كتمانه فلما رآنا الشيخ على الحالة التي وصفنا أمرنا بصيانة هذا العقار وأخذ علينا الايمان أن لا نعلم به أحدا من عوام الناس وأوصانا أن لا نخفيه عن الفقراء وقال ان الله تعالى قد خصكم بسر هذا الورق ليذهب بأكله همومكم الكثيفة ويجلو بفعله أفكاركم الشريفة فراقبوه فيما أودعكم وراعوه فيما استرعاكم قال الشيخ جعفر فزرعتها بزاوية الشيخ حيدر بعد أن وقفنا على هذا السر في حياته وأمرنا بزرعها حول ضريحه بعد وفاته وعاش الشيخ حيدر بعد ذلك عشر سنين وأنا في خدمته لم أره يقطع أكلها في كل يوم وكان يأمرنا بتقليل الغذاء وأكل

هذه الحشيشة وتوفى الشيخ حيدر سنة ثمان عشرة بزاويته فى الجبل وعمل على ضريحه قبة عظيمة وأتته النذور الوافرة من أهل خراسان وعظموا قدره وزاروا قبره واحترموا أصحابه وكان قد أوصى أصحابه عند وفاته أن يوقفوا ظرفاء أهل خراسان وكبراءهم على هذا العقار وسره فاستعملوه قال ولم تزل الحشيشة شائعة ذائعة في بلاد خراسان ومعاملات فارس ولم يكن يعرف أكلها أهل العراق حتى ورد اليها صاحب هرمز ومحمد بن محمد صاحب البحرين وهما من ملوك سيف البحر المجاور لبلاد فارس في أيام الملك الامام المستنصر بالله وذلك في سنة ثمان وعشرين وستمائة فحملها أصحابهما معهم وأظهروا للناس أكلها فاشتهرت بالعراق ووصل خبرها الى أهل الشام ومصر والروم فاستعملوها قال وفي هذه السنة ظهرت الدراهم ببغداد وكان الناس ينفقون القراضة وقد نسب اظهار الحشيشة الى الشيخ حيدر الاديب محمد بن علي بن الاعمى الدمشقى فى أبيات وهى

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر * معنبرة خضراء مثل الزبرجد
يعاطيكها ظبي من الترك اغيد * يميس على غصن من البان املد
فتحسبها في كفه اذ يديرها * كرقم عذار فوق خد مورد
يرنحها أدنى نسيم تنسمت * فتهفو الى برد النسيم المردد
وتشدو على أغصانها الورق فى الضحي * فيطربها سجع الحمام المغرد
وفيها معان ليس في الخمر مثلها * فلا تستمع فيها مقال مفند
هى البكر لم تنكح بماء سحابة * ولا عصرت يوما برجل ولا يد
ولا عبث القسيس يوما بكأسها * ولا قربوا من دنها كل مقعد
ولا نص في تحريمها عند مالك * ولا حد عند الشافعي وأحمد
ولا أثبت النعمان تنجيس عينها * فخذها بحد المشرفي المهند
وكف أكف الهم بالكف واسترح * ولا تطرح يوم السرور الى غد

وكذلك نسب اظهارها الى الشيخ حيدر الاديب أحمد بن محمد بن الرسام الحلبي فقال

ومهفهف بادى النفار عهدته * لا ألتقيه قط غير معبس
فرأيته بعض الليالى ضاحكا * سهل العريكة ريضا في المجلس
فقضيت منه مآربي وشكرته * اذ صار من بعد التنافر مؤنسى
فأجابني لا تشكرن خلائقى * واشكر شفيعك فهو خمر المفلس
فحشيشة الافراح تشفع عندنا * للعاشقين ببسطها للانفس
واذا هممت بصيد ظبي نافر * فاجهد بأن يرعى حشيش القنبس
واشكر عصابة حيدر اذ أظهروا * لذوى الخلاعة مذهب المتخمس

ودع المعطل للسرور وخاني * من حسن ظن الناس بالمتشمس

وقد حدثني الشيخ محمد الشيرازى القلندرى أن الشيخ حيدرا لم يأكل الحشيشة في عمره البتة وانما عامة أهل خراسان نسبوها اليه لاشتهار أصحابه بها وان اظهارها كان قبل وجوده بزمان طويل وذلك انه كان بالهند شيخ يسمى بيرطن هو أول من أظهر لاهل الهند أكلها ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك ثم شاع أمرها في بلاد الهند حتى ذاع خبرها ببلاد اليمن ثم فشا الى أهل فارس ثم ورد خبرها الى أهل العراق والروم والشام ومصر في السنة التي قدمت ذكرها * قال وكان بيرطن في زمن الاكاسرة وأدرك الاسلام وأسلم وان الناس من ذلك الوقت يستعملونها وقد نسب اظهارها الى أهل الهند على بن مكى في أبيات أنشدنيها من لفظه وهي

الا فاكفف الاحزان عنى مع الضر * بعذراء زفت في ملاحفها الخضر
تجلت لنا لما تحلت بسندس * تجلت عن التشبيه في النظم والنثر
بدت تملأ الابصار نورا بحسنها * فأخجل نور الروض والزهر بالزهر
عروس يسر النفس مكنون سرها * وتصبح في كل الحواس اذا تسرى
فللذوق منها مطعم الشهد رائقا * وللشم منها فائق المسك بالنشر
وفي لونها للطرف أحسن نزهة * يميل الى رؤياه من سائر الزهر
تركب من قان وأبيض فانثنت * تتيه على الازهار عالية القدر
فيكسف نور الشمس حمرة لونها * وتخجل من مبيضه طلعة البدر
علت رتبة في حسنها وكأنها * زبرجد روض جاده وابل القطر
تبدت فأبدت ما أجن من الهوى * وجاءت فولت جند همي والفكر
جميلة اوصاف جليلة رتبة * تعالت فغالى في مدائحها شعرى
فقم فانتف جيش الهم واكفف يد العنا * بهندية امضى من البيض والسمر
بهندية في اصل اظهار أكلها * الى الناس لاهندية اللون كالسمر
تزيل لهيب الهم عنا بأكلها * وتهدى لنا الافراح في السر والجهر

قال وأنا أقول انه قديم معروف منذ أوجد الله تعالى الدنيا وقد كان على عهد اليونانيين والدليل على ذلك ما نقله الاطباء في كتبهم عن بقراط وجالينوس من مزاج هذا العقار وخواصه ومنافعه ومضاره قال ابن جزلة في كتاب منهاج البيان القنب الذى هو ورق الشهدانج منه بستاني ومنه برى والبستاني اجوده وهو حار يابس في الدرجة الثالثة وقيل حرارته في الدرجة الاولى ويقال انه بارد يابس في الدرجة الاولى والبرى منه حار يابس في الدرجة الرابعة قال ويسمى بالكف أنشدني تقى الدين الموصلى

كف كف الهموم بالكف فالكف * شفاء للعاشق المهموم
بابنة القنب الكريمة لا بابـ * ـنة كرم بعد البنت الكروم

قال والفقراء انما يقصدون استعماله مع ما يجدون من اللذة تجفيفا للمنى وفي ابطاله قطع لشهوة الجماع كي لا تميل نفوسهم الى ما يوقع في الزنا وقال بعض الاطباء ينبغي لمن يأكل الشهدانج أو ورقه أن يأكله مع اللوز أو الفستق أو السكر أو العسل أو الخشخاش ويشرب بعده السكنجبين ليدفع ضرره واذا قلى كان أقل لضرره ولذلك جرت العادة قبل أكله أن يقلى واذا أكل غير مقلى كان كثير الضرر وأمزجة الناس تختلف في أكله فمنهم من لا يقدر أن يأكله مضافا الى غيره ومنهم من يضيف اليه السكر أو العسل أو غيره من الحلاوات وقرأت فى بعض الكتب أن جالينوس قال انها تبرئ من التخمة وهى جيدة للهضم وذكر ابن جزلة فى كتاب المنهاج أن بزر شجر القنب البستانى هو الشهدانج وثمره يشبه حب السمنة وهو حب يعصر منه الدهن وحكي عن حنين بن اسحاق أن شجرة البري تخرج فى القفار المنقطعة على قدر ذراع وورقه يغلب عليه البياض وقال يحيي بن ماسويه في كتاب تدبير أبدان الاصحاء أن من غلب على بدنه البلغم ينبغى أن تكون أغذيته مسخنة مجففة كالزبيب والشهدانج وقال صاحب كتاب اصلاح الادوية ان الشهدانج يدر البول وهو عسر الانهضام ردىء الخلط للمعدة قال ولم أجد لازالة الزفر من اليد أبلغ من غسلها بالحشيشة ورأيت من خواصها أن كثيرا من ذوات السموم كالحية ونحوها اذا شمت ريحها هربت ورأيت أن الانسان اذا أكلها ووجد فعلها في نفسه وأحب أن يفارقه فعلها قطر في منخريه شيئاً من الزيت وأكل من اللبن الحامض ومما يكسر قوة فعلها ويضعفه السباحة في الماء الجارى والنوم يبطله * قال مؤلفه رحمه الله تعالى دع نزاهة القوم فما بلى الناس بأفسد من هذه الشجرة لاخلاقهم ولقد حدثنى القاضى الرئيس تاج الدين اسماعيل بن عبد الوهاب ابن الحطباء المخزومي قبل اختلاطه عن الرئيس علاء الدين بن نفيس أنه سئل عن هذه الحشيشة فقال اعتبرتها فوجدتها تورث السفالة والرذالة وكذلك جربنا فى طول عمرنا من عاناها فانه يحط فى سائر أخلاقه الى مالا يكاد أن يبقى له من الانسانية شيء ألبتة وقد قال ابن البيطار في كتاب المفردات ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب الهندي ولم أره بغير مصر ويزرع في البساتين ويقال له الحشيشة عندهم أيضاً وهو يسكر جدا اذا تناول منه الانسان قدر درهم أو درهمين حتي ان من أكثر منه يخرجه الى حد الرعونة وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال الى الجنون وربما قتلت ورأيت الفقراء يستعملونها على أنحاء شتي فمنهم من يطبخ الورق طبخاً بليغا ويدعكه باليد دعكا جيدا حتى يتعجن ويعمل منه أقراصاً ومنهم من يجففه قليلا ثم يحمصه ويفركه باليد ويخلط به قليل سمسم مقشور وسكر

ويستفه ويطيل مضغه فانهم يطربون عليه ويفرحون كثيراً وربما أسكرهم فيخرجون به الى الجنون أو قريب منه وهذا ماشاهدته من فعلها واذا خيف من الا كثار منه فليبادر الى القئ بسمن وماء سخن حتى تنقى منه المعدة وشراب الحماض لهم في غاية النفع فانظر كلام العارف فيها واحذر من افساد بشريتك وتلاف أخلاقك باستعمالها ولقد عهدناها وما يرمى بتعاطيها الا أراذل الناس ومع ذلك فيأنفون من انتسابهم لها لما فيها من الشنعة وكان قد تتبع الامير سودون الشيخوني رحمه الله الموضع الذى يعرف بالجنينة من أرض الطبالة وباب اللوق وحكر واصل ببولاق وأتلف ماهنا لك من هذه الشجرة الملعونة وقبض على من كان يتلعها من أطراف الناس ورذلائهم وعاقب على فعلها بقلع الاضراس فقلع أضراس كثير من العامة فى نحو سنة ثمانين وسبعمائة وما برحت هذه الخبيثة تعد من القاذورات حتى قدم سلطان بغداد أحمد بن أويس فاراً من تيمورلنك الى القاهرة فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة فتظاهر أصحابه بأكلها وشنع الناس عليهم واستقبحوا ذلك من فعلهم وعابوه عليهم فلما سافر من القاهرة الى بغداد وخرج منها ثانياً وأقام بدمشق مدة تعلم أهل دمشق من أصحابه التظاهر بها * وقدم الى القاهرة شخص من ملاحدة العجم صنع الحشيشة بعسل خلط فيها عدة أجزاء مجففة كعرق اللفاح ونحوه وسماها العقدة وباعها بخفية فشاع أكلها وفشا فى كثير من الناس مدة أعوام فلما كان فى سنة خمس عشرة وثمانمائة شنع التجاهر بالشجرة الملعونة فظهر أمرها واشتهر أكلها وارتفع الاحتشام من الكلام بها حتي لقد كادت أن تكون من تحف المترفين وبهذا السبب غلبت السفالة على الاخلاق وارتفع ستر الحياء والحشمة من بين الناس وجهروا بالسوء من القول وتفاخروا بالمعايب وانحطوا عن كل شرف وفضيلة وتحلوا بكل ذميمة من الاخلاق ورذيلة فلولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ولولا الحس لما حكمت عليهم بالحيوانية وقد بدا المسخ فى الشمائل والاخلاق المنذر بظهوره على الصور والذوات عافانا الله تبارك وتعالى من بلائه وأرض الطبالة الآن بيد ورثة الحاجب

(ذكر أرض البعل والتاج)

قال ابن سيده البعل الارض المرتفعة التى لا يصيبها المطر الا مرة واحدة في السنة وقيل البعل كل شجر أو زرع لا يسقى وقيل البعل ماسقته السماء وقد استبعل الموضع والبعل من النخل ما شرب بعروقه من غير سقى ولا ماء سماء وقيل هو ما اكتفى بماء السماء والبعل ما أعطى من الاتاوة على سقى النخل واستبعل الموضع والنخل صار بعلا وأرض البعل هذه بجانب الخليج تتصل بأرض الطبالة كانت بستانا يعرف بالبعل وفيه منظرة أنشأه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وجعل على هذا البستان سورا والى جانب بستان البعل هذا بستان التاج وبستان الخمس وجوه وقد ذكرت مناظر هذه البساتين وما كان فيها

للخلفاء الفاطميين من الرسوم عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وأرض البعل فى هـذا
الوقت مزرعة تجاه قنطرة الاوز التى على الخليج يخرج الناس للتنزه هنـاك أيام النيل وأيام
الربيع وكذلك أرض التاج فانها اليوم قد زالت منها الاشجار واستقرت من أراضى المنية
الخراجية وفي أيام النيل ينبت فيها نبات يعرف بالبشنين له ساق طويل وزهره شبه اللينوفر
واذا أشرقت الشمس انفتح فصار منظراً أنيقا واذا غربت الشمس انضم ويذكر أن من
العصافير نوعا صغيرا يجلس العصفور منه في داخل البشنينة فاذا أقبل الليل انضمت عليه وغطست
فى الماء فبات فى جوفها آمنا الى أن تشرق الشمس فتصعد البشنينة وتنفتح فيطير العصفور
وهو شيء مابرحنا نسمعه وهذا البشنين يصنع من زهره دهن يعالج به في البرسام وترطيب
الدماغ فينجع وأصله يعرف بالبيارون يجمعه الاعراب ويأكلونه نيأ ومطبوخا وهو يميل
الى الحرارة يسيرا ويزيد في الباه ويسخن المعدة ويقويها ويقطع الزحير ذكر ذلك ابن البيطار
فى كتاب المفردات وفي أيام الربيع تزرع هذه الاراضى فتذكر بحسنها ونضارتها جنة الخلد
التي وعد المتقون وأدركت بهذه الارض بقايا نخل وأشجار وقد تلفت

(ذكر ضواحي القاهرة)

قال ابن سيده ضواحي كل شيء نواحيه البارزة للشمس والضواحي من النخل ما كان خارج
السور على صفة عالية لانها تضحي للشمس وفى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم لاهل بدر
لكم الصامتة من النخل ولنا الضاحية من البعل يعنى بالصامتة ما أطاف به سور المدينة وضواحي
الروم ما ظهر من بلادهم وبرز ويقال فى زماننا لما خرج عن القاهرة مما هو فى جنبتي الخليج
من القرى ضواحى القاهرة وقد عرفت أصل ذلك من اللغة وتعرف البلاد التي من الضواحي
فى غربى الخليج بالحبس الجيوشي وهى بهتين والاميرية والمنية وكان أيضاً بناحية الجيزة من
جملة الحبس الجيوشى ناحية سفط ونهيا ووسيم حبس هذه البلاد أمير الجيوش بدر الجمالى
على عقبه * فلما زالت الدولة الفاطمية جعـل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر
الاسطول لاخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب وسلمه له فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة وأفرد
لديوان الاسطول من الابواب الديوانية الزكاة التى كانت تجبى من النـاس بمصر والحبس
الجيوشى بالبرين والنطرون والخراج وما معه من ثمن القرظ وساحل السنط والمراكب
الديوانية واشناوطنتدى وأحيل ورثة أمير الجيوش على غير الحبس الذى لهم ثم أفتى الفقهاء
ببطلان الحبس وقبضت النواحي وصارت من جملة أموال الخراج فعرفت ببلاد الملك وهذه
الضواحى الآن منها ماهو وقف ومنها ماهو في الديوان السلطانى وخراجها يتميز على غيرها
من النواحى ويزرع أكثرها من الكتان والمقاثى وغيرها

(ذكر منية الامراء)

قال ياقوت فى كتاب المشترك المنية ثلاثة وأربعون موضعا وجميعها بمصر غير واحدة وبمصر من القرى المسماة بهذا الاسم ما يقارب المائتين قال ومنية الشيرج ويقال لها منية الامير ومنية الامراء بليدة فيها أسواق على فرسخ من القاهرة فى طريق الاسكندرية وذكر الشريف محمد ابن اسعد الجوانى النسابة أن قتلي أهل الشام الذين قتلوا فى وقعة الخندق بين مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن جحدم أمير مصر فى سنة خمس وستين من الهجرة دفنوا حيث موضع منية الشيرج هذه وكانوا نحوا من الثمانمائة * وقال ابن عبد الظاهر منية الامراء من الحبس الجيوشى الشرقي الذى كان حبسه أمير الجيوش ثم ارتجع وفى كل سنة يأكل البحر منها جانبا ويجدد جامعها ودورها حتي صار جامعها القديم ودورها فى بر الجيزة وغلب البحر عليها وهذه المنية من محاسن منتزهات القاهرة وكانت قد كثرت العمائر بها واتخذها الناس منزل قصف ودار لعب ولهو ومغنى صبابات وبها كان يعمل عيد الشهيد الذى تقدم ذكره عند ذكر النيل من هذا الكتاب لقربها من ناحية شبرا وبها سوق في كل يوم أحد يباع فيه البقر والغنم والغلال وهو من أسواق مصر المشهورة وأكثر من كان يسكن بها النصارى وكانت تعرف بعصر الخمر وبيعه حتي انه لما عظمت زيادة ماء النيل فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكانت الغرقة المشهورة وغرقت شبرا والمنية تلف فيها من جرار الخمر ما ينيف على ثمانين ألف جرة مملوأة بالخمر وباع نصرانى واحد مرة في يوم عيد الشهيد بها خمرا باثني عشر ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو الستمائة دينار وكسر منها الامير يلبغا السالمي في صفر سنة ثلاث وثمانمائة ما ينيف على أربعين ألف جرة مملوأة بالخمر وما برحت تغرق في الانيال العالية الى أن عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة الجسر من بولاق الى المنية كما ذكر عند ذكر الجسور من هذا الكتاب فأمن أهلها من الغرق وأدركناها عامرة بكثرة المساكن والناس والاسواق والمناظر وتقصد للنزهة بها أيام النيل والربيع لا سيما فى يومي الجمعة والاحد فانه كان للناس بها فى هذين اليومين مجتمع ينفق فيه مال كثير ثم لما حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة ألح المناسر بالهجوم عليها فى الليل وقتلوا من أهلها عدة فارتحل الناس منها وخلت أكثر دورها وتعطلت حتي لم يبق بها سوى طاحون واحدة لطحن القمح بعد ما كان بها ما ينيف على ثمانين طاحونة وبها الآن بقية وهى جارية في الديوان السلطاني المعروف بالمفرد

(ذكر كوم الريش)

هذا اسم لبلد فيما بين أرض البعل ومنية الشيرج كان النيل يمر بغربيها بعد مروره بغربى أرض البعل وأدركت آثار الجروف باقية من غربى البعل وغربى كوم الريش الى أطراف المنية

حتى تغيرت الاحوال من بعد سنة ست وثمانمائة ففاض ماء النيل في ايام الزيادة ونزل فى الدرب الذي كان يسلك فيه من أرض الطبالة الى المنية فانقطع هذا الدرب وترك الناس سلوكه وكان كوم الريش من أجل منتزهات القاهرة ورغب أعيان الناس في سكناها للتنزه بها * وأخبرني شيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم الحنفى وخال أبي تاج الدين اسماعيل بن أحمد ابن الخطباء انهما أدركا بكوم الريش عدة أمراء يسكنون فيها دائماً وانه كان من جملة من يسكن فيها دائماً نحو الثمانمائة من الجند السلطاني وأنا أدركت بها سوقاً عامراً بالمعايش بأنواعها من المآكل لا أعرف اليوم بالقاهرة مثله في كثرة المآكل وأدركت بها حماما وجامعين تقام بهما الجمعة وموقف مكارية ومنارة لا يقدر الواصف أن يعبر عن حسنها لما اشتملت عليه من كل معنى رائق بهيج وما برحت على ذلك الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فطرقها أنواع الرزايا حتى صارت بلاقع وجهلت طرقها وتغيرت معاهدها ونزل بها من الوحشة ما أبكاني وأنشدت في رؤيتها عند ما شاهدتها خرابا

قفرا كأنك لم تكن تلهو بها * فى نعمة وأوانس أتراب

وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد

(ذكر بولاق)

قد تقدم فى غير موضع من هذا الكتاب أن ساحل النيل كان بالمقس وأن الماء انحسر بعد سنة سبعين وخمسمائة عن جزيرة عرفت بجزيرة الفيل وتقلص ماء النيل عن سور القاهرة الذي ينتهي الى المقس وصارت هناك رمال وجزائر ما من سنة الا وهي تكثر حتى بقي ماء النيل لا يمر بها الا أيام الزيادة فقط وفى طول السنة ينبت هناك البوص والحلفاء وتنزل المماليك السلطانية لرمي النشاب في تلك التلال الرمل فلما كان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة رغب الناس في العمارة بديار مصر لشغف السلطان الملك الناصر بها ومواظبته عليها فكأنما نودي في القاهرة ومصر أن لا يتأخر أحد من الناس عن انشاء عمارة وجدّ الامراء والجند والكتاب والتجار والعامة في البناء وصارت بولاق حينئذ تجاه بولاق التكرور يزرع فيها القصب والقلقاس على ساقية تنقل الماء من النيل حيث جامع الخطيرى الآن فعمر هناك رجل من التجار منظرة وأحاط جدارا على قطعة أرض غرس فيها عدة أشجار وتردد اليها للنزهة فلما مات انتقلت الى ناصر الدين محمد بن الجوكندار فعمر الناس بجانبها دوراً على النيل وسكنوا ورغبوا في السكنى هناك فامتدت المناظر على النيل من الدار المذكورة الى جزيرة الفيل وتفاخروا في انشاء القصور العظيمة هناك وغرسوا من ورائها البساتين العظيمة وأنشأ القاضى ابن المغربى رئيس الاطباء بستانا اشتراه منه القاضى كريم الدين ناظر الخاص للامير سيف الدين طشتمر الساقى بنحو مائة ألف درهم فضة وكثر

التنافس بين الناس في هـذه الناحية وعمروها حتى انتظمت العمارة فى الطول على حافة النيل من منية الشيرج الى موردة الحلفاء بجوار الجامع الجديد خارج مصر وعمر في العرض على حافة النيل الغربية من تجاه الخندق بحرى" القاهرة الى منشاة المهرانى وبقيت هذه المسافة العظيمة كلها بساتين وأحكارا عامرة بالدور والاسواق والحمامات والمساجد والجوامع وغيرها وبلغت بساتين جزيرة الفيـل خاصة ماينيف على مائة وخمسين بستانا بعد ما كانت فى سـنة احدي عشرة وسبعمائة نحو العشرين بسـتانا وأنشأ القاضى الفاضل جلال الدين القزويني" وولده عبدالله دارا عظيمة على شاطئ النيل بجزيرة الفيـل عند بستان الامير ركن الدين بيبرس الحاجب وأنشأ الامير عز الدين الخطيرى جامعه ببولاق على النيل وأنشأ بجواره ربعين وأنشأ القاضى شرف الدين بن زنبور بستانا وأنشأ القاضى فخر الدين المعروف بالفخر ناظر الجيش بستانا وحكر الناس حول هذه البساتين وسكنوا هناك ثم حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى سنة خمس وعشرين وسبعمائة فعمر الناس على جانبي هذا الخليج وكان أول من عمر بعد حفر الخليج الناصري المهاميزي أنشأ بستانا ومسجدا هما موجودان الى اليوم وتبعه الناس فى العمارة حتي لم يبق فى جميع هذه المواضع مكان بغير عمارة وبقى من يمر بها يتعجب اذ ما بالعهد من قدم بينا هى تلال رمل وحلافي اذ صارت بساتين ومناظر وقصورا ومساجد وأسواقا وحمامات وأزقة وشوارع وفي ناحية بولاق هذه كان خص الـكيالة الذى يؤخذ فيه مكس الغلة الى أن أبطله الملك الناصر محمد بن قلاوون كما ذكر في الروك الناصرى من هذا الـكتاب ولما كانت سنة ست وثمانمائة انحسر ماء النيل عن ساحل بولاق ولم يزل يبعد حتى صار على ما هو عليه الآن وناحية بولاق الآن عامرة وتزايدت العمائر بها وتجدد فيها عدة جوامع وحمامات ورباع وغيرها

(ذكر ما بين بولاق ومنشأة المهراني)

وكان فيما بين بولاق ومنشأة المهرانى خط فم الخور وخط حكر ابن الاثـير وخط زريبة قوصون وخط الميدان السلطانى بموردة الملح وخط منشأة الـكتبة * فأما فم الخور فـكان فيه من المناظر الجليلة الوصف عدة تشرف على النيل ومن ورائها البساتين ويفصل بين البساتين والدور المطلة على النيل شارع مسلوك وأنشئ هناك حمام وجامع وسوق وقد تقدم ذكر الخور وأنشأ هناك القاضى علاء الدين بن الاثير دارا على النيـل وكان اذ ذاك كاتب السر وبني الناس بجواره فعرف ذلك الخط بحكر ابن الاثير واتصلت العمارة من بولاق الى فم الخور ومن فم الخور الي حكر ابن الاثير وما برح فيه من مساكن الاكابر من الوزراء والاعيان ومن الدور العظيمة ما يتجاوز الوصف * وأما الزريبة فان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما وهب البستان الذى كان بالميدان الظاهرى للامير قوصون أنشأ قدامه

على النيل زريبة ووقفها فعمر الناس هناك حتى انتظمت العمارة من حكر ابن الاثير الى الزريبة وعمر هناك حمام وسوق كبير وطواحين وعدة مساكن اتصلت باللوق * وأما زريبة السلطان فان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما عمر ميدان المهارى المجاور لقناطر السباع الآن أنشأ زريبة في قبلي الجامع الطيبرسي وحفر لاجل بناء هـذه الزريبة البركة المعروفة الآن بالبركة الناصرية حتى استعمل طينها في البناء وأنشأ فوق هـذه الزريبة دار وكالة وربعين عظيمين جعل أحدهما وقفا على الخانقاه التي أنشأها بناحية سرياقوس وأنعم بالآخر على الامير بكتمر الساقى فانشأ الامير بكتمر بجواره حمامين احداهما برسم الرجال والاخرى برسم النساء فكثر بناء الناس فيما هنالك حتى اتصلت العمارة من بحرى الجامع الطيبرسي بزريبة قوصون وصار هناك أزقة وشوارع ودروب ومساكن من وراء المناظر المطلة على النيل تتصل بالخليج وأكثر الناس من البناء في طريق الميدان السلطانى فصارت العمائر منتظمة من قناطر السباع الى الميدان من جهاته كلها وتنافس الناس في تلك الاماكن وتغالوا في أجرها وعمر المكين ابراهيم بن قزوينة ناظر الجيش في قبلي زريبة السلطان حيث كان بستان الحشاب دارا جليلة وعمر أيضاً صلاح الدين الكحال والصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام وعدة من الكتاب فقيل لهذه الخطة منشأة الكتاب وأنشأ فيها الصاحب أمين الدين خانقاه بجوار داره وعمر أيضاً كريم الدين الصغير حتى اتصلت العمارة بمنشأة المهرانى فصار ساحل النيل من خط دير الطين قبلى مدينة مصر الى منية الشيرج بحرى القاهرة مسافة لا تقصر عن أزيد من نصف بريد بكثير كلها منتظمة بالمناظر العظيمة والمساكن الجليلة والجوامع والمساجد والخوانك والحمامات وغيرها من البساتين لا تجد فيما بين ذلك خرابا ألبتة وانتظمت العمارة من وراء الدور المطلة على النيل حتى أشرفت على الخليج فبلغ هـذا البر الغربى من وفور العمارة وكثرة الناس وتنافسهم في الاقبال على اللذات وتأنقهم فى الانهماك فى المسرات ما لا يمكن وصفه ولايتأتى شرحه حتى اذا بلغ الكتاب أجله وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة وتقاص ماء النيل عن البر الشرقي وكثرت حاجات الناس وضروراتهم وتساهل قضاة المسلمين في الاستبدال فى الاوقاف وبيع نقضها اشترى شخص الربعين والحمامين ودار الوكالة التي ذكرت على زريبة السلطان بجوار الجامع الطيبرسى في سنة سبع وثمانمائة وهدم ذلك كله وباع أنقاضه وحفر الاساسات واستخرج ما فيها من الحجر وعمله جيرا فنال من ذلك ربحا كثيرا وتتابع الهدم في شطيء النيل وباع الناس أنقاض الدور فرغب في شرائها الامراء والاعيان وطلاب الفوائد من العامة حتى زال جميع ما هنالك من الدور العظيمة والمناظر الجليلة وصار الساحل من منشأة المهرانى الى قريب من بولاق كيمانا موحشة وخرائب مقفرة كأن لم تكن مغني

صبابات وموطن أفراح وملعب أتراب ومرتع غزلان تفتتن النساك هناك وتعيد الحليم سفيها سنة الله في الذين خلوا من قبل واني اذا تذكرت ما صارت اليه أنشد قول عبد الله بن المعتز

سلام على تلك المعاهد والربا * سلام وداع لا سلام قدوم

وصار بهذا العهد ما بين أول بولاق من قبليه الى أطراف جزيرة الفيل عامراً من غربيه المفضي الى النيل ومن شرقيه الذي ينتهي الى الخليج الا أن النيل قد نشأت فيه جزائر ورمال بعد بها الماء عن البر الشرقي وكثر العناء لبعده وفي كل عام تكثر الرمال ويبعد الماء عن البر ولله عاقبة الامور فهذا حال الجهة الغربية من ظواهر القاهرة في ابتداء وضعها والى وقتنا هذا وبقى من ظواهر القاهرة الجهة القبلية والجهة البحرية وفيهما أيضاً عدة أخطاط تحتاج الى شرح وتبيان والله تعالى أعلم بالصواب

(ذكر خارج باب زويلة)

اعلم أن خارج باب زويلة جهتان جهة تلى الخليج وجهة تلى الجبل فأما الجهة التى تلى الخليج فقد كانت عند وضع القاهرة بساتين كلها فيما بين القاهرة الى مصر وعندى فيما ظهر لى أن هذه الجهة كانت فى القديم غامرة بماء النيل وذلك انه لا خلاف بين أهل مصر قاطبة أن الاراضي التى هى من طين ابليز لا تكون الا من أرض ماء النيل فان أرض مصر تربة رملة سبخة وما فيها من الطين طرح بعلوها عند زيادة ماء النيل مما يحمله من البلاد الجنوبية من مسيل الاودية فلذلك يكون لون الماء عند الزيادة متغيرا فاذا مكث على الارض قعد ما كان فى الماء من الطين على الارض فسماه أهل مصر ابليز وعليه تزرع الغلال وغيرها وما لا يشمله ماء النيل من الارض لا يوجد فيه هذا الطين البتة وانت ان عرفت أخبار مصر بتأملك ما تضمنه هذا الكتاب ظهر لك أن موضع جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه كان كروما مشرفة على النيل وأن النيل انحسر بعد الفتح عما كان تجاه الحصن الذى يقال له قصر الشمع وعما هو الآن تجاه الجامع وما زال ينحسر شيئاً بعد شئ حتي صار الساحل بمصر من عند سوق المعاريج الآن الى قريب من السبع سقايات وجميع الاراضى التى فيها الآن المراغة خارج مصر الى نحو السبع سقايات وما يقابل ذلك من بر الخليج الغربى كان غامراً بالماء كما تقدم وكان فى الموضع الذى تجاه المشهد المعروف بزيد وتسميه العامة الآن مشهد زين العابدين بساتين شرقيها عند المشهد النفيسى وغربيها عند السبع سقايات منها بساتين عرفت بجنان بني مسكين وعندها بني كافور الاخشيدى داره على البركة التي تجاه الكبش وتعرف اليوم ببركة قارون ومنها بستان يعرف ببستان ابن كيسان ثم صار صاغة وهو الآن يعرف ببستان الطواشى ومنها بستان عرف آخراً بجنان الحارة وهو من حوض الدمياطي الذى بقرب قنطرة السد

الآن الى السبع سقايات وبقرب السبع سقايات بركة الفيل ويشرف على بركة الفيل بساتين من دائرها والى وقتنا هـذا عليها بستان يعرف بالحبانية وهم بطن من درما بن عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن بعل بن عمرو بن الغوث بن طي فدرما فخـذ من طي والحبانيون بطن من درما وبستان الحبانية فصل الناس بينه وبين البركة بطريق تسلك فيها المارة وكان من شرقي بركة الفيل أيضاً بساتين منها بستان سيف الاسلام فيما بين البركة والجبل الذى عليه الآن قلعة الجبل وموضعه الآن المساكن التى من جملتها درب ابن البابا الى زقاق حلب وحوض ابن هنس وعدة بساتين أخر الى باب زويلة* وكذلك شقة القاهرة الغربيـة كانت أيضاً بساتين فموضع حارة الوزيرية الى الكافورى كان ميـدان الاخشيد وبجانب الميدان بستانه الذى يقال له اليوم الكافورى وما خرج عن باب الفتوح الى منية الاصبغ الذى يعرف اليوم بالخندق كان ذلك كله بساتين على حافة الخليج الشرقية وقـد ذكرت هذه المواضع في هذا الكتاب مبينة وعند التأمل يظهر أن الخليج الكبير عند ابتداء حفره كان أوله اما عند مدينة عين شمس أو من بحريها لأجل أن القطعة التي بجانب هذا الخليج من غربيه والقطعة التي هى بشرقيه فيما بين عين شمس وموردة الحلفاء خارج مدينة فسطاط مصر جميعهما طين ابليز والطين المذكور لايكون الا من حيث يمر ماء النيل فتعـين أن ماء النيل كان في القديم على هذه الارض التي بجانبي الخليج فينتج أن أول الخليج كان عند آخر النيل من الجهة البحرية وينتهى الطين الى نحو مدينة عين شمس من الجانب الشرقى ويصير مابعد الخندق فى الجهة البحرية رملا لاطين فيه وهذا بين لمن تأمله وتدبره وفى هذه الجهة التى تلي الخليج خارج باب زويلة حارات قد ذكرت عند ذكر الحارات من هـذا الكتاب وبقيت هناك أشياء نحتاج أن نعرّف بها وهى * (حوض ابن هنس)* وهو حوض ترده الدواب وينقل اليه الماء من بئر وبه صارت تلك الخطـة تعرف وهى تلى حارة حلب ويسلك اليها من جانبه وهو وقف الامير سعد الدين مسعود بن الامير بدر الدين هنس بن عبد الله أحد الحجاب الخاص فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سلخ شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة وعمل بأعلاه مسجداً مرتفعاً وساقية ماء على بئر معـين ومات يوم السبت عاشر شوال سنة سبع وأربعين وستمائة ودفن بجوار الحوض وكان هذا الحوض قد تعطل في عصرنا فجدده الامير تتر أحد الامراء الكبار في الدولة المؤيدية في سنة احدى وعشرين وثمانمائة ومات هنس أمير جندار السلطان الملك العزيز عثمان في سنة احدى وتسعين وخمسمائة * (مناظر الكبش) * هذه المناظر آثارها الآن على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى مشرفة على البركة التي تعرف اليوم ببركة قارون عند الجسر الاعظم الفاصل بين بركة الفيل وبركة قارون أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك

العادل أبي بكر بن أيوب في أعوام بضع وأربعين وستمائة وكان حينئذ ليس على بركة الفيل بناء ولا فى المواضع التى فى بر الخليج الغربى من قنطرة السباع الى المقس سوى البساتين وكانت الارض التي من صليبة جامع ابن طولون الى باب زويلة بساتين وكذلك الارض التي من قناطر السباع الى باب مصر بجوار الكبارة ليس فيها الا البساتين وهذه المناظر تشرف على ذلك كله من أعلى جبل يشكر وترى باب زويلة والقاهرة وترى باب مصر ومدينة مصر وترى قلعة الروضة وجزيرة الروضة وترى بحر النيل الاعظم وبر الجيزة فكانت من أجل منتزهات مصر وتأنق في بنائها وسماها الكبش فعرفت بذلك الى اليوم وما زالت بعد الملك الصالح من المنازل الملوكية وبها أنزل الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسى لما وصل من بغداد الى قلعة الجبل وبايعه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بالخلافة فأقام بها مدة ثم تحول منها الى قلعة الجبل وسكن بمناظر الكبش أيضاً الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان في أول خلافته وفيها أيضاً كانت ملوك حماه من بنى أيوب تنزل عند قدومهم الى الديار المصرية وأول من نزل منهم فيها الملك المنصور لما قدم على الملك الظاهر بيبرس في المحرم سنة ثلاث وسبعين وستمائة ومعه ابنه الملك الافضل نور الدين على وابنه الملك المظفر تقى الدين محمود فعند ماحل بالكبش أتاه الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى بالسماط فمدّه بين يديه ووقف كما يفعل بين يدي الملك الظاهر فامتنع الملك المنصور من الرضا بقيامه على السماط وما زال به حتي جلس ثم وصلت الخلع والمواهب اليه والى ولده وخواصه وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة أنزل بهذه المناظر نحو ثلثمائة من مماليك الاشرف خليل بن قلاوون عند ماقبض عليهم بعد قتل الاشرف المذكور ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون هدم هذه المناظر المذكورة في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وبناها بناء آخر وأجرى الماء اليها وجدّد بها عدة مواضع وزاد فى سعتها وأنشأ بها اصطبلا تربط فيه الخيول وعمل زفاف ابنته على ولد الامير أرغون نائب السلطنة بديار مصر بعد ماجهزها جهازا عظيما منه بشخاناه وداير بيت وستارات طرز ذلك بثمانين ألف مثقال ذهب مصرى سوى مافيه من الحرير وأجرة الصناع وعمل سائر الاوانى من ذهب وفضة فبلغت زنة الاوانى المذكورة ماينيف على عشرة آلاف مثقال من الذهب وتناهي في هذا الجهاز وبالغ فى الانفاق عليه حتي خرج عن الحد في الكثرة فانها كانت أول بناته ولما نصب جهازها بالكبش نزل من قلعة الجبل وصعد الى الكبش وعاينه ورتبه بنفسه واهتم فى عمل العرس اهتماما ملوكياً وألزم الامراء بحضوره فلم يتأخر أحد منهم عن الحضور ونقط الامراء الاغاني على مراتبهم من أربعمائة دينار كل أمير الى مائتى دينار سوى الشقق الحرير واستمر الفرح ثلاثة أيام بلياليها فذكر الناس حينئذ انه لم يعمل فيما سلف عرس أعظم منه حتى حصل لكل جوقة من جوق

الاغاني اللاتى كن فيه خمسمائة دينار مصرية ومائة وخمسون شقة حرير وكان عدة جوق الاغاني التي قسم عليهن ثمان جوق من أغاني القاهرة سوى جوق الاغاني السلطانية وأغاني الامراء وعدتهن عشرون جوقة لم يعرف ماحصل لهذه العشرين جوقة من كثرة ماحصل ولما انقضت أيام العرس أنعم السلطان لكل امرأة من نساء الامراء بتعبية قماش على مقدارها وخلع على سائر أرباب الوظائف من الامراء والكتاب وغيرهم فكان مهما عظيما تجاوز المصروف فيه حد الكثرة وسكن هذه المناظر أيضاً الامير صرغتمش في أيام السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وعمر الباب الذى هو موجود الآن وبدني الحجر اللتين بجانبي باب الكبش بالحدرة ثم ان الامير يلبغا العمرى المعروف بالخاصكي سكنه الى أن قتل في سنة ثمان وستين وسبعمائة فسكنه من بعده الامير استدمر الى أن قبض عليه الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وأمر بهدم الكبش فهدم وأقام خراباً لاساكن فيه الى سنة خمس وسبعين وسبعمائة فحكره الناس وبنوا فيه مساكن وهو على ذلك الى اليوم * (خط درب ابن البابا) هذا الخط يتوصل اليه من تجاه المدرسة البندقدارية بجوار حمام الفارقاني ويسلك فيه الى خط واسع يشتمل على عدة مساكن جليلة ويتوصل منه الى الجامع الطولوني وقناطر السباع وغير ذلك وكان هذا الخط بستانا يعرف ببستان أبي الحسين بن مرشد الطائي ثم عرف ببستان نامش ثم عرف أخيراً ببستان سيف الاسلام طفتكين بن أيوب وكان يشرف علي بركة الفيل وله دهاليز واسعة عليها جواسق تنظر الى الجهات الاربع ويقابله حيث الدرب الآن المدرسة البندقدارية وما فى صفها الى الصليبة بستان يعرف ببستان الوزير ابن المغربي وفيه حمام مليحة ويتصل ببستان ابن المغربي بستان عرف أخيراً ببستان شجر الدر وهو حيث الآن سكن الخلفاء بالقرب من المشهد النفيسى ويتصل ببستان شجر الدر بساتين الى حيث الموضع المعروف اليوم بالكبارة من مصر ثم ان بستان سيف الاسلام حكره أمير يعرف بعلم الدين الغتمى فبنى الناس فيه الدور في الدولة التركية وصار يعرف بحكر الغتمى وهو الآن يعرف بدرب ابن البابا وهو الامير الجليل الكبير جنكلى بن محمد بن البابا بن جنكلى بن خليل بن عبد الله بدر الدين العجلى رأس الميمنة وكبير الامراء الناصرية محمد بن قلاون بعد الامير جمال الدين نائب الكرك قدم الى مصر في أوائل سنة أربع وسبعمائة بعد ماطلبه الملك الاشرف خليل بن قلاوون ورغبه في الحضور الى الديار المصرية وكتب له منشوراً باقطاع جيد وجهز اليه فلم يتفق حضوره الا فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان مقامه بالقرب من آمد فاكرمه وعظمه وأعطاه امرة ولم يزل مكرما معظماً وفى آخر وقته بعد خروج الامير أرغون النائب من مصر كان السلطان يبعث اليه الذهب مع الامير بكتمر الساقى وغيره ويقول له لاتبس الارض علي هذا ولاتنزله في ديوانك وكان أولا يجلس

رأس الميمنة ثاني نائب الكرك فلما سار نائب الكرك لنيابة طرابلس جاس الامير جنكلى رأس الميمنة وزوج السلطان ابنه ابراهيم بن محمد بن قلاوون بابنة الامير بدر الدين وما زال معظما في كل دولة بحيث ان الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون كتب له عنه الاتابكي الوالدى البدرى وزادت وجاهته فى أيامه الى أن مات يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجة سنة ست وأربعين وسبعمائة وكان شكلا مليحا حليما كثير المعروف والجود عفيفا لا يستخدم مملوكا أمرد ألبتة واقتصر من النساء على امرأته التي قدمت معه الى مصر ومنها أولاده وكان يحب العلم وأهله ويطارح بمسائل علمية ويعرف ربع العبادات ويجيده ويتكلم على الخلاف فيه ويميل الى الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية ويعادى من يعاديه ويكرم أصحابه ويكتب كلامه مع كثرة الاحسان الى الناس بماله وجاهه وكان ينتسب الى ابراهيم ابن أدهم وهو من محاسن الدولة التركية رحمه الله *(حكر الخازن) هذا المكان فيما بين بركة الفيل وخط الجامع الطولونى كان من جملة البساتين ثم صار اصطبلا للجوق الذى فيه خيول المماليك السلطانية فلما تسلطن الملك العادل كتبغا أخرج منه الخيول وعمله ميداناً يشرف على بركة الفيل في سنة خمس وتسعين وستمائة ونزل اليه ولعب فيه بالاكرة أيام سلطنته كلها الى أن خامه الملك المنصور لاجين وقام فى الملك من بعده فأهمل أمره وعمر فيه الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة بيتا فعرف من حينئذ بحكر الخازن وتبعه الناس فى البناء هناك وأنشأوا فيه الدور الجليلة فصار من أجل الاخطاط وأعمرها واكثر من يسكن به الامراء والمماليك *(سنجر الخازن) الامير علم الدين الاشرفى أحد مماليك الملك المنصور قلاوون وتنقل فى أيام ابنه الملك الاشرف خليل وصار أحد الخزان فعرف بالخازن ثم ولى شد الدواوين مع الصاحب أمين الدين وانتقل منها الى ولاية البهنسا ثم الى ولاية القاهرة وشد الجهات فباشر ذلك بعقل وسياسة وحسن خلق وقلة ظلم ومحبة للستر وتغافل عن مساوى الناس واقالة عثرات ذوى الهيآت مع العصبية والمعرفة وكثرة المال وسعة الحال واقتناء الاملاك الكثيرة ثم انه صرف عن ولاية القاهرة بالامير قدادار فى شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة فوجد الناس من عزله بقدادار شدة وما زال بالقاهرة الى أن مات ليلة السبت ثامن جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة فوجد له أربعة عشر ألف أردب غلة عتيقة وأموال كثيرة وله من الآثار مسجد بناه فوق درب استجده بحكر الخازن وخانقاه بالقرافة دفن فيها عفا الله عنه *(ربع البزادرة) هذا الربع تحت قلعة الجبل بسوق الخيل عمر بعد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وكان مكانه لا عمارة فيه فبنى الاجناد بجواره عدة مساكن واستجدوا حكرين من جواره فامتدت العمائر الى تربة شجر الدر حيث كان البستان المعروف بشجر الدر وهناك الآن سكن الخلفاء وامتدت

العمائر من تربة شجر الدر الى المشهد النفيسي ومروا من تجاه المشهد بالعمائر الى أن اتصلت بعمائر مصر وباب القرافة *(خط قناطر السباع) كان هذا الخط في أول الاسلام يعرف بالحمراء نزل فيه طائفة تعرف ببنى الازرق وبنى روبيل ثم دثرت هذه الخطة وبقيت صحراء فيها ديارات وكنائس للنصارى تعرف بكنائس الحمراء فلما زالت دولة بنى أمية ودخل أصحاب بنى العباس الى مصر فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة نزلوا في هذه الخطة وعمروا بها فصارت تتصل بالعسكر وقد تقدم خبر العسكر في هذا الكتاب فلما خرب العسكر وصار هذا المكان بساتين وغيرها الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون البركة الناصرية وأنشأ ميدان المهارى والزريبة والربعين بجوار الجامع الطيبرسى على شاطئ النيل بنى الناس فى حكر أقبغا واتصلت العمائر من خط السبع سقايات وخط قناطر السباع حتى اتصلت بالقاهرة ومصر والقرافة وذلك كله من بعد سنة عشرين وسبعمائة *(بئر الوطاويط) هذه البئر أنشأها الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابه لينقل منها الماء الى السبع سقايات التى أنشأها وحبسها لجميع المسلمين التي كانت بخط الحمراء وكتب عليها بسم الله الرحمن الرحيم لله الامر من قبل ومن بعد وله الشكر وله الحمد ومنه المن على عبده جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات وما وفقه له من البناء لهذه البئر وجريانها الى السبع سقايات التي أنشأها وحبسها لجميع المسلمين وحبسه وسبله وقفا مؤبدا لا يحل تغييره ولا العدول بشئ من مائه ولا ينقل ولا يبطل ولا يساق الا الى حيث مجراه الى السقايات المسبلة فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وذلك في سنة خمس وخمسين وثلثمائة وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم فلما طال الامر خربت السقايات والى اليوم يعرف موضعها بخط السبع سقايات وبنى فوق البئر المذكورة وتولد فيها كثير من الوطاويط فعرفت ببئر الوطاويط ولما أكثر الناس من بناء الاماكن في أيام الناصر محمد بن قلاون عمر هذا المكان وعرف الى اليوم بخط بئر الوطاويط وهو خط عامر فهذا ما في جهة الخليج مما خرج عن باب زويلة * وأما جهة الجبل فانها كانت عند وضع القاهرة صحراء وأول من أعلم انه عمر خارج باب زويلة من هذه الجهة الصالح طلائع بن رزيك فانه أنشأ الجامع الذي يقال له جامع الصالح ولم يكن بين هذا الجامع وبين هذا الشرف الذي عليه الآن قلعة الجبل بناء البتة الا أن هذا الموضع الآن عمل الناس فيه مقبرة فيما بين جامع الصالح وبين هذا الشرف من حين بنيت الحارات خارج باب زويلة فلما عمرت قلعة الجبل عمر الناس بهذه الجهة شيئاً بعد شيء وما برح من بنى هناك يجد عند الحفر رمم الاموات وقد صارت هذه الجهة في الدولة التركية لا سيما بعد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة من أعمر الاخطاط وأنشأ فيها الامراء الجوامع والدور الملوكية

وتجددت هناك عدة أسواق وصار الشارع خارج باب زويلة يفصل بين هذه الجهة وبين الجهة التي من حد الخليج وكلتا هاتين الجهتين الآن عامرة وفي جهة الجبل خط البسطين وخط الدرب الاحمر وخط سوق الغنم وخط جامع الماردينى وخط التبانة وخط باب الوزير وخط المصنع وخط سويقة العزى وخط مدرسة الجانى وخط الرميلة وخط القبيبات وخط باب القرافة

(ذكر خارج باب الفتوح)

اعلم أن خارج باب الفتوح الى الخندق كان كله بساتين وتمتد البساتين من الخندق بحافتي الخليج الى عين شمس فيقابل باب الفتوح من خارجه المنظرة المقدم ذكرها عند ذكر المناظر التي كانت للخلفاء من هذا الكتاب ويلى هذه المنظرة بستان كبير عرف بالبستان الجيوشى أوله من عندزقاق الكحل الى المطرية ويقابله في بر الخليج الغربى بستان آخر يتوصل اليه من باب القنطرة وينتهى الى الخندق وقد ذكر خبر هذين البستانين عند مناظر الخلفاء وكان بين هذين البساتين بستان الخندق وكان على حافة الخليج من شرقيه فيما بين زقاق الكحل وباب القنطرة حيث المواضع التي تعرف اليوم ببركة جناق وبالكداسين الى قريب من حارة بهاء الدين حارة تعرف بحارة البيازرة اختطت فى نحو من سنة عشرين وخمسمائة وكانت مناظرها تشرف على الخليج وبجوارها بستان مختار الصقلبي وعرف بعد ذلك ببستان ابن صيرم الذي حكر وبنيت فيه المساكن الكثيرة بعد ذلك وكان أيضاً خارج باب الفتوح حارة الحسينية وهم الريحانية احدى طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين وهذه الحارة اختطت بعد الشدة العظمى التي كانت بمصر في خلافة المستنصر فصارت على يمين من خرج من باب الفتوح الى صحراء الهليلج ويقابلها حارة أخرى تنتهي الى بركة الارمن التي عند الخندق وتعرف اليوم ببركة قراجا وقد ذكرت هذه الحارات عند ذكر حارات القاهرة وظواهرها من هذا الكتاب

(ذكر الخندق)

هذا الموضع قرية خارج باب الفتوح كانت تعرف أولا بمنية الاصبغ ثم لما اختط القائد جوهر القاهرة أمر المغاربة أن يحفروا خندقا من جهة الشام من الجبل الى الابليز عرضه عشرة أذرع في عمق مثلها فبدئ به يوم السبت حادى عشرى شعبان سنة ستين وثلثمائة وفرغ فى أيام يسيرة وحفر خندقا آخر قدامه وعمقه ونصب عليه باب يدخل منه وهو الباب الذى كان على ميدان البستان الذى للاخشيد وقصد أن يقاتل القرامطة من وراء هذا الخندق فقيل له من حينئذ الخندق وخندق العبيد والحفرة ثم صار بستانا جليلا من جملة البساتين السلطانية فى أيام الخلفاء الفاطميين وأدركناها من منتزهات القاهرة

البهجة الى أن خربت * قال ابن عبد الحكم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أقطع ابن سندر منية الاصبغ فحاز لنفسه منها ألف فدان كما حدثنا يحيى بن خالد عن الليث ابن سعد رضى الله عنه ولم يبلغنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقطع أحدا من الناس شيئاً من أرض مصر الا ابن سندر فانه أقطعه منية الاصبغ فلم تزل له حتى مات فاشتراها الاصبغ بن عبد العزيز من ورثته فليس بمصر قطيعة أقدم منها ولا أفضل وكان سبب اقطاع عمر رضى الله عنه ما أقطعه من ذلك كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه كان لزنباع بن روح الجذامي غلام يقال له سندر فوجده يقبل جارية له فجبه وجدع أنفه وأذنه فاتى سندر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى زنباع فقال لا تحملوهم من العمل مالا يطيقون وأطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون فان رضيتم فأمسكوا وان كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله ومن مثل به أو أحرق بالنار فهو حر وهو مولى الله ورسوله فأعتق سندر فقال أوص بي يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بك كل مسلم فلما توفى رسول الله صلي الله عليه وسلم أتى سندر أبا بكر رضى الله عنه فقال احفظ فيَّ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاله أبو بكر رضى الله عنه حتى توفي ثم أتى عمر رضى الله عنه فقال احفظ فيّ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه نعم ان رضيت أن تقيم عندى أجريت عليك ما كان يجرى عليك أبو بكر رضى الله عنه والا فانظر أى موضع أكتب لك فقال سندر مصر لانها أرض ريف فكتب له الى عمرو بن العاص احفظ فيه وصية رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما قدم الى عمرو رضى الله عنه أقطع له أرضاً واسعة ودارا فجعل سندر يعيش فيها فلما مات قبضت فى مال الله تعالى قال عمرو بن شعيب ثم أقطعها عبد العزيز بن مروان الاصبغ بعد فهى من خير أموالهم قال ويقال سندر وابن سندر وقال ابن يونس مسروح بن سندر الخصى مولى زنباع بن روح ابن سلامة الجذامي يكني أبا الاسود له صحبة قدم مصر بعد الفتح بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالوصاة فاقطع منية الاصبغ بن عبد العزيز روى عنه أهل مصر حديثين روى عنه مزيد بن عبد الله البرني وربيعة بن لقيط التجيبي ويقال سندر الخصى وابن سندر أثبت توفى بمصر فى أيام عبد العزيز بن مروان ويقال كان مولاه وجده يقبل جارية له فجبه وجدع أنفه وأذنيه فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا ذلك اليه فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زنباع فقال لا تحملوهم يعني العبيد مالا يطيقون وأطعموهم مما تأكلون فذكر الحديث بطوله وذكر عن عثمان بن سويد بن سندر أنه أدرك مسروح بن سندر الذى جدعه زنباع بن روح وكان جده لامه فقال كان ربما تغدى معي بموضع من قرية عثمان واسمها سمسم وكان لابن سندر الى جانبها قرية يقال لها قلون قطيعة وكان له مال

كثير من رقيق وغير ذلك وكان ذا دهاء منكرا جسيما وعمر حتى ادرك زمان عبد الملك
ابن مروان وكان لروح (٣) بن سلامة أبى زنباع فورثه أهل التمدد بروح يوم مات وقال القضاعى
مسروح بن سندر الخصي ويكنى أبا الاسود له صحبة ويقال له سندر دخل مصر بعد الفتح
سنة اثنتين وعشرين وقال الكندى في كتاب الموالى قال أقبل عمرو بن العاص رضى الله عنه
يوما يسير وابن سندر معه فكان ابن سندر ونفر معه يسيرون بين يدى عمرو بن العاص
رضى الله عنه وأثاروا الغبار فجعل عمرو عمامته على طرف أنفه ثم قال اتقوا الغبار فانه أوشك
شيء دخولا وأبعده خروجا واذا وقع على الرئة صار نسمة فقال بعضهم لاولئك النفر تنحوا
ففعلوا الا ابن سندر فقيل له ألا تنحي يا ابن سندر فقال عمرو دعوه فان غبار الخصى لا يضر
فسمعها ابن سندر فغضب وقال أما والله لو كنت من المؤمنين ما آذيتني فقال عمرو يغفر الله
لك أنا بحمد الله من المؤمنين فقال ابن سندر لقد علمت اني سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يوصى بى فقال أوصى بك كل مؤمن * وقال ابن يونس اصبغ بن عبد العزيز بن مروان
ابن الحكم يكنى أبا ريان حكى عنه أبو حبرة عبد الله بن عباد المغافرى وعون بن عبد الله
وغيره توفى ليلة الجمعة لاربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين قبل أبيه وقال
أبو الفرج على بن الحسين الاصبهانى في كتاب الاغانى الكبير عن الرياشى أنه قال عن سكينة
بنت الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام أن أبا عذرتها عبد الله بن الحسن بن على
ثم خلفه عليها العثماني ثم مصعب بن الزبير ثم الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان قال وكان
يتولى مصر فكتبت اليه سكينة ان مصر أرض وخمة فبني لها مدينة تسمى مدينة الاصبغ
وبلغ عبد الملك تزوجه اياها فنفس بها عليه وكتب اليه اختر مصر أو سكينة فبعث اليه
بطلاقها ولم يدخل بها ومتعها بعشرين ألف دينار قلت في هذا الخبر أوهام منها أن الاصبغ
لم يل مصر وانما كان مع أبيه عبد العزيز بن مروان ومنها أن الذى بناه الاصبغ لسكينة
منية الاصبغ هذه وليست مدينة ومنها أن الاصبغ لم يطلق سكينة وانما مات عنها قبل أن
يدخل عليها وقال ابن زولاق في كتاب اتمام كتاب الكندى في أخبار أمراء مصر وفي
شوال يعني من سنة ستين وثلثمائة كثر الارجاف بوصول القرامطة الى الشام ورئيسهم الحسن
ابن محمد الاعسم وفي هذا الوقت ورد الخبر بقتل جعفر بن فلاح قتله القرامطة بدمشق
ولما قتل ملكت القرامطة دمشق وصاروا الى الرملة فانحاز معاذ بن حيان الى يافا متحصنا
بها وفي هذا الوقت تأهب جوهر القائد لقتال القرامطة وحفر خندقا وعمل عليه بابا ونصب
عليه بابى الحديد اللذين كانا على ميدان الاخشيد وبنى القنطرة على الخليج وحفر خندق

(٣) (قوله وكان لروح الخ) هكذا في النسخ وفي بعضها أهل اليعدد بالتحتية وانظر
ما معنى هذه العبارة اه

السرى بن الحكم وفرق السلاح على رجال المغاربة والمصريين ووكل بأبى الفضل جعفر ابن الفضل بن الفرات خادما يبيت معه فى داره ويركب معه حيث كان وأنفذ الى ناحية الحجاز فتعرف خبر القرامطة وفى ذى الحجة كبس القرامطة القلزم وأخذوا واليها ثم دخلت سنة احدى وستين وثلثمائة وفي المحرم بلغت القرامطة عين شمس فاستعد جوهر للقتال لعشر بقين من صفر وغلق أبواب الطابية وضبط الداخل والخارج وأمر الناس بالخروج اليه وأن يخرج الاشراف كلهم فخرج اليه أبو جعفر مسلم وغيره بالمضارب وفي مستهل ربيع الاول التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة وكان يوم جمعة فقتل من الفريقين جماعة وأسر جماعة وأصبحوا يوم السبت متكافئين ثم غدوا يوم الاحد للقتال وسار الحسن الاعصم بجميع عساكره ومشى للقتال على الخندق والباب مغلق فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب واقتتلوا قتالا شديدا وقتل خلق كثير ثم ولى الاعصم منهزما ولم يتبعه القائد جوهر ونهب سواد الاعصم بالجب ووجدت صناديقه وكتبه وانصرف في الليل على طريق القلزم ونهب بنو عقيل وبنو طى كثيرا من سواده وهو مشغول بالقتال وكان جميع ماجرى على القرمطى بتدبير جوهر وجوائز أنفذها ولو أراد أخذ الاعصم في انهزامه لاخذه ولكن الليل حجز فكره جوهر اتباعه خوفا من الحيلة والمكيدة وحضر القتال خلق من رعية مصر وأمر جوهر بالنداء فى المدينة من جاء بالقرمطى أو برأسه فله ثلثمائة ألف درهم وخمسون خلعة وخمسون سرجا محلي على دوابها وثلاث جوائز ومدح بعضهم القائد جوهرا بأبيات منها

كأن طراز النصر فوق جبينه * يلوح وأرواح الورى بيمينه

ولم يتفق على القرامطة منذ ابتداء أمرهم كسرة أقبح من هذه الكسرة ومنها فارقهم من كان قد اجتمع اليهم من الكافورية والاخشيدية فقبض جوهر على نحو الالف منهم وسجنهم مقيدين وقال ابن زولاق في كتاب سيرة الامام المعز لدين الله ومن خطه نقلت وفى هذا الشهر يعنى المحرم سنة ثلاث وستين وثلثمائة تبسطت المغاربة في نواحي القرافة والمغاير وما قاربها فنزلوا في الدور وأخرجوا الناس من دورهم ونقلوا السكان وشرعوا في السكني في المدينة وكان المعز قد أمرهم أن يسكنوا أطراف المدينة فخرج الناس واستغاثوا بالمعز فأمرهم أن يسكنوا نواحي عين شمس وركب المعز بنفسه حتي شاهد المواضع التي ينزلون فيها وأمر لهم بمال يبنون به وهو الموضع الذى يعرف اليوم بالخندق والحفرة وخندق العبيد وجعل لهم والياً وقاضياً ثم سكن أكثرهم بالمدينة مخالطين لاهل مصر ولم يكن القائد جوهر يبيحهم سكنى المدينة ولا المبيت بها وحظر ذلك عليهم وكان مناديه ينادي كل عشية لا يبيتن أحد في المدينة من المغاربة ٠ وقال ياقوت منية الاصبغ تنسب الى الاصبغ

ابن عبد العزيز بن مروان ولا يعرف اليوم بمصر موضع يعرف بهذا الاسم وزعموا أنها القرية المعروفة بالخندق قريباً من شرقي القاهرة • وقال ابن عبد الظاهر الخندق هو منية الاصبغ وهو الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان قال مؤلفه رحمه الله وقد وهم ابن عبد الظاهر فجعل أن الخندق احتفره العزيز بالله وانما احتفره جوهر كما تقدم وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز الناس من القاهرة اليها ليتنزهوا بها في أيام النيل والربيع ويسكنها طائفة كبيرة وفيها بساتين عامرة بالنخيل الفخر والثمار وبها سوق وجامع تقام به الجمعة وعليه قطعة أرض من أرض الخندق يتولاها خطيبه فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة خربت قرية الخندق ورحل أهلها منها ونقلت الخطبة من جامعه الى جامع بالحسينية وبقى معطلا من ذكر الله تعالى واقامة الصلاة مدة ثم في شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة هدمه الامير طوغان الدوادار وأخذ عمده وخشبه فلم يبق الا بقية اطلاله وكانت قرية الخندق كأنها من حسنها ضرة لكوم الريش وكانت تجاهها من شرقيها فخربتا جميعاً *(صحراء الاهليلج) هذه البقعة شرقي الخندق في الرمل واليها كانت تنتهى عمارة الحسينية من جهة باب الفتوح وكان بها شجر الاهليلج الهندى فعرفت بذلك وأظن أن هذا الاهليلج كان من جملة بستان ريدان الذى يعرف اليوم موضعه بالريدانية

(ذكر خارج باب النصر)

أما خارج القاهرة من جهة باب النصر فانه عند ماوضع القائد جوهر القاهرة كان فضاء ليس فيه سوى مصلي العيد الذي بناه جوهر وهذا المصلى اليوم يصلى على من مات فيه وما برح ما بين هذا المصلى وبستان ريدان الذى يعرف اليوم بالريدانية لاعمارة فيه الى أن مات أمير الجيوش بدر الجمالى في سنة سبع وثمانين وأربعمائة فدفن خارج باب النصر بحرى المصلى وبنى على قبره تربة جليلة وهى باقية الى اليوم هناك فتتابع بناء الترب من حينئذ خارج باب النصر فيما بين التربة الجيوشية والريدانية وقبر الناس موتاهم هناك لا سيما أهل الحارات التي عرفت خارج باب الفتوح بالحسينية وهي الريدانية وحارة البزادرة وغيرها ولم تزل هذه الجهة مقبرة الى ما بعد السبعمائة بمدة فرغب الامير سيف الدين الحاج ال ملك في البناء هناك وأنشأ الجامع المعروف به فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وعمر دارا وحماما فاقتدى الناس به وعمروا هناك وكان قد بنى تجاه المصلى قبل ذلك الامير سيف الدين كهرداس المنصورى دارا تعرف اليوم بدار الحاجب فسكن فى هذه الجهة أمراء الدولة وعملوا فيما بين الريدانية والخندق مناخات الجمال وهى باقية هناك فصارت هذه الجهة في غاية العمارة وفيها من باب النصر الى الريدانية سبعة أسواق جليلة يشتمل كل سوق منها على عدة حوانيت كثيرة فمنها سوق اللفت وهو تجاه باب بيت الحاجب الآن عند البئر كان فيه من جانبيه

حوانيت يباع فيها اللفت ومن هذا السوق يشتري أهل القاهرة هـذا الصنف والـكرنب
وتعرف هذه البئر الى اليوم ببئر اللفت ويليها سويقة زاوية الخدام وأدركت بهـذه السويقة
بقية صالحة ويلى ذلك سوق جامع ال ملك وكان سوقا عامراً فيه غالب ما يحتاج اليـه من
المآكل والادوية والفواكه والخضر وغيرها وأدركته عامرا ويليه سويقة السنابطة عرفت
بقوم من أهل ناحية سنباط سكنوا بها وكانت سوقا كبيرا وأدركته عامرا ويليها سويقة أبى
ظهير وأدركتها عامرة ويليها سويقة العرب وكانت تتصل بالريدانية وتشتمل على حوانيت
كثيرة جدا أدركتها عامرة وليس فيها سكان وكانت كلها من لبن معقود عقودا وكان بأول سويقة
العرب هذه فرن أدركته عامرا آهلا بلغنى أنه كان يخبز فيه أيام عمارة هذا السوق وما حوله
كل يوم نحو السبعة آلاف رغيف وكان من وراء هذا السوق أحواش فيهـا قباب معقودة
من لبن أدركتها قائمة وليس فيها سكان وكان من جملة هذه الاحواش حوش فيه أربعمائة
قبة يسكن فيها البزادرة والمكارية أجرة كل قبة درهمان في كل شهر فيتحصل من هـذا
الحوش في كل شهر مبلغ ثمانمائة درهم فضة وكان يعرف بحوش الاحمدى فلما كان الغلاء في
زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين سنة سبع وسبعين وسبعمائة خرب كثير مما كان بالقرب
من الريدانية واختلت أحوال هذه الجهة الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فتلاشت
وهدمت دورها وبيعت أنقاضها وفيها بقية آئلة الى الدثور

(الريدانية)

كانت بستاناً لريدان الصقلبى أحد خدام العزيز بالله نزار بن المعز كان يحمـل المظلة على
رأس الخليفة واختص بالحاكم ثم قتله فى يوم الثلاثاء لعشر بقين من ذى الحجة سـنة ثلاث
وتسعين وثلثمائة وريدان ان كان اسما عربيا فانه من قولهم ريح ريدة ورادة وريدانة أى لينة
الهبوب وقيل ريح ريدة كثيرة الهبوب

(ذكر الخلجان التى بظاهر القاهرة)

اعلم أن الخليج جمعه خلجان وهو نهر صغير يختلج من نهر كبير أو من بحر وأصل الخلج
الانتزاع خلجت الشيء من الشيء اذا انتزعته وبأرض مصر عدة خلجان منها بظاهر القاهرة
خليج مصر وخليج فم الخور وخليج الذكر والخليج الناصرى و خليج قنطرة الفخر
وستري من أخبارها ما فيه كفاية ان شاء الله تعالى

(ذكر خليج مصر)

هذا الخليج بظاهر مدينة فسطاط مصر ويمر من غربي القاهرة وهو خليج قديم احتفره
بعض قدماء ملوك مصر بسبب هاجر أم اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله
وسلامه عليهما حين أسكنها وابنها اسماعيل خليل الله ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بمكة ثم

تمادت الدهور والاعوام فجدد حفره ثانياً بعض من ملك مصر من ملوك الروم بعد الاسكندر فلما جاء الله سبحانه بالاسلام وله الحمد والمنة وفتحت أرض مصر على يد عمرو بن العاص جدد حفره باشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في عام الرمادة وكان يصب في بحر القلزم فتسير فيه السفن الى البحر الملح وتمر فى البحر الي الحجاز واليمن والهند ولم يزل على ذلك الى أن قدم محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبي طالب بالمدينة النبوية والخليفة حينئذ بالعراق أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فكتب الى عامله على مصر يأمره بطم خليج القلزم حتى لا تحمل الميرة من مصر الى المدينة فطمه وانقطع من حينئذ اتصاله ببحر القلزم وصار على ما هو عليه الآن وكان هذا الخليج أولا يعرف بخليج مصر فلما أنشأ جوهر القائد القاهرة بجانب هذا الخليج من شرقيه صار يعرف بخليج القاهرة وكان يقال له أيضاً خليج أمير المؤمنين يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لانه الذى أشار بتجديد حفره والآن تسميه العامة بالخليج الحاكمي وتزعم أن الحاكم بأمر الله أبا على منصورا احتفره وليس هذا بصحيح فقد كان هذا الخليج قبل الحاكم بمدد متطاولة ومن العامة من يسميه خليج اللؤلؤة أيضاً * وسأقص عليك من أخبار هذا الخليج ما وقفت عليه من الانباء * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه فى أخبار طيطوس بن ماليا ابن كلكن بن خربتا بن ماليق بن تدراس بن صا بن مرقونس بن صا بن قبطيم بن مصر ابن بيصر بن حام بن نوح وجلس على سرير الملك بعد أبيه ماليا وكان جبارا جريا شديد البأس مهاباً فدخل عليه الاشراف وهنوه ودعوا له فأمرهم بالاقبال على مصالحهم ومايعنيهم ووعدهم بالاحسان والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام وأن الفراعنة سبعة هو أولهم وأنه استخف بأمر الهياكل والكهنة وكان من خبر ابراهيم عليه السلام معه أن ابراهيم لما فارق قومه اشفق من المقام بالشام لئلا يتبعه قومه ويردوه الى النمرود لانه كان من أهل كوثا من سواد العراق فخرج الى مصر ومعه سارة امرأته وترك لوطا بالشام وسار الى مصر وكانت سارة أحسن نساء وقتها ويقال أن يوسف عليه السلام ورث جزأ من جمالها فلما سار الى مصر رأى الحرس المقيمون على أبواب المدينة سارة فعجبوا من حسنها ورفعوا خبرها الى طيطوس الملك وقالوا دخل الى البلد رجل من أهل الشرق معه امرأة لم ير أحسن منها ولا أجمل فوجه الملك الى وزيره فأحضر ابراهيم صلوات الله عليه وسأله عن بلده فأخبره وقال ماهذه المرأة منك فقال أختى فعرف الملك بذلك فقال مره أن يجئني بالمرأة حتي أراها فعرفه ذلك فامتعض منه ولم تمكنه مخالفته وعلم أن الله تعالى لا يسوؤه في أهله فقال لسارة قومى الى الملك فانه قد طلبك منى قالت وما يصنع بى الملك وما رآنى قبل قال أرجو أن يكون لخير فقامت معه حتى أتوا قصر الملك

فأدخلت عليه فنظر منها منظرا راعه وفتنته فأمر باخراج ابراهيم عليه السلام فأخرج
وندم على قوله انها أخته وانما أراد انها أخته في الدين ووقع في قلب ابراهيم عليه السلام ما
يقع في قلب الرجل على أهله وتمنى انه لم يدخل مصر فقال اللهم لا تفضح نبيك في أهله
فراودها الملك عن نفسها فامتنعت عليه فذهب ليمد يده اليها فقالت انك ان وضعت يدك على
أهلكت نفسك لان لى ربا يمنعني منك فلم يلتفت الى قولها ومد يده اليها فجفت يده وبقى
حائرا فقال لها أزيلي عني ما قد أصابنى فقالت على أن لا تعاود مثل ما أتيت قال نعم فدعت
الله سبحانه وتعالى فزال عنه ورجعت يده الى حالها فلما وثق بالصحة راودها ومناها
ووعدها بالاحسان فامتنعت وقالت قد عرفت ما جرى ثم مد يده اليها فجفت وضربت عليه
أعضاؤه وعصبه فاستغاث بها وأقسم بالآلهة انها ان أزالت عنه ذلك فانه لا يعاودها فسألت
الله تعالى فزال عنه ذلك ورجع الى حاله فقال ان لك لربا عظيما لا يضيعك فأعظم قدرها
وسألها عن ابراهيم فقالت هو قريبي وزوجي قال فانه قد ذكر أنك أخته قالت صدق أنا
أخته في الدين وكل من كان على ديننا فهو أخ لنا قال نعم الدين دينكم ووجه بها الى ابنته
جوريا وكانت من الكمال والعقل بمكان كبير فألقى الله تعالى محبة سارة فى قلبها فكانت
تعظمها وأضافتها أحسن ضيافة ووهبت لها جوهرا ومالا فأتت به ابراهيم عليه السلام فقال
لها رديه فلا حاجة لنا به فردته وذكرت ذلك جوريا لابيها فعجب منهما وقال هذا كريم من
أهل بيت الطهارة فتحيلي في برها بكل حيلة فوهبت لها جارية قبطية من أحسن الجوارى
يقال لها آجر وهى هاجر أم اسماعيل عليه السلام وجعلت لها سلالا من الجلود وجعلت فيها
زادا وحلوى وقالت يكون هذا الزاد معك وجعلت تحت الحلوى جوهراً نفيساً وحليا مكللا
فقالت سارة أشاور صاحبي فأتت ابراهيم عليه السلام واستأذنته فقال اذا كان مأكولا فخذيه
فقبلته منها وخرج ابراهيم فلما مضى وأمعنوا فى السير أخرجت سارة بعض تلك السلال
فأصابت الجوهر والحلى فعرفت ابراهيم عليه السلام ذلك فباع بعضه وحفر من ثمنه البئر
التى جعلها للسبيل وفرق بعضه في وجوه البر وكان يضيف كل من مر به وعاش طيطوس
الى أن وجهت هاجر من مكة تعرفه انها بمكان جدب وتستغيثه فأمر بحفر نهر في
شرقي مصر بسفح الجبل حتي ينتهى الى مرقي السفن فى البحر الملح فكان يحمل
اليها الحنطة وأصناف الغلات فتصل الى جدة وتحمل من هناك على المطايا فأحيي
بلد الحجاز مدة ويقال انما حليت الكعبة في ذلك العصر مما أهداه ملك مصر وقيل
انه لكثرة ما كان يحمله طوطيس الى الحجاز سمته العرب وجرهم الصادوق ويقال
انه سأل ابراهيم عليه السلام أن يبارك له فى بلده فدعا بالبركة لمصر وعرفه أن ولده سيملكها
ويصير أمرها اليهم قرنا بعد قرن * وطوطيس أول فرعون كان بمصر وذلك انه أكثر

من القتل حتي قتل قراباته وأهل بيتـه وبنى عمه وخـدمه ونساءه وكثيراً من الـكهنة والحـكماء وكان حريصاً على الولد فلم يرزق ولدا غير ابنتـه جوريا أو جورياق وكانت حكيمة عاقلة تأخذ على يده كثيرا وتمنعه من سفك الدماء فأبغضته ابنتـه وأبغضه جميع الخاصة والعامة فلما رأت أمره يزيد خافت على ذهاب ملـكهم فسمته وهلك وكان ملـكه سبعين سنة واختلفوا فيمن يملك بعـده وأرادوا أن يقيموا واحدا من ولد اتريب فقام بعض الوزراء ودعا لجورياق فتم لهـا الامر وملـكت فهذا كان أول أمر هـذا الخليج * ثم حفره مرة ثانية ادريان قيصر أحد مـلوك الروم ومن الناس من يسميه اندروبانوس ومنهم من يقول هوريانوس قال في تاريخ مدينة رومة وولى الملك ادريان قيصر أحد ملوك الروم وكانت ولايته احـدى وعشرين سنة وهو الذى درس اليهود مرة ثانية اذ كانوا راموا النفاق عليه وهو الذى جدد مدينة يروشالم يعنى مدينة القدس وأمر بتبديل اسمها وأن تسمى ايليا وقال علماء أهل الـكتاب عن ادريان هذا وغزا القدس وأخربه في الثانية من مـلـكه وكان ملـكه في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة من سنى الاسكندر وقتل عامة أهل القدس وبنى على باب مدينة القدس منارا وكتب عليها هذه مدينة ايليا ويسمى موضع هذا العمود الآن محراب داود ثم سار من القدس الى بابل فخارب ملـكها وهزمه وعاد الى مصر فحفر خليجا من النيل الى بحر القلزم وسارت فيه السفن وبقى رسمه عند الفتح الاسلامى فحفره عمرو بن العاص وأصاب أهل مصر منـه شدائد وألزمهم بعبادة الاصنام ثم عاد الى بلاده بممالك الروم فابتلى بمرض أعيي الاطباء فخرج يسير في البلاد يبتغى من يداويه فمر على بيت المقدس وكان خرابا ليس فيه غير كنيسة للنصارى فأمر ببناء المدينة وحصنها وأعاد اليهـا اليهود فاقاموا بها وملـكوا عليهم رجلا منهم فبلغ ذلك ادريان قيصر فبعث اليهم جيشا لم يزل يحاصرهم حتى مات أكثرهم جوعا وعطشا وأخذها عنوة فقتل من اليهود ما لا يحصى كثرة وأخرب المدينة حتى صارت تلالا لا عامر فيها ألبتة وتتبع اليهود يريد أن لا يدع منهم على وجه الارض أحدا ثم أمر طائفة من اليونانيين فتحولوا الى مدينة القدس وسكنوا فيهـا فـكان بين خراب القدس الخراب الثانى على يد طيطوس وبين هذا الخراب ثلاث وخمسون سنة فعمرت القـدس باليونان ولم يزل قيصر هذا ملـكا حتي مات فهذا خبر حفر هـذا الخليج في المرة الثانية فلما جاء الاسلام جدد عمرو بن العاص حفره * قال ابن عبد الحـكم ذكر حفر خليج أمير المؤمنين رضي الله عنه حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال ان الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة الرمادة فـكتب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص وهو بمصر من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصي بن العاصى سلام أما بعد فلعمرى يا عمر وما تبالى اذا شبعت

أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معي فياغوثاه ثم ياغوثاه يردد ذلك فكتب اليه عمرو
من عبد الله عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين أما بعد فيا لبيك ثم يالبيك قد بعثت اليك
بعير أولها عندك وآخرها عندى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فبعث اليه بعير عظيمة
فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضا فلما قدمت على عمر رضى الله عنه وسع
بها على الناس ودفع الي أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام وبعث عبد
الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص يقسمونها على الناس فدفعوا الى
أهل كل بيت بعيرا بما عليه من الطعام ليأكلوا الطعام ويأتدموا بلحمه ويحتذوا بجلده
وينتفعوا بالوعاء الذي كان فيه الطعام فيما أرادوا من لحاف أو غيره فوسع الله بذلك على الناس
فلما رأي ذلك عمر رضى الله عنه حمد الله وكتب الى عمرو بن العاص أن يقدم عليه هو
وجماعة من أهل مصر معه فقدموا عليه فقال عمر يا عمرو ان الله قد فتح على المسلمين
مصر وهى كثيرة الخير والطعام وقد ألقى في روعى لما أحببت من الرفق باهل الحرمين
والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين أن احفر خليجا
من نيلها حتي يسيل فى البحر فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام الى المدينة ومكة فان
حمله على الظهر يبعد ولا نبلغ به ما نريد فانطلق أنت وأصحابك فتشاوروا في ذلك حتى
يعتدل فيه رأيكم فانطلق عمرو فأخبر من كان معه من أهل مصر فثقل ذلك عليهم وقالوا
نتخوف أن يدخل من هذا ضرر على مصر فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول
له ان هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد اليه سبيلا فرجع عمرو بذلك الى عمر فضحك
عمر رضى الله عنه حين رآه وقال والذى نفسى بيده لكأنى أنظر اليك يا عمرو والى
أصحابك حين أخبرتهم بما أمرنا به من حفر الخليج فثقل ذلك عليهم وقالوا يدخل من هذا
ضرر على أهل مصر فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له ان هذا أمر لا يعتدل
ولا يكون ولا نجد اليه سبيلا فعجب عمرو من قول عمر وقال صدقت والله يا أمير المؤمنين
لقد كان الامر على ما ذكرت فقال له عمر رضى الله عنه انطلق بعزيمة منى حتى تجد في ذلك
ولا يأتى عليك الحول حتى تفرغ منه ان شاء الله تعالى فانصرف عمرو وجمع لذلك من
الفعلة ما بلغ منه ما أراد ثم احتفر الخليج في حاشية الفسطاط الذى يقال له خليج أمير
المؤمنين فساقه من النيل الى القلزم فلم يأتى الحول حتي جرت فيه السفن فحمل فيه ما أراد
من الطعام الى المدينة ومكة فنفع الله بذلك أهل الحرمين وسمى خليج أمير المؤمنين ثم
لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد عمر بن عبد العزيز ثم ضيعه الولاة بعد ذلك
فترك وغلب عليه الرمل فانقطع فصار منتهاه الى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم قال
ويقال ان عمر رضى الله قال لعمرو حين قدم عليه يا عمرو ان العرب قد تشاءمت بى وكادت

أن تغلب على رحلى وقد عرفت الذي أصابها وليس جند من الاجنادأرجى عندى أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جندك فان استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يغيثهم الله تعالى فقال عمرو ماشئت يا أمير المؤمنين قد عرفت انه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الاسـلام فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واستد وتركه التجار فان شئت أن نحفره فننشىء فيه سفنا يحمل فيها الطعام الى الحجاز فعلته فقال عمر رضى الله عنه نعم فافعل فلما خرج عمرو من عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكر ذلك لرؤساء أهل أرضه من قبط مصر فقالوا له ماذا جئت به أصلح الله الامير تريد أن تخرج طعام أرضك وخصبها الى الحجاز وتخرب هـذه فان استطعت فاستقل من ذلك فلما ودع عمر رضى الله عنه قال له يا عمرو انظر الى ذلك الخليج ولا تنسين حفره فقال له يا أمير المؤمنين انه قد انسد وتدخل فيه نفقات عظيمة فقال له أما والذي نفسي بيده انى لاظنك حين خرجت من عندى حدثت بذلك أهل أرضك فعظموه عليك وكرهوا ذلك أعزم عليك الا ما حفرته وجعلت فيه سفنا فقال عمرو يا أمير المؤمنين انه متى ما يجد أهل الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة الحجاز لا يخفوا الى الجهاد قال فانى سأجعل من ذلك أمراً لا يحمل في هـذا البحر الازرق أهل المدينة وأهل مكة فحفره عمرو وعالجه وجعل فيه السفن قال ويقال ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كتب الى عمرو بن العاص الى العاصى بن العاصى فانك لعمرى لا تبالى اذا سمنت أنت ومن معك أن أعجف أنا ومن معي فياغوثاه وياغوثاه فكتب اليه عمرو أما بعد فيالبيك ثم يا لبيك أتتك عير أولها عندك وآخرها عندى مع انى أرجو أن أجد السبيل الى أن أحمل اليك في البحر ثم ان عمرا ندم على كتابه فى الحمل الى المدينة في البحر وقال ان أمكنت عمر من هـذا خرب مصر ونقلها الى المدينة فكتب اليه انى نظرت فى أمر البحر فاذا هو عسر ولا يلتام ولا يستطاع فكتب اليه عمر رضى الله عنه الى العاصى بن العاصى قد بلغني كتابك تعتل فى الذى كنت كتبت الى به من أمر البحر وأيم الله لتفعلن أولا قلعن باذنك ولا بعثن من يفعل ذلك فعرف عمرو أنه الجد من عمر رضي الله عنه ففعل فبعث اليه عمر رضى الله عنه أن لا تدع بمصر شيئاً من طعامها وكسوتها وبصلها وعدسها وخلها الا بعثت الينا منه قال ويقال ان الذى دل عمرو بن العاص على الخليج رجل من القبط فقال لعمرو أرأيت ان دللتك على مكان تجرى فيه السفن حتي تنتهى الى مكة والمدينة اتضع عني الجزية وعن أهل بيتي قال نعم فكتب بذلك الي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليـه أن افعل فلما قدمت السفن خرج عمر رضى الله عنـه حاجا أو معتمرا فقال للناس سيروا بنا ننظر الى السفن التى سيرها الله تعـالى الينا من أرض فرعون حتى أتتنا فأتى الجار وقال اغتسلوا من ماء البحر فانه مبارك فلما قدمت السفن الجار وفيها الطعام

صك عمر رضى الله عنه للناس بذلك الطعام صكوكا فتبايع التجار الصكوك بينهم قبل
أن يقبضوها فلقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه العلاء بن الاسود رضى الله عنه فقال
كم ربح حكيم بن حزام فقال ابتاع من صكوك الجار بمائة ألف درهم وربح عليها مائة
ألف فلقيه عمر رضي الله عنه فقال له يا حكيم كم ربحت فأخبره بمثل خبر العلاء قال عمر
رضى الله عنه فبعته قبل أن تقبضه قال نعم قال عمر رضى الله عنه فان هذا بيع لا يصح
فاردده فقال حكيم ما علمت أن هذا بيع لا يصح وما أقدر على رده فقال عمر رضي الله
عنه لا بد فقال حكيم والله ما أقدر على ذلك وقد تفرق وذهب ولكن رأس مالى
وربحي صدقة * وقال القضاعى في ذكر الخليج أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو
ابن العاص عام الرمادة بحفر الخليج الذى بحاشية الفسطاس الذى يقال له خليج أمير المؤمنين
فساقه من النيل الى القلزم فلم يأت عليه الحول حتي جرت فيه السفن وحمل فيه ماأراد من
الطعام الى المدينة ومكة فنفع الله تعالى بذلك أهل الحرمين فسمى خليج أمير المؤمنين *
وذكر الكندي فى كتاب الجند العربى أن عمرا حفره في سنة ثلاث وعشرين وفرغ منه
في ستة أشهر وجرت فيه السفن ووصلت الى الحجاز في الشهر السابع ثم بنى عليه عبد
العزيز بن مروان قنطرة في ولايته على مصر قال ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه
عمر بن عبد العزيز ثم أضاعته الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل فانقطع وصار منتهاه
الى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم وقال ابن قديد أمر أبو جعفر المنصور بسد الخليج
حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ليقطع عنه الطعام فسد الى الآن وذكر
البلادرى أن أبا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال يكتب الساعة الى مصر
أن تقطع الميرة عن أهل الحرمين فانهم فى مثل الحرجة اذا لم تأتهم الميرة من مصر * وقال
ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة لفتح الخليج وهذا الخليج هو الذى حفره عمرو بن
العاص لما ولى على مصر في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بحر فسطاط
مصر الحلو وألحقه بالقلزم بشاطئ البحر الملح فكانت مسافته خمسة أيام لتقرب معونة الحجاز
من ديار مصر في أيام النيل فالمراكب النيلية تفرغ ماتحمله من ديار مصر بالقلزم فاذا فرغت
حملت مافي القلزم مما وصل من الحجاز وغيره الى مصر وكان مسلكا للتجار وغيرهم في
وقته المعلوم وكان أول هذا الخليج من مصر يشق الطريق الشارع المسلوك منه اليوم الى
القاهرة حافا بالقريوص الذى على البستان المعروف بابن كيسان مادا وآثاره اليوم مادة باقية
الى الحوض المعروف بسيف الدين حسين صهر ابن رزيك والبستان المعروف بالمشتهى وفيه
آثار المنظرة التى كانت معدة لجلوس الخليفة لفتح الخليج من هذا الطريق ولم تكن الآدر
المبنية على الخليج ولا شئ منها هناك وما برح هذا الخليج متنزها لاهل القاهرة يعبرون

فيه بالمراكب للنزهة الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج المعروف الآن بالخليج الناصرى * قال المسبحي وفي هذا الشهر يعنى المحرم سنة احدى وأربعمائة منع الحاكم بأمر الله من الركوب في القوارب الى القاهرة في الخليج وشدد في المنع وسدت أبواب القاهرة التي يتطرق منها الى الخليج وأبواب الطاقات من الدور التى تشرف على الخليج وكذلك أبواب الدور والخوخ التي على الخليج * قال القاضى الفاضل في متجددات حوادث سنة أربع وتسعين وخمسمائة ونهى عن ركوب المتفرجين في المراكب في الخليج وعن اظهار المنكر وعن ركوب النساء مع الرجل وعلق جماعة من رؤساء المراكب بأيديهم قال وفي يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان ظهر في هذه المدة من المنكرات مالم يعهد في مصر في وقت من الاوقات ومن الفواحش ماخرج من الدور الى الطرقات وجرى الماء في الخليج بنعمة الله تعالى بعد القنوط ووقوف الزيادة في الذراع السادس عشر فركب أهل الخلاعة وذوو البطالة في مراكب في نهار شهر رمضان ومعهم النساء الفواجر وبأيديهن المزاهر يضربن بها وتسمع أصواتهن ووجوههن مكشوفة وحرفاؤهن من الرجال معهن في المراكب لا يمنعون عنهن الايدى ولا الابصار ولا يخافون من أمير ولا مأمور شيئاً من أسباب الانكار وتوقع أهل المراقبة مايتلو هذا الخطب من المعاقبة * وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون وفي سنة ست وسبعمائة رسم الاميران بيبرس وسلار بمنع الشخاتير والمراكب من دخول الخليج الحاكمي والتفرج فيه بسبب مايحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات اللاتى تجمع الخمر وآلات الملاهى والنساء المكشوفات الوجوه المتزينات بأفخر زينة من كوافي الزركش والقنابيز والحلي العظيم ويصرف على ذلك الاموال الكثيرة ويقتل فيه جماعة عديدة ورسم الاميران المذكوران لمتولى الصناعة بمصر أن يمنع المراكب من دخول الخليج المذكور الا ما كان فيه غلة أو متجرا وما ناسب ذلك فكان هذا معدودا من حسناتهما ومسطوراً في صحائفهما قال مؤلفه رحمه الله تعالى أخبرني شيخ معمر ولد بعد سنة سبعمائة يعرف بمحمد المسعودي انه أدرك هذا الخليج والمراكب تمر فيه بالناس للنزهة وانها كانت تعبر من تحت باب القنطرة غادية ورائحة والآن لايمر بهذا الخليج من المراكب الا مايحمل متاعا من متجر أو نحوه وصارت مراكب النزهة والتفرج انما تمر فى الخليج الناصرى فقط وعلى هذا الخليج الكبير فى زماننا هذا أربع عشرة قنطرة يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى فى القناطر وحافتا هذا الخليج الآن معمورتان بالدور وسيأتى ان شاء الله ذكر ذلك فى مواضعه من هذا الكتاب وقال ابن سعد وفيها خليج لايزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافى

مازالت الأنحاء تأخذه * حتي غدا كذؤابة النجم

وقلت فى نور الكتان الذى على جانبى هذا الخليج

أنظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه باجفان لها حدق
قد سل سيفاً عليه للصبا شطب * فقابلته باحداق بها ارق
واصبحت في يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فقم نزرها ووجه الارض متضح * أو عند صفرته ان كنت تغتبق

قال وقد ذكر مصر ولا ينكر فيها اظهار أواني الخمر ولا الات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق وعليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمجانة حتي ان المحتشمين والرؤساء لايجيزون العبور به فى مركب وللسرج في جانبيه بالليل منظرفتان وكثيراً مايتفرج فيه أهل الستر وفى ذلك أقول

لاتركبن فى خليج مصر * الا اذا يسدل الظلام
فقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام
صفان للحرب قد أظلا * سلاح ما بينهم كلام
ياسيدى لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام
والليل ستر على التصابى * عليه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليه * منها دنانير لاترام
وهو قد امتد والمباني * عليه في خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا * هناك أثمارها الاثام

وقال ابن عبد الظاهر عن مختصر تاريخ ابن المأمون ان أول من رتب حفر خليج القاهرة على الناس المأمون بن البطائحي وكذلك على أصحاب البساتين في دولة الافضل وجعل عليه واليا بمفرده ولله در الاسعد بن خطير المماتي حيث يقول

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائي مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم فى مجره

وقال بهاء الدين أبو الحسن على بن الساعاتي فى يوم كسر الخليج

ان يوم الخليج يوم من الحسـ * ـن بديع المرئي والمسموع
كم لديه من ليث غاب صؤول * ومهاة مثل الغزال المروع
وعلى السد عزة قبل أن تمـ * ـلكه ذلة المحب الخضوع

كسر واجسره هناك تحاكي * كسر قلب يتلوه فيض دموع

* (ذكر خليج فم الخور وخليج الذكر) *

قال ابن سيده فى كتاب المحكم فى اللغة الخور مصب الماء فى البحر وقيل هو خليج من البحر والخور المطمئن من الارض وخليج فم الخور يخرج الآن من بحر النيل ويصب في الخليج الناصرى ليقوي جرى الماء فيه ويغزره وكان قبل أن يحفر الخليج الناصري يمد خليج الذكر وكان أصله ترعة يدخل منها ماء النيل للبستان الذى عرف بالمقسى ثم وسع قال ابن عبد الظاهر وكان يخرج من البحر للمقسى الماء فى البرابخ فوسعه الملك الكامل وهو خليج الذكر ويقال ان خليج الذكر حفره كافور الاخشيدى فلما زال البستان المقسي فى أيام الخليفة الظاهر بن الحاكم وجعله بركة قدام المنظرة المعروفة باللؤلؤة صار يدخل الماء اليها من هذا الخليج وكان يفتح هذا الخليج قبل الخليج الكبير ولم يزل حتى أمر الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة بحفره فحفر واوصل بالخليج الكبير وشرع الامراء والجند في حفره من أخريات جمادى الآخرة فلما فتح كادت القاهرة أن تغرق فسدت القنطرة التي عليه فهدمها الماء ومن حينئذ عزم السلطان على حفر الخليج الناصرى وأنا أدركت آثاره وفيه ينبت القصب المسمي بالفارسي وأخبرني الشيخ المعمر حسام الدين حسين بن عمر الشهرزورى انه يعرف خليج الذكر هذا وفيه الماء وسبح فيه غير مرة وأراني آثاره وكان الماء يدخل اليه من تحت قنطرة الدكة الآتي ذكرها في القناطر ان شاء الله تعالى وعلى خليج فم الخور الآن قنطرة وعلى خليج الذكر قنطرة يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى عند ذكر القناطر وانما قيل له خليج الذكر لان بعض أمراء الملك الظاهر ركن الدين بيبرس كان يعرف بشمس الدين الذكر الكركي كان له فيه أثر من حفره فعرف به وكان للناس عند هذا الخليج مجتمع يكثر فيه لهوهم ولعبهم * قال المسيحي وفي يوم الثلاثاء لخمس بقين منه يعني المحرم سنة خمس عشرة وأربعمائة كان ثالث الفتح فاجتمع بقنطرة المقس عند كنيسة المقس من النصارى والمسلمين في الخيام المنصوبة وغيرها خلق كثير للاكل والشرب واللهو ولم يزالوا هناك الى أن انقضى ذلك اليوم وركب أمير المؤمنين يعنى الظاهر لاعزاز دين الله أبا الحسن على بن الحاكم بأمر الله فى مركبه الى المقس وعليه عمامة شرب مفوطة بسواد وثوب ديبقى من شكل العمامة ودار هناك طويلا وعاد الى قصره سالما وشوهد من سكر النساء وتهتكهن وحملهن في قفاف الحمالين سكارى واجتماعهن مع الرجال أمر يقبح ذكره

* (ذكر الخليج الناصري) *

هذا الخليج يخرج من بحر النيل ويصب في الخليج الكبير وكان سبب حفره أن الملك

الناصر محمد بن قلاون لما أنشأ القصور والخانقاه بناحية سرياقوس وجعل هناك ميدانا يسرح اليه وأبطل ميدان القبق المعروف بالميدان الاسود ظاهر باب النصر من القاهرة وترك المسطبة التي بناها بالقرب من بركة الحبش لمطعم الطيور والجوارح اختار أن يحفر خليجاً من بحر النيل لتمر فيه المراكب الى ناحية سرياقوس لحمل مايحتاج اليه من الغلال وغيرها فتقدم الى الامير سيف الدين أرغون نائب السلطنة بديار مصر بالكشف عن عمل ذلك فنزل من قلعة الجبل بالمهندسين وأرباب الخبرة الى شاطئ النيل وركب النيل فلم يزل القوم في فحص وتفتيش الى أن وصلوا بالمراكب الى موردة البلاط من أراضى بستان الخشاب فوجدوا ذلك الموضع أوطأ مكان يمكن أن يحفر الا أن فيه عدة دور فاعتبروا فم الخليج من موردة البلاط وقدروا أنه اذا حفر مرّ الماء فيه من موردة البلاط الى الميدان الظاهرى الذى أنشأه الملك الناصر بستانا ويمر من البستان الى بركة قرموط حتي ينتهى الى ظاهر باب البحر ويمر من هناك على أرض الطبالة فيصب في الخليج الكبير فلما تعين لهم ذلك عاد النائب الى القلعة وطالعه بما تقرر فبرز أمره لسائر أمراء الدولة باحضار الفلاحين من البلاد الجارية في اقطاعاتهم وكتب الى ولاة الاعمال بجمع الرجال لحفر الخليج فلم يمض سوى أيام قلائل حتى حضر الرجال من الاعمال وتقدم الى النائب بالنزول للحفر ومعه الحجاب فنزل لعمل ذلك وقاس المهندسون طول الحفر من موردة البلاط حيث تعين فم الخليج الى أن يصب في الخليج الكبير وألزم كل أمير من الامراء بعمل أقصاب فرضت له فلما أهل شهر جمادى الاولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقع الشروع فى العمل فبدؤا بهدم ما كان هناك من الاملاك التي من جهة باب اللوق الى بركة قرموط وحصل الحفر في البستان الذي كان للنائب فأخذوا منه قطعة ورسم أن يعطى أرباب الاملاك أثمانها فمنهم من باع ملكه وأخذ ثمنه من مال السلطان ومنهم من هدم داره ونقل أنقاضها فهدمت عدة دور ومساكن جليلة وحفر في عدة بساتين فانتهى العمل في سلخ جمادى الآخرة على رأس شهرين وجرى الماء فيه عند زيادة النيل فأنشأ الناس عدة سواق وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها فسر السلطان بذلك وحصل للناس رفق وقويت رغبتهم فيه فاشتروا عدة أراض من بيت المال غرست فيها الاشجار وصارت بساتين جليلة وأخذ الناس في العمارة على حافتي الخليج فعمر ما بين المقس وساحل النيل ببولاق وكثرت العمائر على الخليج حتى اتصلت من أوله بموردة البلاط الى حيث يصب في الخليج الكبير بأرض الطبالة وصارت البساتين من وراء الاملاك المطلة على الخليج وتنافس الناس في السكنى هناك وأنشأوا الحمامات والمساجد والاسواق وصار هذا الخليج مواطن افراح ومنازل لهو ومغنى صبابات وملعب أتراب ومحل تيه وقصف فيما يمر فيه من المراكب وفيما عليه من الدور

ومابرحت مراكب النزهة تمر فيه بأنواع الناس على سبيل اللهو الى أن منعت المراكب منه بعد قتل الاشراف كما يرد عند ذكر القناطر ان شاء الله تعالى

(ذكر خليج قنطرة الفخر)

هذا الخليج يبتدئ من الموضع الذى كان ساحل النيل ببولاق وينتهى الى حيث يصب في الخليج الناصرى ويصب أيضاً فى خليج لطيف تسقى منه عدة بساتين وكل من هذين الخليجين معمور الجانبين بالاملاك المطلة عليه والبساتين وجميع المواضع التى يمر فيها الخليج الناصري وأرض هذين الخليجين كانت غامرة بالماء ثم انحسر عنها الماء شيئاً بعد شئ كما ذكر في ظواهر القاهرة وهذا الخليج حفر بعد الخليج الناصري

(ذكر القناطر)

اعلم أن قناطر الخليج الكبير عدتها الآن أربع عشرة قنطرة وعلى خليج فم الخور قنطرة واحدة وعلى خليج الذكر قنطرة واحدة وعلى الخليج الناصرى خمس قناطر وعلى بحر أبى المنجا قنطرة عظيمة وبالجيزة عدة قناطر

(ذكر قناطر الخليج الكبير)

قال القضاعى القنطرتان اللتان على هذا الخليج يعنى خليج مصر الكبير أما التي فى طرف الفسطاط بالحمراء القصوى فان عبد العزيز بن مروان بن الحكم بناها فى سنة تسع وستين وكتب عليها اسمه وابتني قناطر غيرها وكتب على هذه القنطرة المذكورة هذه القنطرة أمر بها عبدالعزيز بن مروان الامير اللهم بارك له في أمره كله وثبت سلطانه على ماترضي وأقر عينه فى نفسه وحشمه آمين • وقام ببنائها سعد أبو عثمان وكتب عبد الرحمن فى صفر سنة تسع وستين ثم زاد فيها تكين أمير مصر في سنة ثمان عشرة وثلثمائة ورفع سمكها ثم زاد عليها الاخشيد فى سنة احدى وثلاثين وثلثمائة ثم عمرت في أيام العزيز باللهوقال ابن عبد الظاهر وهذه القنطرة ليس لها أثر في هذا الزمان قلت موضعها الآن خلف خط السبع سقايات وهذه القنطرة هى التي كانت تفتح عند وفاء النيل فى زمن الخلفاء فلما انحسر النيل عن ساحل مصر اليوم أهملت هذه القنطرة وعملت قنطرة السد عند فم بحر النيل فان النيل كان قد ربى الجرف حيث غيط الجرف الذى على يمنة من سلك من المراغة الى باب مصر بجوار الكبارة *(قنطرة السد) هذه القنطرة موضعها مما كان غامراً بماء النيل قديماً وهى الآن يتوصل من فوقها الى منشأة المهرانى وغيرها من بر الخليج الغربى وكان النيل عند انشائها يصل الى الكوم الاحمر الذى هو جانب الخليج الغربى الآن تجاه خط بين الزقاقين فان النيل كان قد ربى جرفا قدام الساحل القديم كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فأهملت القنطرة الاولى لبعد النيل وقدمت هذه القنطرة الى حيث كان النيل ينتهى وصار

تتوصل منها الى بستان الخشاب الذى موضعه اليوم يعرف بالمريس وما حوله وكان الذى
أنشاه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فى
أعوام بضع وأربعين وستمائة ولها قوسان وعرفت الآن بقنطرة السد من أجل أن النيل
لما انحسر عن الجانب الشرقي وانكشفت الاراضي التي عليها الآن خط بين الزقاقين الى
موردة الحلفاء وموضع الجامع الجديد الى دار النحاس وما وراء هذه الاماكن الى المراغة
وباب مصر بجوار الكبارة وانكشف من أراضي النيل أيضاً الموضع الذى يعرف اليوم
بمنشاة المهراني صار ماء النيل اذا بدت زيادته يجعل عند هذه القنطرة سد من التراب حتي
يسند الماء اليه الى أن تنتهى الزيادة الى ست عشرة ذراعا فيفتح السد حينئذ ويمر الماء فى
الخليج الكبير كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب والامر على هذا الى اليوم *(قناطر
السباع) هذه القناطر جانبها الذى يلى خط السبع سقايات من جهة الحمراء القصوى
وجانبها الآخر من جهة جنان الزهرى وأول من أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس
البندقدارى ونصب عليها سباعا من الحجارة فان رنكه كان على شكل سبع فقيل لها قناطر
السباع من أجل ذلك وكانت عالية مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان
السلطانى في موضع بستان الخشاب حيث موردة البلاط وتردد اليه كثيرا صار لايمر اليه من
قلعة الجبل حتي يركب قناطر السباع فتضرر من علوها وقال للامراء ان هذه القنطرة حين
أركب الى الميدان وأركب عليها يتألم ظهرى من علوها ويقال انه أشاع هذا والقصد انما هو
كراهته انظر أثر أحد من الملوك قبله وبغضه أن يذكر لاحد غيره شئ يعرف به وهو
كلما يمر يهاپرى السباع التى هي رنك الملك الظاهر فأحب أن يزيلها لتبقى القنطرة منسوبة اليه ومعروفة
به كما كان يفعل دائماً فى محو آثار من تقدمه وتخليد ذكره ومعرفة الآثار به ونسبتها له فاستدعى الامير
علاء الدين على بن حسن المروانى والى القاهرة وشادّ الجهات وأمره بهدم قناطر السباع
وعمارتها أوسع مما كانت بعشرة أذرع وأقصر من ارتفاعها الاول فنزل ابن المروانى وأحضر
الصناع ووقف بنفسه حتي انتهت في جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة في أحسن
قالب على ماهى عليه الآن ولم يضع سباع الحجر عليها وكان الامير الطنبغا الماردينى قدمرض
ونزل الى الميدان السلطانى فأقام به ونزل اليه السلطان مرارا فبلغ الماردينى مايحدث به
العامة من أن السلطان لم يخرب قناطر السباع الا حتي تبقى باسمه وانه رسم لابن المروانى
أن يكسر سباع الحجر ويرميها في البحر فاتفق أنه عوفى عقيب الفراغ من بناء القنطرة
وركب الى القلعة فسر به السلطان وكان قد شغفه حبا فسأله عن حاله وحادثه الى أن جرى
ذكر القنطرة فقال له السلطان أعجبتك عمارتها فقال والله ياخوند لم يعمل مثلها ولكن ما
كملت فقال كيف قال السباع التى كانت عليها لم توضع مكانها والناس يتحدثون أن السلطان له

غرض في ازالتها لكونها رنك سلطان غيره فامتعض لذلك وأمر فى الحال باحضار ابن المروانى وألزمه باعادة السباع على ما كانت عليه فبادر الى تركيبها في أما كنها وهى باقية هناك الي يومنا هذا الا أن الشيخ محمدا المعروف بصائم الدهر شوه صورها كما فعل بوجه أبي الهول ظناً منه أن هذا الفعل من جملة القربات ولله در القائل

وانما غاية كل من وصل * صيد بنى الدنيا بأنواع الحيل

*(قنطرة عمر شاه) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل منها الى بر الخليج الغربى *(قنطرة طقزدمر) هذه القنطرة على الخليج الكبير بخط المسجد المعلق يتوصل منها الى بر الخليج الغربى وحكر قوصون وغيره *(قنطرة اق سنقر) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من خط قبو الكرمانى ومن حارة البديعيين التي تعرف اليوم بالحبانية ويمر من فوقها الى بر الخليج الغربى وعرفت بالامير اق سنقر شادّ العمائر السلطانية فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون عمرها لما أنشأ الجامع بالبركة الناصرية ومات بدمشق سنة أربعين وسبعمائة *(قنطرة باب الخرق) يقال للارض البعيدة التى تخرقها الريح لاستوائها الخرق وهذه القنطرة على الخليج الكبير كان موضعها ساحلا وموردة للسقائين فى أيام الخلفاء الفاطميين فلما أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب الميدان السلطاني بأرض اللوق وعمر به المناظر في سنة تسع وثلاثين وستمائة أنشأ هذه القنطرة ليمر عليها الى الميدان المذكور وقيل لها قنطرة باب الخرق *(قنطرة الموسكى) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من باب الخوخة وباب القنطرة ويمر فوقها الى بر الخليج الغربى أنشأها الامير عز الدين موسك قريب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان خيرا يحفظ القرآن الكريم ويواظب على تلاوته ويحب أهل العلم والصلاح ويؤثرهم ومات بدمشق يوم الاربعاء ثامن عشرى شعبان سنة أربع وثمانين وخمسمائة *(قنطرة الامير حسين) هذه القنطرة على الخليج الكبير ويتوصل منها الى بر الخليج الغربى فلما أنشأ الامير سيف الدين حسين بن أبي بكر بن اسماعيل بن حيدر بك الرومي الجامع المعروف بجامع الامير حسين فى حكر جوهر النوبي أنشأ هذه القنطرة ليصل من فوقها الى الجامع المذكور وكان يتوصل اليها من باب القنطرة فثقل عليه ذلك واحتاج الى أن فتح في السور الخوخة المعروفة بخوخة الامير حسين من الوزيرية فصارت تجاه هذه القنطرة وقد ذكر خبرها عند ذكر الخوخ من هذا الكتاب والله تعالى أعلم *(قنطرة باب القنطرة) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من القاهرة ويمر فوقها الى المقس وأرض الطبالة وأول من بناها القائد جوهر لما نزل بمناخه وأدار السور عليه وبنى القاهرة ثم قدم عليه القرمطى فاحتاج الى الاستعداد لمحاربته فحفر الخندق وبنى هذه القنطرة على الخليج عند باب جنان أبي المسك كافور

الاخشيدى الملاصق للميدان والبستان الذى للامير أبي بكر محمد الاخشيد ليتوصل من القاهرة الى المقس وذلك فى سنة ثنتين وستين وثلثمائة وبها تسمى باب القنطرة وكانت مرتفعة بحيث تمر المراكب من تحتها وقد صارت في هذا الوقت قريبة من أرض الخليج لا يمكن المراكب العبور من تحتها وتسد بأبواب خوفا من دخول الزعار الى القاهرة *(قنطرة باب الشعرية) هذه القنطرة على الخليج الكبير يسلك اليها من باب الفتوح ويمشى من فوقها الى أرض الطبالة وتعرف اليوم بقنطرة الخروبي *(القنطرة الجديدة)هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من زقاق الكحل وخط جامع الظاهر ويتوصل منها الى أرض الطبالة والى منية الشيرج وغير ذلك أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة عند ما انتهى حفر الخليج الناصرى وكان ما على جانبى الخليج من القنطرة الجديدة هذه الى قناطر الاوز عامرا بالاملاك ثم خربت شيئا بعد شيء من حين حدث فصل الباردة بعد سنة ستين وسبعمائة وفحش الخراب هناك منذ كانت سنة الشراقي في زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة فلما غرقت الحسينية بعد سنة الشراقى خربت المساكن التى كانت في شرقى الخليج ما بين القنطرة الجديدة وقناطر الاوز وأخذت أنقاضها وصارت هذه البرك الموجودة الآن *(قناطر الاوز) هذه القناطر على الخليج الكبير يتوصل اليها من الحسينية ويسلك من فوقها الى أراضى البعل وغيرها وهى أيضاً مما أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأدركت هناك أملاكا مطلة على الخليج بعد سنة ثمانين وسبعمائة وهذه القناطر من أحسن منتزهات أهل القاهرة أيام الخليج لما يصير فيه من الماء ولما على حافته الشرقية من البساتين الانيقة الا أنها الآن قد خربت وتجاه هذه القنطرة منظرة البعل التى تقدم ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء وبقيت آثارها الى الآن أدركناها يعطن فيها الكتان وبها عرفت الارض التي هناك فسميت الى الآن بأرض البعل وكان هناك صف من شجر السنط قد امتد من تجاه قناطر الاوز الى منظرة البعل وصار فاصلا بين مزرعتين يجلس الناس تحته في يومى الاحد والجمعة للنزهة فيكون هناك من أصناف الناس رجالهم ونساؤهم مالا يقع عليه حصر ويباع هناك مآكل كثيرة وكان هناك حانوت من طين تجاه القنطرة يباع فيها السمك أدركتها وقد استؤجرت بخمسة آلاف درهم في السنة عنها يومئذ نحو مائتين وخمسين مثقالا من الذهب على أنه لا يباع فيها السمك الا نحو ثلاثة أشهر أو دون ذلك ولم يزل هذا السنط الى نحو سنة تسعين وسبعمائة فقطع والى اليوم تجتمع الناس هناك ولكن شتان بين ما أدركنا وبين ما هو الآن وقيل لها قناطر الاوز *(قناطر بني وائل) هذه القناطر على الخليج الكبير تجاه التاج أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعرفت

بقناطر بنى وائل من أجل أنه كان بجانبها عدة منازل يسكنها عرب ضعاف بالجانب الشرقي يقال لهم بنو وائل ولم يزالوا هناك الى نحو سنة تسعين وسبعمائة وكان بجانب هذه القناطر من الجانب الغربي مقعد أحدثه الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى لاخذ المكوس واستمر مدة ثم خرب ولم ير أحسن منظرا من هذه القنطرة فى أيام النيل وزمن الربيع *(قنطرة الاميرية) هذه القنطرة هى آخر ما على الخليج الكبير من القناطر بضواحى القاهرة وهى تجاه الناحية المعروفة بالاميرية فيما بينها وبين المطرية أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعند هذه القنطرة ينسد ماء النيل اذا فتح الخليج عند وفاء زيادة النيل ست عشرة ذراعا فلا يزال الماء عند سد الاميرية هذا الى يوم النوروز فيخرج والى القاهرة اليه ويشهد على مشايخ أهل الضواحي بتغليق أراضى نواحيهم بالرى ثم يفتح هذا السد فيمر الماء الى جسر شيبين القصر ويسد عليه حتي يروى ما على جانبي الخليج من البلاد فلا يزال الماء واقفا عند سد شيبين الى يوم عيد الصليب وهو اليوم السابع عشر من النوروز فيفتح حينئذ بعد شمول الرى جميع تلك الاراضى وليس بعد قنطرة الاميرية هذه قنطرة سوى قنطرة ناحية سرياقوس وهى أيضاً انشاء الملك الناصر محمد ابن قلاون وبعد قنطرة سرياقوس جسر شيبين القصر وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجسور من هذا الكتاب *(قنطرة الفخر) هذه القنطرة بجوار موردة البلاط من أراضي بستان الخشاب برأس الميدان وهى أول قنطرة عمرت على الخليج الناصرى على فمه أنشأها القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله بن خروف القبطى المعروف بالفخر ناظر الجيش في سنة خمس وعشرين وسبعمائة عند انتهاء حفر الخليج الناصرى ومات فى رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وقد أناف على السبعين سنة وتمكن فى الرياسة تمكنا كبيرا *(قنطرة قدادار) هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصل اليها من اللوق ويمشى فوقها الى بر الخليج الناصرى مما يلى الفيل وأول ما وضعت كانت تجاه البستان الذى كان ميدانا فى زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان الموجود الآن بموردة البلاط من جملة اراضى بستان الخشاب فغرس في الميدان الظاهرى الاشجار وصار بستانا عظيما كما ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب وعرفت هذه القنطرة بالامير سيف الدين قدادار مملوك الامير برلغى وكان من خبره أنه تنقل في الخدم حتي ولى الغربية من أراضى مصر في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فلقى أهل البلاد منه شرا كثيرا ثم انتقل الى ولاية البحيرة فلما كان في سنة أربع وعشرين كثرت الشناعة في القاهرة بسبب الفلوس وتمنت الناس فيها وامتنعوا من أخذها حتى وقف الحال وتحسن السعر وكان حينئذ يتقلد الوزارة الامير علاء الدين مغلطاى الجمالى ويتقلد

ولاية القاهرة الامير علم الدين سنجر الخازن فلما توجه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون من قلعة الجبل الى السرحة بناحية سرياقوس بلغه توقف الحال وطمع السوقة في الناس وأن متولى القاهرة فيه لين وأنه قليل الحرمة على السوقة وكان السلطان كثير النفور من العامة شديد البغض لهم ويريد كل وقت من الخازن أن يبطش بالحرافيش ويؤثر فيهم آثاراً قبيحة ويشهر منهم جماعة فلم يبلغ من ذلك غرضه فكرهه واستدعى الامير أرغون نائب السلطنة وتقدم اليه بالاغلاظ في القول على الخازن بسبب فساد حال الناس وهم بيروز أمره بالقبض عليه وأخذ ماله فما زال به النائب حتى عفا عنه وقال السلطان يعزله ويولى من ينفع في مثل هذا الامر فاختار ولاية قدادار عوضه لما يعرف من يقظته وشهامته وجراءته على سفك الدماء فاستدعاه من البحيرة وولاه ولاية القاهرة في أول شهر رمضان من السنة المذكورة فأول ما بدأ به أن أحضر الخبازين والباعة وضرب كثيرا منهم بالمقارع ضربا مبرحا وسمر عدة منهم في دراريب حوانيتهم ونادى في البلد من رد فلسا سمر ثم عرض أهل السجن ووسط جماعة من المفسدين عند باب زويلة فهابته العامة وذعروا منه وأخذ يتتبع من عصر خمرا وأحضر عريف الحمالين وألزمه باحضار من كان يحمل العنب فلما حضروا عنده استملاهم أسماء من يشترى العنب ومواضع مساكنهم ثم أحضر خفراء الحارات والاخطاط ولم يزل بهم حتى دلوه على سائر من عصر الخمر فاشتهر ذلك بين الناس وخافوه فحول أهل حارة زويلة وأهل حارتى الروم والديلم وغير ذلك من الاماكن ما عندهم من الخمر وصبوها في البلاليع والاقنية وألقوها فى الازقة وبذلوا المال لمن يأخذها منهم فحصل لكثير من العامة والاطراف منها شيء كثير حتى صارت تباع كل جرة خمر بدرهم ويمر الناس بأبواب الدور والازقة فترى من جرار الخمر شيئاً كثيراً ولا يقدر أحد أن يتعرض لشيء منها ثم ركب وكبس خط باب اللوق وأخذ منه شيئاً كثيراً من الحشيش وأحرقه عند باب زويلة واستمر الحال مدة شهر ما من يوم الا ويحرق فيه خمر عند باب زويلة ويحرق حشيش فطهر الله به البلد من ذلك جميعه وتتبع الزعار وأهل الفساد فخافوه وفروا من البلد فصار السلطان يشكره ويثني عليه لما يبلغه من ذلك وأما العامة فانه ثقل عليها وكرهته حتي أنه لما تأمر ابن الامير بكتمر الساقي وركب الى القبة المنصورية على العادة ومعه أبوه والنائب وسائر الامراء صاحت العامة للامير بكتمر الساقى يا أمير بكتمر بحياة ولدك اعزل هذا الظالم ورد علينا والينا يعنون الخازن فلما عرف بكتمر السلطان ذلك أعجبه وقال يا أمير ما تخشى العامة والسوقة الا ظالما مثل هذا ما يخاف الله تعالى وزاد اعجاب السلطان به حتي قال له لا تشاور في امر المفسدين فلم يغتر بذلك ورفع اليه جميع ما يتفق له وشاوره فى كل جليل وحقير وقال له ان جماعة من الكتاب والتجار قد عصروا

الخمر واستأذنه في طابهم ومصادرتهم فتقدم له بمشاورة النائب فى ذلك واعلامه أن السلطان قد رسم بالكشف عمن عصر من الكتاب والتجار الخمر فلما صار الى النائب وعرفه الخبر أهانه وقال ان السلطان لا يرضى بكبس بيوت الناس وهتك حرمهم وسترهم واقامة الشناعات وقام من فوره الى السلطان وعرفه ما يكون في فعل ذلك من الفساد الكبير وما زال به حتى صرف رأيه عما أشار به قدادار من كبس الدور وأخذ الناس فى ممالقته والاخراق به فى كل وقت فانه كان يمني بالمخازن ولم يعجبه عزله عن الولاية فكثر جور قدادار وزاد تتبعه للناس ونادى أن لا يعمل أحد حلقة فيما بين القصرين ولا يسمر هناك وأمر أن لا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الآخرة وأقام عنه نائبا من بطالى الحسينية ضمن المسطبة منه فى كل يوم بثمانمائة درهم وانحصر الناس منه وضاقوا به ذرعا لكثرة ماهتك أستارهم وخرق بكثير من المستورين وتسلطت المتصنعة وأرباب المظالم على الناس وكانوا اذا رأوا سكران او شموا منه رائحة خمر أحضروه اليه فتوقى الناس شره وشكاه الامراء غير مرة الى السلطان فلم يلتفت لما يقال فيه والنائب مستمر على الاخراق به الى أن قبض عليه السلطان فخلا الجو لقدادار وأكثر من سفك الدماء واتلاف النفوس والتسلط على العامة لبغضهم اياه والسلطان يعجبه منه ذلك بحيث انه ابرز مرسوما لسائر عماله وولاته ان أحدا منهم لا يقتص ممن وجب عليه القصاص فى النفس أو القطع الا أن يشاور فيه ويطالع بامره ما خلا قدادار مستولى القاهرة فانه لا يشاور على مفسد ولا غيره ويده مطلقة في سائر الناس فدهى الناس منه بعظائم وشرع في كبس بيوت السعداء ومشت جماعة من المستصنعين في البلد وكتبوا الاوراق ورموها فى بيوت الناس بالتهديد فكثرت أسباب الضرر وكثر بلاء الناس به وتعنت على الباعة ونادى أن لا يفتح أحد حانوته بعد عشاء الآخرة فامتنع الناس من الخروج بالليل حتي كانت المدينة في الليل موحشة واستجد على كل حارة دربا وألزم الناس بعمل ذلك فجبيت بهذا السبب دراهم كثيرة وصار الخفراء في الليل يدورون ومعهم الطبول فى كل خط فظفر بانسان قد سرق شيئاً من بيت فى الليل وتزيا بزى النساء فسمره على باب زويلة وما زال على ذلك حتى كثرت الشناعة فعزله السلطان فى سنة تسع وعشرين بناصر الدين ابن المحسني فأقام الى أيام الحج وسافر الى الحجاز ورجع وهو ضعيف فمات في سادس عشر صفر سنة ثلاثين وسبعمائة * (قنطرة الكتبة) * هذه القنطرة على الخليج الناصرى بخط بركة قرموط عرفت بذلك لكثرة من كان يسكن هناك من الكتاب أنشأها القاضى شمس الدين عبد الله بن أبى سعيد بن أبى السرور الشهير بغبريال بن سعيد ناظر الدولة وولى نظر الدواوين بدمشق فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة نقل اليها من نظر البيوت بديار مصر ثم استدعى من دمشق وقرر فى وظيفة ناظر النظار شريكا للقاضي

شهاب الدين الاقفهسي واستقر كريم الدين الصغير مكانه ناظرا بدمشق وذلك في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة ثم صرف غبريال من النظر بديار مصر وسفر الى دمشق في ثامن عشر صفر سنة ست وعشرين وطلب كريم الدين الصغير من دمشق ثم قرر في مكان غبريال فى وظيفة النظر بديار مصر الخطير كاتب أرغون أخو الموفق وأعيد غبريال الى نظر دمشق ومات بدمشق بعد ما صودر وأخذ منه نحو ألفى ألف درهم في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وأدركنا الاملاك منتظمة بجانبي هذا الخليج من أوله بموردة البلاط الى هذه القنطرة ومن هذه القنطرة الى حيث يصب في الخليج الكبير فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة شرع الناس فى هدم ماعلى هذا الخليج من المناظر البهجة والمساكن الجليلة وبيع أنقاضها حتى ذهب ماكان على هذا الخليج من المنازل مابين قنطرة الفخر التي تقدم ذكرها وآخر خط بركة قرموط وأصبحت موحشة قفراء بعد ما كانت مواطن أفراح ومغنى صبابات لا يأويها الا الغربان والبوم سنة الله في الذين خلوا من قبل *(قنطرة المقسى) هذه القنطرة على خليج فم الخور وهو الذي يخرج من بحر النيل ويلتقى مع الخليج الناصرى عند الدكة فيصير ان خليجا واحدا يصب فى الخليج الكبير كان موضعها جسرا يستند عليه الماء اذا بدت الزيادة الى أن تكمل أربعة عشر ذراعا فيفتح ويمر الماء فيه الى الخليج الناصرى وبركة الرطلى ويتأخر فتح الخليج الكبير حتى يرقى الماء ستة عشر ذراعا فلما انطرد ماء النيل عن البر الشرقي بقى تجاه هذا الخليج في أيام احتراق النيل رملة لا يصل اليها الماء الا عند الزيادة وصار يتأخر دخول الماء في الخليج مدة واذا كسر سد الخليج الكبير عند الوفاء مر الماء بهذا الخليج مرورا قليلا وما زال موضع هذه القنطرة سدا الى أن كانت وزراة الصاحب شمس الدين أبي الفرج عبدالله المقسى في أيام السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين فأنشأ بهذا المكان القنطرة فعرفت به واتصلت العمائر أيضاً بجانبي هذا الخليج من حيث يبتدئ الي أن يلتقى مع الخليج الناصرى ثم خرب أكثر ما عليه من العمائر والمساكن بعد سنة ست وثمانمائة وكان للناس بهذا الخليج مع الخليج الناصرى في أيام النيل مرور في المراكب للنزهة يخرجون فيه عن الحد بكثرة التهتك والتمتع بكل مايلهى الى أن ولى أمر الدولة بعد قتل الملك الاشرف شعبان بن حسين الاميران برقوق وبركة فقام الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر فى منع المراكب من المرور بالمتفرجين في الخليج واستفتى شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني فكتب له بوجوب منعهم لكثرة ما ينتهك فى المراكب من الحرمات ويجاهر به من الفواحش والمنكرات فبرز مرسوم الاميرين المذكورين بمنع المراكب من الدخول الى الخليج وركبت سلسلة على قنطرة المقسى هذه فى شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانين وسبعمائة فامتنعت

المراكب بأسرها من عبور هذا الخليج الا أن يكون فيها غلة أو متاع فقلق الناس لذلك وشق عليهم * وقال الشهاب أحمد بن العطار الدنيسري فى ذلك

حديث فم الخور المسلسل ماؤه * بقنطرة المقسى قد سار فى الخلق
الا فاعجبوا من مطلق ومسلسل * يقول لقد أوقفتم الماء فى حلقى

وقال

تسلمت قنطرة المقسي مما * لقد جرى والمنع أضحى شاملا
وقال أهل طينة في مجنهم * قوموا بنا نقطع السلاسلا

ولم تزل مراكب الفرجة ممتنعة من عبور الخليج الى أن زالت دولة الظاهر برقوق في سنة احدى وتسعين وسبعمائة فأذن في دخولها وهي مستمرة الى وقتنا هذا *(قنطرة باب البحر) هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصل اليها من باب البحر ويمر الناس من فوقها الى بولاق وغيره وهى مما أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون عند انتهاء حفر الخليج الناصرى في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد كان موضعها فى القديم غامرا بالماء عند ما كان جامع المقس مطلا على النيل فلما انحسر الماء عن بر القاهرة صارما قدام باب البحر رملة فاذا وقف الانسان عند باب البحر رأى البر الغربي لا يحول بينه وبين رؤيته بنيان ولا غيره فاذا كان أوان زيادة ماء النيل صار الماء الى باب البحر وربما جلفط في بعض السنين خوفا من غرق المقس ثم لما طال المدى غرق خارج باب البحر بأرض باطن اللوق وغرس فيه الاشجار فصار بساتين ومزارع وبقى موضع هذه القنطرة جرفا ورمى الناس عليه التراب فصار كوما يشنق عليه أرباب الجرائم ثم نقل ما هنالك من التراب وأنشئت هذه القنطرة ونودى في الناس بالعمارة فأول ما بني في غربى هذه القنطرة مسجد المهاميزى وبستانه ثم تتابع الناس في العمارة حتى انتظم ما بين شاطئ النيل ببولاق وباب البحر عرضاً وما بين منشاة المهرانى ومنية الشيرج طولا وصار ما بجانبي الخليج معمورا بالدور ومن ورائها البساتين والاسواق والحمامات والمساجد وتقسمت الطرق وتعددت الشوارع وصار خارج القاهرة من الجهة الغربية عدة مدائن *(قنطرة الحاجب) هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصل اليها من أرض الطبالة ويسير الناس عليها الى منية الشيرج وغيرها أنشأها الامير سيف الدين بكتمر الحاجب في سنة ست وعشرين وسبعمائة وذلك أنه كانت أرض الطبالة بيده فلما شرع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون في حفر الخليج الناصري التمس بكتمر من المهندسين اذا وصلوا بالحفر الى حيث الجرف أن يمروا به على بركة الطوابين التى تعرف اليوم ببركة الرطلى وينتهوا من هناك الى الخليج الكبير ففعلوا ذلك وكان قصدهم أولا انه اذا انتهى الحفر الى الجرف مروا فيه الى الخليج الكبير من طرف البعل فلما تهيأ لبكتمر

ذلك عمرت له أراضى الطبالة كما يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى عند ذكر البرك فعمرت هذه القنطرة في سنة خمس وعشرين وسبعمائه وأسند اليها جسرا عمله حاجزا بين بركة الحاجب المعروفة ببركة الرطلى وبين الخليج الناصري وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجسور ولما عمرت هذه القنطرة اتصلت العمائر فيما بينها وبين كوم الريش وعمر قبالتها ربع عرف بربع الزيتي وكان على ظهر القنطرة صفان من حوانيت وعليها سقيفة تقي حر الشمس وغيره فلما غرق كوم الريش فى سنة بضع وستين وسبعمائة صار هذا الكوم الذى خارج القنطرة ومن تحت هذه القنطرة يصب الخليج الناصري في الخليج الكبير ويمر الى حيث القنطرة الجديدة وقناطر الاوز وغيرها كما تقدم ذكره *(قنطرة الدكة) هذه القنطرة كانت تعرف بقنطرة الدكة ثم عرفت بقنطرة التركمانى من أجل ان الامير بدر الدين التركمانى عمرها وهذه القنطرة كانت على خليج الذكر وقد انطم ما تحتها وصارت معقودة على التراب لتلاف خليج الذكر ولله در ابراهيم المعمار حيث يقول

يا طالب الدكة نلت المنى * وفزت منها ببلوغ الوطر
قنطرة من فوقها دكة * من تحتها تلقى خليج الذكر

(قناطر بحر أبي المنجا) هذه القناطر من أعظم قناطر مصر وأكبرها أنشأها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري في سنة خمس وستين وستمائة وتولى عمارتها الامير عز الدين ايبك الافرم *(قناطر الجيزة) قال في كتاب عجائب البنيان ان القناطر الموجودة اليوم فى الجيزة من الابنية المعجبة ومن أعمال الجبارين وهى نيف واربعون قنطرة عمرها الامير قراقوش الاسدى وكان على العمائر فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بما هدمه من الاهرام التي كانت بالجيزة وأخذ حجرها فبني منه هذه القناطر وبنى سور القاهرة ومصر وما بينهما وبني قلعة الجبل وكان خصيا روميا سامى الهمة وهو صاحب الاحكام المشهورة والحكايات المذكورة وفيه صنف الكتاب المشهور المسمى بالفاشوش في احكام قراقوش وفى سنة تسع وتسعين وخمسمائة تولى امر هذه القناطر من لا بصيرة عنده فسدها رجاء أن يحبس الماء فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت ومع ذلك فما روى مارجا أن يروى وفى سنة ثمان وسبعمائة رسم الملك المظفر بيبرس الجاشنكير برمها فعمر ما خرب منها وأصلح ما فسد فيها فحصل النفع بها وكان قراقوش لما أراد بناء هذه القناطر بنى رصيفا من حجارة ابتدأ به من حيز النيل بازاء مدينة مصر كأنه جبل ممتد على الارض مسيرة ستة أميال حتي يتصل بالقناطر

(ذكر البرك)

قال ابن سيده البركة مستنقع الماء والبركة شبه حوض يحفر فى الارض انتهى وقد رأيت

بخط معتبر ما مثاله ومثلوا البركة ماء فنصب الباء وكسر الراء وفتح الكاف والتاء *(بركة الحبش) هذه البركة كانت تعرف ببركة المغافر وتعرف ببركة حمير وتعرف أيضاً باصطبل قرة وعرفت أيضاً باصطبل قامش وهي من أشهر برك مصر وهي في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين الجبل والنيل وكانت من الموات فاستنبطها قرة بن شريك العبسي أمير مصر وأحياها وغرسها قصباً فعرفت باصطبل قرة وعرفت أيضاً باصطبل قامش وتنقلت حتى صارت تعرف ببركة الحبش ودخلت في ملك أبي بكر الماردانى فجعلها وقفاً ثم أرصدت لبنى حسن وبنى حسين ابنى على بن أبي طالب رضى الله عنهم فلم تزل جارية في الاوقاف عليهم الى وقتنا هذا. قال أبو بكر الكندى في كتاب الامراء وقدم قرة بن شريك من وفادته في سنة ثلاث وتسعين فاستنبط الاصطبل لنفسه من الموات وأحياه وغرسه قصبا فكان يسمى اصطبل قرة ويسمى أيضاً اصطبل القامش يعنون القصب كما يقولون قامش مروان. وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وكان الاصطبل للازد فاشتراه منهم الحكم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم فبناه وكان يجرى على الذى يقرأ في المصحف الذى وضعوه في المسجد الذى يقال له مصحف أسماء من كراه في كل شهر ثلاثة دنانير فلما حيزت أموالهم يعنى أموال بنى أمية وضمت الى مال الله حيز الاصطبل فيما حيز وكتب بأمر المصحف الى أمير المؤمنين أبي العباس السفاح فكتب أن أقروا مصحفهم في مسجدهم على حاله وأجروا على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير في كل شهر من مال الله تعالى. وقال القضاعي بركة الحبش كانت تعرف ببركة المغافر وحمير وتعرف باصطبل قامش وكانت في ملك أبي بكر محمد بن على الماردانى بجميع ما تشتمل عليه من المزارع والجنان خلا الجنان التي في شرقيها وأظنها الجنان المنسوبة الى وهب بن صدقة وتعرف بالحبش فانى رأيت في شرط هذه البركة أن الحد الشرقي ينتهي الى الفضاء الفاصل بينها وبين الجنان المعروفة بالحبش فدل على أن الجنان خارجة عنها وذكر ابن يونس في تاريخه أن في قبلى بركة الحبش جنانا تعرف بقتادة بن قيس بن حبشى الصدفى شهد فتح مصر والجنان تعرف بالحبش وبه تعرف بركة الحبش وذكر بعد هذا الشرط أن الحد البحري ينتهى الى البئر الطولونية والى البئر المعروفة بموسى بن أبي خليد وهذه البئر هى البئر المعروفة بالنعش ورأيت في كتاب شرط هذه البركة أنها محبسة على البئرين اللتين استنبطهما أبو بكر الماردانى في بنى وائل بحضرة الخليج والقنطرة المعروفة احداها بالفندق والاخرى بالعتيق وعلى السرب الذى يدخل منه الماء الى البئر الحجارة المعروفة بالروا التي في بنى وائل ذات القناطر التي يجرى فيها الماء الى المصنعة التي بحضرة العقبة التي يصار منها الى يحصب وهي المصنعة المعروفة بدايله وعلى القنوات المتصلة بها التي تصب الى المصنعة ذات العمد الرخام القائمة فيها المعروفة

بسمينة وهى التي في وسط يحصب ويقال ان هناك كانت سوق ليحصب وذكر في هذا الشرط
دارا له في موضع السقاية المعروفة بسقاية زوف وشرط أن تنشأ هذه الدار مصنعة على
مثل هذه المصنعة المقدم ذكرها المعروفة بسمينة وهى سقاية زوف اليوم وعلى القناة التى
يجري فيها الماء الى مصنعة ذكر أنه كان أنشأها عند البئر المعروفة اليوم ببئر القبة والحوض الذي
هناك بحضرة المسجد المعروف بمسجد القبة وكانت هذه المصنعة تسمى ريا وجعل هذا الحبس
أيضاً على البئر التي له بالحبانية بحضرة الخندق وذكر أنها تعرف بالقبانية وان ماءها يجرى
الى المصنعة المقابلة للميدان من دار الامارة في طريق المصلى القديم ثم الى المصنعة التي تحت
مسجده المقابل لدار عبد العزيز ثم الى المصنعة المقابلة لمسجد التربة المجاورة لمسجد الاخضر
وتاريخ هذا الشرط شهر رمضان سنة سبع وثلثمائة وجعل ما يفضل عن جميع ذلك مصروفا
فى ابتياع بقر وكباش تذبح ويطبخ لحمها ويبتاع أيضاً معها خبز بر ودراهم وأكسية وأعبية
ويتصدق بذلك على الفقراء والمساكين بالمغافر وغيرها من القبائل بمصر وكان بناؤه السقايتين
اللتين بالموقف والسقايات التي بالمغافر وبزوف ويحصب وبنى وائل وعمل المجارى في سنة
أربع وقيل في سنة ثلاث وثلثمائة وقد حبس أبو بكر على الحرمين ضياعا كان ارتفاعها نحو
مائة ألف دينار منها سيوط وأعمالها وغيرها انتهى * وفى تواريخ النصارى أن الامير أحمد
ابن طولون صادر البطريق ميخائيل بطرك اليعاقبة على عشرين ألف دينار فباع النصارى
رباع الكنائس بالاسكندرية وأرض الحبش بظاهر مصر والكنيسة المجاورة للمعلقة
بقصر الشمع بمصر لليهود قلت هكذا في تواريخهم ولا أعلم كيف ملكوا أرض الحبش فلعل
الماردانى هو الذى اشتراها ثم وقفها * وقال ابن المتوج بركة الحبش هذه البركة مشهورة
في مكانها وقد اتصل ثبوت وقفها عند قاضى القضاة بدر الدين أبى عبد الله محمد بن سعد الله
ابن جماعة رحمة الله عليه على أنها وقف على الاشراف الاقارب والطالبيين نصفين بينهما بالسوية
النصف الاول على الاقارب والنصف الآخر على الطالبيين وثبت قبله عند قاضى القضاة بدر
الدين أبى المحاسن يوسف بن الحسن السنجارى أن النصف منها وقف على الاشراف الاقارب
بالاستفاضة بتاريخ ثالث عشر ربيع الاول سنة أربعين وستمائة وهم الاقارب الحسينيون وهو
اذ ذاك قاضى القضاة بالقاهرة والوجه البحري وما مع ذلك من البلاد الشامية المضافة الى
ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب وثبت عند قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد
السلام رحمه الله تعالى وكان قاضى القضاة بمصر والوجه القبلي وخطيب مصر بالاستفاضة
أيضاً أن البركة المذكورة وقف على الاشراف الطالبيين بتاريخ التاسع والعشرين من شهر
ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة وبعدهما قاضى القضاة وجيه الدين البهنسي فى ولايته ثم
نفذهما بعد تنفيذ وجيه الدين المذكور فى شعبان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة قاضى القضاة

بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة وهو حاكم الديار المصرية خلا ثغر الاسكندرية ويأتي أصل خبر هذه البركة مبينا مشروحا من أصلها فى مكانه ان شاء الله تعالى * قال فمن جملة الاوقاف بركة الاشراف المشهورة ببركة الحبش وهذه البركة حدودها أربعة الحد القبلي ينتهى بعضه الى أرض العدوية يفصل بينهما جسر هناك وباقيه الى غيطان بساتين الوزير والحد البحري ينتهى بعضه الى ابنية الآدر التي هناك المطلة عليها والى الطريق والى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الشعيبية والحد الشرقى الى حد بساتين الوزير المذكورة والحد الغربي ينتهى بعضه الى بحر النيل والى أراضى دير الطين والى بعض حقوق جزيرة ابن الصابونى وجسر بستان المعشوق الذى هو من حقوق الجزيرة المذكورة وهذه البركة وقف الاشراف الاقارب والطالبيين نصفين بينهما بالسوية والذى شاهدته من أمرها أني وقفت على اسجال قاضى القضاة بدر الدين أبي المحاسن يوسف السنجارى رحمة الله تعالى عليه تاريخه ثاني عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة وهو حين ذاك حاكم القاهرة والوجه البحرى على محضر شهد فيه بالاستفاضة أن نصف هذه البركة وقف على الاشراف الاقارب الحسينيين وثبت ذلك عنده ورأيت اسجال الشيخ قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله على محضر شهد فيه بالاستفاضة وهو حين ذلك قاضى مصر والوجه القبلى وأشهد عليه أنه ثبت عنده أن البركة المذكورة جميعها وقف على الاشراف الطالبيين وتاريخ اسجاله التاسع والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة ثم نفذها جميعا في تاريخ واحد قاضى القضاة وجيه الدين البهنسى وهو قاضى القضاة حين ذاك ثم نفذها قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة وهو قاضى القضاة بالديار المصرية واستقر النصف من ريع هذه البركة على الاشراف الاقارب مع قلتهم والنصف على الاشراف الطالبين مع كثرتهم وتنازعوا غير مرة على أن تكون بينهم الجميع بالسوية فلم يقدروا على ذلك وعقد لهم مجالس غير مرة فلم يقدروا على تغييره وأحسن ما وصفت به بركة الحبش قول عيسى بن موسى الهاشمى أمير مصر وقد خرج الى الميدان الذي بطرف المقابر فقال لمن معه أتتأملون الذى أرى قالوا وما الذي يرى الامير قال أرى ميدان رهان وجنان نخل وبستان شجر ومنازل سكنى وذروة جبل وجبانة أموات ونهرا عجاجا وأرض زرع ومراعى ماشية ومرتع خيل وساحل بحر وصائد نهر وقانص وحش وملاح سفينة وحادى ابل ومفازة رمل وسهلا وجبلا فهذه ثمانية عشر متنزها فى أقل من ميل فى ميل وأين هذه الاوصاف من وصف بعضهم قصر أنس بالبصرة فى قوله

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * لا بد من زورة من غير ميعاد

زره فليس له شيء يشاكله * من منزل حاضر ان شئت أو بادي

تلقى به السفن والاعياس حاضرة * والضب والنون والملاح والحادى

وقال

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * وحبذا أهله من حاضر بادى

تلقى قراقرة والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادى

هكذا أنشدهما أبو الفرج الاصهاني رحمه الله تعالى في كتاب الاغانى ونسبهما لابن عيينة بن المنهال بن محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة شاعر من ساكنى البصرة وقيل ان اسمه عذرة وقيل اسمه أبو عيينة وكنيته أبو المنهال وكان بعد المائتين • وأنشد أبو العلاء المعرى في رسالة الصاهل والساحج

يا صاح ألمم بأهل القصر والوادى * وحبذا أهله من حاضر بادى

ترى قراقرة والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادى

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي وفى هذا الوقت من السنة يعني أيام النيل تكون أرض مصر أحسن شيء منظرا ولا سيما متنزهاتها المشهورة ودياراتها المطروقة كالجزيرة والجيزة وبركة الحبش وما جرى مجراها من المواضع التي يطرقها أهل الخلاعة والقصف • ويتناوبها ذوو الآداب والظرف • واتفق أن خرجنا في مثل هذا الزمان الى بركة الحبش وافترشنا من زهرها أحسن بساط واستظللنا من دوحها بأوفى رواق فظللنا نتعاطى من زجاجات الاقداح • شموسا فى خلع بدور • وجسوم نار فى غلائل نور • الى أن جرى ذهب الاصيل على لجين الماء • ونشبت نار الشفق بفحمة الظلماء • فقال بعضهم (وهو أمية المذكور من قوله المشهور)

لله يومى ببركة الحبش * والافق بين الضياء والغبش

والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم في يمين مرتعش

ونحن في روضة مفوفة * دبج بالنور عطفها ووشى

قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نسجها على فرش

فعاطني الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش

وأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعى الهوى فلم يطش

فأسقني بالكبار مترعة * فهن أشفى لشدة العطش

وقال أيضاً

علل فؤادك باللذات والطرب * وباكر الراح بالبانات والنخب

أما ترى البركة الغناء لابسة * وشيا من النور حاكته يد السحب

وأصبحت من جديد الروض في حلل * قد أبرز القطر منها كل محتجب

من سوسن شرق بالطل محجره * والقحوان شهى الظلم والشنب
فانظر الى الورد يحكي خد محتشم * ونرجس ظل يبدى لحظ مرتقب
والنيل من ذهب يطفو على ورق * والراح من ورق يطفو على ذهب
ورب يوم نقعنا فيه غلتنا * بجاحم من فم الابريق ملتهب
شمس من الراح حيانا بها قمر * موف على غصن يهتز في كثب
أرخي ذوائبه واهتز منعطفا * كصعدة الرمح في مسودة العذب
فاطرب ودونكها فاشرب فقد بعثت * على التصابى دواعى اللهو والطرب

وقال

يا نزهة الرصد المصرى قد جمعت * من كل شىء حلا في جانب الوادى
فذا غدير وذا روض وذا جبل * والضب والنون والملاح والحادى

وقال ابراهيم بن الرفيق فى تاريخه حدثني محمد الكهيني وكان أديبا فاضلا قد سافر ورأى بلدان المشرق قال ما رأيت قط أجمل من أيام النوروز والغطاس والميلاد والمهرجان وعيد الشعانين وغير ذلك من أيام اللهو التي كانوا يسخون فيها بأموالهم رغبة في القصف والعزف وذلك أنه لا يبقى صغير ولا كبير الا خرج الى بركة الحبش متنزها فيضربون عليها المضارب الجليلة والسرادقات والقباب والشراعات ويخرجون بالاهل والولد ومنهم من يخرج بالقينات المسمعات المماليك والمحررات فيأكلون ويشربون ويسمعون ويتفكهون وينعمون فاذا جاء الليل أمر الامير تميم بن المعز مائتى فارس من عبيده بالعسس عليهم فى كل ليلة الى أن يقضوا من اللهو والنزهة أربهم وينصرفوا فيسكرون وينامون كما ينام الانسان فى بيته ولا يضيع لاحد منهم ما قيمته حبة واحدة ويركب الامير تميم فى عشارى ويتبعه أربعة زواريق مملوءة فاكهة وطعاما ومشروبا فان كانت الليالى مقمرة والا كان معه من الشموع مايعيد الليل نهارا فاذا مر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتا أمرهم باعادته وسألهم عما عز عليهم فيأمر لهم به ويأمر لمن يغنى لهم وينتقل منهم الى غيرهم بمثل هذا الفعل عامة ليله ثم ينصرف الى قصوره وبساتينه التي على هذه البركة فلا يزال على هذه الحال حتي تنقضي هذه الايام ويتفرق الناس وقال محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى الحنفى وتوفي بدمشق سنة احدى وخمسين وستمائة يصف بركة الحبش في أيام الربيع

اذا زين الحسناء قرط فهذه * يزينها من كل ناحية قرط
ترقرق فيها أدمع الطل غدوة * فقلت لآل قد تضمنها قرط

وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب وخرجت مرة حيث بركة الحبش التي يقول فيها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى عفا الله عنه

لله يومي ببركة الحبش * والأفق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم في يمين مرتعش

وعاينت من هذه البركة أيام فيض النيل عليها أبهج منظر ثم زرتها أيام غاض الماء وبقيت فيها مقطعات بين خضر من القرط والكتان تفتن الناظر وفيها أقول

يابركة الحبش التي يومي بها * طول الزمان مبارك وسعيد
حتى كأنك فى البسيطة جنة * وكأن دهرى كله بك عيد
ياحسن مايبدو بك الكتان فى * نواره اوزره معقود
والماء منك سيوفه مسلولة * والقرط فيك رواقه ممدود
وكأن أبراجا عليك عرائس * جليت وطيرك حولها غريد
ياليت شعرى هل زمانك عائد * فالشوق فيه مبدئ ومعيد

وكان ماء النيل يدخل الى بركة الحبش من خليج بني وائل وكان خليج بني وائل مما يلى باب مصر من الجهة القبلية الذى يعرف الى يومنا هذا بباب القنطرة من أجل أن هذه القنطرة كانت هناك * قال ابن المتوج ورأيت ماء النيل فى زمن النيل يدخل من تحته الى خليج بنى وائل * قلت وفي أيام الناصر محمد بن قلاون استولى النشو ناظر الخاص على بركة الحبش وصار يدفع الى الاشراف من بيت المال مالا في كل سنة فلما مات الناصر وقام من بعده ابنه المنصور أبو بكر أعيدت لهم

* (ذكر الماردانى) *

هو أبو بكر محمد بن على بن محمد بن رستم بن أحمد وقيل محمد بن على بن أحمد بن عيسى بن رستم وقيل محمد بن على بن أحمد بن ابراهيم بن الحسين بن عيسى بن رستم الماردانى أحد عظماء الدنيا ولد بنصيبين لثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وقدم الى مصر في سنة اثنتين وسبعين ومائتين وخلف أباه على بن أحمد الماردانى أيام نظره فى أمور أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وسنه يومئذ خمس عشرة سنة وكان معتدل الكتابة ضعيف الحظ من النحو واللغة ومع ذلك فكان يكتب الكتب الى الخليفة فمن دونه على البديهة من غير نسخة فيخرج الكتاب سليما من الخلل ولما قتل أبوه فى سنة ثمانين ومائتين استوزره هارون بن خمارويه فدبر أمر مصر الى أن قدم محمد بن سليمان الكاتب من بغداد الى مصر وأزال دولة بنى طولون وحمل رجالهم الى العراق فكان أبو بكر ممن حمله فأقام ببغداد الى أن قدم صحبة العساكر لقتال حباسة فدبر أمر البلد وأمر ونهى وحدث بمصر عن أحمد بن عبد الجبار العطاردى وغيره بسماعه منهم فى بغداد وكان قليل الطلب للعلم تغلب عليه محبة الملك وطلب السيادة ومع ذلك كان يلازم تلاوة القرآن

الكريم ويكثر من الصلاة ويواظب على الحج وملك بمصر من الضياع الكبار مالم يملكه أحد قبله وبلغ ارتفاعه في كل سنة أربعمائة ألف دينار سوى الخراج ووهب وأعطى وولى وصرف وأفضل ومنع ورفع ووضع وحج سبعاً وعشرين حجة أنفق فى كل حجة منها مائة وخمسين ألف دينار وكان تكين أمير مصر يشيعه اذا خرج للحج ويتلقاه اذا قدم وكان يحمل الى الحجاز جميع مايحتاج اليه ويفرق بالحرمين الذهب والفضة والثياب والحلوى والطيب والحبوب ولا يفارق أهل الحجاز الا وقد أغناهم وقيل مرة وهو بالمدينة النبوية على سا كنها أفضل الصلاة والسلام مابات في هذه الليلة أحد بمكة والمدينة وأعمالهما الاوهو شبعان من طعام أبي بكر المارداني * ولما قدم الامير محمد بن طغج الاخشيد الى مصر استتر منه فانه كان منعه من دخول مصر وجمع العساكر لقتاله فاجتمع له زيادة على ثلاثين ألف مقاتل وحارب بهم بعد موت تكين أمير مصر ومرت به خطوب لكثرة فتن مصر اذ ذاك وأحرقت دوره ودور أهله ومجاوريه وأخذت أمواله واستتر فقبض على خليفته وعماله فكتب الى بغداد يسأل امارة مصر وكتب محمد بن تكين بالقدس يسأل ذلك فعاد الجواب بامارة ابن تكين وأن يكون المارداني يدبر أمر مصر ويولى من شاء فظهر عند ذلك من الاستتار وأمر ونهى ودبر أمر البلد وصار الجيش بأسره يغدو الى بابه فانفق فى جماعة واصطنع قوما وقتل عدة من اصحاب ابن تكين وكان محمد بن تكين بالقدس وأمر مصر كله للمارداني بمفرده ومعه أحمد بن كيغلغ وقد قدم من بغداد بولاية ابن تكين على مصر وولاية أبي بكر المارداني تدبير الامور فاستمال أبو بكر أحمد بن كيغلغ حتى صار معه على ابن تكين وحاربه وكان من أمره ما كان الى أن قدمت عساكر الاخشيد فقام أبو بكر لمحاربتهم ومنع الاخشيد من مصر فكان الاخشيد غالبا له ودخل البلد فاستتر منه أبو بكر الى أن دل عليه فأخذه وسلمه الى الفضل بن جعفر بن الفرات فلما صار الى ابن الفرات قال له ايش هذا الاستيحاش والتستر وانت تعلم أن الحج قد أظل ويحتاج لاقامة الحج فقال له أبو بكران كان الىّ نخمسة عشر ألف دينار فقال ابن الفرات ايش خمسة عشر ألف دينار قال ماعندي غير هذا فقال ابن الفرات بهذا ضربت وجه السلطان بالسيف ومنعت أمير البلد من الدخول ثم صاح ياشادن خذه اليك فأقيم وادخل الى بيت وكان يومئذ صائماً فامتنع من تناول الطعام والشراب ولزم تلاوة القرآن والصلاة طول يومه وليلته وأصبح فامتنع ابن الفرات من الاكل اجلالا له فلما كان وقت الفطر من الليلة الثانية امتنع أبو بكر من الفطر كما امتنع في الليلة الاولى فامتنع ابن الفرات أيضاً من الاكل وقال لاآكل أبداً أو يأكل أبو بكر فلما بلغ ذلك أبا بكر أكل فأخذ ابن الفرات في مصادرته وقبض على ضياعه التي بالشام ومصر وتتبع أسبابه ثم خرج به معه الى الشام وعاد به الى مصر ثم خرج به ثانياً الى الشام

فمات الفضل بن الفرات بالرملة ورجع أبو بكر الى مصر فرد اليه الاخشيد أمور مصر كلها وخلع على ابنه وتقلد السيف ولبس المنطقة ولبس أبو بكر الدراعة تنزها ثم تنكر عليه الاخشيد وقبضه في سنة احدى وثلاثين وثلثمائة وجعله في دار وأعد له فيها من الفرش والآلات والاواني والملبوس والطيب والطرائف وأنواع المآكل والمشارب مابلغ فيه الغاية وتفقدها بنفسه وطافها كلها فقيل له عملت هذا كله لمحمد بن على الماردانى فقال نعم هذا ملك وأردت أن لايحتقر بشيء لنا ولايحتاج أن يطلب حاجة الاوجدها فانه ان فقد عندنا شيأ مما يريده استدعى به من داره فسقط نحن من عينيه عند ذلك فلم يزل معتقلا حتى خرج الاخشيد الى لقاء أمير المؤمنين المتقى لله فحمله معه ولما مات الاخشيد بدمشق كان أبو بكر بمصر فقام بأمر أونوجور بن الاخشيد وقبض على محمد بن مقاتل وزير الاخشيد وأمر ونهي وصرف الامور الى أن كانت واقعة غلبون واتصال أبي بكر به فلما عادت الاخشيدية قبض على أبي بكر ونهبت دوره وأحرق بعضها وأخذ ابنه وقام أبو الفضل جعفر بن الفضل ابن الفرات بأمر الوزارة فعند ما قدم كافور الاخشيدى من الشام بالعساكر التي كانت مع الاخشيد أطلق أبا بكر وأكرمه ورد اليه ضياعه وضياع ابنه فلما ماتت أم ولده لحقه كافور ومعه الامير اونوجور عند المقابر وترجلا له وعزياه ثم ركب معه حتى صليا عليها فلما مرض مرض موته عاده كافور مرارا الى أن مات في شهر شوال سنة خمس وأربعين وثلثمائة فدفن بداره ثم نقل الى المقابر وكانت فضائله جمة منها أنه أقام أربعين سنة يصوم الدهر كله ويركب كل يوم الى المقابر بكرة وعشية فيقف له الموكب حتي يمضى الى تربة أولاده وأهله فيقرأ عندهم ويدعو لهم وينصرف الى المساجد في الصحراء فيصلى بها والناس وقوف له الا انه كان في غاية العجلة لايراجع فيما يريده ولو كان ما كان ولما أراد المقتدر أن يقيم وزيراً كتبت رقعة فيها أسماء جماعة وأنفذت الى على بن عيسى ليشير بواحد منهم وكان أبو بكر ممن كتب معهم اسمه فكتب تحت كل اسم واحد منهم مايستحقه من الوصف وكتب تحت اسم أبي بكر محمد بن على الماردانى مترف عجول وبني أبو بكر السقايات والمساجد في المغافر وفى يحصب وبني وائل وليس لشئ منها اليوم أثر يعرف ومرت له فى هذا الكتاب أخبار وقد أفرد له ابن زولاق سيرة كبيرة وهذا منها والله أعلم

(ذكر بساتين الوزير)

هذه البساتين في الجهة القبلية من بركة الحبش وهى قرية فيها عدة مساكن وبساتين كثيرة وبها جامع تقام فيه الجمعة وعرفت بالوزير أبي الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن محمد المغربى وبنو المغربى أصلهم من البصرة وصاروا الى بغداد وكان أبو الحسن على بن محمد تخلف على ديوان المغرب ببغداد فنسب به الى المغرب وولد ابنه

الحسين بن علي ببغداد فتقلد أعمالا كثيرة منها تدبير محمد بن ياقوت عند استيلائه على أمر الدولة ببغداد وكان خال ولده علي وهو أبو علي هارون بن عبد العزيز الاوارجي الذي مدحه أبو الطيب المتنبي من أصحاب أبي بكر محمد بن رائق فلما لحق ابن رائق ما لحقه بالموصل صار الحسين ابن علي بن المغربي الى الشام ولقي الاخشيد وأقام عنده وصار ابنه أبو الحسن علي بن الحسين ببغداد فأنفذ الاخشيد غلامه فاتك المجنون فحمله ومن يليه الى مصر ثم خرج ابن المغربي من مصر الى حلب ولحق به سائر أهله ونزلوا عند سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبدالله بن حمدان مدة حياته وتخصص به الحسين بن علي بن محمد المغربي ومدحه أبو نصر ابن نباتة وتخصص أيضاً علي بن الحسين بسعد الدولة بن حمدان ومدحه أبو العباس النامي ثم شجر بينه وبين ابن حمدان ففارقه وصار الى بكجور بالرقة فحسن له مكاتبة العزيز بالله نزار والتحيز اليه فلما وردت على العزيز مكاتبة بكجور قبله واستدعاه وخرج من الرقة يريد دمشق فوافاه عبد العزيز بولاية دمشق وخلفه فتسلمها وخرج لمحاربة ابن حمدان بحلب بمشورة علي بن المغربي فلم يتم له أمر وتأخر عنه من كاتبه فقال لابن المغربي غررتني فيما أشرت به علي وتنكر له ففر منه الى الرقة وكانت بين بكجور وبين ابن حمدان خطوب آلت الى قتل ابن بكجور ومسير ابن حمدان الى الرقة ففر ابن المغربي منها الى الكوفة وكاتب العزيز بالله يستأذنه في القدوم فأذن له وقدم الى مصر في جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وثلثمائة وخدم بها وتقدم في الخدم فحرض العزيز على أخذ حلب فقلد يجو تكين بلاد الشام وضم اليه أبا الحسن بن المغربي ليقوم بكتابته ونظر الشام وتدبير الرجال والاموال فسار الى دمشق في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وخرج الى حلب وحارب أبا الفضائل بن حمدان وغلامه لؤلؤا فكاتب لؤلؤ أبا الحسن ابن المغربي واستماله حتي صرف يجو تكين عن محاربة حلب وعاد الى دمشق وبلغ ذلك العزيز بالله فاشتد حنقه علي ابن المغربي وصرفه بصالح بن علي الروذبادي واستقدم ابن المغربي الى مصر ولم يزل بها حتى مات العزيز بالله وقام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله أبو علي منصور فكان هو وولده أبو القاسم حسين من جلسائه فلما شرع الحاكم بأمر الله في قتل رجال الدولة من القواد والكتاب والقضاة قبض على علي ومحمد ابني المغربي وقتلهما ففر منه أبو القاسم حسين بن علي بن المغربي الى حسان ابن مفرج بن الجراح فأجاره وقلد الحاكم يارجتكين الشام فخافه ابن جراح لكثرة عساكره فحسن له ابن المغربي مهاجمته فطرق يارجتكين في مسيره على غفلة وأسره وعاد الى الرملة فشن الغارات علي رساتيقها وخرج العسكر الذى بالرملة فقاتل العرب قتالا شديدا كادت العرب أن تنهزم لولا ثبتها ابن المغربي وأشار عليهم باشهار النداء بأباحة النهب والغنيمة فثبتوا ونادوا في الناس فاجتمع لهم خلق كثير وزحفوا الى الرملة فملكوها وبالغوا في النهب والهتك

والقتل فانزعج الحاكم لذلك انزعاجا عظيما وكتب الى مفرج بن جراح يحذره سوء العاقبة ويلزمه باطلاق يارجتكين من يد حسان ابنه وارساله الى القاهرة ووعده على ذلك بخمسين ألف دينار فبادر ابن المغربى لما بلغه ذلك الى حسان وما زال يغريه بقتل يارجتكين حتى أحضره وضرب عنقه فشق ذلك على مفرج وعلم انه فسد مابينهم وبين الحاكم فأخذ ابن المغربى يحسن لمفرج خلع طاعة الحاكم والدعاء لغيره الى أن استجاب له فراسل أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوى أمير مكة يدعوه الي الخلافة وسهل له الامر وسير اليه بابن المغربى يحثه على المسير وجرأه على أخذ مال تركة بعض المياسير ونزع المحاريب الذهب والفضة المنصوبة على الكعبة وضربها دنانير ودراهم وسماها الكعبية وخرج ابن المغربى من مكة فدعا العرب من سليم وهلال وعوف بن عامر ثم سار به وبمن اجتمع عليه من العرب حتى نزل الرملة فتلقاه بنو الجراح وقبلوا له الارض وسلموا عليه بامرة المؤمنين ونادى في الناس بالامان وصلى بالناس الجمعة فاستغص الحاكم لذلك وأخذ في استمالة حسان ومفرج وغيرهما وبذل لهم الاموال فتنكروا على أبى الفتوح وقلد أيضاً مكة بعض بنى عم أبى الفتوح فضعف أمره وأحس من حسان بالغدر فرجع الى مكة وكاتب الحاكم واعتذر اليه فقبل عذره وأما ابن المغربى فانه لما انحل أمر أبي الفتوح ورأى ميل بنى الجراح الى الحاكم كتب اليه

وأنت وحسبى أنت تعلم أن لى * لساناً أمام المجد يبنى ويهدم
وليس حليما من تباس يمينه * فيرضى ولكن من تعض فيحلم

فسير اليه أمانا بخطه وتوجه ابن المغربي قبل وصول أمان الحاكم اليه الى بغداد وبلغ القادر بالله خبره فاتهمه بانه قدم في فساد الدولة العباسية فخرج الى واسط واستعطف القادر فعطف عليه وعاد الى بغداد ثم مضى الى قرواش بن المقلد أمير العرب وسار معه الى الموصل فأقام بها مدة وخافه وزير قرواش فأخرجه الى ديار بكر فأقام عند أميرها نصير الدولة أبى نصر أحمد بن مروان الكردي وتصرف له وكان يلبس في هذه المدة المرقعة والصوف فلما تصرف غير لباسه وانكشف حاله فصار كمن قيل فيه وقد ابتاع غلاما تركيا كان يهواه قبل أن يبتاعه

تبدل من مرقعة ونسك * بأنواع الممسك والشنوف
وعن له غزال ليس يحوى * هواه ولا رضاه بلبس صوف
فعاد أشد ما كان انتهاكا * كذاك الدهر مختلف الصروف

وأقام هناك مدة طويلة في أعلى حال وأجل رتبة وأعظم منزلة ثم كوتب بالمسير الى الموصل ليستوزره صاحبها فسار عن ميافارقين وديار بكر الى الموصل فتقلد وزارتها وتردد

الى بغداد في الوساطة بين صاحب الموصل وبين السلطان أبى على بن سلطان الدولة أبى شجاع بن بهاء الدولة أبى نصر بن عضد الدولة أبي شجاع بن ركن الدولة أبي على بن بويه واجتمع برؤساء الديلم والاتراك وتحدث في وزارة الحضرة حتي تقلدها بغير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدراعة فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وأربعمائة فأقام شهوراواغرى رجال الدولة بعضهم ببعض وكانت أمور طويلة آلت الى خروجه من الحضرة الى قرواش فتجدد للقادر بالله فيه سوء ظن بسبب ما أثاره من الفتنة العظيمة بالكوفة حتي ذهبت فيها عدة نفوس وأموال ففر الى أبى نصر بن مروان فاكرمه وأقطعه ضياعا وأقام عنده فكوتب من بغداد بالعود اليها فبرز عن ميافارقين يريد المسير الى بغداد فسم هناك وعاد الى المدينة فمات بها لايام خلت من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة ومولده بمصر ليلة الثالث عشر من ذى الحجة سنة سبعين وثلثمائة وكان أسمر شديد السمرة بساطا عالما بليغا مترسلا متفننا فى كثير من العلوم الدينية والادبية والنحوية مشارا اليه في قوة الذكاء والفطنة وسرعة الخاطر والبديهة عظيم القدر صاحب سياسة وتدبير وحيل كثيرة وأمور عظام دوخ الممالك وقلب الدول وسمع الحديث وروى وصنف عدة تصانيف وكان ملولا حقودا لاتلين كبده ولا تحل عقده ولا يجنى عوده ولا ترجي وعوده وله رأى يزين له العقوق ويبغض اليه رعاية الحقوق كأنه من كبره قد ركب الفلك واستولى على ذات الحبك وكان بمصر من بنى المغربي أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين المغربي قد قتل الحاكم جده محمدا مع أبيه على بن الحسين كما تقدم فلما نشأ أبو جعفر سار الى العراق وخدم هناك وتنقلت به الاحوال ثم عاد الى مصر واصطنعه الوزير البارزى وولاه ديوان الجيش وكانت السيدة أم المستنصر بالله تعنى به فلما مات الوزير البارزى وولى بعده الوزير أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي قبض عليه فى جملة أصحاب البارزى واعتقله فتقررت له الوزارة وهو فى الاعتقال وخلع عليه فى الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمسين وأربعمائة ولقب بالوزير الاجل الكامل الاوحد صفى أمير المؤمنين وخالصته فما تعرض لاحد ولا فعل فى البابلي مافعله البابلي فيه وفى أصحاب البارزى فأقام سنتين وشهورا وصرف فى تاسع شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وكان الوزراء اذا صرفوا لم يتصرفوا فاقترح أبو الفرج بن المغربى لما صرف أن يتولى بعض الدواوين فولى ديوان الانشاء الذى يعرف اليوم بوظيفة كتابة السر وهو الذى استنبط هذه الوظيفة بديار مصر واستحدث استخدام الوزراء بعد صرفهم عن الوزارة ولم يزل نابه القدر الى أن توفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة * (بركة الشعيبية) * هذه البركة موضعها خلف جسر الافرم فيما بينه وبين الجرف الذى يعرف اليوم بالرصد وكانت تجاور بركة الحبش من بحريها وقد انقطع عنها الماء وصارت بساتين ومزارع وغير ذلك * قال ابن

المتوج بركة الشعيبية بظاهر مصر كان يدخل اليها ماء النيل وكان لها خليجان أحدهما من قبليها وهو الآن بجوار منظرة الصاحب تاج الدين بن حنا المعروفة بمنظرة المعشوق والثاني من بحريها ويقال له خليج بني وائل عليه قنطرة بها عرف باب القنطرة بمصر وكان يجرى فيهما الماء من النيل اليها فكان الماء يدخل اليها في كل سنة ويعمها ويدخل اليها الشخاتير وكان بدائرها من جانبها الشرقي آدر كثيرة وكانت نزهة المصريين فلما استأجرها الامير عز الدين أيبك الافرم من الناظر عليها من جهة الحكم العزيزى حازها بالجسور عن الماء وغرس فيها الاشجار والكروم وحفر الآبار وهذه البركة مساحتها أربعة وخمسون فدانا ولها حدود أربعة الحد القبلى ينتهى بعضه الى بعض أرض المعشوق الجاري في وقف ابن الصابوني والى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش وفي هذا الجسر الآن قنطرة يدخل اليها الماء من خليج بركة الاشراف والحد البحرى كان ينتهى بعضه الى منظرة قاضى القضاة بدر الدين السنجارى والى جسره والحد الشرقي ينتهى الى الآدر التى كانت مطلة عليها وقد خرب أكثرها وكانت مسكن أعيان المصريين من القضاة والكتاب والحد الغربى ينتهى الى جرف النيل ولما استأجرها الافرم شرط له خمسة أفدنة يعمر عليها ويؤجرها لمن يعمر عليها منها فدان واحد من بحرها وفدانان من غربها ملاصقان لجدار البساتين وفدانان بالجرف الذي من حقوقها فلما مات الافرم طمع الامير علم الدين الشجاعى في ورثته وفي الوقف وأربابه فغصب أرض الجرف وجملتها فدانان ثم تركها فلما كان فى أثناء دولة الناصر محمد بن قلاوون ووزارة الاعسر بيعت أرضها لارباب الابنية التي عليها وهذه البركة وقفها الخطير بن مماتي ودخل معهم بنو الشعيبية لاختلاط أنسابهم بالتناسل وقال في موضع آخر ومن جملة الاوقاف بركة الخطير بن مماتي المشهورة ببركة الشعيبية ومساحة أرضها أربعة وخمسون فدانا وربع ولها حدود أربعة القبلي من البركة الصغرى منها الى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش وفيه قنطرة يمر منها الماء الى هذه البركة وباقي هذا الحد الى بعض أبنية مناظر المعشوق ومن جملة حقوق هذا الوقف المجاز المستطيل المسلوك فيه الى المنظرة المذكورة ومنه دهليزها والايوان البحري وهذا جميعه رأيته ترعة من تراع هذه البركة المذكورة يمر الماء فيها في زمن النيل اليها وكان باقي هذه المنظرة دارا مطلة على بحر النيل من شرقيها وعلى هذه الترعة من بحريها ثم ملكها الصاحب تاج الدين بن حنا وهدمها وردم الخليج وعمر المنظرة والحمام والبيوت الموجودة الآن وباقي ذلك كله فى أرض ابن الصابونى وحد هذه البركة من الجهة البحرية الى الطريق الآن وكان فيه جسر يعرف بجسر الحيات كان يفصل بين هذه البركة وبين بركة شطا وكان فيه قنطرة يجرى الماء فيها من هذه البركة الى بركة شطا وكان فى هذا الحد ترعة أخرى يجرى الماء فيها في زمن النيل من البحر الى

هذه البركة ورأيته يجرى فيها ورأيت الشخاتير تدخل فيها الى هـذه البركة وأما حدها الشرقى فانه كان الى أبنية الآدر المطلة على هذه البركة وأما حدها الغربى فانه كان الى بحر النيل ولم تزل كذلك الى أن استأجرها الامير عز الدين أيبك الافرم فردم هـذه الترعة وبنى حيطان هذا البستان وجسر عليه وزرع فيه الشتول والخضراوات وأقام على ذلك عدة سنين ثم استأجره اجارة ثانية واشترط البناء على ثلاثة أفدنة في جانبه الغربى وفدان فى جانبه البحري فعمر الناس واستغني عن الجسور ورخص على الناس حتى رغبوا فى العمارة وآجر كل مائة ذراع من ذلك بعشرة دراهم نقرة وعمر البئر المشهورة ببئر السواقى فعمرت أحسن عمارة فلما توفي الافرم طمع الشجاعي في أرباب الوقف وفي ورثتـه ونزع منهم الفدانين المطلة على بحر النيل وابتاع ذلك من وكيل بيت المـال وأعانه عليه قوم آخرون يجتمعون عند الله تعالى

(ذكر المعشوق)

اعلم أن المعشوق اسم لمكان فيه أشجار بظاهر مصر من جملة خطة راشدة عرف أولا بجنان كهمس بن معمر ثم عرف بجنان الماردانى ثم عرف بجنان الامير تميم بن المعز لدين الله ثم جدده الافضـل بن أمير الجيوش فعرف به وآخرا صار من وقف ابن الصابونى فأخـذه الصاحب تاج الدين محمد بن حنا وعمر به مناظر وأوصى بعمارة رباط للآثار النبوية وأن توقف عليه فلما أنشئ الرباط المذكور أرصد لمصالحه وهو الآن وقف عليه وأرض هـذا البستان مما وقفه ابن الصابونى على بنيه وعلى رباطه المجاور لقبة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه بالقرافة وبنو الصابونى يستأدون من المتحدث على رباط الآثار شيئاً فى كل سـنة عن حكر أرض بستان المعشوق قال القضاعى في ذكر خطة راشدة ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة راشدة والجنان المعروفة كانت تعرف بكهمس بن معمر ثم عرفت بالماردانى وهو المعروف الآن بالامير تميم بن المعز * هذا وقد بني المعتمد علي الله أحمد بن المتوكل في الجانب الشرقي من سر من رأى قصرا سماه المعشوق وأقام به وبين بغداد وتكريت منزلة فيها آثار بنـاء وقصور تسمى العاشق والمعشوق وفيه أنشد الشريف زهرة بن علي بن زهرة بن الحسن الحسيني وقد اجتاز به يريد الحج

قد رأيت المعشوق وهو من الهجـر * بحال تنبو النواظر عنه
أثر الدهر فيـه آثار سوء * قد ادالت يد الحوادث منـه

وقال ابن يونس (كهمس) بن معمر بن محمد بن معمر بن حبيب يكنى أبا القاسم كان أبوه بصرياً وولد هو بمصر وكان عاقلا وكانت القضاة تقبله حدث عن محمـد بن رمح وعيسي بن حماد زغبة وسلمة بن شبيب ونحوهم توفي فى يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الاول

سنة احدى عشرة وثلثمائة وقال ابن خلكان (تميم) بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب وهو الذي بنى القاهرة المعزية وكان تميم فاضلا شاعراً ماهرا لطيفاً ظريفاً ولم يل المملكة لان ولاية العهد كانت لاخيه العزيز فوليها بعد أبيه وأشعاره كلها حسنة وكانت وفاته في ذى القعدة سنة أربع وسبعين وثلثمائة وقد ذكر كلا من الماردانى وابن حنا والافضل وأما ابن مماتى فانه (اسعد) بن مهذب بن زكريا ابن قدامة بن نينا شرف الدين مماتى أبي المكارم بن سعيد بن أبي المليح الكاتب المصرى أصله من نصارى سيوط من صعيد مصر واتصل جده أبو المليح بأمير الجيوش بدر الجمالى وزير مصر في أيام الخليفة المستنصر بالله وكتب في ديوان مصر وولى استيفاء الديوان وكان جوادا ممدوحا انقطع اليه أبو الطاهر اسماعيل بن محمد المعروف بابن مكيسة الشاعر فمن قوله فيه لما مات

طويت سماء المكرما * ت وكورت شمس المديح
وتناثرت شهب العلا * من بعد موت أبي المليح
ما كان بالنكس الدني * ء من الرجال ولا الشحيح
كفر النصارى بعد ما * عذروا به دون المسيح

ورثاه جماعة من الشعراء ولما مات ولى ابنه المهذب بن أبي المليح زكريا ديوان الجيش بمصر في آخر الدولة الفاطمية فلما قدم الامير أسد الدين شيركوه وتقلد وزارة الخليفة العاضد شدد على النصارى وأمرهم بشد الزنانير على أوساطهم ومنعهم من ارخاء الذؤابة التي تسمى اليوم بالعذبة فكتب لاسد الدين

يا أسد الدين ومن عدله * يحفظ فينا سنة المصطفى
كفى غيارا شد أوساطنا * فما الذى أوجب كشف القفا

فلم يسعفه بطلبته ولا مكنه من ارخاء الذؤابة وعند ما أيس من ذلك أسلم فقدم على الدواوين حتي مات فخلفه ابنه أبو المكارم أسعد بن مهذب الملقب بالخطير على ديوان الجيش واستمر في ذلك مدة أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأيام ابنه الملك العزيز عثمان وولى نظر الدواوين أيضاً واختص بالقاضى الفاضل وحظي عنده وكان يسميه بلبل المجلس لما يرى من حسن خطابه وصنف عدة مصنفات منها تلقين اليقين فيه الكلام على حديث بني الاسلام على خمس وكتاب حجة الحق على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم وهو كبير وكان السلطان صلاح الدين يكثر النظر فيه وقال فيه القاضي الفاضل وقفت من الكتب على مالا تحصى عدته فما رأيت والله كتاباً يكون قبالة باب منه وانه والله من أهم ما طالعه الملوك وكتاب قوانين الدواوين صنفه للملك العزيز فيما يتعلق بدواوين مصر ورسومها وأصولها

وأحوالها وما يجرى فيها وهو أربعة أجزاء ضخمة والذي يقع في أيدى الناس جزء واحد اختصره منه غير المصنف فان ابن مماتي ذكر فيه أربعة آلاف ضيعة من أعمال مصر ومساحة كل ضيعة وقانون ريها ومتحصلها من عين وغلة ونظم سيرة السلطان صلاح الدين يوسف ونظم كليله ودمنه وله ديوان شعر ولم يزل بمصر حتى ملك السلطان الملك العادل أبو بكر ابن أيوب ووزر له صفى الدين على بن عبد الله بن شكر فخافه الاسعد لما كان يصدر منه فى حقه من الاهانة وشرع الوزير بن شكر في العمل عليه ورتب له مؤامرات ونكبه وأحال عليه الاجناد ففر من القاهرة وسقط في حلب فخدم بها حتى مات في يوم الاحد سلخ جمادى الاولى سنة ست وستمائة عن اثنتين وستين سنة وكان سبب تلقيب أبى مليح بمماتى انه كان عنده في غلاء مصر في ايام المستنصر قمح كثير وكان يتصدق على صغار المسلمين وهو اذ ذاك نصراني وكان الصغار اذ رأوه قالوا مماتي فلقب بها ومن شعره

تعاتبني وتنهي عن أمور * سبيل الناس أن ينهوك عنها
أتقدر أن تكون كمثل عيني * وحقك ما على أضر منها

وقال في اترجة كانت بين يدى القاضى الفاضل وهو معنى بديع

لله بل للحسن اترجة * تذكر الناس بأمر النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

(بركة شطا) هذه البركة موضعها الآن كيمان على يسرة من يخرج من باب القنطرة بمدينة مصر طالبا جسر الافرم ورباط الآثار كان الماء يعبر اليها من خليج بنى وائل وموضعه على يمنة من يخرج من باب القنطرة المذكورة وكان عليه قنطرة بناها العزيز بالله بن المعز وبها سمى باب القنطرة هذا قال ابن المتوج بركة شطا بظاهر مصر على يسرة من مر من باب القنطرة وكان الماء يدخل اليها من خليج بني وائل من براخ بالسور المستجد ومن بركة الشعيبية من قنطرة في وسط الجسر المعروف بجسر الحيات الذى كان يفصل بين البركتين المذكورتين وكان بوسطها مسجد يعرف بمسجد الجلالة بقناطر بوسطها كان يسلك عليها اليه وكان يطل على بركة شطا آدر خربت بانقطاع الماء عنها وكان الى جانبها بستان فيه منظرة ودرابة وطاحون وحمام وبظاهر بابه حوض سبيل وقف ذلك المخلص الموقع وقد خرب *(بركة قارون)* هذه البركة موضعها الآن فيما بين حدرة ابن قميحة خلف جامع ابن طولون وبين الجسر الاعظم الفاصل بين هذه البركة وبركة الفيل وعليها الآن عدة آدر وتعرف ببركة قراجا وكان عليها عدة عمائر جليلة في قديم الزمان عند ما عمر العسكر والقطائع فلما خرب العسكر والقطائع كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب خرب

ما كان من الدور على هذه البركة أيضا حتى انه كان من خرج من مصلى مصر القديم وموضعه الآن الكوم الذى يطل على قبر القاضى بكار بالقرافة الكبرى يرى بركة الفيل وقارون والنيل ولم يزل ما حول هذه البركة خرابا الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاون البركة الناصرية فى أراضي الزهرى وكانت واقعة الكنائس في سنة احدى وعشرين وسبعمائة فصار جانب هذه البركة الذى يلى خط السبع سقايات مقطع طريق فيه مركز يقيم فيه من جهة متولى مصر من يحرس المارة من القاهرة الى مصر ولم يكن هناك شيء من الدور وانما كان هناك بستان بجوار حوض الدمياطي الموجود الآن تجاه كوم الاسارى على يمنة من خرج وسلك من السبع سقايات الى قنطرة السد ويشرف هذا البستان على هذه البركة فحكر اقبغا عبد الواحد مكانه وصارت فيه الدور الموجودة الآن كما ذكر عند حكر اقبغا في ذكر الاحكار * قال القضاعي دار الفيل هي الدار التي على بركة قارون ذكر بنو مسكين انها من حبس جدهم وكان كافور أمير مصر اشتراها وبني فيها دارا ذكر أنه أنفق عليها مائة ألف دينار ثم سكنها في رجب سنة ست وأربعين وثلثمائة وذكر اليمنى انه انتقل اليها في جمادى الآخرة من السنة المذكورة وانه كان أدخل فيها عدة مساجد ومواضع اغتصبها من أربابها ولم يقم فيها غير أيام قلائل ثم أرسل الى أبي جعفر مسلم الحسيني ليلا فقال له امض بى الى دارك فمضى به فمر على دار فقال لمن هذه فقال لغلامك نحرير التربية فدخلها وأقام فيها شهورا الى أن عمروا له دار خمارويه المعروفة بدار الحرم وسكنها وقيل ان سبب انتقاله من جنان بنى مسكين بخار البركة وقيل وباء وقع في غلمانه وقيل ظهر له بها جان وكانت دار الفيل هذه ينظر منها جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة قال أبو عمر الكندى فى كتاب الموالى ومنهم أبو غنيم مولى مسلمة بن مخلد الانصارى كان شريفا فى الموالى وولاه عبد العزيز بن مروان الجزيرة ثم عزله عنها وكان يجلس في داره التي يقال لها دار الفيل فينظر الى الجزيرة فيقول لاخوانه أخبرونى بأعجب شيء في الدنيا قالوا منارة الاسكندرية قال ما أصبتم شيئاً قال فيقولون له فقناة قرطا جنة فيقول ماصنعتم شيئاً قالوا فما تقول انت قال العجب أنى أنظر الى الجزيرة ولا أقدر أدخلها وعلى هذه البركة الآن عدة آدر جليلة وجامع وحمام وغير ذلك والله تعالى أعلم بالصواب *(بركة الفيل) هذه البركة فيما بين مصر والقاهرة وهى كبيرة جدا ولم يكن في القديم عليها بنيان ولما وضع جوهر القائد مدينة القاهرة كانت تجاه القاهرة ثم حدثت حارة السودان وغيرها خارج باب زويلة وكان ما بين حارة السودان وحارة اليانسية وبين بركة الفيل فضاء ثم عمر الناس حول بركة الفيل بعد الستمائة حتى صارت مساكنها أجل مساكن مصر كلها * قال ابن سعيد وقد ذكر القاهرة وأعجبني في ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن

يركب فيها بالليل وتسرج أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها أقول

أنظر الى بركة الفيل التي اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كأنما هي والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت

انظر الى بركة الفيل التي نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك محفوفا ببهجتها * تهيم وجدا وحبا في بدائعها

وماء النيل يدخل الى بركة الفيل من الموضع الذي يعرف اليوم بالجسر الاعظم تجاه الكبش وبلغني أنه كان هناك قنطرة كبيرة فهدمت وعمل مكانها هذه المجاديل الحجر التي يمر عليها الناس ويعبر ماء النيل الى هذه البركة أيضاً من الخليج الكبير من تحت قنطرة تعرف قديما وحديثا بالمجنونة وهي الآن لا تشبه القناطر وكأنها سرب يعبر منه الماء وفوقه بقية عقد من ناحية الخليج كان قد عقده الامير الطيبرس وبنى فوقه منتزها فقال فيه علم الدين بن الصاحب

ولقد عجبت من الطبرس وصحبه * وعقولهم بعقوده مفتونه
عقدوا عقودا لا تصح لانهم * عقدوا لمجنون على مجنونه

وكان الطيبرس هذا يعتريه الجنون واتفق أن هذا العقد لم يصح وهدم وآثاره باقية الى اليوم *(بركة الشقاف) هذه البركة فى بر الخليج الغربى بجوار اللوق وعليها الجامع المعروف بجامع الطباخ في خط باب اللوق وكانت هذه البركة من جملة اراضي الزهرى كما ذكر فى حكر الزهري عند ذكر الاحكار وكان عليها في القديم عدة مناظر منها منظرة الامير جمال الدين موسى بن يغمور وذلك أيام كانت اراضى اللوق مواضع نزهة قبل أن تحتكر وتبنى دورا وذلك بعد سنة ستمائة والله تعالى أعلم *(بركة السباعين) عرفت بذلك لانه اتخذ عليها دار للسباع وهى موجودة هناك الى يومنا هذا وهى من جملة حكر الزهري وعليها الآن دور ولم تحدث بها العمارة الا بعد سنة سبعمائة وانما كان جميع ذلك الخط وماحوله من منشأة المهراني الى المقس بساتين ثم حكرت *(بركة الرطلى) هذه البركة من جملة أرض الطبالة عرفت ببركة الطوابين من أجل انه كان يعمل فيها الطوب فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى التمس الامير بكتمر الحاجب من المهندسين أن يجعلوا حفر الخليج على الجرف الى أن يمر بجانب بركة الطوابين هذه ويصب من بحرى ارض الطبالة في الخليج الكبير فوافقوه على ذلك ومر الخليج من ظاهر هذه البركة كما هو اليوم فلما جرى ماء النيل فيه روى أرض البركة فعرفت ببركة الحاجب

فانها كانت بيد الامير بكتمر الحاجب المذكور وكان في شرقى هذه البركة زاوية بها نخل كثير وفيها شخص يصنع الارطال الحديد التي تزن بها الباعة فسماها الناس بركة الرطلى نسبة لصانع الارطال وبقيت نخيل الزاوية قائمة بالبركة الى ما بعد سنة تسعين وسبعمائة فلما جرى الماء فى الخليج الناصرى ودخل منه الي هذه البركة عمل الجسر بين البركة والخليج فحكره الناس وبنوا فوقه الدور ثم تتابعوا فى البناء حول البركة حتى لم يبق بدائرها خلو وصارت المراكب تعبر اليها من الخليج الناصرى فتدورها تحت البيوت وهى مشحونة بالناس فتمر هنالك للناس أحوال من اللهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس فى المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء الفاجرات واختلاطهن بالرجل من غير انكار فاذا نضب ماء النيل زرعت هذه البركة بالقرط وغيره فيجتمع فيها من الناس في يوم الاحد والجمعة عالم لا يحصى لهم عدد وأدركت بهذه البركة من بعد سنة سبعين وسبعمائة الي سنة ثمانمائة أوقاتا انكشفت فيها عمن كان بها ايدى الغير ورقدت عن أهاليها أعين الحوادث وساعدهم الوقت اذ الناس ناس والزمن زمان ثم لما تكدر جو المسرات وتقلص ظل الرفاهة وانهلت سحائب المحن من سنة ست وثمانمائة تلاشى أمرها وفيها الى الآن بقية صبابة ومعالم أنس وآثار تنبئ عن حسن عهد ولله در القائل

في أرض طبالتنا بركة * مدهشة للعين والعقل

ترجح في ميزان عقلى على * كل بحار الارض بالرطل

* (البركة المعروفة ببطن البقرة) هذه البركة كانت فيما بين أرض الطبالة وأراضى اللوق يصل اليها ماء النيل من الخور فيمر فى خليج الذكر اليها وكانت تجاه قصر اللؤلؤة ودار الذهب فى بر الخليج الغربي وأول ما عرفت من خبر هذه البركة انها كانت بستانا كبيرا فيما بين المقس وجنان الزهري عرف بالبستان المقسى نسبة الى المقس ويشرف على بحر النيل من غربيه وعلى الخليج الكبير من شرقيه فلما كان فى أيام الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبي هاشم على بن الحاكم بأمر الله أمر بعد سنة عشر وأربعمائة بازالة انشاب هذا البستان وأن يعمل بركة قدام المنظرة التى تعرف باللؤلؤة فلما كانت الشدة العظمى في زمن الخليفة المستنصر بالله هجرت البركة وبنى فى موضعها عدة أماكن عرفت بحارة اللصوص اذ ذاك فلما كان في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله ووزارة الاجل المأمون محمد بن فاتك البطائحي ازيلت الابنية وعمق حفر الارض وسلط عليها ماء النيل من خليج الذكر فصارت بركة عرفت ببطن البقرة وما برحت الى مابعد سنة سبعمائة وكان قد تلاشى أمرها منذ كانت الغلوة في زمن الملك العادل كيتبغا سنة سبع وتسعين وستمائة فكان من خرج من باب القنطرة يجد عن يمينه أرض الطبالة من جانب الخليج الغربي الى حد المقس ويجد بطن

البقرة عن يساره من جانب الخليج الغربي الى حد المقس وبحر النيل الاعظم يجرى في غربي بطن البقرة على حافة المقس الى غربى أرض الطبالة ويمر من حيث الموضع المعروف اليوم بالجرف الى غربى البعل ويجري الى منية الشيرج فكان خارج القاهرة أحسن منتزه في مصر من الامصار وموضع بطن البقرة يعرف اليوم بكوم الجاكي المجاور لميدان القمح وما جاور تلك الكيمان والخراب الى نحو باب اللوق وحدثنى غير واحد ممن لقيت من شيوخ المقس عن مشاهدة آثار هذه البركة واخبرنى عمن شاهد فيها الماء والى زمننا هذا موضع من غربى الخليج فيما يلى ميدان القمح يعرف ببطن البقرة بقية من تلك البركة يجتمع فيه الناس للنزهة * (بركة جناق) هذه البركة خارج باب الفتوح كانت بالقرب من منظرة باب الفتوح التى تقدم ذكرها في المناظر وكان ماحولها بساتين ولم يكن خارج باب الفتوح شيء من هذه الابنية وانما كان هناك بساتين فكانت هذه البركة فيما بين الخليج الكبير وبستان ابن صيرم فلما حكر بستان ابن صيرم وعمر في مكانه الآدر وغيرها وعمر الناس خارج باب الفتوح عمر ماحول هذه البركة بالدور وسكنها الناس وهى الى الآن عامرة وتعرف ببركة جناق * (بركة الحجاج) هذه البركة فى الجهة البحرية من القاهرة على نحو بريد منها عرفت أولا بجب عميرة ثم قيل لها أرض الجب وعرفت الى اليوم ببركة الحجاج من أجل نزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودهم وبعض من لامعرفة له بأحوال أرض مصر يقول جب يوسف عليه السلام وهو خطأ لا أصل له وما برحت هذه البركة منتزهاً لملوك القاهرة * قال ابن يونس عميرة بن تميم بن جزء التجيبى من بنى القرناء صاحب الجب المعروف بجب عميرة في الموضع الذى يبرز اليه الحاج من مصر لخروجهم الى مكة وقال أبو عمر الكندى فى كتاب الخندق ان فرسان الخندق من جب عميرة بن تميم بن جزء وصاحب جب عميرة من بني القرناء طمن فى تلك الايام فارتث فمات بعد ذلك * وقال فى كتاب الامراء ثم ان أهل الحوف خرجوا على ليث بن الفضل أمير مصر وكان السبب فى ذلك أن ليثاً بعث بمساح يمسحون عليهم أراضى زرعهم فانتقصوا من القصب أصابع فتظلم الناس الى ليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم ليث فى أربعة آلاف من جند مصر ليومين بقيا من شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى مع أهل الحوف لثنتى عشرة خلت من شهر رمضان فانهزم الجيش عن ليث وبقى في مائتين أو نحوها فحمل عليهم بمن معه فهزمهم حتي بلغ بهم غيفة وكان التقاؤهم فى أرض جب عميرة وبعث ليث الى الفسطاط بثمانين رأساً ورجع الى الفسطاط وقال المسيحي ولاثنتي عشرة خلت من ذى القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة عرض أمير المؤمنين العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الجب فنصب له مضرب ديباج رومى فيه ألف ثوب مفوفة فضة ونصبت

له فازة مستقلة وقبة مثقلة بالجوهر وضرب لابنه المنصور مضرب آخر وعرضت العساكر فكانت عدتها مائة عسكر وأقبات أسارى الروم وعدتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يوما عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب * وقال ابن ميسر كان من عادة أمير المؤمنين المستنصر بالله أن يركب فى كل سنة على النجب مع النساء والحشم الى جب عميرة وهو موضع نزهة بهيئة أنه خارج للحج على سبيل الهزؤ والمجانة ومعه الخمر فى الروايا عوضاً عن الماء ويسقيه الناس وقال أبو الخطاب بن دحية وخطب لبني عبيد ببغداد أربعين جمعة وذلك للمستنصر بل للبطال المستهتر أنشده العقيلي صبيحة يوم عرفة

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء * ولا تضحي ضحي الا بصهباء
وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم * الى منى قصفهم مع كل هيفاء

ووصل ألف القطع للضرورة وهو جائز فخرج في ساعته بروايا الخمر تزجي بنغمات حداة الملاهي وتساق * حتي أناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق * فاقام بها سوق الفسوق على ساق * وفى ذلك العام أخذه الله وأخذ أهل مصر بالسنين * حتى بيع القرص في أيامه بالثمن الثمين * وقال القاضى الفاضل في حوادث المحرم سنة سبع وسبعين وخمسمائة وفيه خرج السلطان يعنى صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بركة الجب للصيد ولعب الاكرة وعاد الى القاهرة في سادس يوم من خروجه وذكر من ذلك كثيراً عن السلطان صلاح الدين وابنه الملك العزيز عثمان * وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاون وفي حوادث صفر سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وفيه ركب السلطان الى بركة الحجاج للرمى على الكراكي وطلب كريم الدين ناظر الخاص ورسم أن يعمل فيها أحواشاً للخيل والجمال وميدانا وللأمير بكتمر الساقى مثله فأقام كريم الدين بنفسه فى هذا العمل ولم يدع أحداً من جميع الصناع المحتاج اليهم يعمل في القاهرة عملا فكان فيها نحو الألفى رجل ومائة زوج بقرحتي تمت المواضع فى مدة قريبة وركب السلطان اليها وأمر بعمل ميدان لنتاج الخيل فعمل ومابرح الملوك يركبون الى هذه البركة لرمى الكراكي وهم على ذلك الى هذا الوقت وقد خربت المباني التي أنشاها الملك الناصر وادركنا بهذه البركة مراحا عظيما للاغنام التي يعلفها التركماني حب القطن وغيره من العلف فتبلغ الغاية في السمن حتى انه يدخل بها الى القاهرة محمولة على العجل لعظم جثتها وثقلها وعجزها عن المشي وكان يقال كبش بركاوى نسبة الى هذه البركة وشاهدت مرة كبشاً من كباش هذه البركة وزنت شقته اليمنى فبلغت زنتها خمسة وسبعين رطلا سوي الالية وبلغنى عن كبش انه وزن مافي بطنه من الشحم خاصة فبلغ أربعين رطلا وكانت ألايا تلك الكباش تبلغ الغاية في الكبر وقد بطل هذا من القاهرة منذ كانت الحوادث بعد سنة ست

وثمانمائة حتى لايكاد يعرفه اليوم الا أفراد من الناس وبركة الحجاج اليوم أرباب دركها قوم من العرب يعرفون ببني صبرة وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب الجوهر المكنون في معرفة القبائل والبطون بنو بطيخ بطن من لخم وهم ولد بطيخ بن مغالة ابن دعجان بن عميث بن كليب بن أبي الحارث بن عمرو بن رميمة بن جدس بن أريش بن أراش بن جديلة بن لخم ونخذها بنو صبرة بن بطيخ ولهم حارة مجاورة للخطة المعروفة اليوم بكوم دينار السايس وصبرة فى خندف وفي قيس ونزار ويمن فالتي فى خندف فى بنى جعفر الطيار بنو صبرة بن جعفر بن داود بن محمد بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن على ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب نخذ والتى فى قيس بنو صبرة بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان نخذ وأما التى فى نزار ففى شيبان بنو صبرة ابن عوف بن محكم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار نخذ واما التي فى يمن ففى لخم وجذام فأما التى فى لخم فبنو صبرة بن بطيخ بن مغالة بن دعجان بن عميث بن كليب بن أبى الحارث بن عمرو بن رميمة بن جدس بن أريش بن أراش بن جديلة ابن لخم وأما التى في جذام فبنو صبرة بن نصيرة بن غطفان بن سعد بن اياس بن حرام ابن جذام واليه يرجع الصبريون وهم بالشام والله تعالى أعلم * (بركة قرموط) هذه البركة فيما بين اللوق والمقس كانت من جملة بستان ابن ثعلب فلما حفر الملك الناصر محمد ابن قلاون الخليج الناصرى من موردة البلاط رمى ماخرج من الطين فى هذه البركة وبنى الناس الدور على الخليج فصارت البركة من ورائها وعرفت تلك الخطة كلها ببركة قرموط وادركنا بها دياراً جليلة تناهي أربابها في احكام بنائها وتحسين سقوفها وبالغوا في زخرفتها بالرخام والدهان وغرسوا بها الاشجار وأجروا اليها المياه من الآبار فكانت تعد من المساكن البديعة النزهة وأكثر من كان يسكنها الكتاب مسلموهم ونصاراهم وهم فى الحقيقة المترفون أولو النعمة فكم حوت تلك الديار من حسن ومستحسن وانى لاذكرها وما مررت بها قط الاوتبين لى من كل دار هناك آثار النعم اما روائح تقالى المطابخ أو عبير بخور العود والند أو نفحات الخمر أو صوت غناء أو دق هاون ونحو ذلك مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ورفاهة عيشهم وغضارة نعمهم ثم هى الآن موحشة خراب قد هدمت تلك المنازل وبيعت أنقاضها منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فزالت الطرق وجهلت الازقة وانكشفت البركة وبقى حولها بساتين خراب وبلغني أن المراكب كانت تعبر الى هذه البركة للتنزه وما أحسب ذلك كان فانها كانت من جملة البستان ولم ينقل انه كان بقربها خليج سوي الخور ويبعد أن يصل اليها والله أعلم * وقرموط هذا

هو أمين الدين قرموط مستوفى الخزانة السلطانية *(بركة قراجا) هذه البركة خارج الحسينية قريباً من الخندق عرفت بالامير زين الدين قراجا التركمانى أحد أمراء مصر أنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالامرة فى سنة سبع عشرة وسبعمائة *(البركة الناصرية) هذه البركة من جملة جنان الزهرى فلما خربت جنان الزهرى صار موضعها كوم تراب الى أن أنشأ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ميدان المهاري فى سنة عشرين وسبعمائة وأراد بناء الزريبة بجانب الجامع الطيبرسي احتاج في بنائها الى طين فركب وعين مكان هذه البركة وأمر الفخر ناظر الجيش فكتب أوراقا بأسماء الامراء وانتدب الامير بيبرس الحاجب فنزل بالمهندسين فقاسوا دور البركة ووزع على الامراء بالاقصاب فنزل كل أمير وضرب خيمة لعمل ما يخصه فابتدؤا العمل في يوم الثلاثاء تاسع عشرى شهر ربيع الاول سنة احدي وعشرين وسبعمائة فتمادي الحفر الى جانب كنيسة الزهرى وكان اذ ذاك في تلك الارض عدة كنائس ولم يكن هناك شئ من العمائر التي هى اليوم حول البركة الناصرية ولا من العمائر التي في خط قناطر السباع ولا فى خط السبع سقايات الى قنطرة السد وانما كانت بساتين وكنائس وديورة للنصارى فاستولى الحفر على ما حول كنيسة الزهرى وصارت في وسط الحفر حتي تعلقت وكان القصد أن تسقط من غير تعمد هدمها فاراد الله تعالى هدمها على يد العامة كما ذكر في خبرها عند ذكر كنائس النصارى من هذا الكتاب فلما تم حفر البركة نقل ما خرج منها من الطين الى الزريبة وأجرى اليها الماء من جوار الميدان السلطانى الكائن بأراضى بستان الخشاب عند موردة البلاط فلما امتلأت بالماء صارت مساحتها سبعة أفدنة فحكر الناس ما حولها وبنوا عليها الدور العظيمة وما برح خط البركة الناصرية عامرا الى أن كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة فشرع الناس في هدم ما عليها من الدور فهدم كثير مما كان هناك والهدم مستمر الى يومنا هذا

(ذكر الجسور)

الجسر بفتح الجيم الذى تسميه العامة جسرا عن ابن دريد وقال الخليل الجسر والجسر لغتان وهو القنطرة ونحوها مما يعبر عليه وقال ابن سيده والجسر الذى يعبر عليه والجمع القليل أجسر قال

ان فراخا كفراخ الاوكر * بأرض بغداد وراء الاجسر والكثير جسور

*(جسر الافرم) هذا الجسر بظاهر مدينة مصر فيما بين المدرسة المعزية برحبة الحناء قبلى مصر وبين رباط الآثار النبوية كان موضعه فى أول الاسلام غامرا بماء النيل ثم انحسر عنه الماء فصار فضاء الى بحرى خليج بنى وائل ثم ابتني الناس فيه مواضع وكان هناك الهرى قريبا من الخليج ثم صار موضع جسر الافرم هذا ترعة يدخل منها ماء النيل الى البركة

الشعيبية فلما استأجر الامير عز الدين أيبك الافرم بركة الشعيبية وجعلها بستاناً كما تقدم ذكره فى البرك ردم هذه الترعة وبنى حيطان البستان وجسر عليه فاقام على ذلك سنين ثم لما استأجر أرض البركة بعد ما غرسها بالاشجار اجارة ثانية اشترط البناء على ثلاثة أفدنة في جانب البستان الغربى وفدان في جانبه البحرى ونادى في الناس بتحكيره وأرخص سعر الحكر وجعل حكر كل مائة ذراع عشرة دراهم فهرع الناس اليه واحتكروا منه المواضع وبنوا فيها الدور المطلة على النيل فاستغني بالعمائر عن عمل الجسر في كل سنة بين البحر والبستان الذى أنشاه وبقى اسم الجسر عليه الى يومنا هذا الا أن الآدر التي كانت هناك خربت منذ انطرد النيل عن البر الغربى بعد ما بلغ ذلك الخط الغاية في العمارة وكان سكن الوزراء والاعيان من الكتاب وغيرهم *(الجسر الاعظم) هذا الجسر في زماننا هذا قد صار شارعا مسلوكا يمشى فيه من الكبش الى قناطر السباع وأصله جسر يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل وبينهما سرب يدخل منه الماء وعليه أحجار يراها من يمر هناك وبلغنى أنه كان هناك قنطرة مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطاني عند موردة البلاط أمر بهدم القنطرة فهدمت ولم يكن اذ ذاك على بركة الفيل من جهة الجسر الاعظم مبان وانما كانت ظاهرة يراها المار ثم أمر السلطان بعمل حائط قصير بطولها فأقيم الحائط وصفر بالطين الاصفر ثم حدثت الدور هناك *(الجسر بأرض الطبالة) هذا الجسر يفصل بين بركة الرطلي وبين الخليج الناصرى أقامه الامير الوزير سيف الدين بكتمر الحاجب في سنة خمس وعشرين وسبعمائة لما انتهى حفر الخليج الناصرى وأذن للناس في البناء عليه فحكر وبنيت فوقه الدور فصارت تشرف على بركة الرطلي وعلى الخليج وتجتمع العامة تحت مناظر الجسر وتمر بحافة الخليج للنزهة فكثر اغتباط غوغاء الناس وفساقهم بهذا الجسر الى اليوم وهو من أنزه فرج القاهرة لولا ما عرف به من القاذورات الفاحشة *(الجسر من بولاق الى منية الشيرج) كان السبب في عمل هذا الجسر أن ماء النيل قويت زيادته في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة حتى أخرق من ناحية بستان الخشاب ودخل الماء الى جهة بولاق وفاض الى باب اللوق حتى اتصل بباب البحر وبساتين الخور فهدمت عدة دور كانت مطلة على البحر وكثير من بيوت المحكورة وامتد الماء الى ناحية منية الشيرج فقام الفخر ناظر الجيش بهذا الامر وعرف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون أنه متي غفل دخل الماء الى القاهرة وغرق أهلها ومساكنها فركب السلطان الى البحر ومعه الامراء فرأى ما هاله وفكر فيما يدفع ضرر النيل عن القاهرة فاقتضي رأيه عمل جسر عند نزول الماء وانصرف فقويت الزيادة وفاض الماء على منشأة المهراني ومنشأة الكتبة وغرق بساتين بولاق والجزيرة حتي صار ما بين ذلك ملقة واحدة وركب الناس المراكب للفرجة ومروا

بها تحت الاشجار وصاروا يتناولون الثمار بأيديهم وهم في المراكب فتقدم السلطان لمتولى القاهرة ومتولى مصر يبث الاعوان في القاهرة ومصر لرد الحمير والجمال التى تنقل التراب الى الكيمان وألزمهم بالقاء التراب بناحية بولاق ونودى في القاهرة ومصر من كان عنده تراب فليرمه بناحية بولاق وفي الاماكن التي قد علا عليها الماء فاهتم الناس من جهة زيادة الماء اهتماما كبيرا خوفا أن يخرق الماء ويدخل الى القاهره وألزم أرباب الاملاك التى ببولاق والخور والمناشئ أن يقف كل واحد على اصلاح مكانه ويحترس من عبور الماء على غفلة فتطلب كل أحد من الناس الفعلة من غوغاء الناس لنقل التراب حتى عدمت الحرافيش ولم تكن توجد لكثرة ما أخذهم الناس لنقل التراب ورميه وتضررت الآدر القريبة من البحر بنزها وغرقت الاقصاب والقلقاس والنيلة وسائر الدواليب التى بأعمال مصر فلما انقضت أيام الزيادة ثبت الماء ولم ينزل في أيام نزوله ففسدت مطامير الغلات ومخازنها وشونها وتحسن سعر السكر والعسل وتأخر الزرع عن أوانه لكثرة ما مكث الماء فكتب لولاة الاعمال بكسر الترع والجسور كي ينصرف الماء عن أراضى الزرع الى البحر الملح واحتاج الناس الي وضع الخراج عن بساتين بولاق والجزيرة ومسامحتهم بنظير ما فسد من الغرق وفسدت عدة بساتين الي أن أذن الله تعالي بنزول الماء فسقط كثير من الدور وأخذ السلطان في عمل الجسور واستدعى المهندسين وأمرهم باقامة جسر يصد الماء عن القاهرة خشية أن يكون نيل مثل هذا وكتب باحضار خولة البلاد فلما تكاملوا أمرهم فساروا الي النيل وكشفوا الساحل كله فوجدوا ناحية الجزيرة مما يلي المنية قد صارت أرضها وطيئة ومن هناك يخاف على البلد من الماء فلما عرفوا السلطان بذلك أمر بالزام من له دار على النيل بمصر أو منشأة المهرانى أو منشأة الكتاب أو بولاق أن يعمر قدامها على البحر زريبة وأنه لا يطلب منهم عليها حكر ونودى بذلك وكتب مرسوم بمسامحتهم من الحكر عن ذلك فشرع الناس في عمل الزرابى وتقدم الي الامراء بطلب فلاحي بلادهم واحضارهم بالبقر والجراريف لعمل الجسر من بولاق الي منية الشيرج ونزل المهندسون فقاسوا الارض وفرضوا لكل أمير أقصابا معينة وضرب كل أمير خيمته وخرج لمباشرة ما عليه من العمل فأقاموا في عمله عشرين يوما حتي فرغ ونصبت عندهم الاسواق فجاء ارتفاعه من الارض أربع قصبات في عرض ثماني قصبات فانتفع الناس به انتفاعا كبيرا وقدر الله سبحانه وتعالي أن الزرع في تلك السنة حسن الي الغاية وأفلح فلاحا عجيبا وانحط السعر لكثرة مازرع من الاراضى وخصب السنة وكان قد اتفق في سنة سبع عشرة وسبعمائة غرق ظاهر القاهرة أيضا وذلك أن النيل وفي ستة عشر ذراعا في ثالث عشر جمادي الاولى وهو التاسع والعشرون من شهر أبيب أحد شهور القبط ولم يعهد مثل ذلك فان الانيال البدرية يكون وفاؤها في العشر الاول من

مسري فلما كسر سد الخليج توقفت الزيادة مدة ايام ثم زاد وتوقف الى أن دخل تاسع توت والماء على سبعة عشر ذراعا وتسعة اصابع ثم زاد في يوم تسعة أصابع واستمرت الزيادة حتى صار على ثمانية عشر ذراعا وستة اصابع ففاض الماء وانقطع طريق الناس فيما بين القاهرة ومصر وفيما بين كوم الريش والمنية وخرج من جانب المنيـة وغرقها فكتب بفتح جميع الترع والجسور بسائر الوجه القبلى والبحرى وكسر بحر ابى المنجا وفتح سد بلبيس وغيره قبل عيد الصليب وغرقت الاقصاب والزراعات الصيفية وعم الماء ناحية منية الشيرج وناحية شبرا فخربت الدور التي هناك وتلف للناس مال كثير من جملته زيادة على ثمانين ألف جرة خمر فارغة تكسرت في ناحية المنية وشبرا عند هجوم الماء وتلفت مطامير الغلة من الماء حتى بيع قدح القمح بفلس والفلس يومئذ جزء من ثمانية وأربعين جزأ من درهم وصار من بولاق الى شـبرا بحرا واحـدا تمر فيه المراكب للنزهة في بساتين الجزيرة الى شبرا وتلفت الفواكه والمشمومات وقلت الخضر التي يحتاج اليها في الطعام وغرقت منشأة المهرانى وفاض الماء من عند خانقاه رسلان وأفسد بستان الخشاب واتصل الماء بالجزيرة التى تعرف بجزيرة الفيل الى شبرا وغرقت الاقصاب التي في الصعيد فان الماء أقام عليها ستة وخمسين يوما فعصرت كلها عسلا فقط وخربت سائر الجسور وعلاها الماء وتأخر هبوطه عن الوقت المعتاد فسقطت عدة دور بالقاهرة ومصر وفسدت منشأة الـكتاب المجاورة لمنشأة المهرانى فلذلك عمل السلطان الجسر المذكور خوفا على القاهرة من الغرق *(الجسر بوسط النيل) وكان سبب عمل هذا الجسر أن ماء النيل قوى رميه على ناحية بولاق وهدم جامع الخطيرى ثم جدد وقويت عمارته وتيار البحر لا يزداد من ناحية البر الشرقي الا قوة فأهم الملك الناصر أمره وكتب في سنة ثمان وثـلاثين وسبعمائة بطلب المهندسين من دمشق وحلب والبلاد الفراتية وجمع المهندسين من أعمال مصر كلها قبليها وبحريها فلما تـكاملوا عنده ركب بعساكره من قلعة الجبل الى شاطيء النيل ونزل فى الحراقة وبين يديه الامراء وسائر ارباب الخبرة من المهندسين وخولة الجسور وكشف امر شطوط النيل فاقتضى الحال أن يعمل جسرا فيما بين بولاق وناحية انبوبه من البر الغربي ليرد قوة التيار عن البر الشرقى الى البر الغربي وعاد الى القلعة فكتبت مراسيم الى ولاة الاعمال باحضار الرجال صحبة المشدين واستدعى شاد العمائر السلطانية وأمره بطلب الحجارين وقطع الحجر من الجبل وطلب رئيس البحر وشاد الصناعة لاحضار المراكب فلم يمض سوى عشرة ايام حتى تكامل حضور الرجال مع الشادين من الاقاليم وندب السلطان لهذا العمل الامير أقبغا عبد الواحد والامير برصبغا الحاجب فبرزا لذلك وأحضر والى القاهرة ووالى مصر وأمرا بجمع الناس وتسخير كل أحد للعمل فركبا وأخذا الحرافيش من الاماكن المعروفة بهم وقبضا على من وجد في

الطرقات وفي المساجد والجوامع وتبداهم في الاسحار ووقع الاهتمام الكبير في العمل من يوم الاحد عاشر ذى القعدة وكانت ايام القيظ فهلك فيه عدة من الناس والامير اقبغا في الحراقة يستحث الناس على انجاز العمل والمراكب تحمل الحجر من الفص الكبير الى موضع الجسر وفي كل قليل يركب السلطان من القلعة ويقف على العمل ويهين أقبغا ويسبه ويستحثه حتى تم العمل للنصف من ذى الحجة وكانت عدة المراكب التى غرقت فيه وهى مشحونة بالحجارة اثنى عشر مركبا كل مركب منها تحمل ألف أردب غلة وعدة المراكب التى مائت بالحجر حتى ردم وصار جسرا ثلاثة وعشرون ألف مركب سوي ما عمل فيه من آلات الخشب والسمريقات وحفر في الجزيرة خليج وطىء فلما جري النيل في ايام الزيادة مر فى ذلك الخليج ولم يتأثر الجسر من قوة التيار وصارت قوة جري النيل من ناحية أنبوبة بالبر الغربى ومن ناحية التكروري أيضا فسر السلطان بذلك وأعجبه اعجابا كثيرا وكان هـذا الجسر سبب انطراد الماء عن بر القاهرة حتى صار الى ما صار اليه الآن *(الجسر فيما بين الجيزة والروضة) كان السبب المقتضي لعمل هـذا الجسر أن الملك الناصر لما عمل الجسر فيما بين بولاق وناحية أنبوبة وناحية التكروري انطرد ماء النيل عن بر القاهرة وانكشفت أراض كثيرة وصار الماء يخاض من بر مصر الى المقياس وانكشف من قبالة منشأة المهراني الى جزيرة الفيل والى منية الشيرج وصار الناس يجدون مشقة لبعد الماء عن القاهرة وغلت روايا الماء حتى بيعت كل راوية بدرهمين بعد ما كانت بنصف وربع درهم فشكا الناس ذلك الى الامير أرغون العلائى والى السلطان الملك الكامل شعبان ابن الملك الناصر محمد بن قلاون فطلب المهندسين ورئيس البحر وركب السلطان بأمرائه من القلعة الى شاطئ النيل فلم يتهيأ عمل لما كان من ابتداء زيادة النيل الا أن الرأى اقتضى نقل التراب والشقاف من مطابخ السكر التى كانت بمصر والقاء ذلك بالروضة لعمل الجسر فنقل شيء عظيم من التراب في المراكب الى الروضة وعمل جسر من الجيزة الى نحو المقياس فى طول نحو ثلثي ما بينهما من المسافة فعاد الماء الي جهة مصر عودا يسيرا وعجزوا عن ايصال الجسر الى المقياس لقلة التراب وقويت الزيادة حتى علا الماء الجسر بأسره واتفق قتل الملك الكامل بعد ذلك وسلطنة أخيه الملك المظفر حاجى بن محمد بن قلاون أول جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة فلما دخلت سنة ثمان وأربعين وقف جماعة من الناس للسلطان في أمر البحر واستغاثوا من بعد الماء وانكشاف الاراضى من تحت البيوت وغلاء الماء فى المدينة فأمر بالكشف عن ذلك فنزل المهندسون واتفقوا على اقامة جسر ليرجع الماء عن بر الجيزة الى بر مصر والقاهرة وكتبوا تقدير ما يصرف فيه مائة وعشرين ألف درهم فضة فأمر بجبايتها من أرباب الاملاك التى على شط النيل وأن يتولى القاضى ضياء الدين يوسف بن أبى

بكر المحتسب جبايتها واستخراجها فقيست الدور وأخذ عن كل ذراع من أراضيها خمسة عشر درهما وتولى قياسها أيضاً المحتسب ووالى الصناعة فبلغ قياسها سبعة آلاف وستمائة ذراع وجبى نحو السبعين ألف درهم فاتفق عزل الضياء عن الحسبة ونظر المارستان المنصورى ونظر الجوالى وولاية ابن الاطروش مكانه ثم قتل الملك المظفر وولاية أخيه الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون سلطنة مصر بعده في شهر رمضان منها فلما كان فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة وقع الاهتمام بعمل الجسر فنزل الامير بلبغا أروس نائب السلطنة والامير منجك الاستادار وكان قد عزل من الوزارة والامير قيلاى الحاجب وجماعة من الامراء ومعهم عدة من المهندسين الى البحر في الحراريق والمراكب الى بر الجيزة وقاسوا ما بين بر الجيزة والمقياس وكتب تقدير المصروف نحو المائة والخمسين ألف درهم وألف خشبة من الخشب وخمسمائة صارو ألف حجر في طول ذراعين وعرض ذراعين وخمسة آلاف شنفة وغير ذلك من أشياء كثيرة فركب النائب والوزير والامير شيخو والامراء الى الجيزة وأعادوا النظر في أمر الجسر ومعهم أرباب الخبرة فالتزم الامير منجك بعمل الجسر وان يتولى جباية المصروف عليه من سائر الامراء والاجناد والكتاب وأرباب الاملاك بحيث انه لا يبقى أحد حتى يؤخذ منه فرسم لكتاب الجيش بكتابة أسماء الجند وقرر على كل مائة دينار من الاقطاعات درهم واحد وعلى كل أمير من خمسة آلاف درهم الى أربعة آلاف درهم وعلى كل كاتب أمير ألف مائتا درهم وكاتب أمير الطبلخانات مائة درهم وعلى كل حانوت من حوانيت التجار درهم وعلى كل دار درهمان وعلى كل بستان الفدان من عشرين درهما الى عشرة دراهم وعلى كل طاحون خمسة دراهم عن الحجر وعلى كل صهريج في تربة بالقرافة أو في ظاهر القاهرة أو فى مدرسة من عشرة دراهم الى خمسة دراهم وعلى كل تربة من ثلاثة دراهم الى درهمين وعلى أصحاب المقاعد والمتعيشين فى الطرقات شيء وكشفت البساتين والدور التى استجدت من بولاق الي منية الشيرج والتى استجدت فى الحكورة والتى استجدت على الخليج الناصرى وعلى بركة الحاجب وفي حكر أخي صاروجا وقيست أراضيها كلها وأخذ عن كل ذراع منها خمسة عشر درهما وأخذ عن كل قمين من أقمنة الطوب شيء وعن كل فاخورة من الفواخير شيء وفرض على كل وقف بالقاهرة ومصر والقرافتين من الجوامع والمساجد والخوانك والزوايا والربط شيء وكتب الي ولاة الاعمال بالجباية من ديورة النصارى وكنائسهم من مائتى درهم الى مائة درهم وقرر على الفنادق والخانات التى بالقاهرة ومصر شئ وقرر على ضامنة الاغانى مبلغ خمسين ألف درهم وأقيم لكل جهة شاد وصيرفي وكتاب وغير ذلك من المستخدمين من الاعوان فنزل من ذلك بالناس بلاء كبير وشدة عظيمة فانه أخذ حتى من الشيخ والعجوز والارملة وجبى المال منهم بالعسف وابطل

كثير منهم سببه لسعيه فى الغرامة ودهى الناس مع الغرامة بتسلط الظلمة من العرفاء والضمان والرسل فكان يغرم كل أحد للقابض والشاد والصيرفي والشهود سوى ماقرر عليه جملة دراهم فكثر كلام الناس فى الوزير حتي صاروا يلهجون بقولهم هذه سخطة مرصصة نزلت من السماء على أهل مصر وقاسوا شدة أخرى في تحصيل الاصناف التي يحتاج اليها ونزل الوزير منجك وضرب له خيمة على جانب الروضة ونادى في الحرافيش والفعلة من أراد العمل يحضر ويأخذ أجرته درهماً ونصفاً وثلاثة أرغفة فاجتمع اليه عالم كثير وجعل لهم شيئاً يستظلون به من حر الشمس وأحسن اليهم ورتب عدة مراكب لنقل الحجر وأقام عدة من الحجارين في الجبل لقطع الحجر وجمالا وحميراً تنقلها من الجبل الى البحر ثم تحمل من البر فى المراكب الى بر الجيزة وابتدأ بعمل الجسر من الروضة الى ساقية علم الدين بن زنبور وعارضه بجسر آخر من بستان التاج اسحاق الى ساقية ابن زنبور وأقام أخشاباً من الجهتين وردم بينهما بالتراب والحجر والحلفاء ورتب الجمال السلطانية لقطع الطين من بر الروضة وحمله الى وسط الجسر وأمر أن لايبقى بالقاهرة ومصر صانع الا حضر العمل وألزم من كان بالقرب من داره كوم تراب أن ينقله الى الجسر فغرم كل واحد من الناس في نقل التراب من ألف درهم الى خمسمائة درهم وكان كل ماينقل فى المراكب من الحجر وغيره يرمى في وسط جسر المقياس وتحمله الجمال الى الجسر ثم اقتضى الرأى حفر خليج يجرى الماء فيه عند زيادة النيل لتضعف قوة التيار عن الجسر فاحضرت الابقار والجراريف والرجال لاجل ذلك وابتدؤا حفره من رأس موردة الحلفاء تحت الدور الى بولاق وكانت الزيادة قدقرب أوانها فما انتهى الحفر حتى زاد ماء النيل وجرى فيه فسر الناس به سرورا كبيرا وانتهى عمل الجسر في أربعة أشهر الا أن الشناعة قويت على الوزير وبلغ الامراء النائب ما يقال عن منجك من كثرة جباية الاموال فحدثه في ذلك ومنعه فاعتذر بأنه لم يسخر أحدا ولا استعمل الناس الا بالاجرة وان في هذا العمل للناس عدة منافع وما على من قول أصحاب الاغراض الفاسدة ونحو ذلك وتمادى على ما هو عليه فلما جرى الماء فى الخليج الذى حفر تحت البيوت من موردة الحلفاء الى بولاق مرت فيه المراكب بالناس للفرجة واحتاج منجك الى نقل خيمته من بر الروضة الى بر الجيزة وأحضر المراكب الكبار وملأها بالحجارة وغرق منها عشرة مراكب في البحر وردم التراب عليها الى أن كمل نحو ثلثي العمل فقويت زيادة الماء وبطل العمل فلما كثرت الزيادة جمع منجك الحرافيش والاسرى وردم على الجسر التراب وقواه فتحامل الماء عن البر الغربي الى البر الشرقى ومر من تحت الميدان السلطانى وزربية قوصون الى بولاق فصار معظمه من هذه المواضع وحصل الغرض بكون الماء بالقرب من القاهرة وانتهي طول جسر منجك الى مائتين وتسعين قصبة في عرض ثمان

قصبات وارتفاع أربع قصبات والجسر الذي من الروضة الى المقياس طوله مائتان وثلاثون قصبة وعدة ما رمى في هذا العمل من المراكب المشحونة بالحجر اثنا عشر ألف مركب سوى التراب وغير ذلك وكان ابتداء العمل في مستهل المحرم وانتهاؤه في سلخ ربيع الآخر ولم تحصر الاموال التى جبيت بسببه فانه لم يبق بالقاهرة ومصر دار ولا فندق ولا حمام ولا طاحون ولا وقف جامع أو مدرسة أو مسجد أو زاوية ولا رزقة ولا كنيسة الا وجبى منه فكان الرجل الواحد يغرم العشرة دراهم ومن خصه درهمان يحتاج الى غرامة أمثالهما وأضعافهما وناهيك بمال يجبي من الديار المصرية على هذا الحكم كثرة وقد بقيت من جسر منجك هذا بقية هي معروفة اليوم في طرف الجزيرة الوسطى *(جسر الخليلي) هذا الجسر فيما بين الروضة من طرفها البحري وبين جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى تجاه الخور وكان سبب عمله أن النيل لما قوى رمي تياره على بر القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون وقام فى عمل الجسر ليصير رمى التيار من جهة البر الغربي كما تقدم ذكره انطرد الماء عن بر القاهرة وانكشف ما تحت الدور من منشأة المهراني الى منية الشيرج وعمل منجك الجسر الذى مر ذكره ليعود الماء في طول السنة الى بر القاهرة فلم يتهيأ كما كان أولا وجرى فى الخليج الذى احتفره تحت الدور من موردة الحلفاء بمصر الى بولاق وصار تجاه هذا الخليج جزيرة والماء لا يزال ينطرد في كل سنة عن بر القاهرة الى أن استبد بتدبير مصر الامير الكبير برقوق فلما دخلت سنة أربع وثمانين وسبعمائة قصد الامير جهاركس الخليلي عمل جسر ليعود الماء الى بر القاهرة ويصير في طول السنة هناك ويكثر النفع به فيرخص الماء المحمول فى الروايا ويقرب مرسى المراكب من البلد وغير ذلك من وجوه النفع فشرع فى العمل أول شهر ربيع الاول وأقام الخوازيق من خشب السنط طول كل خازوق منها ثمانية أذرع وجملها صفين فى طول ثلثمائة قصبة وعرض عشر قصبات وسمر فيها أفلاق النخل الممتدة وألقى بين الخوازيق ترابا كثيرا وانتصب هناك بنفسه ومماليكه ولم يجب من أحد مالا البتة فانتهى عمله في أخريات شهر ربيع الآخر وحفر في وسط البحر خليجا من الجسر الى زريبة قوصون. وقال شعراء العصر في ذلك شعرا كثيرا منهم عيسى بن حجاج

جسر الخليلي المقر لقد رسا * كالطود وسط النيل كيف يريد
فاذا سألتم عنهما قلنا لكم * ذا ثابت دهرا وذاك يزيد

وقال الاديب شهاب الدين أحمد بن العطار

شكت النيل أرضه * للخليلى فاحصره
ورأى الماء خائفا * أن يطاها فجسره

وقال

رأى الخليلي قلب الماء حين طغى * بنى على قلبه جسرا وحيره
رأى ترمل أرضيه ووحدتها * والنيل قد خاف يغشاها فجسره

ومع ذلك ما ازداد الماء الا انطرادا عن بر القاهرة ومصر حتى لقد انكشف بعد عمل هذا الجسر شيء كثير من الاراضى التى كانت غامرة بماء النيل وبعد النيل عن القاهرة بعدا لم يعهد فى الاسلام مثله قط *(جسر شيبين) أنشاه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة بسبب أن اقليم الشرقية كانت له سدود كلها موقوفة على فتح بحر أبى المنجا وفي بعض السنين تشرق ناحية شيبين وناحية مرصفا وغير ذلك من النواحى التي أراضيها عالية فشكا الامير بشتاك من تشريق بعض بلاد، التي فى تلك النواحي فركب السلطان من قلعة الجبل ومعه المهندسون وخولة البلاد وكانت له معرفة بأمور العمائر وحدس جيد ونظر سعيد ورأي مصيب فسار لكشف تلك النواحي حتى اتفق الرأى على عمل الجسر من عند شيبين القصر الى بنها العسل فوقع الشروع في عمله وجمع له من رجال البلاد اثنى عشر ألف رجل ومائتي قطعة جرافة وأقام فيه القناطر فصار محبسا لتلك البلاد واذا فتح بحر أبى المنجا امتلأت الاملاق بالماء واسند على هذا الجسر وفى أول سنة عمل هذا الجسر أبطل فتح بحر أبى المنجا تلك السنة وفتح من جسر شيبين هذا وحصل بهذا الجسر نفع كبير لبلاد العلو واستبحر منه عدة بلاد وطيئة والعمل على هذا الجسر الى يومنا هذا والله أعلم * جسرا مصر والجيزة) اعلم أن الماء فى القديم كان محيطا بجزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة طول السنة وكان فيما بين ساحل مصر وبين الروضة جسر من خشب وكذلك فيما بين الروضة وبر الجيزة جسر من خشب يمر عليهما الناس والدواب من مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة وكان هذان الجسران من مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض وهي موثقة ومن فوق المراكب أخشاب ممتدة فوقها تراب وكان عرض الجسر ثلاث قصبات * قال القضاعى وأما الجسر فقال بعضهم رأيت فى كتاب ذكر انه خط أبى عبد الله بن فضالة صفة الجسر وتعطيله وازالته وانه لم يزل قائما الى أن قدم المأمون مصر وكان غربيا ثم أحدث المأمون هذا الجسر الموجود اليوم الذي تمر عليه المارة وترجع من الجسر القديم فبعد أن خرج المأمون عن البلد أتت ريح عاصف فقطعت الجسر الغربى فصدمت سفنه الجسر المحدث فذهبا جميعا فبطل الجسر القديم وأثبت الجديد ومعالم الجسر القديم معروفة الى هذه الغاية * وقال ابن زولاق فى كتاب اتمام أمراء مصر ولعشر خلون من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة سارت العساكر لقتال القائد جوهر ونزلوا الجزيرة بالرجال والسلاح والعدة وضبطوا الجسرين وذكر ما كان منهم الى أن قال في

عبور جوهر أقبلت العساكر فعبرت الجسر أفواجا أفواجا وأقبل جوهر فى فرسانه الى المناخ موضع القاهرة . وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله وفى مستهل رجب سنة أربع وستين وثلثمائة أصلح جسر الفسطاط ومنع الناس من ركوبه وكان قد أقام سنين معطلا * وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب وذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر الغربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لان هذين الجسرين قد احترما بحصولهما في حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان يعنى الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان رأس هذا الجسر الذى ذكره ابن سعيد حيث المدرسة الخروبية من انشاء البدر أحمد بن محمد الخروبى التاجر على ساحل مصر قبلي خط دار النحاس وما برح هذا الجسر الى أن خرب الملك المعز ايبك التركمانى قلعة الروضة بعد سنة ثمان وأربعين وستمائة فأهمل ثم عمره الملك الظاهر ركن الدين بيبرس على المراكب وعمله من ساحل مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة لاجل عبور العسكر عليه لما بلغه حركة الفرنج فعمل ذلك

* (الجسر من قليوب الى دمياط) هذا الجسر أنشأه السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصورى المعروف بالجاشنكير في أخريات سنة ثمان وسبعمائة وكان من خبره انه ورد القصاد بموافقة صاحب قبرس عدة من ملوك الفرنج على غزو دمياط وانهم أخذوا ستين قطعة فاجتمع الامراء واتفقوا على انشاء جسر من القاهرة الى دمياط خوفا من حركة الفرنج فى أيام النيل فيتعذر الوصول الى دمياط وعين لعمل ذلك الامير أقوش الرومى الحسامى وكتب الامراء الى بلادهم بخروج الرجال والابقار ورسم للولاة بمساعدة أقوش وأن يخرج كل وال الى العمل برجال عمله وأبقارهم فما وصل أقوش الى ناحية فارسكور حتى وجد ولاة الاعمال قد حضروا بالرجال والابقار فرتب الامور فعمل فيه ثلثمائة جرافة بستمائة رأس بقر وثلاثين ألف رجل وأقام أقوش الحرمة وكان عبوساً قليل الكلام مهابا الى الغاية فجد الناس في العمل لكثرة من ضربه بالمقارع أو خزم أنفه أو قطع أذنه أو أخرق به الى أن فرغ فى نحو شهر واحد فجاء من قليوب الى دمياط مسافة يومين فى عرض أربع قصبات من أعلاه وست قصبات من أسفله ومشى عليه ستة رؤس من الخيل صفاً واحداً فعم النفع به وسلك عليه المسافرون بعد ما كان يتعذر السلوك أيام النيل لعموم الماء الاراضى والله تعالى أعلم

* (وقد وجد بخط المصنف رحمه الله فى أصله هنا ما صورته) *

أمراء الغرب ببيروت بيت حشمة ومكارم مقامهم بجبال الغرب من بلاد بيروت وهم

خدم على الناس وتفضيل وهم ينسبون الى الحسين بن اسحاق بن محمد التنوخي الذى مدحه أبو الطيب المتنبي بقوله

شدوا بابن اسحاق الحسين فصافحت * وقاربها كيزانها والنمارق

ثم كان كرامة بن بجير بن على بن ابراهيم بن الحسين بن اسحاق بن محمد التنوخي فهاجر الى الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكي فأقطعه الغرب وما معه بامرته فسمي أمير الغرب وكان منشوره بخط العماد الاصفهاني الكاتب فتحضر الامير كرامة بعد البداوة وسكن حصن بلجمور من نواحى اقطاعه ويعلو على تل أعمال بغير بناء ثم أنشأ أولاده هناك حصنا وما زلوا به وكان كرامة ثقيلا على صاحب بيروت وذلك أيام الفرنج فأراد أخذه مراراً فلم يجد اليه سبيلا فأخذ في الحيلة عليه وهادن أولاده وسألهم حتي نزلوا الى الساحل وألفوا الصيد بالطير وغيره فراسلهم حتي صار يصطاد معهم وأكرمهم وحباهم وكساهم ومازال يستدرجهم مرة بعد مرة ثم أخرج ابنه معه وهو شاب وقال قد عزمت على زواجه ثم دعا ملوك الساحل وأولاد كرامة الثلاثة فأتوه وتأخر أصغر أولاد كرامة مع أمه بالحصن في عدة قليلة فامتلأ الساحل بالشوانى والمدينة بالفرنج وتلقوهم بالشمع والاغانى فلما صاروا في القلعة وجلسوا مع الملوك غدر بهم وامسكهم وأمسك غلمانهم وغرقهم وركب بجموعه ليلا الى الحصن فاجفل الفلاحون والحريم والصبيان الى الجبال والشعر والكهوف وبلغ من بالحصن أن أولاد كرامة الثلاثة قد غرقوا ففتحوه وخرجت أمهم ومعها ابنها حجي بن كرامة وعمره سبع سنين ولم يبق من بنيهم سواه فأدرك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتوجه اليه لما فتح صيدا وبيروت وباس رجله في ركابه فلمس بيده رأسه وقال له أخذنا ثارك طيب قلبك أنت مكان أبيك وأمر له بكتابة أملاك أبيه بستين فارساً فلما كانت أيام المنصور قلاون ذكر أولاد تغلب بن مسعر الشجاعى أن بيد الخليقة أملاكا عظيمة بغير استحقاق ومن جملتهم أمراء الغرب فحملوا الى مصر ورسم السلطان باقطاع أملاك الجبلية مع بلاد طرابلس لامرائها وجندها فأقطعت لعشرين فارساً من طرابلس فلما كانت أيام الاشرف خليل بن قلاون قدموا مصر وسألوا أن يخدموا على أملاكهم بالعدة فرسم لهم وأن يزيدوها عشرة أرماح فلما كان الروك الناصرى ونيابة الامير تنكز بالشام وولاية علاء الدين بن سعيد كشف تلك الجهات رسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون أن يستمر عليها بستين فارساً فاستمرت على ذلك ثم كان منهم الامير ناصر الدين الحسين بن خضر بن محمد بن حجي بن كرامة ابن بجير بن على المعروف بابن أمير الغرب فكثرت مكارمه واحسانه وخدمته كل من يتوجه الى تلك الناحية وكانت اقامته بقرية أعبية بالجبل وله دار حسنة فى بيروت واتصلت خدمته الى كل غاد ورائح وباد الاكابر والاعيان مع رياسة كبيرة ومعرفة عدة صنائع يتقنها وكتابة

جيدة وترسل وعدة قصائد ومولده في محرم سنة ثمان وستين وستمائة وتوفى للنصف من
شوال سنة احدى وخمسين وسبعمائة انتهى* (ووجد بخطه أيضاً من أخبار اليمن مامثاله)*
كان ابتداء دولة بنى زياد أن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن زياد سلمه المأمون مع عدة
من بني أمية الى الفضل بن سهل بن ذى الرياستين فورد على المأمون اختلال اليمن فأثنى
الفضل على محمد هذا فبعثه المأمون أميرا على اليمن فحج ومضى الى اليمن ونتج بها من بعد
محاربته العرب وملك اليمن وبنى مدينة زبيد فى سنة ثلاث ومائتين وبعث مولاه جعفراً بهدية
جليلة الى المأمون فى سنة خمس وعاد اليه فى سنة ست ومعه من جهة المأمون ألفا فارس
فقوى ابن زياد وملك جميع اليمن وقلد جعفرا الجبال وبنى بها مدينة الدمجرة فظهرت كفاءة
جعفر لكثرة دهائه فقتله ابن زياد ثم مات محمد بن زياد فملك بعده ابنه ابراهيم ثم ملك
بعده ابنه أبو الجيش اسحاق بن ابراهيم وطالت مدته ومات سنة احدى وسبعين وثلثمائة
وترك طفلا اسمه زياد فأقيم بعده وكفلته أخته هند ابنة اسحاق وتولى معها رشد عبد أبى
الجيش حتى مات فولى بعد رشد عبده حسين بن سلامة وكان عفيفاً فوزر لهند ولاخيها
حتي ماتا ثم انتقل الملك الى طفل من آل زياد وقام بأمره عمته وعبد لحسين بن سلامة اسمه
مرجان وكان لمرجان عبدان قد تغلبا على أمره يقال لاحدهما قيس وللآخر نجاح فتنافسا
على الوزارة وكان قيس عسوفا ونجاح رقيقا وكان مرجان سيدهما يميل الى قيس وعمة الطفل
تميل الى نجاح فشكا قيس ذلك الى مرجان فقبض على الملك الطفل ابراهيم وعلى عمته تملك
فبنى قيس عليهما جداراً فكان ابراهيم آخر ملوك اليمن من آل زياد وكان القبض عليه وعلى
عمته سنة سبع وأربعمائة فكانت مدة بنى زياد مائتي سنة وأربعاً وستين سنة فعظم قتل
ابراهيم وعمته تملك على نجاح وجمع الناس وحارب قيساً بزبيد حتي قتل قيس وملك نجاح
المدينة فى ذى القعدة سنة اثنتى عشرة وقال لسيده مرجان مافعلت بمواليك وموالينا فقال
هم في ذلك الجدار فأخرجهما وصلي عليهما ودفنهما وبنى عليهما مسجدا وجعل سيده
مرجان موضعهما في الجدار ووضع معه جثة قيس وبني عليهما الجدار واستبد نجاح بمملكة
اليمن وركب بالمظلة وضربت السكة باسمه ونجاح مولى مرجان. ومرجان مولى حسين بن
سلامة وحسين مولى رشد ورشد مولى بني زياد ولم يزل نجاح ملكا حتى مات سنة اثنتين
وخمسين وأربعمائة سمته جارية أهداها اليه الصليحي وترك من الاولاد عدة فملك منهم
سعيد الاحول واخوته عدة سنين حتى استولي عليهم الصليحى فهربوا الي دهلك ثم قدم
منهم حياش بن نجاح الي زبيد متنكرا وأخذ منها وديعة وعاد الى دهلك فقدمها أخوه سعيد
الاحول بعد ذلك واختفى بها واستدعى أخاه حياشا وسارا في سبعين رجلا يوم التاسع من
ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وقصدوا الصليحي وقد سار الي الحج فوافوه عند بئر أم معبد

وقتلوه فى ثاني عشرى ذى القعدة المذكور وقتل معه ابنه عبد الله واحتز سعيد رأسيهما واحتاط على امرأته أسماء بنت شهاب وعاد الي زبيد ومعه أخوه جياش والرأسان بين أيديهما علي هودج اسماء وملك اليمن فجمع المكرم ابن أسماء فى سنة خمس وسبعين وسار من الجبال الى زبيد وقاتل سعيدا ففر سعيد وملك المكرم واسمه أحمد وأنزل رأس الصليحي وأخيه ودفنهما وولي زبيد خاله أسعد بن شهاب وماتت اسماء أمه بعد ذلك فى صنعاء سنة سبع وسبعين ثم عاد ابنا نجاح الى زبيد وملكاها فى سنة تسع وسبعين ففر أسعد بن شهاب ثم غالبهما أحمد المكرم بن على الصليحي وقتل سعيد بن نجاح في سنة احدى وثمانين وفر أخوه جياش الى الهند ثم عاد وملك زبيد في سنة احدى وثمانين المذكورة فولدت له جاريته الهندية ابنه الفاتك بن جياش وبقي المكرم في الجبال يغير على بلاد جياش وجياش يملك تهامة حتى مات آخر سنة ثمان وتسعين فملك بعده ابنه فاتك وخالف عليه أخوه ابراهيم ومات فاتك سنة ثلاث وخمسمائة فملك بعده ابنه منصور بن فاتك وهو صغير فثار عليه عمه ابراهيم فلم يظفر وثار بزبيد عبد الواحد بن جياش وملكها فسار اليه عبد فاتك واستعادها ثم مات منصور وملك بعده ابنه فاتك بن منصور ثم ملك بعده ابن عمه فاتك ابن محمد بن فاتك بن جياش فى سنة احدى وثلاثين وخمسمائة حتى قتل سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وهو آخر ملوك بني نجاح فتغلب على اليمن على بن مهدى فى سنة أربع وخمسين *(وأما الصليحي) فانه على ابن القاضي محمد بن على كان أبوه فى طاعته أربعون ألفا فأخذ ابنه التشيع عن عامر بن عبد الله الرواحي أحد دعاة المستضىء وصحبه حتى مات وقد أسند اليه امر الدعوة فقام بها وصار دليلا لحاج اليمن عدة سنين ثم ترك الدلالة في سنة تسع وعشرين وأربعمائة وصعد رأس حبل مسار في ستين رجلا وجمع حتى ملك اليمن في سنة خمس وخمسين وأقام على زبيد أسعد بن شهاب بن على الصليحي وهو أخو زوجته وابن عمه ثم انه حج فقتله بنو نجاح فى ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين واستقرت التهائم لبني نجاح واستقرت صنعاء لاحمد بن علىّ الصليحي المقتول وتلقب بالملك المكرم ثم جمع وقصد سعيد ابن نجاح بزبيد وقاتله وهزمه الى دهلك وملك زبيد في سنة خمس وسبعين فعاد سعيد وملك زبيد في سنة تسع وسبعين فأتاه المكرم وقتله في سنة احدى وثمانين فملك جياش أخو سعيد ومات المكرم بصنعاء سنة أربع وثمانين فملك بعده أبو حمير سبا بن احمد المظفر بن علىّ الصليحي في سنة أربع وثمانين حتي مات سنة خمس وتسعين وهو آخر الصليحيين فملك بعده على بن ابراهيم بن نجيب الدولة فقدم من مصر الى جبال اليمن في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقام بأمر الدعوة والمملكة التى كانت بيد سبا ثم قبض عليه بامر الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى بعد سنة عشرين وخمسمائة وانتقل الملك والدعوة الى الزريع بن

عباس بن المكرم وآل الزريع من آل عدن وهم من حمدان ثم من جشم وبنو المكرم يعرفون بآل الذنب وكانت عدن للزريع بن عباس واحمد بن مسعود بن المكرم فقتلا على زبيد وولى بعدهما ولداهما أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود ثم استولى على الملك والدعوة سبأ بن أبي السعود بن زريع حتى مات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة فولى بعده ولده الاعز على بن سبا وكان مقامه بالرمادة فمات بالسل وملك اخوه المعظم محمد فى سنة ثمان وثلاثين * وولى من الصليحيين أيضا الملكة السيدة سنة بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحى زوجة أحمد المكرم ولقبت بالحرة ومولدها سنة أربعين وأربعمائة وربتها أسماء بنت شهاب وتزوجها الملك المكرم أحمد بن أسماء وهو ابن على الصليحي سنة احدى وستين وولاها الامر في حياته فقامت بتدبير المملكة والحروب وأقبل زوجها على لذاته حتى مات وتولى ابن عمه سبأ فاستمرت في الملك حتي مات سبا وتولى ابن نجيب الدولة حتي ماتت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وشاركه فى الملك المفضل أبو البركات بن الوليد الحميرى وكان يحكم بين يدى الملكة الحرة وهي من وراء الحجاب ومات المفضل فى رمضان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وملك بلاده ابنه الملك المنصور منصور بن المفضل حتى ابتاع منه محمد بن سبأ بن أبي السعود معاقل الصليحيين وعدتها ثمانية وعشرون حصنا بمائة ألف دينار في سنة سبع وأربعين وخمسمائة وبقى المنصور بعد حتي مات بعد ماملك نحو ثمانين سنة * (وأما على بن مهدى) فانه حميرى من سواحل زبيد كان أبوه مهدى رجلا صالحا ونشأ ابنه على طريقة حسنة وحج ووعظ وكان فصيحا حسن الصوت عالما بالتفسير وغيره يتحدث بالمغيبات فتكون كما يقول وله عدة اتباع كثيرة وجموع عديدة ثم قصد الجبال وأقام بها الى سنة احدى وأربعين وخمسمائة ثم عاد الى املاكه ووعظ ثم عاد الى الجبال ودعا الى نفسه فأجابه بطن من خولان فسماهم الانصار وسمى من صعد معه من تهامة المهاجرين وولى على خولان سبأ وعلى المهاجرين رجلا آخر وسمى كلا منهما شيخ الاسلام وجعلهما نقيبين علي طائفتيهما فلا يخاطبه أحد غيرهما وهما يوصلان كلامه الى من تحت ايديهما وأخذ يغادى الغارات ويراوحها على التهائم حتى أجلى البوادي ثم حاصر زبيد حتي قتل فاتك بن محمد آخر ملوك بنى نجاح فحارب ابن مهدى عبيد فاتك حتى غلبهم وملك زبيد يوم الجمعة رابع عشر رجب سنة أربع وخمسين وخمسمائة فبقى على الملك شهرين وأحدا وعشرين يوما ومات فملك بعده ابنه مهدى ثم عبد الغني بن مهدى وخرجت المملكة عن عبد الغني الى أخيه عبد الله ثم عادت الى عبد الغني واستقر حتى سار اليه توران شاه بن ايوب من مصر في سنة تسع وستين وخمسمائة وفتح اليمن وأسر عبد الغني وهو آخر ملوك بني مهدى يكفر بالمعاصى ويقتل من يخالف اعتقاده ويستبيح وطء نسائهم واسترقاق اولادهم وكان حنفى الفروع ولاصحابه فيه غلو زائد

ومن مذهبه قتل من شرب الخمر ومن سمع الغناء ثم ملك توران شاه بن أيوب عدن من ياسر و ملك بلاد اليمن كلها واستقرت في ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وعاد شمس الدولة توران شاه بن أيوب الى مصر في شعبان سنة ست وسبعين واستخلف على عدن عز الدين عثمان بن الزنجيلي وعلى زبيد حطان بن كليل بن منقد الكافى فمات شمس الدولة بالاسكندرية فاختلف نوابه فبعث السلطان صلاح الدين يوسف جيشا فاستولى على اليمن ثم بعث في سنة ثمان وسبعين أخاه سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب فقدم اليها وقبض على حطان بن كليل بن منقد وأخذ أمواله وفيها سبعون غلاف زردية مملوأة ذهبا عينا وسجنه فكان آخر العهد به ونجا عثمان بن الزنجيلي بأمواله الى الشام فظفر بها سيف الاسلام وصفت له مملكة اليمن حتى مات بها فى شوال سنة ثلاث وتسعين فاقيم بعده ابنه الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب فجمظ وادعى انه أموى وخطب لنفسه بالخلافة وعمل طول كمه عشرين ذراعا فثار عليه مماليكه وقتلوه فى سنة تسع وتسعين وأقاموا بعده أخاه الناصر ومات بعد أربع سنين فقام من بعده زوج أمه غازى بن حزيل أحد الامراء فقتله جماعة من العرب وبقي اليمن بغير سلطان فتغلبت أم الناصر على زبيد فقدم سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن أيوب الى اليمن فعبر يحمل ركوته على كتفه فملكته أم الناصر البلاد وتزوجت به فاشتد ظلمه وعتوه الى أن قدم الملك المسعود اقسيس ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب من مصر فى سنة اثنتي عشرة وستمائة فقبض عليه وحمله الى مصر فأجرى له الكامل ما يقوم به الى أن استشهد على المنصورة سنة سبع وأربعين وستمائة وأقام المسعود باليمن وحج وملك مكة أيضاً فى شهر ربيع الاول سنة عشرين وستمائة وعاد الى اليمن ثم خرج عنها واستخلف عليها استاداره علىّ بن رسول فمات بمكة سنة ست وعشرين فقام على بن رسول على ملك اليمن حتى مات فى سنة تسع وعشرين واستقر عوضه ابنه عمر بن على بن رسول وتلقب بالمنصور حتى قتل سنة ثمان وأربعين واستقر بعده ابنه المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول وصفا له اليمن وطالت أيامه انتهى ما ذكره المصنف بخطه في تاريخه عفا الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مقره ومثواه

* (ووجد بخطه أيضاً ما مثاله) * السلطان محمد بن طغلق شاه وطغلق يلقب غياث الدين وهو مملوك السلطان علاء الدين محمود بن شهاب الدين مسعود ملك الهند مقر ملكه مدينة دهلي وجميع البلاد برا وبحرا بيده الا الجزائر المغلغلة في البحر وأما الساحل فلم يبق منه قيد شبر الا وهو بيده وأول ما فتح فتح مملكة تكنك عدة قراها مائة ألف قرية وتسعمائة قرية ثم فتح بلاد حاجنكير وبها سبعون مدينة جليلة كلها بنادر على البحر ثم فتح بلاد لنكوتي وهى كرسى تسعة ملوك ثم فتح بلاد دوا كير وبها أربع وثمانون قلعة كلها جليلات

المقدار وبها ألف ألف قرية ومائتا ألف قرية ثم فتح بلاد ورسمند وكان بها ستة ملوك ثم فتح بلاد المعبر وهو اقليم جليل له سبعون مدينة بنادر على البحر وجملة ما بيده ثلاثة وعشرون اقليما وهى اقليم دهلي واقليم الدواكير واقليم الملتان واقليم كهران واقليم سامان واقليم سيوستان واقليم وجا واقليم هاسي واقليم سرستي واقليم المعبر واقليم تلنك كجرات واقليم بداون واقليم عوض واقليم القنوج واقليم لنكوتي واقليم بهار واقليم كره واقليم ملاوه واقليم بهادر واقليم كلافور واقليم حاجنكير واقليم بليخ واقليم ورسمندوهذه الاقاليم تشتمل على ألف مدينة ومائتي مدينة ومدينة دهلى دور عمرانها أربعون ميلا وجملة مايطلق عليه اسم دهلى احدى وعشرون مدينة وفي دهلى ألف مدرسة كلها للحنفية الا واحدة فانها للشافعية ونحو سبعين مارستانا وفى بلادها من الخوانك والربط نحو ألفين وبها جامع ارتفاع مئذنته ستمائة ذراع في الهواء وللسلطان خدمة مرتين في كل يوم بكرة وبعد العصر ورتب الامراء على هذه الانواع أعلاهم قدرا الخانات ثم الملوك ثم الامراء ثم الاسفهسلارية ثم الجند وفي خدمته ثمانون خانا وعسكره تسعمائة ألف فارس وله ثلاثة آلاف فيل تلبس فى الحروب البرك اصطونات الحديد المذهب وتلبس فى أيام السلم جلال الديباج وأنواع الحرير وتزين بالقصور والاسرة المصفحة ويشد عليها بروج الخشب يركب فيها الرجال للحرب فيكون على الفيل من عشرة رجال الى ستة وله عشرون ألف مملوك أتراك وعشرة آلاف خادم خصى وألف خازندار وألف مشبقدار ومائتا ألف عبد ركابية تلبس السلاح وتمشى بركابه وتقاتل رجالة بين يديه والاسفهسلارية لا يؤهل منهم أحد لقرب السلطان وانما يكون منهم نوع الولاة والخان يكون له عشرة آلاف فارس وللملك ألف وللامير مائة فارس وللاسفهسلار دون ذلك ولكل خان عبرة لكين كل لك مائة ألف تنكة كل تنكة ثمانية دراهم ولكل ملك من ستين ألف تنكة الى خمسين ألف تنكة ولكل أمير من أربعين ألف تنكة الى ثلاثين ألف تنكة ولكل اسفهسلار من عشرين ألف تنكة الى ما حولها ولكل جندى من عشرة آلاف تنكة الى ألف تنكة ولكل مملوك من خمسة آلاف تنكة الى ألف تنكة سوى طعامهم وكساويهم وعليقهم ولكل عبد في الشهر منان من الحنطة والارز وفى كل يوم ثلاثة استار لحم وما يحتاج اليه وفي كل شهر عشر تنكات بيضاء وفي كل سنة أربع كساو وللسلطان دار طراز فيها أربعة آلاف قزاز لعمل أنواع القماش سوى مايحمل له من الصين والعراق والاسكندرية ويفرق كل سنة مائتي ألف كسوة كاملة في فصل الربيع مائة ألف وفي فصل الخريف مائة ألف ففى الربيع غالب الكسوة من عمل الاسكندرية وفي الخريف كلها حرير من عمل دار الطراز بدهلى وقماش الصين والعراق ويفرق على الخوانك والربط الكساوى وله أربعة آلاف زركشي تعمل الزركش ويفرق

كل سنة عشرة آلاف فرس مسرجة وغير مسرجة سوى ما يعطى الاجناد من البراذين فانه بلا حساب يعطي جشارات ومع هذا فالخيل عنده غالية مطلوبة وللسلطان نائب من الخانات يسمى ابويت اقطاعه قدر اقليم بحر العراق ووزير اقطاعه كذلك وله أربعة نواب مسمى كل واحد منهم من أربعين ألف تنكة الى عشرين ألف تنكة وله أربعة ريبسان أى كتاب سر لكل واحد منهم ثلثمائة كاتب ولكل كاتب اقليم عشرة آلاف تنكة واصدر جهان وهو قاضي القضاة قرى يحصل منها نحو ستين ألف تنكة ولصدر الاسلام وهو أكبر نواب القاضي ولشيخ الاسلام وهو شيخ الشيوخ مثل ذلك وللمحتسب ثمانية آلاف تنكة وله ألف طبيب ومائتا طبيب وعشرة آلاف بزدار تركب الخيل وتحمل طيور الصيد وله ثلاثة آلاف سواق لتحصيل الصيد وخمسمائة نديم وألفان ومائتان للملاهي سوي مماليكه وهم ألف مملوك وألف شاعر باللغات العربية والفارسية والهندية يجرى عليهم ديوانه ومتي غني أحد منهم لغيره قتله ولكل نديم قريتان أو قرية ومن أربعين ألف تنكة الى ثلاثين ألف تنكة الى عشرين ألف تنكة سوى الخلع والكساوى والافتقادات ويمد فى وقت كل خدمة في المرتين من كل يوم سماط يأكل منه عشرون ألفاً مثل الخانات والملوك والامراء والاسفهسلارية وأعيان الاجناد وله طعام خاص يأكل معه الفقهاء وعدتهم مائتا فقيه في الغداء والعشاء فيأكلون ويتباحثون بين يديه ويذبح في مطابخه كل يوم ألفان وخمسمائة رأس من البقر وألفا رأس من الغنم سوى الخيل وأنواع الطير ولا يحضر مجلسه من الجند الا الاعيان ومن دعته ضرورة الى الحضور والندماء وأرباب الاغانى يحضرون بالنوبة وكذلك الريبسان والاطباء ونحوهم لكل طائفة نوبة تحضر فيها للخدمة والشعراء تحضر فى العيدين والمواسم وأول شهر رمضان واذا تجدد نصر على عدو أو فتوح ونحو ذلك مما يهنى به السلطان وأمور الجند والعامة مرجعها الى ابريت وأمر القضاة كلهم مرجعه الى صدر جهان وأمر الفقهاء الى شيخ الاسلام وأمر الواردين والوافدين والادباء والشعراء الى الريبسان وهم كتاب السر وجهز هذا السلطان مرة أحد كتاب سره الى السلطان أبى سعيد رسولا وبعث معه ألف ألف تنكة ليتصدق بها في مشاهد العراق وخمسمائة فرس فقدم بغداد وقد مات أبو سعيد وكان هذا السلطان ترعد الفرائص لمهابته وتزلزل الارض لموكبه يجلس بنفسه لانصاف رعيته ولقراءة القصص عليه جلوساً عاماً ولا يدخل أحد عليه ومعه سلاح ولو السكين ويجلس وعنده سلاح كامل لا يفارقه أبدا واذا ركب فى الحرب فلا يمكن وصف هيبته وله أعلام سود فى أوساطها تبابين من ذهب تسير عن يمينه وأعلام حمر فيها تبابين من ذهب تسير عن يساره ومعه مائتا جمل نقارات وأربعون جملا كوسات كبارا وعشرون بوقا وعشرة صنوج ويدق له خمس نوب كل يوم واذا خرج الى الصيد كان في جف وعدة

من معه زيادة على مائة ألف فارس ومائتي فيل وأربعة قصور خشب على ثمانمائة جمل كل قصر منها على مائتي جمل كلها ملبسة حريرامذهبا كل قصر طبقتان سوى الخيم والجركاوات واذا انتقل من مكان الى مكان للنزهة يكون معه نحو ثلاثين ألف فارس وألف جنيب مسرجة ملجمة بالذهب المرصع بالجوهر والياقوت واذا خرج في قصره من موضع الى آخر يمر راكبا وعلى رأسه الحبر والسلاح دارية ووراءه بأيديهم السلاح وحوله نحو اثنا عشر ألف مملوك مشاة لا يركب منهم الا حامل الحبر والسلاح دارية والجمدارية حملة القماش واذا خرج للحرب أو سفر طويل حمل على رأسه سبع حبورة منها اثنان مرصعان ليس لهما قيمة وله نخامة عظيمة وقوانين وأوضاع جليلة والخانات والملوك والامراء لا يركب أحد منهم في السفر والحضر الا بالاعلام وأكثر ما يحمل الخان سبعة أعلام وأكثر مايحمل الامير ثلاثة وأكثر مايجره الخان فى الحضر عشرة جنائب وأكثر ما يجر الامير في الحضر جنيبان وأما في السفر فحسبما يختار وكان للسلطان بر واحسان وفيه تواضع ولقد مات عنده رجل فقير فشهد جنازته وحمل نعشه على عنقه وكان يحفظ القرآن العزيز العظيم والهداية في فقه الحنفية ويجيد علم المعقول ويكتب خطاحسنا ولذته في الرياضة وتأديب النفس ويقول الشعر ويباحث العلماء ويؤاخذ الشعراء ويأخذ بأطراف الكلام علي كل من حضر على كثرة العلماء عنده والعلماء تحضر عنده وتفطر فى رمضان معه بتعيين صدرجهان لهم فى كل ليلة وكان لا يترخص في محذور ولا يقر على منكر ولا يتجاسر أحد في بلاده أن يتظاهر بمحرم وكان يشدد في الخمر ويبالغ في العقوبة علي من يتعاطاه من المقربين منه وعاقب بعض أكابر الخانات على شرب الخمر وقبض عليه وأخذ أمواله وجملتها أربعمائة ألف ألف مثقال وسبعة وثلاثون ألف ألف مثقال ذهبا أحمر زنتها ألف وسبعمائة قنطار بالمصرى وله وجوه بر كثيرة منها أنه يتصدق فى كل يوم بلكين عنهما من نقدمصر ألف ألف وستمائة ألف درهم وربما بلغت صدقته في يوم واحد خمسين لكا ويتصدق عند كل رؤية هلال شهر بلكين دائما وعليه راتب لاربعين ألف فقير كل واحد منهم درهم فى كل يوم وخمسة أرطال بر وأرز وقرر ألف فقيه فى مكاتب لتعليم الاطفال القرآن وأجرى عليهم الارزاق وكان لايدع بدهلي سائلا بل يجري علي الجميع الارزاق ويبالغ في الاحسان الى الغرباء وقدم عليه رسول من أبي سعيد مرة بالسلام والتودد فخلع عليه وأعطاه حملا من المال فلما أراد الانصراف أمره أن يدخل الخزانة ويأخذ ما يختار فلم يأخذ غير مصحف فسأله عن ذلك فقال قد أغناني السلطان بفضله ولم أجد أشرف من كتاب الله فزاد اعجابه به وأعطاه مالا جملته ثمانمائة تومان والتومان عشرة آلاف دينار وكل دينار ستة دراهم تكون جملة ذلك ثمانية آلاف ألف دينار عنها ثمانية وأربعون ألف ألف درهم وقصده شخص من بلاد فارس

وقدم له كتباً في الحكمة منها كتاب الشفاء لابن سينا فأعطاه جوهرا بعشرين ألف مثقال من الذهب وقصده آخر من بخاري بحملي بطيخ أصفر فتلف غالبه حتى لم يبق منه الا اثنتان وعشرون بطيخة فأعطاه ثلاثة آلاف مثقال ذهبا وكان قد التزم أن لا ينطق في اطلاقاته بأقل من ثلاثة آلاف مثقال ذهبا وبعث ثلاث لكوك ذهبا الي بلاد ما وراء النهر ليفرق على العلماء لك وعلى الفقراء لك ويبتاع له حوائج بلك وبعث للبرهان الضياء عزوجي شيخ سمرقند بأربعين ألف تنكة وكان لا يفارق العلماء سفرا وحضرا ومنار الشرع في أيامه قائم والجهاد مستمر فبلغ مبلغا عظيما في اعلاء كلمة الايمان فنشر الاسلام في تلك الاقطار وهدم بيوت النيران وكسر البدود والاصنام واتصل به الاسلام الى أقصى الشرق وعمر الجوامع والمساجد وأبطل التثويب في الاذان ولم يخل له يوم من الايام من بيع آلاف من الرقيق لكثرة السبي حتي ان الجارية لا يتعدى ثمنها بمدينة دهلي ثمان تنكات والسرية خمس عشرة تنكة والعبد المراهق أربعة دراهم ومع رخص قيمة الرقيق فانه تبلغ قيمة الجارية الهندية عشرين ألف تنكة لحسنها ولطف خلقها وحفظها القرآن وكتابتها الخط وروايتها الاشعار والاخبار وجودة غنائها وضربها بالعود ولعبها بالشطرنج وهن يتفاخرن فتقول الواحدة آخذ قلب سيدي في ثلاثة أيام فتقول الاخرى أنا آخذ قلبه في يوم فتقول الاخرى أنا آخذ قلبه في ساعة فتقول الاخرى أنا آخذ قلبه في طرفة عين وكان ينعم على جميع من في خدمته من أرباب السيوف والاقلام بكل جليل من البلاد والاموال والجواهر والخيول المجللة بالذهب وغير ذلك الا الفيلة فانه لا يشاركه فيها أحد وللثلاثة آلاف فيل راتب عظيم فأكثرها مؤنة له في كل يوم أربعون رطلا من أرز وستون رطلا من شعير وعشرون رطلا من سمن ونصف حمل من حشيش وقيمها جليل القدر اقطاعه مثل اقليم العراق واذا وقف السلطان للحرب كان أهل العلم حوله والرماة قدامه وخلفه وأمامه الفيلة كما تقدم عليها الفيالة وقدامها العبيد المشاة والخيل في الميمنة والميسرة فتهيأ له من النصر مالا تهيأ لاحد ممن تقدمه ففتح الممالك وهدم قواعد الكفار ومحا صور معابدهم وأبطال نخرهم وكان يجلس كل يوم ثلاثاء جلوسا عاما على تخت مصفح بالذهب وعلى رأسه حبر في موكب عظيم وينادي مناديه من له شكوى في شخص فينظر في ظلامات الناس وكان لا يوجد بدهلي في أيامه خمر البتة وأول من ملك مدينة دهلي قطب الدين أيبك وذلك أن شهاب الدين محمد بن سالم بن الحسين أحد الملوك الغورية فتح الهند بعد عدة حروب وأقطع مملوكه أيبك هذا مدينة دهلي فبعث أيبك عسكرا عليه محمد بن بختيار فاخذ الى تخوم الصين وذلك كله في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ثم ولى بعده ايتمش بن أيبك أربعين سنة فقام بعده ابنه علاء الدين على بن ايتمش بن أيبك ثم أخوه معز الدين بن ايتمش ثم أخته رضية

خاتون فأقامت ثلاث سنين ثم أخوها ناصر الدين بن ايتمش فأقام أربعا وعشرين سنة ثم قام بعده مملوكه غياث الدين بلبان سبعا وعشرين سنة ثم بعده معز الدين نيابا خمس سنين ثم ابنه شمس الدين كيمورس سبعة اشهر ثم خرج الملك عن بيت السلطان شمس الدين ايتمش وقويت التركمان العلجية وكانوا أمراء يقال للواحد منهم خان واستبد كبيرهم جلال الدين فيروز سبع سنين ثم ابن أخيه علاء الدين محمود بن شهاب الدين مسعود اثنتين وعشرين سنة ومات سنة خمس عشرة وسبعمائة ثم ابنه شهاب الدين عمر بن محمود بن مسعود سنة واحدة ولقب غياث الدين ثم أخوه قطب الدين مبارك بن محمود أربع سنين وقتل سنة عشرين وسبعمائة ثم علاء الدين خسرو مملوك علاء الدين محمود سبعة أشهر وملك غياث الدين طغلق شاه مملوك السلطان علاء الدين محمود بن مسعود فى أول شعبان سنة عشرين وسبعمائة ثم ملك بعده ابنه محمد بن طغلق شاه صاحب الترجمة هذا آخر ماوجد بخطه رحمه الله تعالى * (ووجد بخطه أيضاً رحمه الله تعالى) * ما أحسن قول الاديب محمد بن حسن ابن شاور النقيب

مشت أيامكم لابل نراها * جرت جريا على غير اعتياد

وما عقدت نواصيها بخير * ولا كانت تعد من الجياد

(بدخشان) مدينة فيما وراء النهر بها معدن اللعل البدخشانى وهو المسمى بالبلخش وبها معدن اللازورد الفائق وهما في جبل بها يحفر عليهما في معادنهما فيوجد اللازورد بسهولة ولا يوجد اللعل الا بتعب كبير وانفاق زائد وقد لايوجد بعد التعب الشديد والنفقة الكثيرة ولهذا عز وجوده وغلت قيمته * وأقصر ليل بلغار بالبحرين أربع ساعات ونصف * وأقصر ليل أفتكون ثلاث ساعات ونصف فهو أقصر من ليل بلغار بساعة واحدة وبين بلغار وأفتكون مسافة عشرين يوما بالسير المعتاد انتهى * السلطانية من عراق العجم بناها السلطان محمد خدابنده اوكانيق بن ارغون بن أبغا بن هولاكو وخدابنده ملك بعد أخيه محمود غازان وملك بعد خدابنده ابنه السلطان أبو سعيد بها درخان وكان الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا مع قائد السلطان محمد بن طشتمر بن استيمر بن عترجي ومذمات أبو سعيد لم يجمع بعده على طاعة ملك بل تفرقوا وقام في كل ناحية قائم انتهى (ووجد بخطه أيضاً مانصه) ولله در أبي اسحاق الاديب حيث قال

اذا كنت قد أيقنت أنك هالك * فما لك مما دون ذلك تشفق

ومما يشين المرء ذا الحلم أنه * يرى الامر حتما واقعا ثم يقلق

وحيث يقول

ومن طوى الخمسين من عمره * لاقي أموراً فيه مستنكره

وان تخطاهـا رأى بعدهـا * من حادثات الدهر مالم يره

انتهى ماوجد بخطه في أصله

* (ذكر الجزائر) *

اعلم أن الجزائر التي هي الآن في بحر النيل كلها حادثة في الملة الاسلامية ماعدا الجزيرة التي تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر فان العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص الى مصر وحاصروا الحصن الذى يعرف اليوم بقصر الشمع في مصر حتي فتحه الله تعـالى عنوة على المسلمين كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر ولم يبلغنى الى الآن متى حدثت وأماغيرهـا من الجزائر فكلها قد تجددت بعد فتح مصر * ويقال والله أعـلم ان بلهيت الذى يعرف اليوم بأبى الهول طلسم وضعه القدماء لقلب الرمل عن بر مصر الغربي الذى يعرف اليـوم ببر الجيزة وانه كان في البر الشرقي بجوار قصر الشمع صنم من حجارة على مسامتة أبي الهول بحيث لو امتد خيط من رأس أبي الهول وخرج على استواء لسقط على رأس هـذا الصنم وكان مستقبل المشرق وانه وضع أيضاً لقلب الرمل عن البر الشرقي فقدر الله سبحانه وتعالى أن كسر هذا الصنم على يد بعض أمراء الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة احدى عشرة وسبعمائة وحفر تحته حتى بلغ الحفر الى الماء ظنا أنه يكون هناك كنز فلم يوجـد شئ وكان هذا الصنم يعرف عند أهل مصر بسرية أبي الهول فكان عقيب ذلك غلبة النيـل على البر الشرقي وصارت هـذه الجزائر الموجودة اليوم وكذلك قام شخص من صوفية الخـانقاه الصلاحية سعيد السعداء يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر فى تغيير المنكر أعوام بضع وثمانين وسبعمائة فشوّه وجوه سباع الحجر التى على قناطر السباع خارج القاهرة وشوه وجـه أبي الهول فغلب الرمل على أراضى الجيزة ولا ينكر ذلك فلله فى خليقته أسرار يطلع عليها من يشاء من عباده والكل بخلقه وتقديره * وقد ذكر الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه في كتاب أخبار مصر في خبر الواحات الداخلة أن في تلك الصحارى كانت أكثر مدن ملوك مصر العجيبة وكنوزهم الا أن الرمال غلبت عليها قال ولم يبق بمصر ملك الا وقد عمـل للرمال طلسما لدفعها ففسدت طلسماتها لقدم الزمان * وذكر ابن يونس عن عبـد الله بن عمرو بن العاص أنه قال انى لاعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر قال ابن سالم فقلت له مايخرجنا منها ياأبا محمد أعدو قال لا ولـكنكم يخرجكم منها نيلـكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتي تكون فيه الـكثبان من الرمل وتأكل سباع الارض حيتانه * وقال الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير قال ان الصحابي حدثه أنه سمع كعبا يقول ستعرك العراق عرك الاديم وتفت مصر فت البعرة قال الليث وحدثني رجل عن وهب المعافري انه قال وتشق الشام شق الشعرة وسأذكر من خبر هذه الجزائر المشهورة ماوصلت الى معرفته ان شاء الله تعالى

* (ذكر الروضة) *

اعلم أن الروضة تطلق في زماننا هذا على الجزيرة التي بين مدينة مصر ومدينة الجيزة وعرفت في أول الاسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم قيل لها جزيرة الحصن وعرفت الى اليوم بالروضة والى هذه الجزيرة انتقل المقوقس لما فتح الله تعالى على المسلمين القصر وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط وبها أيضاً بني أحمد بن طولون الحصن وبها كانت الصناعة يعني صناعة السفن الحربية أي كانت بها دار الصناعة وبها كان الجنان والمختار وبها كان الهودج الذي بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية وبها بني الملك الصالح نجم الدين أيوب القلعة الصالحية وبها الى اليوم مقياس النيل وسأورد من أخبار الروضة هنا مالا تجده مجتمعاً في غير هذا الكتاب * قال ابن عبد الحكم وقد ذكر محاصرة المسلمين للحصن فلما رأى القوم الجد من المسلمين علي فتح الحصن والحرص ورأوا صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب الحصن القبلي ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر وذلك في جرى النيل وتخلف في الحصن بعد المقوقس الاعرج فلما خاف فتح باب الحصن خرج هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة قال وكان بالجزيرة يعني بعد فتح مصر في أيام عبد العزيز بن مروان أمير مصر خمسمائة فاعل معدة لحريق يكون في البلد أو هدم * وقال القضاعي جزيرة فسطاط مصر قال الكندي بنيت بالجزيرة الصناعة في سنة أربع وخمسين وحصن الجزيرة بناه أحمد بن طولون في سنة ثلاث وستين ومائتين ليحرز فيه حرمه وماله وكان سبب ذلك مسير موسى بن بغا العراقي من العراق واليا على مصر وجميع أعمال ابن طولون وذلك في خلافة المعتمد على الله فلما بلغ أحمد بن طولون مسيره استعد لحربه ومنعه من دخول أعماله فلما بلغ موسي بن بغا الى الرقة تثاقل عن المسير لعظم شأن ابن طولون وقوته ثم عرضت لموسي علة طالت به وكان بها موته وثاوره الغلمان وطلبوا منه الارزاق وكان ذلك سبب تركه المسير فلم يلبث موسى بن بغا أن مات وكفي ابن طولون أمره ولم يزل هذا الحصن على الجزيرة حتي أخذه النيل شيئاً بعد شئ وقد بقيت منه بقايا متقطعة الى الآن وقد اختصر القاضى القضاعي رحمه الله في ذكر سبب بناء ابن طولون حصن الجزيرة * وقد ذكر جامع سيرة ابن طولون أن صاحب الزنج لما قدم البصرة في سنة أربع وخمسين ومائتين واستعجل أمره أنفذ اليه أمير المؤمنين المعتمد على الله تعالى أبو العباس احمد ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد رسولا في حمل أخيه الموفق بالله أبي أحمد طلحة من مكة اليه وكان الخليفة المهتدى بالله محمد بن الواثق بن المعتصم نفاه اليها

فلما وصل اليه جعل العهد بالخلافة من بعده لابنه المفوض وبعد المفوض تكون الخلافة للموفق طلحة وجعل غرب الممالك الاسلامية للمفوض وشرقها للموفق وكتب بينهما بذلك كتابا ارتهن فيه أيمانهما بالوفاء بما قد وقعت عليه الشروط وكان الموفق يحسد أخاه المعتمد على الخلافة ولا يراه أهلا لها فلما جعل المعتمد الخلافة من بعده لابنه ثم للموفق بعده شق ذلك عليه وزاد في حقده وكان المعتمد متشاغلا بملاذ نفسه من الصيد واللعب والتفرد بجواريه فضاعت الامور وفسد تدبير الاحوال وفاز كل من كان متقلدا عملا بما تقلده وكان فى الشروط التي كتبها المعتمد بين المفوض والموفق انه ما حدث في عمل كل واحد منهما من حدث كانت النفقة عليه من مال خراج قسمه واستخلف على قسم ابنه المفوض موسي بن بغا فاستكتب موسي بن بغا عبيد الله بن سليمان بن وهب وانفرد الموفق بقسمه من ممالك الشرق وتقدم الى كل منهما أن لا ينظر في عمل الآخر وخلد كتاب الشروط بالكعبة وافرد الموفق لمحاربة صاحب الزنج وأخرجه اليه وضم معه الجيوش فلما كبر أمره وطالت محاربته اياه وانقطعت مواد خراج المشرق عن الموفق وتقاعد الناس عن حمل المال الذى كان يحمل فى كل عام واحتجوا بأشياء دعت الضرورة الموفق الى أن كتب الى أحمد بن طولون وهو يومئذ أمير مصر في حمل ما يستعين به في حروب صاحب الزنج وكانت مصر في قسم المفوض لانها من الممالك الغربية الا أن الموفق شكا في كتابه الى ابن طولون شدة حاجته الى المال بسبب ما هو بسبيله وأنفذ مع الكتاب تحريرا خادم المتوكل ليقبض منه المال فما هو الا أن ورد تحرير على ابن طولون بمصر واذا بكتاب المعتمد قد ورد عليه يأمره فيه بحمل المال اليه على رسمه مع ما جري الرسم بحمله مع المال في كل سنة من الطراز والرقيق والخيل والشمع وغير ذلك وكتب أيضاً الى أحمد بن طولون كتاباً في السر ان الموفق انما أنفذ تحريرا اليك عينا ومستقصيا على أخبارك وانه قد كاتب بعض أصحابك فاحترس منه واحمل المال الينا وعجل انفاذه وكان تحرير لما قدم الى مصر أنزله أحمد بن طولون معه في داره بالميدان ومنعه من الركوب ولم يمكنه من الخروج من الدار التى أنزله بها حتى سار من مصر وتلطف في الكتب التي أجاب بها الموفق ولم يزل بحرير حتى أخذ جميع ما كان معه من الكتب التي وردت من العراق الى مصر وبعث معه الي الموفق ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار وما جرى الرسم بحمله من مصر وأخرج معه العدول وسار بنفسه صحبته حتى بلغ به العريش وأرسل الى ماخور متولى الشام فقدم عليه بالعريش وسلمه اليه هو والمال وأشهد عليه بتسليم ذلك ورجع الى مصر ونظر في الكتب التى أخذها من تحرير فاذا هى الى جماعة من قواده باستمالتهم الى الموفق فقبض على أربابها وعاقبهم حتى هلكوا في عقوبته فلما وصل جواب ابن طولون الى الموفق ومعه المال كتب اليه كتابا ثانيا يستقل فيه المال

ويقول ان الحساب يوجب أضعاف ما حملت وبسط لسانه بالقول والتمس فيمن معه من يخرج الى مصر ويتقلدها عوضاً عن ابن طولون فلم يجد أحدا عوضه لما كان من كيس أحمد ابن طولون وملاطفته وجوه الدولة فلما ورد كتاب الموفق على ابن طولون قال وأي حساب بيني وبينه أو حال توجب مكاتبتي بهذا أو غيره وكتب اليه بعد البسملة وصل كتاب الامير أيده الله تعالى وفهمته وكان أسعده الله حقيقا بحسن التخير لمثلي وتصييره اياي عمدته التي يعتمد عليها وسيفه الذي يصول به وسنانه الذي يتقي الاعداء بحده لاني دائب في ذلك وجعلته وكدي واحتملت الكلف العظام والمؤن الثقال باستجذاب كل موصوف بشجاعة واستدعاء كل منعوت بغني وكفاية بالتوسعة عليهم وتواصل الصلات والمعاون لهم صيانة لهذه الدولة وذبا عنها وحسما لاطماع المتشوفين لها والمنحرفين عنها ومن كانت هذه سبيله في الموالاة ومنهجه فى المناصحة فهو حرى أن يعرف له حقه ويوفر من الاعظام قدره ومن كل حال جليلة حظه ومنزلته فعوملت بضد ذلك من المطالبة بحمل ما أمر به والجفاء فى المخاطبة بغير حال توجب ذلك ثم أكلف على الطاعة جعلا وألزم في المناصحة ثمنا وعهدى بمن استدعى ما استدعاه الامير من طاعته أن يستدعيه بالبذل والاعطاء والارغاب والارضاء والاكرام لا أن يكلف ويحمل من الطاعة مؤنة وثقلا وأنى لا أعرف السبب الذى يوجب الوحشة ويوقعها بيني وبين الامير أيده الله تعالى ولاثم معاملة تقتضى معاملة أو تحدث منافرة لان العمل الذى أنا بسبيله لغيره والمكاتبة في أموره الى من سواه ولا أنا من قبله فانه والامير جعفرا المفوض أيده الله تعالى قد اقتسما الاعمال وصار لكل واحد منهما قسم قد انفرد به دون صاحبه وأخذت عليه البيعة فيه انه من نقض عهده أو أخفر ذمته ولم يف لصاحبه بما اكد على نفسه فالامة بريئة منه ومن بيعته وفي حل وسعة من خلفه والذي عاملني به الامير من محاولة صرفي مرة واسقاط رسمي أخرى وما يأتيه ويسو منيه ناقض لشرطه مفسد لعهده وقد التمس أوليائي وأكثروا الطلب في اسقاط اسمه وازالة رسمه فآثرت الابقاء وان لم يؤثره واستعملت الاناة اذ لم تستعمل معي ورأيت الاحتمال والكظم أشبه بذوي المعرفة والفهم فصبرت نفسى على أحر من الجمر وأمر من الصبر وعلى ما لا يتسع به الصدر والامير أيده الله تعالي أولي من أعانني على ما أوثره من لزوم عهده وأتوخاه من تأكيد عقده بحسن العشرة والانصاف وكف الاذى والمضرة وأن لا يضطرنى الى ما يعلم الله عزوجل كرهي له أن أجعل ما قد أعددته لحياطة الدولة من الجيوش المتكاثفة والعساكر المتضاعفة التي قد ضرست رجالها من الحروب وجرت عليهم محن الخطوب مصروفا الى نقضها فعندنا وفي حيزنا من يرى أنه أحق بهذا الامر وأولى من الامير ولو أمنونى على أنفسهم فضلا عن أن يعثروا مني على ميل أو قيام بنصرتهم لاشتدت شكوتهم ولصعب على السلطان معاركتهم والامير يعلم أن بازائه منهم احدا

قد كبر عليه وفض كل جيش أنهضه اليه على انه لا ناصر له الا لفيف البصرة وأوباش عامتها فكيف من يجد ركنا منيعا وناصرا مطيعا وما مثل الامير فى اصالة رأيه يصرف مائة ألف عنان عدة له فيجعلها عليه بغير ما سبب يوجب ذلك فان يكن من الامير اعتاب أو رجوع الى ما هو أشبه به وأولى والا رجوت من الله عز وجل كفاية أمره وحسم مادة شره واجراءنا في الحياطة على أجمل عادته عندنا والسلام * فلما وصل الكتاب الى الموفق أقلقه وبلغ منه مبلغا عظيما وأغاظه غيظا شديدا وأحضر موسى بن بغا وكان عون الدولة وأشد أهلها بأسا واقداما فتقدم اليه في صرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماخور فامتثل ذلك وكتب الى ماخور كتاب التقليد وأنفذه اليه فلما وصل اليه الكتاب توقف عن ارساله الى أحمد بن طولون لعجزه عن مناهضته وخرج موسى بن بغا عن الحضرة مقدرا أنه يدور عمل المفوض ليحمل الاموال منه وكتب الى ماخور أمير الشام والى أحمد بن طولون أمير مصر لما بلغه من توقف ماخور عن مناهضته يأمرهما بحمل الاموال وعزم على قصد مصر والايقاع بابن طولون واستخلاف ماخور عليها فسار الى الرقة وبلغ ذلك ابن طولون فأقلقه وغمه لا لانه يقصر عن موسى بن بغا لكن لتحمله هتك الدولة وان يأتي سبيل من قاوم السلطان وحاربه وكسر جيوشه الا أنه لم يجد بدا من المحاربة ليدفع عن نفسه وتأمل مدينة فسطاط مصر فوجدها لا تؤخذ الا من جهة النيل فأراد لكبر همته وكثرة فكره في عواقب الامور أن يبنى حصنا على الجزيرة التي بين الفسطاط والجيزة ليكون معقلا لحرمه وذخائره ثم يشتغل بعد ذلك بحرب من يأتى من البر وقد زاد فكره فيمن يقدم من النيل فأمر ببناء الحصن على الجزيرة واتخذ مائة مركب حربية سوى ما ينضاف اليها من العلابيات والحمائم والعشارية والسنابيك وقوارب الخدمة وعمد الى سد وجه البحر الكبير وان يمنع ما يجيء اليه من مراكب طرسوس وغيرها من البحر الملح الى النيل بأن توقف هذه المراكب الحربية في وجه البحر الكبير خوفا مما يجيء من مراكب طرسوس كما فعل محمد بن سليمان من بعده بأولاده كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وجعل فيها من يذب عن هذه الجزيرة وأنفذ الى الصعيد والى أسفل الارض بمنع من يحمل الغلال الى البلاد ليمنع من يأتى من البر الميرة وأقام موسى بن بغا بالرقة عشرة أشهر وقد اضطربت عليه الاتراك وطالبوه بأرزاقهم مطالبة شديدة بحيث استتر منهم كاتبه عبيد الله بن سليمان لتعذر المال عليه وخوفه على نفسه منهم فخاف موسى بن بغا عند ذلك ودعته ضرورة الحال الى الرجوع فعاد الى الحضرة ولم يقم بها سوى شهرين ومات من علة فى صفر سنة أربع وستين ومائتين هذا وأحمد بن طولون يجد فى بناء الحصن على الجزيرة وقد ألزم قواده وثقاته أمر الحصن وفرقه عليهم قطعا قام كل واحد بما لزمه من ذلك وكد نفسه فيه

وكان يتعاهدهم بنفسه في كل يوم وهو فى غفلة عما صنعه الله تعالى له من الكفاية والغنى عما يعانيه ومن كثرة ما بذل فى هذا العمل قدر أن كل طوبة منه وقفت عليه بدرهم صحيح ولما تواترت الاخبار بموت موسى بن بغا كف عن العمل وتصدق بمال كثير شكرا لله تعالى على ما من به عليه من صيانته عما يقبح فيه عنه الا حدوثة وما رأى الناس شيئاً كان أعظم من عظيم الجد في بناء هذا الحصن ومباكرة الصناع له في الاسحار حتى فرغوا منه فانهم كانوا يخرجون اليه من منازلهم في كل بكرة من تلقاء أنفسهم من غير استحثاث لكثرة ما سخابه من بذل المال فلما انقطع البناء لم ير أحد من الصناع التي كانت فيه مع كثرتها كانما هى نار صب عليها ماء فطفئت لوقتها ووهب للصناع مالا جزيلا وترك لهم جميع ما كان سلفا معهم وبلغ مصروف هذا الحصن ثمانين ألف دينار ذهبا وكان مما حمل أحمد ابن طولون على بناء الحصن أن الموفق أراد أن يشغل قلبه فسرقت نعله من بيت حظية لا يدخله الا ثقاته وبعثها الموفق اليه فقال له الرسول من قدر على أخذ هذه النعل من الموضع الذى تعرفه أليس هو بقادر على أخذ روحك فوالله أيها الامير لقد قام عليه أخذ هذه النعل بخمسين ألف دينار فعند ذلك أمر ببناء الحصن * وقال أبو عمر الكندي في كتاب أمراء مصر وتقدم أبو أحمد الموفق الى موسى بن بغا في صرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماخور التركي فكتب موسى بن بغا بذلك الى ماخور وهو والى دمشق يومئذ فتوقف لعجزه عن مقاومة أحمد بن طولون فخرج موسى بن بغا فنزل الرقة وبلغ ابن طولون انه سائر اليه ولم يجد بدا من محاربته فاخذ أحمد بن طولون فى الحذر منه وابتدأ في ابتناء الحصن الذي بالجزيرة التي بين الجسرين ورأى أن يجعله معقلا لماله وحرمه وذلك فى سنة ثلاث وستين ومائتين واجتهد أحمد بن طولون في بناء المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة وأظهر الامتناع من موسى بن بغا بكل ما قدر عليه وأقام موسى بن بغا بالرقة عشرة أشهر وأحمد بن طولون فى احكام أموره واضطربت أصحاب موسى بن بغا عليه وضاق بهم منزلهم وطالبوا موسى بالمسير أو الرجوع الى العراق فبينا هو كذلك توفي موسى بن بغا فى سنة أربع وستين ومائتين * وقال محمد بن داود لاحمد بن طولون وفيه تحامل

لما ثوى بن بغا بالرقتين ملا * ساقيه زرقا الى الكعبين والعقب
بنى الجزيرة حصنا يستجن به * بالعسف والضرب والصناع فى تعب
وراقب الجيزة القصوى تخندقها * وكاد يصعق من خوف ومن رعب
له مراكب فوق النيل راكدة * فما سوى القار للنظار والخشب
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت * بالشط ممنوعة من عزة الطلب
فما بناها لغزو الروم محتسبا * لكن بناها غداة الروع والعطب

وقال سعيد بن القاضي من أبيات

وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا * الى الحصن أو فاعبر اليه على الجسر
ترى أثرا لم يبق من يستطيعه * من الناس في بدو البلاد ولا حضر
مآثر لا تبلى وان باد أهلها * ومجد يؤدى وارثيه الى الفخر

وما زال حصن الجزيرة هذا عامرا أيام بنى طولون وعملت فيه صناعة مصر التي تنشأ فيها المراكب الحربية فاستمر صناعة الى أن تقلد الامير محمد بن طغج الاخشيد امارة مصر من قبل أمير المؤمنين الراضي بالله وسير مراكب من الشأم عليها صاعد بن الكلكم فدخل تنيس وسارت مقدمته في البر ودخل صاعد دمياط وسار فهزم جيش مصر الذي جهزه احمد بن كيغلغ اليه بتدبير محمد بن على الماردانى على بحيرة نوسا وأقبل في مراكبه الى الفسطاط فكان بالجزيرة وقدم محمد بن طغج وتسلم البلد لست بقين من رمضان سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وفر منه جماعة الى الفيوم فخرج اليهم صاعدبن الكلكم فى مراكبه وواقعهم بالفيوم فقتل فى عدة من أصحابه وقدمت الجماعة في مراكب ابن كلكم فأرسوا بجزيرة الصناعة وحرقوها ثم مضوا الى الاسكندرية وساروا الى برقة فقال محمد بن طغج الصناعة هنا خطأ وأمر بعمل صناعة في بر مصر *وحكى ابن زولاق في سيرة محمد بن طغج أنه قال أذكر أني كنت آكل مع أبي منصور تكين أمير مصر وجرى ذكر الصناعة فقال تكين صناعة يكون بيننا وبينها بحر خطأ فأشارت الجماعة بنقلها فقال الى أى موضع فاردت أن أشير عليه بدار خديجة بنت الفتح بن خاقان ثم سكت وقلت أدع هذا الرأى لنفسي اذا ملكت مصر فبلغت ذلك والحمد لله وحده ولما أخذ محمد بن طغج دار خديجة كان يتردد اليها حتى عملت فلما ابتدؤا بانشاء المراكب فيها صاحت به امرأة فقال خذوها فساروا بها الى داره فأحضرها مساء واستخبرها عن أمرها فقالت ابعث معى من يحمل المال فأرسل معها جماعة الى دار خديجة هذه فدلتهم على مكان استخرجوا منه عينا وورقا وحليا وثيابا وعدة ذخائر لم ير مثلها وصاروا بها الى محمد بن طغج فطلب المرأة ليكافئها على ما كان منها فلم توجد فكان هذا أول مال وصل الى محمد بن طغج بمصر قال واستدعى محمد بن طغج الاخشيد صالح بن نافع وقال له كان في نفسى اذا ملكت مصر ان أجعل صناعة العمارة في دار ابنة الفتح وأجعل موضع الصناعة من الجزيرة بستانا أسميه المختار فاركب وخط لى بستانا ودارا وقدر لى النفقة عليهما فركب صالح بجماعة وخطوا بستانا فيه دار للغلمان ودار للنوبة وخزائن للكسوة وخزائن للطعام وصوروه وأتوا به فاستحسنه وقال كم قدرتم النفقة قالوا ثلاثين ألف دينار فاستكثرها فلم يزالوا يضعون من التقدير حتى صار خمسة آلاف دينار فأذن في عمله ولما شرعوا فيه ألزمهم المال من عندهم فقسط على جماعة وفرغ من

بنائه فاتخذه الاخشيد متنزها له وصار يفاخر به أهل العراق وكان نقل الصناعة من الجزيرة الي ساحل النيل بمصر في شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة فلم يزل البستان المختار متنزها الي أن زالت الدولة الاخشيدية والكافورية وقدمت الدولة الفاطمية من بلاد المغرب الي مصر فكان يتنزه فيه المعز لدين الله معد وابنه العزيز بالله نزار وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس لها وال وقاض وكان يقال القاهرة ومصر والجزيرة فلما كانت أيام استيلاء الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي وحجره على الخلفاء أنشأ في بحري الجزيرة مكانا نزها سماه الروضة وتردد اليها ترددا كثيرا فكان يسير في العشاريات الموكبيات من دار الملك التي كانت سكنه بمصر الي الروضة ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة فلما قتل الافضل بن أمير الجيوش واستبد الخليفة الآمر بأحكام الله أبو على منصور بن المستعلى بالله أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الروضة مكاناً لمحبوبته العالية البدوية سماه الهودج

*(الهودج) قال ابن سعيد في كتاب المحلي بالاشعار عن تاريخ القرطبى قد اكثر الناس فى حديث البدوية وابن مياح من بنى عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الخليفة الآمر بأحكام الله حتى صارت رواياتهم فى هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الخليفة الآمر كان قد ابتلي بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون فى البوادى فبلغه أن بالصعيد جارية من أكمل العرب وأظرف نسائهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزى بداة الاعراب وصار يجول فى الاحياء الى أن انتهي الي حيها وبات هناك في ضافة وتحيل حتي عاينها فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وسرير خلافته فأرسل الى أهلها يخطبها فأجابوه الى ذلك وزوجوها منه فلما صارت الى القصور صعب عليها مفارقة مااعتادت وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان على شاطئ النيل في شكل غريب وكان بالاسكندرية القاضى مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن ابن حديد قد استولى على أمورها وصار قاضيها وناظرها ولم يبق لاحد معه فيها كلام وضمن أموالها بجملة يحملها وكان ذا مروأة عظيمة يحتذى أفعال البرامكة وللشعراء فيه مدائح كثيرة وممن مدحه ظافر الحداد وأمية بن أبى الصلت وجماعة وكان الافضل بن أمير الجيوش اذا أراد الاعتناء بأحد كتب معه كتابا الى ابن حديد هذا فيغنيه بكثرة عطائه وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام قطعة واحدة يحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من سعته وكان يجد فى نفسه برؤية هذا الجرن زيادة على أهل النعم ويباهى به أهل عصره فوشى به للبدوية محبوبة الخليفة فطلبته من الخليفة فأنفذ فى الحال باحضاره فلم يسع ابن حديد الا أن قلعه من مكانه وبعث به وفى نفسه حزازة من أخذه منه وخدم البدوية وخدم جميع من يلوذ بها

حتي قالت هذا الرجل أخجلنا بكثرة هداياه وتحفه ولم يكلفنا قط أمراً نقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما بلغه ذلك عنها قال مالى حاجة بعد الدعاء لله تعالى بحفظ مكانها وطول حياتها غير رد الجرن الذى أخذ من دارى التى بنيتها فى أيامهم من نعمهم الى مكانه فلما سمعت هذا عنه تعجبت منه وأمرت برد الجرن اليه فقيل له قد وصلت الى حد أن خيرتك البدوية في جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب في أخذ ذلك الجرن من مكانه وقد بلغها الله أملها وبقيت البدوية متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه وهى بقصر الخليفة الآمر

يابن ميـاح اليك المشتكى * مالك من بعـدكم قد ملكا
كنت فى حي مرأ مطلقا * نائلا ماشئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر مؤصـد * لاأرى الا حبيسا ممسكا
كم تثنينا بأغصان اللوا * حيث لانخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى * حيثما شاء طليق سلكا

* (فأجابها) *

بنت عمى والـتي غذيتهـا * بالهوى حتي علا واحتنكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها * لو غدا ينفع منها المشتكى
مالك الامر اليـه يشتكى * هالك وهو الذى قد هلكا
شأن داود غدا في عصرنا * مبديا بالتيـه ماقـد ملكا

فبلغت الآمر فقال لولا أنه أساء الادب فى البيت الرابع لرددتها الى حيه وزوجتها به * قال القرطبي وللناس في طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طئ في عصر الخليفة الآمر طراد بن مهلهل فلما بلغه قضية الآمر مع العالية البدوية قال

ألا أبلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونـعم المقـال
قطعت الاليفين عن ألفـة * بهـا سمر الحي بين الرجال
كذا كان آباؤك الاقدمون * سألت فقل لى جواب السؤال

فلما بلغ الآمر شعره قال جواب السؤال قطع لسانه على فضوله وأمر بطلبه في أحياء العرب ففر ولم يقدر عليه فقالت العرب ماأخسر صفقة طراد باع أبيات الحي بثلاثة أبيات ولم يزل الآمر يتردد الى الهودج بالروضة للنزهة فيه الى أن ركب من القصر بالقاهرة يريد الهودج في يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة فلما كان برأس الجسر وثب عليه قوم من النزارية قد كمنوا له في فرن تجاه رأس الجسر بالروضة وضربوه بالسكاكين حتي أثخنوه وجرحوا جماعة من خدامه فحمل الى منظرة اللؤلؤة بشاطئ الخليج وقدمات

* (ذكر قلعة الروضة) *

اعلم أنه مابرحت جزيرة الروضة منتزهاً ملوكياً ومسكناً للناس كما تقدم ذكره الى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب سلطنة مصر فأنشأ القلعة بالروضة فعرفت بقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة وبالقلعة الصالحية وشرع في حفر أساسها يوم الاربعاء خامس شعبان وابتدأ بنيانها فى آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشره وفي عاشر ذى القعدة وقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت بجزيرة الروضة وتحول الناس من مساكنهم التي كانوا بها وهدم كنيسة كانت لليعاقبة بجانب المقياس وأدخلها في القلعة وأنفق في عمارتها أموالا جمة وبني فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجا وبني بها جامعاً وغرس بها جميع الاشجار ونقل اليها عمد الصوان من البرابى وعمد الرخام وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج اليه من الغلال والازواد والاقوات خشية من محاصرة الفرنج فانهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر وبالغ في اتقانها مبالغة عظيمة حتي قيل انه استقام كل حجر فيها بدينار وكل طوبة بدرهم وكان الملك الصالح يقف بنفسه ويرتب مايعمل فصارت تدهش من كثرة زخرفها وتحير الناظر اليها من حسن سقوفها المزينة وبديع رخامها ويقال انه قطع من الموضع الذي أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى الى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه وخرب الهودج والبستان المختار وهدم ثلاثة وثلاثين مسجداً عمرها خلفاء مصر وسراة المصريين لذكر الله تعالى واقامة الصلوات واتفق له في هدم بعض هذه المساجد خبر غريب قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد الاسدى الشهير باليغموري سمعت الامير الكبير الجواد جمال الدين أبا الفتح موسي ابن الامير شرف الدين يغمور ابن جلدك بن عبد الله قال ومن عجيب ماشاهدته من الملك الصالح أبي الفتوح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل رحمه الله تعالى أنه أمرنى أن أهدم مسجداً كان في جوار داره بجزيرة مصر فأخرت ذلك وكرهت أن يكون هدمه على يدى فأعاد الامر وأنا أكاسر عنه وكانه فهم منى ذلك فاستدعى بعض خدمه من نوابي وأنا غائب وأمره أن يهدم ذلك المسجد وأن يبنى في مكانه قاعة وقدر له صفتها فهدم ذلك المسجد وعمر تلك القاعة مكانه وكملت وقدمت الفرنج الى الديار المصرية وخرج الملك الصالح مع عساكره اليهم ولم يدخل تلك القاعة التي بنيت فى المكان الذى كان مسجداً فتوفي السلطان في المنصورة وحمل فى مركب وأتى به الى الجزيرة فجعل في تلك القاعة التي بنيت مكان المسجد مدة الى أن بنيت له التربة التي في جنب مدارسه بالقاهرة في جانب القصر عفا الله عنه وكان النيل عند ماعزم الملك الصالح على عمارة قلعة الروضة من الجانب الغربى فيما بين الروضة وبر الجيزة وقد انطرد

عن بر مصر ولا يحيط بالروضة الا فى أيام الزيادة فلم يزل يغرق السفن في البر الغربى ويحفر فيما بين الروضة ومصر ما كان هناك من الرمال حتي عاد ماء النيل الي بر مصر واستمر هناك فأنشأ جسرا عظيما ممتداً من بر مصر الى الروضة وجعل عرضه ثلاث قصبات وكان الامراء اذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم عند البر ويمشون فى طول هذا الجسر الي القلعة ولا يمكن أحد من العبور عليه راكبا سوى السلطان فقط ولما كملت تحول اليها بأهله وحرمه واتخذها دار ملك وأسكن فيها معه مماليكه البحرية وكانت عدتهم نحو الالف مملوك * قال العلامة على بن سعيد في كتاب المغرب وقد ذكر الروضة هى أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت منتزها لاهل مصر فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنة وبنى بها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالى السمك لم تر عيني أحسن منه وفي هذه الجزيرة كان الهودج الذي بناه الآمر خليفة مصر لزوجته البدوية التى هام فى حبها والمختار بستان الاخشيد وقصره وله ذكر في شعر تميم بن المعز وغيره ولشعراء مصر في هذه الجزيرة أشعاره منها قول أبى الفتح بن قادوس الدمياطى

أرى سرح الجزيرة من بعيد * كأحداق تغازل فى المغازل
كأن مجرة الجوزا أحاطت * وأثبتت المنازل فى المنازل

وكنت أشق في بعض الليالى بالفسطاط على ساحلها فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدرى اللون ولم أنفصل عن مصر حتي كمل سور هذه القلعة وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين همة فى البناء وأبصرت في هذه الجزيرة ايواناً لجلوسه لم تر عيني مثاله ولا أقدر ما أنفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام الآبنوسى والكافورى والمجزع مايذهل الافكار ويستوقف الابصار ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة وفى بعضها حاظر حظر به على أصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج ينقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر وقد تفرجت كثيرا فى طرف هذه الجزيرة مما يلي بر القاهرة فقطعت فيه عشيات مذهبات لم تزل لاحزان الغربة مذهبات واذازاد النيل فصل ما بينها وبين الفسطاط بالكلية • وفي أيام احتراق النيل يتصل برها ببر الفسطاط من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر فيه مراكب وركبت مرة هذا النيل أيام الزيادة مع الصاحب المحسن محي الدين بن ندا وزير الجزيرة وصعدنا الى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تتلالا والنيل قد انقسم عنها فقلت

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت * وأبراجها مثل النجوم تلالا

وللقلعة الغراء كالبدر طالعا * تفرج صدر الماء عنه هلالا
ووافي اليها النيل من بعد غاية * كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها * فمد يميناً نحوها وشمالا
جرى قادما بالسعد فاختط حولها * من السعد أعلاما فزاد دلالا

ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بنى أيوب فلما ملك السلطان الملك المعز عز الدين ايبك التركماني أول ملوك الترك بمصر أمر بهدمها وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزية في رحبة الحناء بمدينة مصر وطمع فى القلعة من له جاه فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة فلما صارت مملكة مصر الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري اهتم بعمارة قلعة الروضة ورسم للامير جمال الدين موسى بن يغموز أن يتولي اعادتها كما كانت فأصلح بعض ما تهدم فيها ورتب فيها الجاندارية وأعادها الى ما كانت عليه من الحرمة وأمر بأبراجها ففرقت على الامراء وأعطى برج الزاوية للامير سيف الدين قلاون الالفى والبرج الذى يليه للامير عز الدين الحلى والبرج الثالث من بروج الزاوية للامير عز الدين ارغان وأعطى برج الزاوية الغربي للامير بدر الدين الشمسي وفرقت بقية الابراج على سائر الامراء ورسم أن تكون بيوتات جميع الامراء واصطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم فلما تسلطن الملك المنصور قلاون الالفى وشرع فى بناء المارستان والقبة والمدرسة المنصورية نقل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج اليه من عمد الصوان وعمد الرخام التي كانت قبل عمارة القلعة في البرابى وأخذ منها رخاما كثيرا وأعتابا جليلة مما كان في البرابي وغير ذلك ثم أخذ منها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ما احتاج اليه من عمد الصوان في بناء الايوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل والجامع الجديد الناصرى ظاهر مدينة مصر وأخذ غير ذلك حتي ذهبت كأن لم تكن وتأخر منها عقد جليل تسميه العامة القوس كان مما يلي جانبها الغربى أدركناه باقيا الى نحو سنة عشرين وثمانمائة وبقى من أبراجها عدة قد انقلب اكثرها وبني الناس فوقها دورهم المطلة على النيل * قال ابن المتوج ثم اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة مصر المعروفة اليوم بالروضة في شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وانما سميت بالروضة لانه لم يكن بالديار المصرية مثلها وبحر النيل حائز لها ودائر عليها وكانت حصينة وفيها من البساتين والعمائر والثمار مالم يكن في غيرها ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بها مدة فلما طال حصارها وهرب الروم منها خرب عمرو بن العاص بعض أبراجها وأسوارها وكانت مستديرة عليها واستمرت الى أن عمر حصنها احمد بن طولون في سنة ثلاث وستين ومائتين ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل ثم اشتراها الملك المظفر تقى الدين عمر المذكور

وبقيت على ملكه الي أن سير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده الملك العزيز عثمان الى مصر ومعه عمه الملك العادل وكتب الى الملك المظفر بأن يسلم لهما البلاد ويقدم عليه الى الشأم فلما ورد عليه الكتاب ووصل ابن عمه الملك العزيز وعمه الملك العادل شق عليه خروجه من الديار المصرية وتحقق أنه لا عود له اليها أبدا فوقف هذه المدرسة التى تعرف اليوم في مصر بالمدرسة التقوية التى كانت تعرف بمنازل العز ووقف عليها الجزيرة بكمالها وسافر الى عمه فملكه حماه ولم يزل الحال كذلك الى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب فاستأجر الجزيرة من القاضى فخر الدين أبى محمد عبد العزيز ابن قاضي القضاة عماد الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد العلي بن عبد القادر السكرى مدرس المدرسة المذكورة لمدة ستين سنة فى دفعتين كل دفعة قطعة فالقطعة الاولى من جامع غين الى المناظر طولا وعرضا من البحر الى البحر واستأجر القطعة الثانية وهي باقي أرض الجزيرة بما فيها من النخل والجميز والغروس فانه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعت النخيل ودخلت في العمائر وأما الجميز فانه كان بشاطئ بحر النيل صف جميز يزيد على أربعين شجرة وكان أهل مصر فرجهم تحتها في زمن النيل والربيع قطعت جميعها فى الدولة الظاهرية وعمر بها شوانى عوض الشوانى التي كان قد سيرها الى جزيرة قبرس ثم سلم لمدرس التقوية القطعة المستأجرة من الجزيرة أولا فى سنة ثمان وتسعين وستمائة وبقى بيد السلطان القطعة الثانية وقد خربت قلعة الروضة ولم يبق منها سوى أبراج قد بنى الناس عليها وبقى أيضاً عقد باب من جهة الغرب يقال له باب الاصطبل وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها متنزها يشتمل على دور كثيرة وبساتين عدة وجوامع تقام بها الجماعات والاعياد ومساجد وقد خرب اكثر مساكن الروضة وبقى فيها الى اليوم بقايا * وبطرف الروضة (المقياس) الذي يقاس فيه ماء النيل اليوم ويقال له المقياس الهاشمى وهو آخر مقياس بنى بديار مصر * قال أبو عمر الكندى وورد كتاب المتوكل على الله بابتناء المقياس الهاشمى للنيل وبعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله بن دينار أمير مصر أبا الرداد المعلم وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخراج في كل شهر سبعة دنانير وذلك فى سنة سبع وأربعين ومائتين وعلامة وفاء النيل ستة عشر ذراعا أن يسبل أبو الرداد قاضى البحر الستر الاسود الخليفى على شباك المقياس فاذا شاهد الناس هذا الستر قد أسبل تباشروا بالوفاء واجتمعوا على العادة للفرجة من كل صوب وما أحسن قول شهاب الدين ابن العطار في تهتك الناس يوم تخليق المقياس

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم * ما أحسن الستر قالوا العفو مأمول
ستر الاله علينا لا يزال فما * أحلى تهتكنا والستر مسبول

(جزيرة الصابونى) هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار والرباط من جملتها وقفها أبو الملوك نجم الدين أيوب بن شادى وقطعة من بركة الحبش فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده والنصف الآخر على صوفية بمكان بجوار قبة الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه يعرف اليوم بالصابونى * (جزيرة الفيل) هـذه الجزيرة هي الآن بلد كبير خارج باب البحر من القاهرة وتتصل بمنية الشيرج من بحريها ويمر النيل من غربيها وبها جامع تقام به الجمعة وسوق كبير وعدة بساتين جليلة وموضعها كله مما كان غامرا بالماء فى الدولة الفاطمية فلما كان بعد ذلك انكسر مركب كبير كان يعرف بالفيل وترك فى مكانه فربا عليه الرمل وانطرد عنه الماء فصارت جزيرة فيما بين المنية وأرض الطبالة سماها الناس جزيرة الفيل وصار الماء يمر من جوانبها فغربيها تجاه بر مصر الغربى وشرقيها تجاه البعل والماء فيما بينها وبين البعل الذى هو الآن قبالة قناطر الاوز فان الماء كان يمر بالمقس من تحت زربية جامع المقس الموجود الآن على الخليج الناصري ومن جامع المقس على أرض الطبالة الى غربى المصلى حتى ينتهى من تجاه التاج الى المنية وصارت هذه الجزيرة في وسط النيل وما برحت تتسع الى أن زرعت فى أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فوقفها على المدرسة التي أنشأها بالقرافة بجوار قبر الشافعى رضى الله عنه وكثرت أطيانها بانحسار النيل عنها فى كل سنة فلما كان في أيام الملك المنصور قلاون الالفى تقرب مجد الدين أبو الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشاب المتحدث في الاحباس الى الامير علم الدين سنجر الشجاعى بأن فى أطيان هذه الجزيرة زيادة على ما وقفه السلطان صلاح الدين فأمر بقياس ما تجدد بها من الرمال وجعلها لجهة الوقف الصلاحي وأقطع الاطيان القديمة التي كانت فى الوقف وجعلها هى التي زادت فلما أمر الملك المنصور قلاون بعمل المارستان المنصورى وقف بقية الجزيرة عليه فغرس الناس بها الغروس وصارت بساتين وسكن الناس من المزارعين هناك فلما كانت أيام الملك الناصر محمد بن قلاون بعد عوده الى قلعة الجبل من الكرك وانحسر النيل عن جانب المقس الغربى وصار ما هنالك رمالا متصلة من بحريها بجزيرة الفيل المذكورة ومن قبليها بأراضي اللوق افتتح الناس باب العمارة بالقاهرة ومصر فعمروا في تلك الرمال المواضع التي تعرف اليوم ببولاق خارج المقس وأنشأوا بجزيرة الفيل البساتين والقصور واستجد ابن المغربى الطبيب بستانا اشتراه منه القاضى كريم الدين ناظر الخاص للامير سيف الدين طشتمر الساقي بنحو المائة ألف درهم فضة عنها زهاء خمسة آلاف مثقال ذهبا وتتابع الناس في انشاء البساتين حتى لم يبق بها مكان بغير عمارة وحكر ما كان منها وقفا على المدرسة المجاورة للشافعي رضي الله عنه وما كان فيها من وقف المارستان وغرس ذلك كله بساتين فصارت تنيف على مائة وخمسين بستانا الى سنة وفاة

الملك الناصر محمد بن قلاون ونصب فيها سوق كبير يباع فيه اكثر ما يطلب من المآكل وابتنى الناس بها عدة دور وجامعا فبقيت قرية كبيرة وما زالت في زيادة ونمو فأنشأ قاضي القضاة جلال الدين القزويني رحمه الله الدار المجاورة لبستان الامير ركن الدين بيبرس الحاجب على النيل فجاءت في غاية من الحسن فلما عزل عن قضاء القضاة وسار الى دمشق اشتراها الامير بشتاك بثلاثين ألف درهم وخربها وأخذ منها رخاما وشبابيك وأبوابا ثم باع باقي نقضها بمائة ألف درهم فربح الباعة فى ذلك شيئاً كثيرا ونودى على زربيتها فحكرت وعمر عليها الناس عدة أملاك واتصلت العمارة بالاملاك من هذه الزربية الى منية الشيرج ثم خربت شيئاً بعد شيء وبقى ما على هذه الزربية من الاملاك وهي تعرف اليوم بدار الطنبدى التاجر * وأما بساتين الجزيرة فلم تزل عجبا من عجائب الدنيا من حسن المنظر وكثرة المتحصل الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فتلاشت وخرب كثير منها لغلو العلوفات من الفول والتبن وشدة ظلم الدولة وتعطل معظم سوقها وفيها الى الآن بقية صالحة *(جزيرة اروى) هذه الجزيرة تعرف بالجزيرة الوسطى لانها فيما بين الروضة وبولاق وفيما بين بر القاهرة و بر الجيزة لم ينحسر عنها الماء الا بعد سنة سبعمائة وأخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل ابن أحمد بن عبد الوهاب ابن الخطباء المخزومى عن الطبيب الفاضل شمس الدين محمد بن الاكفانى انه كان يمر بهذه الجزيرة أول ما انكشفت ويقول هذه الجزيرة تصير مدينة أو قال تصير بلدة على الشك مني فاتفق ذلك وبني الناس فيها الدور الجليلة والاسواق والجامع والطاحون والفرن وغرسوا فيها البساتين وحفروا الآبار وصارت من أحسن متنزهات مصر يحف بها الماء ثم صار ينكشف ما بينها وبين بر القاهرة فاذا كانت أيام زيادة ماء النيل أحاط الماء بها وفى بعض السنين يركبها الماء فتمر المراكب بين دورها وفى أزقتها ثم لما كثر الرمل فيما بينها وبين البر الشرقى حيث كان خط الزربية وفم الخور قل الماء هناك وتلاشت مساكن هذه الجزيرة منذ كانت الحوادث في سنة ست وثمانمائة وفيها الى اليوم بقايا حسنة *(الجزيرة التي عرفت بحليمة) هذه الجزيرة خرجت في سنة سبع وأربعين وسبعمائة ما بين بولاق والجزيرة الوسطى سمتها العامة بحليمة ونصبوا فيها عدة أخصاص بلغ مصروف الخص الواحد منها ثلاثة آلاف درهم نقرة في ثمن رخام ودهان فكان فيها من هذه الاخصاص عدة وافرة وزرع حول كل خص من المقانى وغيرها ما يستحسن وأقام أهل الخلاعة والمجون هناك وتهتكوا بأنواع المحرمات وتردد الى هذه الجزيرة أكثر الناس حتي كادت القاهرة أن لا يثبت بها احد وبلغ اجرة كل قصبة بالقياس فى هذه الجزيرة وفي الجزيرة التى عرفت بالطمية فيما بين مصر والجيزة مبلغ عشرين درهما نقرة فوقف الفدان هناك بمبلغ ثمانية آلاف درهم نقرة ونصبت في هذه الافدنة الاخصاص المذكورة وكان الانتفاع

بها فيما ذكر نحو ستة اشهر من السنة فعلي ذلك يكون الفدان فيها بمبلغ ستة عشر ألف درهم نقرة وأتلف الناس هناك من الاموال ما يجل وصفه فلما كثر تجاهرهم بالقبيح قام الامير ارغون العلائى مع الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاون في هدم هذه الاخصاص التى بهذه الجزيرة قياماً زائدا حتى أذن له فى ذلك فأمر والي مصر والقاهرة فنزلا على حين غفلة وكبسا الناس وأراقا الخمور وحرقا الاخصاص فتلف للناس في النهب والحريق وغير ذلك شئ كثير الى الغاية والنهاية وفي هذه الجزيرة يقول الاديب ابراهيم المعمار

جزيرة البحر جنت * بها عقول سليمة
لما حوت حسن مغنى * ببسطة مستقيمة
وكم يخوضون فيها * وكم مشوا بنميمة
ولم تزل ذا احتمال * ما تلك الا حليمة

(ذكر السنجون)

قال ابن سيده السجن الحبس والسجان صاحب السجن ورجل سجين مسجون قال وحبسه يحبسه حبساً فهو محبوس وحبيس واحتبسه وحبسه أمسكه عن وجهه* وقال سيبويه حبسه ضبطه واحتبسه اتخذه حبساً والمحبس والمحبسة والمحتبس اسم الموضع وقال بعضهم المحبس يكون مصدراً كالحبس ونظيره الى الله مرجعكم أى رجوعكم ويسألونك عن المحيض أى الحيض * وروى الامام أحمد وأبو داود من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه رضى الله عنهم قال انّ النبىّ صلى الله عليه وسلم حبس في تهمة وفي جامع الجلال عن أبى هريرة رضى الله عنه قال انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس في تهمة يوما وليلة فالحبس الشرعىّ ليس هو السجن في مكان ضيق وانما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرّف بنفسه سواء كان فى بيت أو مسجد أو كان يتولى نفس الخصم أو وكيله عليه وملازمته له ولهذا سماه النبىّ صلى الله عليه وسلم أسيرا كما روى أبو داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن أبيه رضى الله عنهما قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لى فقال لى الزمه ثم قال لى ياأخا بني تميم ماتريد أن تفعل بأسيرك وفي رواية ابن ماجه ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بى آخر النهار فقال مافعل أسيرك ياأخا بنى تميم وهذا كان هو الحبس على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه ولم يكن له محبس معد لحبس الخصوم ولكن لما انتشرت الرعية فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابتاع من صفوان بن أمية رضى الله عنه دارا بمكة بأربعة آلاف درهم وجعلها سجنا يحبس فيها ولهذا تنازع العلماء هل يتخذ الامام حبسا على قولين فمن قال لايتخذ حبسا احتج بأنه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لخليفته من بعده حبس ولكن يعوقه بمكان من الامكنة أو يقيم عليه حافظا

وهو الذى يسمى الترسيم أو يأمر غريمه بملازمته ومن قال له أن يخذ حبسا احتج بفعل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ومضت السنة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أنه لايحبس على الديون ولكن يتلازم الخصمان وأول من حبس على الدين شريح القاضى وأما الحبس الذى هو الآن فانه لايجوز عند أحد من المسلمين وذلك انه يجمع الجمع الكثير في موضع يضيق عنهم غير متمكنين من الوضوء والصلاة وقد يري بعضهم عورة بعض ويؤذيهم الحر فى الصيف والبرد فى الشتاء وربما يحبس أحدهم السنة وا كثر ولا جدة له وان أصل حبسه على ضمان وأما سجون الولاة فلا يوصف ما يحل بأهلها من البلاء واشتهر أمرهم انهم يخرجون مع الاعوان في الحديد حتى يشحذوا وهم يصرخون فى الطرقات الجوع فما تصدق به عليهم لاينالهم منه الا مايدخل بطونهم وجميع مايجتمع لهم من صدقات الناس يأخذه السجان وأعوان الوالى ومن لم يرضهم بالغوا في عقوبته وهم مع ذلك يستعملون فى الحفر وفي العمائر ونحو ذلك من الاعمال الشاقة والاعوان تستحثهم فاذا انقضى عملهم ردوا الى السجن في حديدهم من غير أن يطعموا شيئا الى غير ذلك مما لايسع حكايته هنا وقد قيل ان أول من وضع السجن والحرس معاوية *وقد كان في مدينة مصر وفي القاهرة عدة سجون وهى حبس المعونة بمصر وحبس الصيار بمصر وخزانة البنود بالقاهرة وحبس المعونة بالقاهرة وخزانة شمائل وحبس الديلم وحبس الرحبة والجب بقلعة الجبل * (حبس المعونة بمصر) ويقال أيضا دار المعونة كانت أولا تعرف بالشرطة وكانت قبلى جامع عمرو بن العاص وأصله خطة قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رضى الله عنهم اختطها في أول الاسلام وقد كان موضعها فضاء وأوصى فقال ان كنت بنيت بمصر دارا واستعنت فيها بمعونة المسلمين فهى للمسلمين ينزلها ولاتهم وقيل بل كانت هى ودار الى جانبها لنافع بن عبد قيس الفهرى وأخذها منه قيس بن سعد وعوضه دارا بزقاق القناديل ثم عرفت بدار الفلفل لان أسامة بن زيد التنوخي صاحب خراج مصر ابتاع من موسى ابن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار كان كتب فيه الوليد بن عبد الملك ليهديه الى صاحب الروم يخزنه فيها فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين تولى الخلافة فكتب ان تدفع اليه ثم صارت شرطة ودار الصرف فلما فرغ عيسي بن يزيد الجلودى من زيادة عبد الله بن طاهر في الجامع بني شرطة في سنة ثلاث عشرة ومائتين فى خلافة المأمون ونقش في لوح كبير نصبه على باب الجامع الذى يدخل منه الى الشرطة مانصه • بركة من الله لعبده عبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين أمر باقامة هذه الدار الهاشمية المباركة على يد عيسى ابن يزيد الجلودى مولى أمير المؤمنين سنة ثلاث عشرة ومائتين ولم يزل هذا اللوح على باب الشرطة الى صفر سنة احدى وثمانين وثلثمائة فقلعه يانس العزيزى وصارت حبسا يعرف

بالمعونة الى أن ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فجعله مدرسة وهي التي تعرف اليوم بالشريفية * (حبس الصيار) هذا الحبس كان بمصر يحبس فيه الولاة بعد ما عمل حبس المعونة مدرسة وكان بأول الزقاق الذي فيه هذا الحبس حانوت يسكنه شخص يقال له منصور الطويل ويبيع فيه أصناف السوقة ويعرف هذا الرجل بالصيار من أجل انه كانت له في هذا الزقاق قاعة يخزن فيها أنواع الصير المعروف بالملوحة فقيل لهذا الحبس حبس الصيار ونشأ لمنصور الصيار هذا ولد عرف بين الشهود بمصر بشرف الدين بن منصور الطويل فلما أحدث الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي المظالم في سلطنة الملك المعز أيبك التركماني خدم شرف الدين هذا على المظالم في جباية التسقيع والتقويم ثم خدم بعد ابطال ذلك في مكس القصب والرمان فلما تولى قضاء القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز تأذى عنده بما باشره من هذه المظالم وما زال هذا الحبس موجودا الى أن خربت مصر في الزمان الذي ذكرناه فخرب وبقي موضعه وما حوله كيمانا * (خزانة البنود) هذه الخزانة بالقاهرة هي الآن زقاق يعرف بخط خزانة البنود على يمنة من سلك من رحبة باب العيد يريد درب ملوخيا وغيره وكانت أولا في الدولة الفاطمية خزانة من جملة خزائن القصر يعمل فيها السلاح يقال ان الخليفة الظاهر بن الحاكم أمر بها ثم انها احترقت في سنة احدى وستين وأربعمائة فعملت بعد حريقها سجنا يسجن فيه الامراء والاعيان الى أن انقرضت الدولة فأقرها ملوك بني أيوب سجنا ثم عملت منزلا للامراء من الفرنج يسكنون فيها بأهاليهم وأولادهم فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون بعد حضوره من الكرك فلم يزالوا بها الى أن هدمها الامير الحاج آل ملك الجوكندار نائب السلطنة بديار مصر في سنة أربع وأربعين وسبعمائة فاختط الناس موضعها دورا وقد ذكرت في هذا الكتاب عند ذكر خزائن القصر (حبس المعونة من القاهرة) هذا المكان بالقاهرة موضعه الآن قيسارية العنبر برأس الحريريين كان يسجن فيه أرباب الجرائم من السراق وقطاع الطريق ونحوهم في الدولة الفاطمية وكان حبسا حرجا ضيقا شنيعا يشم من قربه رائحة كريهة فلما ولى الملك الناصر محمد بن قلاون مملكة مصر هدمه وبناه قيسارية للعنبر وقد ذكر عند ذكر الاسواق من هذا الكتاب (خزانة شمائل) هذه الخزانة كانت بجوار باب زويلة على يسرة من دخل منه بجوار السور عرفت بالامير علم الدين شمائل والى القاهرة فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظرا يحبس فيها من وجب عليه القتل او القطع من السراق وقطاع الطريق ومن يريد السلطان اهلاكه من المماليك وأصحاب الجرائم العظيمة وكان السجان بها يوظف عليه والى القاهرة شيئا يحمله من المال له في كل يوم وبلغ ذلك في ايام الناصر فرج مبلغا كبيرا وما زالت هذه

الخزانة على ذلك الى أن هدمها الملك المؤيد شيخ المحمودى في يوم الاحد العاشر من شهر ربيع الاول سنة ثمان عشرة وثمانمائة وأدخلها في جملة ماهدمه من الدور التى عزم على عمارة أماكنها مدرسة * وشمائل هذا هو الامير علم الدين قدم الى القاهرة وهو من فلاحي بعض قرى مدينة حماه في أيام الملك الكامل محمد بن العادل نخدم جاندارفى الركاب السلطاني الى أن نزل الفرنج على مدينة دمياط فى سنة خمس عشرة وستمائة وملكوا البر وحصروا أهلها وحالوا بينهم وبين من يصل اليهم فكان شمائل هذا يخاطر بنفسه ويسبح فى الماء بين المراكب ويرد على السلطان الخبر فتقدم عند السلطان وحظي لديه حتى أقامه أمير جاندار وجعله من أكبر أمرائه ونصبه سيف نقمته وولاه ولاية القاهرة فباشر ذلك الى أن مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك العادل أبو بكر فلما خلع بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب نقم على شمائل * (المقشرة) هذا السجن بجوار باب الفتوح فيما بينه وبين الجامع الحاكمى كان يقشر فيه القمح ومن جملته برج من أبراج السور على يمنة الخارج من باب الفتوح استجد بأعلاه دور لم تزل الى أن هدمت خزانة شمائل فعين هذا البرج والمقشرة لسجن أرباب الجرائم وهدمت الدور التى كانت هناك فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وعمل البرج والمقشرة سجنا ونقل اليه ارباب الجرائم وهو من أشنع السجون وأضيقها يقاسى فيه المسجونون من الغم والكرب مالا يوصف عافانا الله من جميع بلائه *(الجب بقلعة الجبل) هذا الجب كان بقلعة الجبل يسجن فيه الامراء وابتدئ عمله فى سنة احدى وثمانين وستمائة والسلطان حينئذ الملك المنصور قلاون ولم يزل الى أن هدمه الملك الناصر محمد بن قلاون فى يوم الاثنين سابع عشر جمادي الاولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة وذلك أن شاد العمائر نزل اليه ليصلح عمارته فشاهد أمرا مهولا من الظلام وكثرة الوطاويط والروائح الكريهة واتفق مع ذلك أن الامير بكتمر الساقي كان عنده شخص يسخر به ويمازحه فبعث به الى الجب ودلى فيه ثم أطلعه من بعد ما بات به ليلة فلما حضر الى بكتمر أخبره بما عاينه من شناعة الجب وذكر ما فيه من القبائح المهولة وكان شاد العمائر في المجلس فوصف ما فيه الامراء الذين بالجب من الشدائد فتحدث بكتمر مع السلطان في ذلك فأمر باخراج الامراء منه وردم وعمر فوقه أطباق المماليك وكان الذي ردم به هذا الجب النقض الذى هدم من الايوان الكبير المجاور للخزانة الكبرى والله أعلم بالصواب

* (ذكر المواضع المعروفة بالصناعة) *

لفظ الصناعة بكسر الصاد مأخوذ من قولك صنعه يصنعه صنعا فهو مصنوع وصنيع

(تنبيه) لم يذكر المؤلف في النشر جميع السجون التى ذكرها في اللف بل أسقط منها اثنين وهما حبس الديلم وحبس الرحبة وذكر بدلهما اثنين وهما المقشرة والجب فليحرر اه

عمله واصطنعه اتخذه والصناعة مايستصنع من أمر هذا أصل الكلمة من حيث اللغة وأما في العرف فالصناعة اسم لمكان قد أعد لانشاء المراكب البحرية التي يقال لها السفن واحدتها سفينة وهي بمصر على قسمين نيلية وحربية * فالحربية هي التي تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتمر من ثغر الاسكندرية وثغر دمياط وتنيس والفرما الى جهاد اعداء الله من الروم والفرنج وكانت هذه المراكب الحربية يقال لها الاسطول ولا أحسب هذا اللفظ عربيا * وأما المراكب النيلية فانها تنشأ لتمر في النيل صاعدة الى أعلى الصعيد ومنحدرة الى أسفل الارض لحمل الغلال وغيرها ولما جاء الله تعالى بالاسلام لم يكن البحر يركب للغزو في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأول من ركب البحر في الاسلام للغزو العلاء بن الحضرمي رضى الله عنه وكان على البحرين من قبل أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فاحب أن يؤثر في الاعاجم أثرا يعز الله به الاسلام على يديه فندب أهل البحرين الى فارس فبادروا الى ذلك وفرقهم أجنادا على أحدها الجارود بن المعلى رضى الله عنه وعلى الثاني سوار بن همام رضى الله عنه وعلى الثالث خليد بن المنذر بن ساوى رضى الله عنه وجعل خليدا على عامة الناس فحملهم في البحر الى فارس بغير اذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه لا يأذن لاحد في ركوب البحر غازيا كراهة للتغرير بجنده اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر رضى الله عنه فعبرت تلك الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا في اصطخر وبازائهم أهل فارس عليهم الهربذ فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم فقام خليد في الناس فقال أما بعد فان الله تعالى اذا قضى أمرا جرت المقادير على مطيته وان هؤلاء القوم لم يزيدوا بماصنعوا على أن دعوكم الى حربهم وانما جئتم لمحاربتهم والسفن والارض بعد الآن لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فأجابوه الى القتال وصلوا الظهر ثم ناهزوهم فاقتتلوا قتالا شديدا في موضع يدعى طاوس فقتل من أهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قبلها وخرج المسلمون يريدون البصرة اذ غرقت سفنهم ولم يجدوا في الرجوع الى البحر سبيلا فاذا بهم وقد أخذت عليهم الطرق فعسكروا وامتنعوا وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاشتد غضبه على العلاء رضى الله عنه وكتب اليه بعزله وتوعده وأمره بأثقل الاشياء عليه وأبغض الوجوه اليه بتأمير سعد بن أبي وقاص عليه وقال الحق بسعد بن أبي وقاص بمن معك فخرج رضى الله عنه من البحرين بمن معه نحو سعد رضى الله عنه وهو يومئذ على الكوفة وكان بينهما تباين وتباعد وكتب عمر رضى الله عنه الى عتبة بن غزوان بأن العلاء بن الحضرمي حمل جندا من المسلمين في البحر فأقطعهم الى فارس وعصاني وأظنه لم يرد الله عز وجل بذلك فخشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا فاندب لهم الناس وضمهم اليك من قبل أن يحتاحوا فندب

عتبة رضى الله عنه الناس وأخبرهم بكتاب عمر رضى الله عنه فانتدب عاصم بن عمرو وعرفجة ابن هرثمة وحذيفة بن محصن ومجزاة بن ثور ونهار بن الحارث والترجمان بن فلان والحصين ابن أبي الحر والاحنف بن قيس وسعد بن أبي العرجاء وعبد الرحمن بن سهل وصعصعة بن معاوية رضى الله تعالى عنهم فساروا من البصرة في اثني عشر ألفا على البغال يجنبون الخيل وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم رضى الله عنهم فساحل بهم حتي التقى أبو سبرة وخليد حيث أخذت عليهم الطرق وقد استصرخ أهل اصطخر أهل فارس كلهم فأتوهم من كل وجه وكورة فالتقوا هم وأبو سبرة فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركون وعاد المسلمون بالغنائم الى البصرة ورجع أهل البحرين الى منازلهم فلما فتح الله تعالى الشام ألح معاوية بن أبي سفيان وهو يومئذ على جند دمشق والاردن على عمر رضى الله عنه في غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال ان قرية من قري حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم حتى اذا كاد ذلك يأخذ بقلب عمر رضى الله عنه اتهم معاوية لانه المشير وأحب عمر رضى الله عنه أن يردعه فكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر أن صف لى البحر وراكبه فان نفسى تنازعني اليه وأنا أشتهى خلافها فكتب اليه يا أمير المؤمنين انى رأيت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد حزن القلوب وان زل ازاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق فلما جاءه كتاب عمرو كتب رضى الله عنه الى معاوية لا والذى بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا انا قد سمعنا ان بحر الشام يشرف على أطول شئ فى الارض يستأذن الله تعالى في كل يوم وليلة أن يفيض على الارض فيغرقها فكيف أحمل الجنود فى هذا البحر الكافر المستصعب وتالله لمسلم واحد أحب الي مما حوته الروم فاياك أن تعرض لى وقد تقدمت اليك وقد علمت ما لقى العلاء مني ولم أتقدم اليه في مثل ذلك • وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لا يسألنى الله عز وجل عن ركوب المسلمين البحر أبدا • وروى عنه ابنه عبد الله رضى الله عنهما أنه قال لولا آية في كتاب الله تعالى لعلوت راكب البحر بالدرة * ثم لما كانت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه غزا المسلمون في البحر وكان أول من غزا فيه معاوية ابن أبي سفيان وذلك انه لم يزل بعثمان رضى الله عنه حتي عزم على ذلك فأخره وقال لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحاسى خليفة بني فزارة فغزا خمسين غزوة من بين شاتية وصائفة فى البر والبحر ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب وكان يدعو الله تعالى أن يرزقه العافية فى جنده ولا يبتليه بمصاب أحد منهم حتى اذا أراد الله عز وجل أن يصيبه في جنده خرج فى قارب طليعته فانتهى الى المرفاء من أرض الروم فثار به الروم وهجموا عليه فقاتلهم فأصيب

وحده ثم قاتل الروم أصحابه فأصيبوا وغزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح في البحر لما أتاه قسطنطين بن هرقل سنة أربع وثلاثين في ألف مركب يريد الاسكندرية فسار عبد الله في مائتي مركب أو تزيد شيئاً وحاربه فكانت وقعة ذات الصوارى التي نصر الله تعالى فيها جنده وهزم قسطنطين وقتل جنده وأغزى معاوية أيضاً عقبة بن عامر الجهني رضى الله عنه في البحر وأمره أن يتوجه الى رودس فسار اليها ونزل الروم على البرلس في سنة ثلاث وخمسين في امارة مسلمة بن مخلد الانصارى رضي الله عنه على مصر فخرج اليهم المسلمون في البر والبحر فاستشهد وردان مولى عمرو بن العاص في جمع كثير من المسلمين وبعث عبد الملك بن مروان لما ولى الخلافة الى عامله على افريقية حسان بن النعمان يأمره باتخاذ صناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية * ومنها كانت غزوة صقلية في أيام زيادة الله الاول بن ابراهيم بن الاغلب على شيخ الفتيا أسد بن الفرات ونزل الروم تنيس في سنة احدي ومائة في امارة بشر بن صفوان الكلبي على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك فاستشهد جماعة من المسلمين وقد ذكر في أخبار الاسكندرية ودمياط وتنيس والفرما من هذا الكتاب جملة من نزلات الروم والفرنج عليها وما كان في زمن الانشاء فانظره تجده ان شاء الله تعالى * وقد ذكر شيخنا العالم العلامة الاستاذ قاضي القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى الاشبيلي تعليل امتناع المسلمين من ركوب البحر للغزو في أول الامر فقال والسبب في ذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والفرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم في التقلب على أعواده مرنوا عليه وأحكموا الدربة بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم خولا لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذى صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمما وتكررت ممارستهم البحر وثقافته استحدثوا بصرا بها فتاقت أنفسهم الى الجهاد فيه وأنشأوا السفن والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب الى هذا البحر وعلى ضفته مثل الشأم وافريقية والمغرب والاندلس * وأول ما أنشئ الاسطول بمصر فى خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبى الفضل جعفر بن المعتصم عند ما نزل الروم دمياط في يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين وأمير مصر يومئذ عنبسة بن اسحاق فملكوها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال ومضوا الى تنيس فاقاموا باشتومها فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الاسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر وأنشئت الشواني برسم الاسطول وجعلت الارزاق لغزاة البحر كما هى لغزاة البر وانتدب الامراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية

وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو وكان لا ينزل في رجال الاسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب هذا وللناس اذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله واقامة دينه لا جرم انه كان لخدام الاسطول حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة في أنه يعد من جملتهم فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه وكان من غزو الاسطول بلاد العدو ما قد شحنت به كتب التواريخ * فكانت الحرب بين المسلمين والروم سجالا ينال المسلمون من العدو وينال العدو منهم ويأسر بعضهم بعضا لكثرة هجوم أساطيل الاسلام بلاد العدو فانها كانت تسير من مصر ومن الشام ومن أفريقية فلذلك احتاج خلفاء الاسلام الى الفداء وكان أول فداء وقع بمال في الاسلام أيام بنى العباس ولم يقع فى أيام بني أمية فداء مشهور وانما كان يفادى بالنفر بعد النفر في سواحل الشام ومصر والاسكندرية وبلاد ملطية وبقية الثغور الخزرية الى أن كانت خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد *(الفداء الاول) باللامس من سواحل البحر الرومى قريبا من طرسوس فى سنة تسع وثمانين ومائة وملك الروم يومئذ نقفور بن اشبراق وكان ذلك على يد القاسم بن الرشيد وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنسرين فى أعمال حلب ففودى بكل أسير كان ببلاد الروم من ذكر أو أنثى وحضر هذا الفداء من أهل الثغور وغيرهم من أهل الامصار نحو من خمسمائة ألف انسان بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوة قد أخذوا السهل والجبل وضاق بهم الفضاء وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزى معهم أسارى المسلمين فكان عدة من فودى به من المسلمين فى اثنى عشر يوما ثلاثة آلاف وسبعمائة أسير وأقام ابن الرشيد باللامس أربعين يوما قبل الايام التي وقع فيها الفداء وبعدها وقال مروان بن أبي حفصة فى هذا الفداء يخاطب الرشيد من أبيات

وفكت بك الاسرى التي شيدت بها * محابس ما فيها حميم يزورها
على حين أعيي المسلمين فكاكها * وقالوا سجون المشركين قبورها

*(الفداء الثانى) كان في خلافة الرشيد أيضاً باللامس فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وملك الروم نقفور وكان القائم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعى أمير الثغور الشامية حضره ألوف من الناس وكانت عدّة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفين وخمسمائة من ذكر وأنثي *(الفداء الثالث) وقع في خلافة الواثق باللامس في المحرم سنة احدى وثلاثين ومائتين وملك الروم ميخائيل بن نوفيل وكان القائم به خاقان التركي وعدة من فودى به من المسلمين في عشرة أيام أربعة آلاف وثلثمائة واثنان وستون من ذكر وأنثى وحضر مع خاقان أبو رملة من قبل قاضي القضاة احمد بن أبي داود يمتحن الاسرى وقت المفاداة فمن قال منهم بخلق القرآن فودى به وأحسن اليه ومن أبي ترك بأرض الروم فاختار جماعة من الاسرى الرجوع الى

ارض النصرانية علي القول بذلك وخرج من الاسرى مسلم بن أبى مسلم الجرمي وكان له محل في الثغور وكتب مصنفه فى أخبار الروم وملوكهم وبلادهم فنالته محن على القول بخلق القرآن ثم تخلص *(الفداء الرابع) في خلافة المتوكل على الله باللامش أيضاً في شوال سنة احدى وأربعين ومائتين والملك ميخائيل وكان القائم به سيف خادم المتوكل وحضر معه جعفر بن عبد الواحد الهاشمى القاضى وعلى بن يحيي الارمني أمير الثغور الشامية وكانت عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفى رجل ومائة امرأة وكان مع الروم من النصارى المأسورين من أرض الاسلام مائة رجل ونيف فعوضوا مكانهم عدة اعلاج اذ كان الفداء لا يقع على نصرانى ولا ينعقد *(الفداء الخامس) فى خلافة المتوكل وملك الروم ميخائيل أيضاً باللامش مستهل صفر سنة ست وأربعين ومائتين وكان القائم به على ابن يحيي الارمني امير الثغور ومعه نصر بن الازهر الشيعي من شيعة بنى العباس المرسل الى الملك في أمر الفداء من قبل المتوكل وكانت عدة من فودى به من المسلمين في سبعة أيام ألفين وثلثمائة وسبعة وستين من ذكر وأنثى *(الفداء السادس) كان فى أيام المعتز والملك على الروم بسيل على يد شفيع الخادم في سنة ثلاث وخمسين ومائتين *(الفداء السابع) فى خلافة المعتضد باللامش في شوال سنة ثلاث وثمانين ومائتين وملك الروم اليون بن بسيل وكان القائم به احمد بن طغان أمير الثغور الشامية وانطاكية من قبل الامير أبي الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وكانت الهدنة لهذا الفداء وقعت في سنة اثنتين وثمانين ومائتين فقتل ابو الجيش بدمشق فى ذى القعدة من هذه السنة وتم الفداء في امارة ولده جيش ابن خمارويه وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى عشرة ايام ألفين واربعمائة وخمسة وتسعين من ذكر وأنثى وقيل ثلاثة آلاف *(الفداء الثامن) في خلافة المكتفى باللامش فى ذي القعدة سنة اثنتين وتسعين ومائتين وملك الروم اليون ايضا وكان القائم به رستم ابن نزدوى امير الثغور الشامية وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى اربعة ايام ألفا ومائة وخمسة وخمسين من ذكر وأنثى وعرف بفداء الغدر وذلك أن الروم غدروا وانصرفوا ببقية الاسارى *(الفداء التاسع) فى خلافة المكتفى وملك الروم اليون باللامش أيضاً فى شوال سنة خمس وتسعين ومائتين والقائم به رستم وكانت عدة من فودى به من المسلمين ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين من ذكر وانثى *(الفداء العاشر) في خلافة المقتدر باللامش في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلثمائة وملك الروم قسطنطين بن اليون بن بسيل وهو صغير فى حجر أرمانوس وكان القائم بهذا الفداء مونس الخادم وبشير الخادم الافشيني أمير الثغور الشامية وانطاكية والمتوسط له والمعاون عليه أبو عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقي التميمى الادنى من أهل أذنة وعدة من فودى به من المسلمين في ثمانية أيام ثلاثة آلاف وثلثمائة وستة وثلاثون من ذكر

وأنثى * (الفداء الحادى عشر) في خلافة المقتدر وملك ارمانوس وقسطنطين على الروم وكان باللامس في شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثلثمائة والقائم به مفلح الخادم الاسود المقتدرى وبشير خليفة شمل الخادم على الثغور الشامية وعدة من فودى به من المسلمين فى تسعة عشر يوما ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وثلاثون من ذكر وأنثى * (الفداء الثانى عشر) في خلافة الراضى باللامس فى ساخ ذى القعدة وأيام من ذى الحجة سنة ست وعشرين وثلثمائة والملكان على الروم قسطنطين وارمانوس والقائم به ابن ورقاء الشيبانى من قبل الوزير أبى الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وبشير الشملي أمير الثغور الشامية وعدة من فودى به من المسلمين في ستة عشر يوما ستة آلاف وثلثمائة ونيف من ذكر وأنثى وبقى فى أيدى الروم من المسلمين الاسرى ثمانمائة رجل ردوا ففودى بهم في عدة مرار وزيدوا فى الهدنة بعد انقضاء الفداء مدة ستة أشهر لاجل من تخلف في أيدى الروم من المسلمين حتى جمع الاسارى منهم * (الفداء الثالث عشر) في خلافة المطيع باللامس في شهر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وثلثمائة والملك على الروم قسطنطين والقائم به نصر الشملي من قبل سيف الدولة أبى الحسن على بن حمدان صاحب جند حمص وجند قنسرين وديار بكر وديار مصر والثغور الشامية والجزرية وكانت عدة من فودى به من المسلمين ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين من ذكر وأنثى وفضل للروم على المسلمين قرضا مائتان وثلاثون لكثرة من كان في أيديهم فوفاهم سيف الدولة ذلك وحمله اليهم وكان الذى شرع في هذا الفداء الامير أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد أمير مصر والشام والثغور الشامية وكان أبو عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقى الادنى شيخ الثغور قدم اليه وهو بدمشق في ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ومعه رسول ملك الروم في اتمام هذا الفداء والاخشيد شديد العلة فتوفى يوم الجمعة لثمان خلون من ذى الحجة منها وسار أبو المسك كافور الاخشيدى بالجيش راجعا الى مصر وحمل معه أبا عمير ورسول ملك الروم الى فلسطين فدفع اليهما ثلاثين ألف دينار من مال الفداء فسارا الى مدينة صور وركبا البحر الى طرسوس فلما وصلا كاتب نصر الشملى أمير الثغور سيف الدولة بن حمدان ودعا له على منابر الثغور فجد في اتمام هذا الفداء فنسب اليه ووقعت أفدية أخرى ليس لها شهرة * فمنها فداء فى خلافة المهدى محمد على يد النقاش الانطاكي * وفداء في أيام الرشيد في شوال سنة احدي وثمانين ومائة على يد عياض ابن سنان أمير الثغور الشامية * وفداء في أيام الامين على يد ثابت بن نصر فى ذى القعدة سنة أربع وتسعين ومائة * وفداء في أيام الامين على يد ثابت بن نصر أيضاً في ذى القعدة سنة احدى ومائتين * وفداء في أيام المتوكل سنة سبع وأربعين ومائتين على يد محمد بن على * وفداء في أيام المعتمد على يد شفيع في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين * وفداء

كان في الاسكندرية فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة خرج فيه أبو بكر محمد بن على الماردانى من مصر ومعه الشريف أبو القاسم الرئيس والقاضى أبو حفص عمر ابن الحسين العباسي وحمزة بن محمد الكتانى في جمع كبير وكانت عدة من فودى به من المسلمين ستين نفساً بين ذكر وأنثى فلما سار الروم الى البلاد الشامية بعد سنة خمسين وثلثمائة اشتد أمرهم بأخذهم البلاد وقويت العناية بالاسطول فى مصر منذ قدم المعز لدين الله وأنشأ المراكب الحربية واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد واعتناء بالاسطول وواصلوا انشاء المراكب بمدينة مصر واسكندرية ودمياط من الشوانى الحربية والشلنديات والمسطحات وتسيرها الى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قوّاد الاسطول فى آخر أمرهم تزيد على خمسة آلاف مدونة منهم عشرة أعيان يقال لهم القواد واحدهم قائد وتصل جامكية كل واحد منهم الى عشرين ديناراً ثم الى خمسة عشر دينارا ثم الى عشرة دنانير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهى اقلها ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيها من النطرون فيصل دينارهم بالمناسبة الى نصف دينار وكان يعين من القواد العشرة واحد فيصير رئيس الاسطول ويكون معه المقدم والقاوش فاذا ساروا الى الغزو كان هو الذى يقلع بهم وبه يقتدى الجميع فيرسون بارسائه ويقلعون باقلاعه ولا بد أن يقدم على الاسطول أمير كبير من اعيان أمراء الدولة وأقواهم نفسا ويتولى النفقة فى غزاة الاسطول الخليفة بنفسه بحضور الوزير فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة وكانت فى أيام المعز لدين الله تزيد على ستمائة قطعة وآخر ماصارت اليه فى آخر الدولة نحو الثمانين شونة وعشر مسطحات وعشر حمالة فما تقصر عن مائة قطعة فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال وفيهم من كان يتمش بمصر والقاهرة وفيهم من هو خارج عنهما فيجتمعون وكانت لهم المشاهرة والجرايات فى مدة أيام سفرهم وهم معروفون عند عشرين عريفاً يقال لهم النقباء واحدهم نقيب ولا يكره احد على السفر فاذا اجتمعوا اعلم النقباء المقدم فأعلم بذلك الوزير فطالع الوزير الخليفة بالحال فقرر يوما للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء من ديوان الانشاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئته فى مجلسه ويجلس الوزير فى مكانه ويحضر صاحبا ديوان الجيش وهما المستوفى والكاتب والمستوفى هو أميرهما فيجلس من داخل عتبة المجلس وهذه رتبة له يتميز بها ويجلس بجانبه من وراء العتبة كاتب الجيش فى قاعة الدار على حصر مفروشة وشرط هذا المستوفى أن يكون عدلا ومن أعيان الكتاب ويسمى اليوم فى زمننا ناظر الجيش وأما كاتب الجيش فانه كان فى غالب الامر يهوديا وللمجلس الذى فيه الخليفة والوزير انطاع تصب عليها الدراهم ويحضر الوزانون ببيت المال لذلك فاذا تهيأ الانفاق أدخل الغزاة مائة مائة فيقفون في أخريات من هو واقف في الخدمة من جانب

واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت في أوراق لاستدعائهم بين يدى الخليفة فيستدعى مستوفي الجيش من تلك الاوراق المنفق عليهم واحدا واحدا فاذا خرج اسمه عبر من الجانب الذى هو فيه الى الجانب الآخر فاذا تكملت عشرة وزن الوزانون لهم النفقة وكانت مقررة لكل واحد خمسة دنانير صرف ستة وثلاثين درهما بدينار فيسلمها لهم النقيب وتكتب باسمه وبيده وتمضى النفقة هكذا الى آخرها فاذا تم ذلك ركب الوزير من بين يدى الخليفة وانفض ذلك الجمع فيحمل الى الوزير من القصر مائدة يقال لها غداء الوزير وهى سبع مجنقات أوساط احداها بلحم الدجاج وفستق معمولة بصناعة محكمة والبقية شواء وهى مكمورة بالازهار فتكون النفقة على ذلك مدة أيام متوالية مرة ومتفرقة مرة فاذا تكاملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل النيل بالمقس خارج القاهرة وكان هناك على شاطئ النيل بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداع الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هناك للحركات فى البحر بين يديه وهى مزينة باسلحتها ولبودها وما فيها من المنجنيقات فيرمى بها وتحدر المراكب وتقلع وتفعل سائر ماتفعله عند لقاء العدو ثم يحضر المقدم والرئيس الى بين يدى الخليفة فيودعهما ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة ويعطى للمقدم مائة دينار وللرئيس عشرين دينارا ويحدر الاسطول الى دمياط ومن هناك يخرج الى بحر الملح فيكون له ببلاد العدو صيت عظيم ومهابة قوية والعادة أنه اذا غنم الاسطول ماعسى أن يغنم لايتعرض السلطان منه الى شئ البتة الا ماكان من الاسرى والسلاح فانه للسلطان وما عداهما من المال والثياب ونحوهما فانه لغزاة الاسطول لايشاركهم فيه أحد فاذا قدم الاسطول خرج الخليفة أيضاً الى منظرة المقس وجلس فيها للقائه وقدم الاسطول مرة بألف وخمسمائة أسير وكانت العادة أن الاسرى ينزل بهم فى المناخ وتضاف الرجال الى من فيه من الاسرى ويمضى بالنساء والاطفال الى القصر بعد مايعطى منهم الوزير طائفة ويفرق مابقى من النساء على الجهات والاقارب فيستخدمونهن ويربونهن حتى يتقن الصنائع ويدفع الصغار من الاسرى الى الاستاذين فيربونهم ويتعلمون الكتابة والرماية ويقال لهم الترابى وفيهم من صار أميرا من صبيان خاص الخليفة ومن الاسرى من كان يستراب به فيقتل ومن كان منهم شيخا لاينتفع به ضربت عنقه وألقى في بئر كانت في خرائب مصر تعرف ببئر المنامة ولم يعرف قط عن الدولة الفاطمية أنها فادت أسيرا من الفرنج بمال ولا بأسير مثله وكان المنفق فى الاسطول كل سنة خارجا عن العدد والآلات * ولم يزل الاسطول على ذلك الى أن كانت وزارة شاور ونزل مرى ملك الفرنج على بركة الحبش فأمر شاور بتحريق مصر وتحريق مراكب الاسطول فحرقت ونهبها العبيد فيما نهبوا فلما كان زوال الدولة الفاطمية على يد السلطان

صلاح الدين يوسف بن أيوب اعتني أيضاً بأمر الاسطول وأفرد له ديوانا عرف بديوان الاسطول وعين لهذا الديوان الفيوم باعمالها والحبس الجيوشي في البرين الشرقي والغربي وهو من البر الشرقي بهتين والاميرية والمنية ومن البر الغربي ناحية سفط ونهيا ووسيم والبساتين خارج القاهرة وعين له أيضاً الخراج وهو أشجار من سنط لاتحصى كثرة في البهنساوية وسفط ريشين والاشمونين والاسيوطية والاخميمية والقوصية لم تزل بهذه النواحي لايقطع منها الا ما تدعو الحاجة اليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مئة دينار وقد ذكر خبر هذا الخراج في ذكر أقسام مال مصر من هذا الكتاب وعين له أيضاً النطرون وكان قد بلغ ضمانه ثمانية آلاف دينار ثم أفرد لديوان الاسطول مع ماذكر الزكاة التي كانت تجبى بمصر وبلغت في سنة زيادة على خمسين ألف دينار وأفرد له المراكب الديوانية وناحية اشناي وطنبدى وسلم هذا الديوان لاخيه الملك العادل أبى بكر محمد بن أيوب فأقام في مباشرته وعمالته صفى الدين عبد الله بن على بن شكر وتقرر ديوان الاسطول الذى ينفق فى رجاله نصف وربع دينار بعد ما كان نصف وثمن دينار فلما مات السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب استمر الحال في الاسطول قليلا ثم قل الاهتمام به وصار لايفكر فى أمره الا عند الحاجة اليه فاذا دعت الضرورة الى تجهيزه طلب له الرجال وقبض عليهم من الطرقات وقيدوا فى السلاسل نهاراً وسجنوا فى الليل حتي لايهربوا ولا يصرف لهم الا شئ قليل من الخبز ونحوه وربما أقاموا الايام بغير شيء كما يفعل بالاسرى من العدو فصارت خدمة الاسطول عارا يسب به الرجال واذا قيل لرجل فى مصر يااسطولى غضب غضباً شديدا بعد ما كان خدام الاسطول يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة فى أعداء الله ويتبرك بدعائهم الناس ثم لما انقرضت دولة بني أيوب وتملك الاتراك المماليك مصر أهملوا أمر الاسطول الى أن كانت أيام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فنظر فى أمر الشوانى الحربية واستدعى برجال الاسطول وكان الامراء قد استعملوهم فى الحراريق وغيرها وندبهم للسفر وأمر بعد الشوانى وقطع الاخشاب لعمارتها واقامتها على ما كانت عليه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب واحترز على الخراج ومنع الناس من التصرف في أعواد العمل وتقدم بعمارة الشوانى فى ثغرى الاسكندرية ودمياط وصار ينزل بنفسه الى الصناعة بمصر ويرتب مايجب ترتيبه من عمل الشوانى ومصالحها واستدعى بشوانى الثغور الى مصر فبلغت زيادة على أربعين قطعة سوى الحراريق والطرائد فانها كانت عدة كثيرة وذلك في شوال سنة تسع وستين وستمائة ثم سارت تريد قبرس وقد عمل ابن حسون رئيس الشوانى فى أعلامها الصلبان يريد بذلك أنها تخفى اذا عبرت البحر على الفرنج حتي تطرقهم على غفلة فكره الناس منه ذلك فلما قاربت قبرس تقدم ابن حسون في الليل ليهجم الميناء فصدم

الشونة المقدمة شعبا فانكسرت وتبعتها بقية الشواني فتكسرت الشواني كلها وعلم بذلك متملك قبرس فأسر كل من فيها وأحاط بما معهم وكتب الى السلطان يقرعه ويوبخه وأن شوانيه قد تكسرت وأخذ مافيها وعدتها احدى عشرة شونة وأسر رجالها فحمد السلطان الله تعالى وقال الحمد لله منذ ملكني الله تعالى ماخذل لى عسكر ولا ذلت لى راية ومازلت أخشى العين فالحمد لله تعالى بهذا ولا بغيره وأمر بانشاء عشرين شونة وأحضر خمس شوانى كانت على مدينة قوص من صعيد مصر ولازم الركوب الى صناعة العمارة بمصر كل يوم في مدة شهر المحرم سنة سبعين وستمائة الى أن تتجزت فلما كان في نصف المحرم سنة احدى وسبعين وستمائة زاد النيل حتى لعبت الشواني بين يديه فكان يوما مشهوداً وفي سنة اثنتين وتسعين وستمائة تقدم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون الى الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس بتجهيز أمر الشواني فنزل الى الصناعة واستدعى الرئيس وهيأ جميع ماتحتاج اليه الشواني حتي كملت عدتها نحو ستين شونة وشحنها بالعدد وآلات الحرب ورتب بها عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح فأقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان بثلاثة أيام وصنعوا لهم قصورا من خشب وأخصاص القش على شاطئ النيل خارج مدينة مصر وبالروضة واكتروا الساحات التي قدام الدور والزرابى بالمائتي درهم كل زريبة فمادونها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر الا وخرج أهله أو بعضهم لرؤية ذلك فصار جمعا عظيما وركب السلطان من قلعة الجبل بكرة والناس قد ملأوا ما بين المقياس الى بستان الخشاب الي بولاق ووقف السلطان ونائبه الامير بيدر وبقية الامراء قدام دار النحاس ومنع الحجاب من التعرض لطرد العامة فبرزت الشواني واحدة بعد واحدة وقد عمل في كل شونة برج وقلعة تحاصر والقتال عليها ملح والنفط يرمى عليها وعدة من النقابين فى أعمال الحيلة فى النقب وما منهم الا من أظهر في شونته عملا معجبا وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه وتقدم ابن موسى الراعى وهو في مركب نيلية فقرأ قوله تعالي بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم ثم تلاها بقراءة قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى آخر الآية هذا والشوانى تتواصل بمحاربة بعضها بعضا الى أن أذن لصلاة الظهر فمضي السلطان بعسكره عائدا الى القلعة فأقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ماهم عليه من اللهو في اجتماعهم وكان شيئا يجل وصفه وأنفق فيه مال لا يعد بحيث بلغت أجرة المركب في هذا اليوم ستمائة درهم فما دونها وكان الرجل الواحد يؤخذ منه أجرة ركوبه فى المركب خمسة دراهم وحصل لعدة من النواتية أجرة مراكبهم عن سنة في هذا اليوم وكان الخبز يباع اثنا عشر رطلا بدرهم فلكثرة اجتماع الناس بمصر بيع سبعة أرطال بدرهم فبلغ خبر الشوانى الى بلاد الفرنج

فبعثوا رسلهم بالهدايا يطلبون الصلح فلما كان المحرم سنة اثنتين وسبعمائة في سلطنة الناصر محمد بن قلاون جهزت الشواني بالعدد والسلاح والنفطية والازودة وعين لها جماعة من أجناد الحلقة وألزم كل أميرمائة بارسال رجلين من عدته وألزم أمراء الطبلخاناه والعشروات باخراج كل أمير من عدته رجلا وندب الامير سيف الدين كهرداش المنصوري الزراق الي السفر بهم ومعه جماعة من مماليك السلطان الزراقين وزينت الشواني أحسن زينة فخرج معظم الناس لرؤيتها وأقاموا يومين بلياليهما على الساحل بالبرين وكان جمعاً عظيماً الى الغاية وبلغت أجرة المركب الصغير مائة درهم لاجل الفرجة ثم ركب السلطان بكرة يوم السبت ثاني عشر المحرم ومعه الامير سلار النائب والاميربيبرس الجاشنكير وسائر الامراء والعسكر فوقفت المماليك على البر نحو بستان الخشاب وعدى الامراء في الحراريق الى الروضة وخرجت الشواني واحدة بعد واحدة فلعبت منها ثلاثة وخرجت الرابعة وفيها الاميرأقوش القاري من مينا الصناعة حتي توسط البحر فلعب بها الريح الى أن مالت وانقلبت فصار أعلاها أسفلها فتداركها الناس ورفعوا ما قدروا عليه من العدد والسلاح وسلمت الرجال فلم يعدم منهم سوى أقوش وحده فتنكد الناس وعاد الامراء الى القلعة بالسلطان وجهز شونة عوضاً عن التي غرقت وساروا الى مينا طرابلس ثم ساروا ومعهم عدة من طرابلس فأشرفوا من الغد على جزيرة أرواد من أعمال قبرس وقاتلوا أهلها وقتلوا أكثرهم وملكوها في يوم الجمعة ثامن عشرى صفر واستولوا على ما فيها وهدموا أسوارها وعادوا الى طرابلس وأخرجوا من الغنائم الخمس للسلطان واقتسموا مابقي منها وكان معهم مائتان وثمانون أسيرا فسر السلطان بذلك سرورا كثيرا *(صناعة المقس)* قال ابن أبي طي في تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدين الله انه أنشأ دار الصناعة التي بالمقس وأنشأ بها ستمائة مركب لم ير مثلها في البحر على مينا * وقال المسيحي ان العزيز بالله بن المعز هو الذي بنى دار الصناعة التي بالمقس وعمل المراكب التي لم ير مثلها فيما تقدم كبرا ووثاقة وحسنا * وقال في حوادث سنة ست وثمانين وثلثمائة ووقعت نار في الاسطول وقت صلاة الجمعة لست بقين من شهر ربيع الآخر فأحرقت خمس عشاريات وأتت على جميع ما في الاسطول من العدة والسلاح حتي لم يبق منه غير ستة مراكب فارغة لا شئ فيها فحمل البحريون السلاح واتهموا الروم النصارى وكانوا مقيمين بدار مانك بجوار الصناعة التي بالمقس وحملوا على الروم هم وجموع من العامة معهم فنهبوا أمتعة الروم وقتلوا منهم مائة رجل وسبعة رجال وطرحوا جثثهم في الطرقات وأخذ من بقي فحبس بصناعة المقس ثم حضر عيسى بن نسطورس خليفة أمير المؤمنين العزيز بالله في الاموال ووجوهها بديار مصر والشام والحجاز ومعه يانس الصقلبي وهو يومئذ خليفة العزيز بالله على القاهرة عند مسيره الى الشام ومعهما مسعود الصقلبي متولي

الشرطة وأحضروا الروم من الصناعة فاعترفوا بأنهم الذين أحرقوا الاسطول فكتب بذلك
الى العزيز بالله وهو مبرز يريد السفر الى الشام وذكر له في الكتاب خبر من قتل من
الروم وما نهب وانه ذهب في النهب ما يبلغ تسعين ألف دينار فطاف أصحاب الشرط في
الاسواق بسجل فيه الامر برد ما نهب من دار مانك وغيرها والتوعد لمن ظهر عنده منه
شيء وحفظ أبو الحسن يانس البلد وضبط الناس وأمر عيسى بن نسطورس أن يعد للوقت
عشرون مركبا وطرح الخشب وطلب الصناع وبات في الصناعة وجد الصناع في العمل واغلب
أحداث الناس وعامتهم يلعبون برؤس القتلى ويجرون بأرجلهم في الاسواق والشوارع ثم
قرنوا بعضهم الى بعض على ساحل النيل بالمقس وأحرقوا يوم السبت وضرب بالجرس على
البلد أن لا يتخاف أحد ممن نهب شيئا حتى يحضر ما نهبه ويرده ومن علم عليه بشيء أو
كتم شيئا أو جحده أو أخره حلت به العقوبة الشديدة وتتبع من نهب فقبض على عدة
قتل منهم عشرون رجلا ضربت أعناقهم وضرب ثلاثة وعشرون رجلا بالسياط وطيف بهم
وفي عنق كل واحد رأس رجل ممن قتل من الروم وحبس عدة أناس وأمر بمن ضربت
أعناقهم فصلبوا عند كوم دينار ورد المضروبون الى المطبق وكان ضرب من ضرب من
النهابة وقتل من قتل منهم برقاع كتبت لهم تناول كل واحد منهم رقعة فيها مكتوب اما بقتل
أو ضرب فأمضى فيهم بحسب ما كان في رقاعهم من قتل أو ضرب واشتد الطلب على النهابة
فكان الناس يدل بعضهم على بعض فاذا أخذ احد ممن اتهم بالنهب حلف بالايمان المغلظة
انه ما بقي عنده شيء وجد عيسى بن نسطورس في عمل الاسطول وطلب الخشب فلم يدع
عند أحد خشبا علم به الا أخذه منه وتزايد اخراج النهابة لما نهبوه فكانوا يطرحونه في
الازقة والشوارع خوفا من أن يعرفوا به وحبس كثير ممن أحضر شيئا أو عرف عليه من
النهب فلما كان يوم الخميس ثامن جمادي الاولى ضربت أعناقهم كلهم على يد أبي أحمد جعفر
صاحب يانس فانه قدم في عسكر كثير من اليانسية حتى ضربت أعناق الجماعة واغلقت
الاسواق يومئذ وطاف متولى الشرطة وبين يديه أرباب النفط بعددهم والنار مشتعلة
واليانسية ركاب بالسلاح وقد ضرب جماعة وشهرهم بين يديه وهم ينادى عليهم هذا جزاء
من أثار الفتن ونهب حريم أمير المؤمنين فمن نظر فليعتبر فما تقال لهم عثرة ولا ترحم لهم
عبرة في كلام كثير من هذا الجنس فاشتد خوف الناس وعظم فزعهم فلما كان من الغد
نودى معاشر الناس قد آمن الله من أخذ شيئا او نهب شيئا على نفسه وماله فليرد من بقي
عنده شيء من النهب وقد أجلناكم من اليوم الى مثله وفي سابع جمادى الآخرة نزل ابن
نسطورس الى الصناعة وطرح مركبين في غاية الكبر من التى استعملها بعد حريق الاسطول
وفي غرة شعبان نزل أيضا وطرح بين يديه أربعة مراكب كبارا من المنشأة بعد الحريق

واتفق موت العزيز بالله وهو سائر الى الشام في مدينة بلبيس فلما قام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله في الخلافة أمر في خامس شوال بحط الذين صلبهم ابن نسطورس فتسلمهم اهلهم وأعطي لاهل كل مصلوب عشرة دنانير برسم كفنه ودفنه وخلع على عيسى بن نسطورس واقره في ديوان الخاص ثم قبض عليه في ليلة الاربعاء سابع المحرم سنة سبع وثمانين وثلثمائة واعتقله الى ليلة الاثنين سابع عشريه فاخرجه الاستاذ برجوان وهو يومئذ يتولى تدبير الدولة الى المقس وضرب عنقه فقال وهو ماض الى المقس كل شيء قد كنت أحسبه الاموت العزيز بالله ولكن الله لا يظلم أحدا والله اني لاذكر وقد ألقيت السهام للقوم المأخوذين في نهب دار مانك وفي بعضها مكتوب يقتل وفي أخرى يضرب فأخذ شاب ممن قبض عليه رقعة منها فجاء فيها يقتل فأمرت به الى القتل فصاحت أمه ولطمت وجهها وحلفت أنها وهو ما كانا ليلة النهب في شيء من أعمال مصر وانما وردا مصر بعد النهب بثلاثة أيام وناشدتني الله تعالى أن أجعله من جملة من يضرب بالسوط وأن يعفى من القتل فلم ألتفت اليها وأمرت بضرب عنقه فقالت أمه ان كنت لابد قاتله فاجعله آخر من يقتل لاتمتع به ساعة فأمرت به فجعل أول من ضرب عنقه فلطخت بدمه وجهها وسبقتني وهي منبوشة الشعر ذاهلة العقل الى القصر فلما وافيت قالت لي أقتلته كذلك يقتلك الله فأمرت بها فضربت حتى سقطت الى الارض ثم كان من الامر ما ترون مما أنا صائر اليه وكان خبره عبرة لمن اعتبر وفي نصف شعبان سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ركب الحاكم بأمر الله الى صناعة المقس لتطرح المراكب بين يديه *(صناعة الجزيرة) هذه الصناعة كانت بجزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة وهي أول صناعة عملت بفسطاط مصر بنيت في سنة أربع وخمسين من الهجرة وكان قبل بنائها هناك خمسمائة فاعل تكون مقيمة أبداً معدة لحريق يكون في البلاد أو هدم ثم اعتنى الامير أبو العباس أحمد بن طولون بانشاء المراكب الحربية في هذه الصناعة وأطافها بالجزيرة ولم تزل هذه الصناعة الى أيام الملك الامير أبي بكر محمد ابن طغج الاخشيد فأنشأ صناعة بساحل فسطاط مصر وجعل موضع هذه الصناعة البستان المختار كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب *(صناعة مصر) هذه الصناعة كانت بساحل مصر القديم يعرف موضعها بدار خديجة بنت الفتح بن خاقان امرأة الامير أحمد ابن طولون الى أن قدم الامير أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد أميرا على مصر من قبل الخليفة الراضي عوضا عن أحمد بن كيغلغ في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وقد كثرت الفتن فلم يدخل عيسى بن أحمد السلمي أبو مالك كبير المغاربة في طاعته ومضى ومعه بحكم وعليّ بن بدر ونظيف النوشري وعليّ المغربي الى الفيوم فبعث اليهم الاخشيد صاعد بن الكلكم بمراكبه فقاتلوه وقتلوه وأخذوا مراكبه وركب فيها على بن بدر وبحكم وقدموا

مدينة مصر أول يوم من ذي القعدة فأرسوا بجزيرة الصناعة وركب الاخشيد فى جيشه ووقف حيالهم والنيل بينهم وبينه فكره ذلك وقال صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشيء فأقام بحكم وعلى بن بدر الى آخر النهار ومضوا الى جهة الاسكندرية وعاد الاخشيد الى داره فأخذ في تحويل الصناعة من موضعها بالجزيرة الى دار خديجة بنت الفتح فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان اذ ذاك عندها سلم ينزل منه الى الماء وعند ما ابتدأ في انشاء المراكب بها صاحت به امرأة فأمر بأخذها اليه فسألته أن يبعث معها من يحمل المال فسير معها طائفة فأتت بهم الى دار خديجة هذه ودلتهم على موضع منها فأخرجوا منه عينا وورقا وحليا وغيره وطلبت المرأة فلم توجد ولا عرف لها خبر وكانت مراكب الاسطول مع ذلك تنشأ في الجزيرة وفي صناعتها الى أيام الخليفة الآمر بأحكام الله تعالى فلما ولي المأمون بن البطايحي أنكر ذلك وأمر أن يكون انشاء الشوانى والمراكب النيلية الديوانية بصناعة مصر هذه وأضاف اليها دار الزبيب وأنشأ بها منظرة لجلوس الخليفة يوم تقدمة الاسطول ورميه فأقر انشاء الحربيات والشلنديات بصناعة الجزيرة وكان لهذه الصناعة دهليز ماد بمساطب مفروشة بالحصر العبدانية بسطا وتازيرا وفيها محل ديوان الجهاد وكان يعرف في الدولة الفاطمية أن لا يدخل من باب هذه الصناعة أحد راكباً الا الخليفة والوزير اذا ركبا في يوم فتح الخليج عند وفاء النيل فان الخليفة كان يدخل من بابها ويشقها راكبا والوزير معه حتى يركب النيل الى المقياس كما قد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب ولم تزل هذه الصناعة عامرة الى ما قبل سنة سبعمائة ثم صارت بستانا عرف ببستان ابن كيسان ثم عرف في زمننا ببستان الطواشي وكان فيما بين هذه الصناعة والروضة بحر ثم تربى جرف عرف موضعه بالجرف وأنشىء هناك بستان عرف ببستان الجرف وصار في جملة أوقاف خانقاه المواصلة وقيل لهذا الجرف بين الزقاقين وكان فيه عدة دور وحمام وطواحين وغير ذلك ثم خرب من بعد سنة ست وثمانمائة وخرب بستان الجرف أيضاً والى اليوم بستان الطواشى فيه بقية وهو على يسرة من يريد مصر من طريق المراغة وبظاهره حوض ماء ترده الدواب ومن وراء البستان كيمان فيها كنيسة للنصارى قال ابن المتوج وكان مكان بستان ابن كيسان صناعة العمارة وأدركت فيه بابها وبستان الجرف المقابل لبستان ابن كيسان كان مكانه بحر النيل وان الجرف تربى فيه

(ذكر الميادين)

*(ميدان ابن طولون) كان قد بناه وتأنق فيه تأنقا زائدا وعمل فيه المناخ وبركة الزئبق والقبة الذهبية وقد ذكر خبر هذا الميدان عند ذكر القطائع من هذا الكتاب

*(ميدان الاخشيد) هذا الميدان أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طفج الاخشيد أمير مصر

بجوار بستانه الذى يعرف اليوم فى القاهرة بالـكافورى ويشبه أن يكون موضع هذا الميدان اليوم حيث المـكان المعروف بالبندقانيين وحارة الوزيرية وما جاور ذلك وكان لهذا البستان بابان من حديد قلعهما القائد جوهر عند ما قدم القرمطي الى مصر يريد أخذها وجعلهما على باب الخندق الذي حفره بظاهر القاهرة قريبا من مدينة عين شمس وذلك في سنة ستين وثلثمائة وكان هـذا الميدان من اعظم اماكن مصر وكانت فيه الخيول السلطانية في الدولة الاخشيدية *(ميدان القصر)* هذا الميدان موضعه الآن فى القاهرة يعرف بالخرنشف عمل عند بناء القاهرة بجوار البستان الـكافورى ولم يزل ميدانا للخلفاء الفاطميين يدخل اليه من باب التبانين الذي موضعه الآن يعرف بقبو الخرنشف فلما زالت الدولة الفاطمية تعطل وبقى الى أن بنى به الغز اصطبلات بالخرنشف ثم حكر وبني فيه فصار من أخطاط القاهرة * (ميدان قراقوش) هذا الميدان خارج باب الفتوح *(ميدان الملك العزيز) هذا الميدان كان بجوار خليج الذكر وكان موضعه بستانا * قال القاضى الفاضل فى متجددات ثالث عشرى شهر رمضان سنة أربع وتسعين وخمسمائة خرج أمر الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بقطع النخل المثمر المستغل تحت اللؤلؤة بالبستان المعروف بالبغدادية وهـذا البستان كان من بساتين القاهرة الموصوفة وكان منظره من المناظر المستحسنة وكان له مستغل وكان قد عنى الاولون به لمجاورته اللؤلؤة واطلال جميع مناظرها عليه وجعل هذا البستان ميدانا وحرث أرضه وقطع مافيه من الاصول انتهى ثم حكر الناس أرض هذا البستان وبنوا عليها وهو الآن داثر فيه كيمان وأتربة انتهى * (الميدان الصالحي) هذا الميدان كان بأراضى اللوق من بر الخليج الغربى وموضعه الآن من جامع الطباخ بباب اللوق الى قنطرة قدادار التي على الخليج الناصرى ومن جملته الطريق المسلوكة الآن من باب اللوق الى القنطرة المذكورة وكان أولا بستانا يعرف ببستان الشريف بن ثعلب فاشتراه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الـكامل محمـد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بثلاثة آلاف دينار مصرية من الامير حصن الدين ثعلب ابن الامير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الجعفرى في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة وجعله ميدانا وأنشأ فيه مناظر جليلة تشرف على النيل الاعظم وصار يركب اليه ويلعب فيه بالـكرة وكان عمل هذا الميدان سببا لبناء القنطرة التي يقال لها اليوم قنطرة الخرق على الخليج الـكبير لجوازه عليها وكان قبل بنائها موضعها موردة سقائى القاهرة وما برح هذا الميدان تلعب فيه الملوك بالـكرة من بعد الملك الصالح الى أن انحسر ماء النيل من تجاهه وبعد عنه فأنشأ الملك الظاهر ميدانا على النيل وفي سلطنة الملك المعز عز الدين أيبك الـتركماني الصالحي النجمى قال له منجمه ان امرأة تكون سبباً فى قتـله فأمر أن تخرب الدور

والحوانيت التي من قلعة الجبل بالتبانة الى باب زويلة والى باب الخرق والى باب اللوق الى الميدان الصالحى وأمر أن لايترك باب مفتوح بالاماكن التي يمر عليها يوم ركوبه الى الميدان ولا تفتح أيضاً طاقة وما زال باب هذا الميدان باقيا وعليه طوارق مدهونة الى مابعد سنة أربعين وسبعمائة فأدخله صلاح الدين بن المغربي في قيسارية الغزل التي أنشأها هناك ولاجل هذا الباب قيل لذلك الخط باب اللوق ولما خرب هذا الميدان حكر وبني موضعه ما هنالك من المساكن ومن جملته حكر مرادى وهو على يمنة من سلك من جامع الطباخ الى قنطرة قدادار وهو في أوقاف خانقاه قوصون وجامع قوصون بالقرافة وهذا الحكر اليوم قد صار كيمانا بعد كثرة العمارة به * (الميدان الظاهري) هذا الميدان كان بطرف أراضي اللوق يشرف على النيل الاعظم وموضعه الآن تجاه قنطرة قدادار من جهة باب اللوق أنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي لما انحسر ماء النيل وبعد عن ميدان أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب وما زال يلعب فيه بالكرة هو ومن بعده من ملوك مصر الى أن كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة فنزل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون اليه وخرب مناظره وعمله بستانا من أجل بعد البحر عنه وأرسل الى دمشق فحمل اليه منها سائر أصناف الشجر وأحضر معها خولة الشام والمطعمين فغرسوها فيه وطعموها وما زال بستانا عظيما ومنه تعلم الناس بمصر تطعيم الاشجار في بساتين جزيرة الفيل وحمل السلطان فواكه هذا البستان مع فواكه البستان الذى أنشأه بسرياقوس تحمل بأسرها الى الشراب خاناه السلطانية بقلعة الجبل ولا يباع منها شيء البتة وتصرف كلفهما من الاموال الديوانية فجادت فواكه هذين البستانين وكثرت حتى حاكت بحسنها فواكه الشام لشدة العناية والخدمة بهما ثم ان السلطان لما اختص بالامير قوصون أنعم بهذا البستان عليه فعمر تجاهه الزريبة التي عرفت بزريبة قوصون على النيل وبنى الناس الدور الكثيرة هناك سيما لما حفر الخليج الناصرى فان العمارة عظمت فيما بين هذا البستان والبحر وفيما بينه وبين القاهرة ومصر ثم ان هذا البستان خرب لتلاشي أحواله بعد قوصون وحكرت أرضه وبنى الناس فوقها الدور التي على يسرة من صعد القنطرة من جهة باب اللوق يريد الزريبة ثم لما خرب خط الزريبة خرب ماعمر بأرض هذا البستان من الدور منذ سنة ست وثمانمائة والله تعالى أعلم * (ميدان بركة الفيل) هذا الميدان كان مشرفا على بركة الفيل قبالة الكبش وكان أولا اصطبل الجوق برسم خيول المماليك السلطانية الى أن جلس الامير زين الدين كتبغا على تخت الملك وتلقب بالملك العادل بعد خلعه الملك الناصر محمد بن قلاون فى المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة فلما دخلت سنة خمس وتسعين كان الناس فى أشد مايكون من غلاء الاسعار وكثرة الموتان والسلطان خائف على نفسه ومتحرز من وقوع فتنة وهو مع ذلك

ينزل من قلعة الجبل الى الميدان الظاهرى بطرف اللوق فحسن بخاطره أن يعمل اصطبل الجوق المذكور ميدانا عوضا عن ميدان اللوق وذكر ذلك للامراء فأعجبهم ذلك فأمر باخراج الخيل منه وشرع فى عمله ميدانا وبادر الناس من حينئذ الى بناء الدور بجانبه وكان أول من أنشأ هناك الامير علم الدين سنجر الخازن فى الموضع الذي عرف اليوم بحكر الخازن وتلاه الناس في العمارة والامراء وصار السلطان ينزل الى هذا الميدان من القلعة فلا يجد في طريقه أحدا من الناس سوى أصحاب الدكاكين من الباعة لقلة الناس وشغلهم بما هم فيه من الغلاء والوباء ولقد رآه شخص من الناس وقد نزل الى الميدان والطرقات خالية فانشد ما قيل في الطبيب ابن زهر

قل للغلا أنت وابن زهر * بلغتما الحد والنهايه

ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما كفايه

وما برح هذا الميدان باقيا الى أن عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون قصر الامير بكتمر الساقي على بركة الفيل فادخل فيه جميع أرض هذا الميدان وجعله اصطبل قصر الامير بكتمر الساقي في سنة سبع عشرة وسبعمائة وهو باق الى وقتنا هذا *(ميدان المهارى) هذا الميدان بالقرب من قناطر السباع في بر الخليج الغربى كان من جملة جنان الزهرى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة عشرين وسبعمائة ومن وراء هذا الميدان بركة ماء كان موضعها كرم القاضى الفاضل رحمة الله عليه * قال جامع السيرة الناصرية وكان الملك الناصر محمد بن قلاون له شغف عظيم بالخيل فعمل ديوانا ينزل فيه كل فرس بشانه واسم صاحبه وتاريخ الوقت الذى حضر فيه فاذا حملت فرس من خيول السلطان أعلم به وترقب الوقت الذي تلد فيه واستكثر من الخيل حتى احتاج الى مكان برسم نتاجها فركب من قلعة الجبل فى سنة عشرين وسبعمائة وعين موضعا يعمله ميدانا برسم المهارى فوقع اختياره على أرض بالقرب من قناطر السباع وما زال واقفا بفرسه حتى حدد الموضع وشرع في نقل الطين البليزاليه وزرعه من النخل وغيره وركب على الآبار التي فيه السواقى فلم يمض سوى أيام حتى ركب اليه ولعب فيه بالكرة مع الخاصكية ورتب فيه عدة حجور للنتاج وأعدلها سواسا وأميرا خورية وسائر ما يحتاج اليه وبنى فيه أماكن ولازم الدخول اليه في ممره الى الميدان الذى أنشأه على النيل بموردة الملح فلما كان بعد أيام وأشهر حسن فى نفسه أن يبنى تجاه هذا الميدان على النيل الاعظم بجوار جامع الطيبرسى زريبة ويبرز بالمناظر التى ينشئها في الميدان الى قرب البحر فنزل بنفسه وتحدث فى ذلك فكثر المهندسون المصروف في عينه وصعبوا الامر من جهة قلة الطين هناك وكان قد أدركه السفر للصعيد فترك ذلك وما برحت الخيول في هذا الميدان الى أن

مات الملك الظاهر برقوق في سنة احدى وثمانمائة واستمر بعده في أيام ابنه الملك الناصر فرج الا انه تلاشي أمره عما كان قبل ذلك ثم انقطعت منه الخيول وصار براحا خاليا

*(ميدان سرياقوس) كان هذا الميدان شرقي ناحية سرياقوس بالقرب من الخانقاه أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وبنى فيه قصورا جليلة وعدة منازل للامراء وغرس فيه بستانا كبيرا نقل اليه من دمشق سائر الاشجار التي تحمل الفواكه وأحضر معها خولة بلاد الشام حتى غرسوها وطعموا الاشجار فأفلح فيه الكرم والسفرجل وسائر الفواكه فلما كمل فى سنة خمس وعشرين خرج ومعه الامراء والاعيان ونزل القصور التي هناك ونزل الامراء والاعيان على منازلهم فى الاماكن التي بنيت لهم واستمر يتوجه اليه فى كل سنة ويقيم به الايام ويلعب فيه بالكرة الى أن مات فعمل ذلك أولاده الذين ملكوا من بعده فكان السلطان يخرج في كل سنة من قلعة الجبل بعدما تنقضى أيام الركوب الى الميدان الكبير الناصرى على النيل ومعه جميع أهل الدولة من الامراء والكتاب وقاضى العسكر وسائر أرباب الرتب ويسير الى السرحة بناحية سرياقوس وينزل بالقصور ويركب الي الميدان هناك للعب الكرة ويخلع على الامراء وسائر أهل الدولة ويقيم في هذه السرحة أياما فيمر للناس في اقامتهم بهذه السرحة أوقات لا يمكن وصف ما فيها من المسرات ولا حصر ما ينفق فيها من المآكل والهبات من الاموال ولم يزل هذا الرسم مستمرا الى سنة تسع وتسعين وسبعمائة وهي آخر سرحة سار اليها السلطان بسرياقوس ومن هذه السنة انقطع السلطان الملك الظاهر برقوق عن الحركة لسرياقوس فانه اشتغل في سنة ثمانمائة بتحرك المماليك عليه من وقت قيام الامير على باى الى أن مات وقام من بعده ابنه الملك الناصر فرج فما صفا الوقت فى أيامه من كثرة الفتن وتواتر الغلوات والمحن الى أن نسي ذلك وأهمل أمر الميدان والقصور وخرب وفيه الى اليوم بقية قائمة ثم بيعت هذه القصور في صفر سنة خمس وعشرين وثمانمائة بمائة دينار لينقض خشبها وشبابيكها وغيرها فنقضت كلها وكان من عادة السلطان اذا خرج الى الصيد لسرياقوس أو شبرا أو البحيرة أنه ينعم على أكابر أمراء الدولة قدرا وسنا كل واحد بألف مثقال ذهبا وبرذون خاص مسرج ملجم وكنبوش مذهب وكان من عادته اذا مر في متصيداته باقطاع أمير كبير قدم له من الغنم والاوز والدجاج وقصب السكر والشعير ما تسمو همة مثله اليه فيقبله السلطان منه وينعم عليه بخلعة كاملة وربما أمر لبعضهم بمبلغ مال وكانت عادة الامراء أن يركب الامير منهم حيث يركب في المدينة وخلفه جنيب وأما أكابرهم فيركب بجنيبين هذا في المدينة والحاضرة وهكذا يكون اذا خرج الى سرياقوس وغيرها من نواحى الصعيد ويكون في الخروج الى سرياقوس وغيرها من الاسفار لكل أمير طلب يشتمل على أكثر مماليكه وقدامهم خزانة

محمولة على جمل واحد يجره راكب آخر على جمل والمال على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك وأمام الخزانة عدة جنائب تجر على أيدى مماليك ركاب خيل وهجن وركاب من العرب على هجن وأمامها الهجن بأكوارها مجنوبة وللطبلخانات قطار واحد وهو أربعة ومركوب الهجان والمال قطاران وربما زاد بعضهم وعدد الجنائب فى كثرتها وقلتها الى رأى الامير وسعة نفسه والجنائب منها ما هو مسرج ملجم ومنها ما هو بعباءة لا غير وكان يضاهي بعضهم بعضاً في الملابس الفاخرة والسروج المحلاة والعدد المليحة وكان من رسوم السلطان فى خروجه الى سرياقوس وغيرها من الاسفار أن لا يتكلف اظهار كل شعار السلطنة بل يكون الشعار فى موكبه السائر فيه جمهور مماليكه مع المقدم عليهم واستاداره وأمامهم الخزائن والجنائب والهجن وأما هو نفسه فانه يركب ومعه عدة كبيرة من الامراء الكبار والصغار من الغرباء والخواص وجملة من خواص مماليكه ولا يركب فى السير برقبة ولا بعصائب بل يتبعه جنائب خلفه ويقصد في الغالب تأخير النزول الى الليل فاذا جاء الليل حملت قدامه فوانيس كثيرة ومشاعل فاذا قارب مخيمه تلقى بشموع موكبية في شمعدانات كفت وصاحت الجاويشية بين يديه ونزل الناس كافة الاحملة السلاح فانهم وراءه والوشاقية أيضاً وراءه وتمشى الطبر دارية حوله حتي اذا وصل القصور بسرياقوس أو الدهليز من الخيم نزل عن فرسه ودخل الي الشقة وهى خيمة مستديرة متسعة ثم منها الى شقة مختصرة ثم منها الى اللاجوق وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخل سور خركاه وفي صدر اللاجوق قصر صغير من خشب برسم المبيت فيه وينصب بازاء الشقة الحمام بقدور الرصاص والحوض على هيئة الحمام المبنى في المدن الا انه مختصر فاذا نام السلطان طافت به المماليك دائرة بعد دائرة وطاف بالجميع الحرس وتدور الزفة حول الدهليز فى كل ليلة وتدور بسرياقوس حول القصر في كل ليلة مرتين الاولى منذ يأوى الى النوم والثانية عند قعوده من النوم وكل زفة يدور بها أمير جانداروهو من أكابر الامراء وحوله الفوانيس والمشاعل والطبول والبياتة وينام على باب الدهليز النقباء وأرباب النوب من الخدم ويصحب السلطان في السفر غالب ما تدعو الحاجة اليه حتى يكاد يكون معه مارستان لكثرة من معه من الاطباء وأرباب الكحل والجراح والاشربة والعقاقير وما يجرى مجرى ذلك وكل من عاده طبيب ووصف له ما يناسبه يصرف له من الشراب خاناه أو الدواء خاناه المحمولين في الصحبة والله أعلم

*(الميدان الناصرى) هذا الميدان من جملة أراضى بستان الخشاب فيما بين مدينة مصر والقاهرة وكان موضعه قديما غامراً بماء النيل ثم عرف ببستان الخشاب فلما كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة هدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان الظاهرى وغرس فيه أشجارا كما تقدم وأنشأ هذا الميدان من أراضى بستان الخشاب فانه كان حينئذ مطلا علي

النيل وتجهز فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة للركوب اليه وفرق الخيول على جميع الامراء واستجد ركوب الاوجاقية بكوافى الزركش على صفة الطاسات فوق رؤسهم وسماهم الجفتاوات فيركب منهم اثنان بثوبى حرير أطلس أصفر وعلى رأس كل منهما كوفية الذهب وتحت كل واحد فرس أبيض بحلية ذهب ويسيران معا بين يدى السلطان فى ركوبه من قلعة الجبل الى الميدان وفي عودته منه الى القلعة وكان السلطان اذا ركب الى هذا الميدان لعب الاكرة يفرق حوائص ذهب علي الامراء المقدمين وركوبه الى هذا الميدان دائماً يوم السبت فى قوة الحر بعد وفاء النيل مدة شهرين من السنة فيفرق في كل ميدان على اثنين بالنوبة فمنهم من تجيء نوبته بعد ثلاث سنين أو أربع سنين وكان من مصطلح الملوك أن تكون تفرقة السلطان الخيول على الامراء فى وقتين أحدهما عند ما يخرج الى مرابط خيله في الربيع عند اكتمال تربيعها وفي هذا الوقت يعطى أمراء المئين الخيول مسرجة ملجمة بكنابيش مذهبة ويعطى أمراء الطبلخانات خيلا عريا * والوقت الثاني يعطي الجميع خيولا مسرجة ملجمة بلا كنابيش بفضة خفيفة وليس لامراء العشروات حظ في ذلك الا ما يتفقدهم به على سبيل الانعام والخاصكية السلطان المقربين من أمراء المئين وأمراء الطبلخانات زيادة كثيرة من ذلك بحيث يصل الى بعضهم المائة فرس فى السنة وكان من شعار السلطان أن يركب الى الميدان وفى عنق الفرس رقبة حرير أطلس أصفر بزركش ذهب فتستر من تحت أذنى الفرس الى حيث السرج ويكون قدامه اثنان من الاوشاقية راكبين على حصانين أشهبين برقبتين نظير ما هو راكب به كأنهما معدان لان يركبهما وعلي الاوشاقيين المذكورين قبا آن أصفران من حرير بطراز من زركش بالذهب وعلى رأسهما قبعان مزركشان وغاشية السرج محمولة أمام السلطان وهي أديم مزركش مذهب يحملها بعض الركابدارية قدامه وهو ماش في وسط الموكب ويكون قدامه فارس يشبب بشبابة لا يقصد بنغمها الاطراب بل ما يقرع بالمهابة سامعه ومن خلف السلطان الجنائب وعلى رأسه العصائب السلطانية وهى صفر مطرزة بذهب بألقابه واسمه وهذا لايختص بالركوب الى الميدان بل يعمل هذا الشعار أيضاً اذا ركب يوم العيد أو دخل الى القاهرة أو الى مدينة من مدن الشام ويزداد هذا الشعار في يوم العيدين ودخول المدينة برفع المظلة على رأسه ويقال لها الجبر وهو أطلس أصفر مزركش من أعلاه قبة وطائر من فضة مذهبة يحملها يومئذ بعض أمراء المئين الاكابر وهو راكب فرسه الى جانب السلطان ويكون أرباب الوظائف والسلاحدارية كلهم خلف السلطان ويكون حوله وأمامه الطبردارية وهم طائفة من الاكراد ذوى الاقطاعات والامرة ويكونون مشاة وبأيديهم الاطبار المشهورة

* (ذكر قلعة الجبل) *

قال ابن سيده في كتاب المحكم القلعة بتحريك القاف واللام والعين وفتحها الحصن الممتنع في جبل وجمعها قلاع وقلع وأقلعوا بهذه البلاد بنوها فجعلوها كالقلعة وقيل القلعة بسكون اللام حصن مشرف وجمعه قلوع وهذه القلعة على قطعة من الجبل وهي تتصل بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة فتصير القاهرة في الجهة البحرية منها ومدينة مصر والقرافة الكبرى وبركة الحبش في الجهة القبلية الغربية والنيل الاعظم في غربيها وجبل المقطم من ورائها في الجهة الشرقية وكان موضعها أولا يعرف بقبة الهواء ثم صار من تحته ميدان أحمد بن طولون ثم صار موضعها مقبرة فيها عدة مساجد الى أن أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول الملوك بديار مصر على يد الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسدي في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وصارت من بعده دار الملك بديار مصر الى يومنا هذا وهي ثامن موضع صار دار المملكة بديار مصر وذلك أن دار الملك كانت أولا قبل الطوفان مدينة أمسوس ثم صار تخت الملك بعد الطوفان بمدينة منف الى أن خربها بخت نصر ثم لما ملك الاسكندر بن فيليبش سار الى مصر وجدد بناء الاسكندرية فصارت دار المملكة من حينئذ بعد مدينة منف الاسكندرية الى أن جاء الله تعالى بالاسلام وقدم عمرو بن العاص رضى الله عنه بجيوش المسلمين الى مصر وفتح الحصن واختط مدينة فسطاط مصر فصارت دار الامارة من حينئذ بالفسطاط الى أن زالت دولة بني أمية وقدمت عساكر بنى العباس الى مصر وبنوا في ظاهر الفسطاط العسكر فصار الامراء من حينئذ تارة ينزلون في العسكر وتارة في الفسطاط الى أن بني احمد بن طولون القصر والميدان وأنشأ القطائع بجانب العسكر فصارت القطائع منازل الطولونية الى أن زالت دولتهم فسكن الامراء بعد زوال دولة بني طولون بالعسكر الى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر المعز لدين الله وبني القاهرة المعزية فصارت القاهرة من حينئذ دار الخلافة ومقر الامامة ومنزل الملك الى أن انقضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فلما استبد بعدهم بأمر سلطنة مصر بنى قلعة الجبل هذه ومات فسكنها من بعده الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب واقتدي به من ملك مصر من بعده من أولاده الى أن انقرضوا على يد مماليكهم البحرية وملكوا مصر من بعدهم فاستقروا بقلعة الجبل الى يومنا هذا وسأجمع ان شاء الله تعالى من أخبار قلعة الجبل هذه وذكر من ملكها ما فيه كفاية والله أعلم

* (ذكر ما كان عليه موضع قلعة الجبل قبل بنائها) *

اعلم أن أول ما عرف من خبر موضع قلعة الجبل انه كان فيه قبة تعرف بقبة الهواء

قال أبو عمرو الـكندى في كتاب أمراء مصر وابتنى حاتم بن هرثمة القبة التى تعرف بقبة الهواء وهو أول من ابتناها وولى مصر الى أن صرف عنها فى جمادي الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة قال ثم مات عيسى بن منصور أمير مصر في قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ولما قدم أمير المؤمنين المأمون الى مصر فى سنة سبع عشرة ومائتين جاس بقبة الهواء هذه وكان بحضرته سعيد بن عفير فقال المأمون لعن الله فرعون حيث يقول أليس لى ملك مصر فلو رأى العراق وخصبها فقال سعيد بن عفير يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فان الله عز وجل قال ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون فما ظنك يا أمير المؤمنين بشىء دمره الله هذا بقيته ثم قال سعيد لقد بلغنا أن ارضاً لم تكن أعظم من مصر وجميع اهل الارض يحتاجون اليها وكانت الانهار بقناطر وجسور بتقدير حتي ان الماء يجرى تحت منازلهم وافنيتهم يرسلونه متى شاؤا ويحبسونه متي شاؤا وكانت البساتين متصلة لا تنقطع ولقد كانت الامة تضع المكتل على رأسها فيمتلئ مما يسقط من الشجر وكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج الى خمار لكثرة الشجر وفى قبة الهواء حبس المأمون الحارث بن مسكين قال الكندى في كتاب الموالى قدم المأمون مصر وكان بها رجل يقال له الحضرمى يتظلم من ابن اسباط وابن تميم فجلس الفضل بن مروان في المسجد الجامع وحضر مجلسه يحيى بن أكثم وابن أبى داود وحضر اسحاق بن اسماعيل ابن حماد بن زيد وكان على مظالم مصر وحضر جماعة من فقهاء مصر وأصحاب الحديث وأحضر الحارث بن مسكين ليولى قضاء مصر فدعاه الفضـل بن مروان فبينا هو يكلمه اذ قال الحضرمى للفضـل سل أصلحك الله الحـارث عن ابن أسباط وابن تميم قال ليس لهـذا أحضرناه قال أصلحك الله سله فقال الفضـل للحارث ما تقول في هذين الرجلين فقال ظالمين غاشمين قال ليس لهذا أحضرناك فاضطرب المسجد وكان الناس متوافرين فقام الفضل وصار الى المأمون بالخبر وقال خفت على نفسي من ثوران الناس مع الحارث فأرسل المـأمون الى الحـارث فدعاه فابتدأه بالمسألة فقال ماتقول في هذين الرجلين فقال ظالمين غاشمين قال هل ظلماك بشئ قال لا قال فعاملتهما قال لا قال فكيف شهدت عليهما قال كما شهدت أنك أمير المؤمنين ولم أرك قط الا الساعة وكما شهدت أنك غزوت ولم أحضر غزوك قال اخرج من هذه البلاد فليست لك ببلاد وبع قليلك وكثيرك فانك لا تعاينها ابدا وحبسه في رأس الجبل فى قبة ابن هرثمة ثم انحدر المـأمون الى البشرود وأحضره معه فلما فتح البشرود أحضر الحارث فلما دخل عليه سأله عن المسألة التي سأله عنها بمصر فرد عليه الجواب بعينه فقال فأى شئ تقول في خروجنا هذا قال أخبرنى عبد الرحمن بن القاسم عن مالك أن الرشيد كتب اليه فى أهل دهلك يسأله عن قتالهم فقال ان كانوا خرجوا عن

ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم وان كانوا انما شقوا العصا فقتالهم حلال فقال المأمون أنت تيس وما لك أتيس منك ارحل عن مصر قال يا أمير المؤمنين الى الثغور قال الحق بمدينة السلام فقال له أبو صالح الحرانى ياأمير المؤمنين تغفر زلته قال ياشيخ تشفعت فارتفع ولما بني أحمد بن طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء هذه كان كثيرا مايقيم فيها فانها كانت تشرف على قصره واعتني بها الامير أبو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وجعل لهاالستور الجليلة والفرش العظيمة في كل فصل ماينا سبه فلما زالت دولة بنى طولون وخرب القصر والميدان كانت قبة الهواء مما خرب كما تقدم ذكره عند ذكر القطائع من هذا الكتاب ثم عمل موضع قبة الهواء مقبرة وبنى فيها عدة مساجد * قال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة في كتاب النقط في الخطط والمساجد المبنية على الجبل المتصلة باليحاميم المطلة على القاهرة المعزية التى فيها المسجد المعروف بسعد الدولة والترب التي هناك تحتوى القلعة التى بناها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على الجميع وهي التي تمها بالقاهرة وبنيت هذه القلعة فى مدة يسيرة وهذه المساجد هى مسجد سعد الدولة ومسجد معز الدولة والى مصر ومسجد مقدم بن عليان من بني بويه الديلمى ومسجد العدة بناه أحد الاستاذين الكبار المستنصرية وهو عدة الدولة وكان بعد مسجد معز الدولة ومسجد عبد الجبار بن عبد الرحمن بن شبل بن على رئيس الرؤساء وكان في الكفاة أبى يعقوب بن يوسف الوزير بهمدان ابن على بناه وانتقل بالارث الى ابن عمه القاضى النقيه أبى الحجاج يوسف ابن عبد الجبار بن شبل وكان من أعيان السادة ومسجد قسطة وكان غلاما أرمنيا من غلمان المظفر بن أمير الجيوش مات مسموما من اكلة هريسة * وقال الحافظ أبو الطاهر السلفى سمعت أبا منصور قسطة الارمني والى الاسكندرية يقول كان عبد الرحمن خطيب ثغر عسقلان يخطب بظاهر البلد في عيد من الاعياد فقيل له قد قرب منا العدو فنزل عن المنبر وقطع الخطبة فبلغه أن قوما من العسكرية عابوا عليه فعمله خطب فى الجمعة الاخرى داخل البلد فى الجامع خطبة بليغة قال فيها قد زعم قوم أن الخطيب فزع وعن المنبر نزع وليس ذلك عارا على الخطيب فانما ترسه الطيلسان وحسامه اللسان وفرسه خشب لاتجرى مع الفرسان وانما العار على من تقلد الحسام وسن السنان وركب الجياد الحسان وعند اللقاء يصيح الى عسقلان وكان قسطة هذا من عقلاء الامراء المائلين الى العدل المثابرين على مطالعة الكتب وأكثر ميله الى التواريخ وسير المتقدمين وكان مسجده بعد مسجد شقيق الملك ومسجد الديلمى كان على قرنة الجبل المقابل للقلعة من شرقيها الى البحرى وقبره قدام الباب وتربة وخشى الامير والد السلطان رضوان بن وخشى المنعوت بالافضل كان من الاعيان الفضلاء الادباء ضرب على طريقة ابن البواب وأبي على بن

مقلة وكتب عدة ختمات وكان كريماً شجاعاً يلقب فحل الامراء وكانت هذه التربة آخر الصف ومسجد شقيق الملك الاستاذ خسروان صاحب بيت المال أضيف الى سور القلعة البحرى الى المغرب قليلا ومسجد أمين الملك صارم الدولة مفلح صاحب المجلس الحافظى كان بعد مسجد القاضى أبي الحجاج المعروف بمسجد عبد الجبار وهو في وسط القلعة وبعده تربة لاون أخى يانس ومسجد القاضي النبيه كان لهمام الدولة غنام ومات رسولا ببلاد الشام وشراه منه وانشأه القاضى النبيه وقبره به وكان القاضى من الاعيان * وقال ابن عبد الظاهر أخبرنى والدى قال كنا نطلع اليها يعنى الى المساجد التى كانت موضع قلعة الجبل قبل أن تسكن فى ليالى الجمع نبيت متفرجين كما نبيت في جواسق الجبل والقرافة * قال مؤلفه رحمه الله وبالقلعة الآن مسجد الردينى وهو أبو الحسن على بن مرزوق بن عبد الله الردينى الفقيه المحدث المفسر كان معاصرا لابي عمر وعثمان بن مرزوق الحوفي وكان ينكر على أصحابه وكانت كلمته مقبولة عند الملوك وكان يأوى بمسجد سعد الدولة ثم تحول منه الى مسجد عرف بالردينى وهو الموجود الآن بداخل قلعة الجبل وعليه وقف بالاسكندرية وفى هذا المسجد قبر يزعمون أنه قبره وفي كتب المزارات بالقرافة أنه توفي ودفن بها في سنة أربعين وخمسمائة بخط سارية شرقى تربة الكيرواني واشتهر قبره باجابة الدعاء عنده

* (ذكر بناء قلعة الجبل) *

وكان سبب بنائها أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما أزال الدولة الفاطمية من مصر واستبد بالامر لم يتحول من دار الوزارة بالقاهرة ولم يزل يخاف على نفسه من شيعة الخلفاء الفاطميين بمصر ومن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى سلطان الشام رحمة الله عليه فامتنع أولا من نور الدين بأن سير أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب في سنة تسع وستين وخمسمائة الى بلاد اليمن لتصير له مملكة تعصمه من نور الدين فاستولى شمس الدولة على ممالك اليمن وكفى الله تعالى صلاح الدين أمر نور الدين ومات فى تلك السنة فخلاله الجو وامن جانبه وأحب أن يجعل لنفسه معقلا بمصر فانه كان قد قسم القصرين بين أمرائه وأنزلهم فيهما فيقال ان السبب الذى دعاه الى اختيار مكان قلعة الجبل أنه علق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة فعلق لحم حيوان آخر في موضع القلعة فلم يتغير الا بعد يومين وليلتين فأمر حينئذ بانشاء قلعة هناك وأقام على عمارتها الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى فشرع في بنائها وبني سور القاهرة الذى زاده فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وهدم ماهنا لك من المساجد وأزال القبور وهدم الاهرام الصغار التي كانت بالجيزة تجاه مصر وكانت كثيرة العدد ونقل ماوجد بها من الحجارة وبني به السور والقلعة وقناطر الجيزة وقصد أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة ومصر فمات السلطان قبل أن يتم الغرض

من السور والقلعة فاهمل العمل الى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في قلعة الجبل واستنابته فى مملكة مصر وجعله ولى عهد فأتم بناء القلعة وأنشأ بها الآدر السلطانية وذلك فى سنة أربع وستمائة وما برح يسكنها حتي مات فاستمرت من بعده دار مملكة مصر الى يومنا هذا وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب يقيم بها أياما وسكنها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين في أيام أبيه مدة ثم انتقل منها الى دار الوزارة * قال ابن عبد الظاهر وسمعت حكاية تحكى عن صلاح الدين أنه طلعها ومعه أخوه الملك العادل فلما رآها التفت الى أخيه وقال ياسيف الدين قد بنيت هذه القلعة لاولادك فقال ياخوند من الله عليك أنت وأولادك وأولاد أولادك بالدنيا فقال مافهمت ما قلت لك أنا نجيب ماياتى لى أولاد نجباء وانت غير نجيب فأولادك يكونون نجباء فسكت (قال مؤلفه رحمه الله) وهذا الذى ذكره صلاح الدين يوسف من انتقال الملك عنه الى أخيه وأولاد أخيه ليس هو خاصاً بدولته بل اعتبر ذلك في الدول تجد الامر ينتقل عن أولاد القائم بالدولة الى بعض أقاربه • هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائم بالملة الاسلامية ولما توفى صلى الله عليه وسلم انتقل امر القيام بالملة الاسلامية بعده الى أبي بكر الصديق رضى الله عنه واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى فهو رضي الله عنه يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب ثم لما انتقل الامر بعد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم الى بنى أمية كان القائم بالدولة الاموية معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية فلم تفلح أولاده وصارت الخلافة الى مروان ابن الحكم بن العاص بن أمية فتوارثها بنو مروان حتي انقضت دولتهم بقيام بنى العباس رضى الله عنه فكان أول من قام من بنى العباس عبد الله بن محمد السفاح ولما مات انتقلت الخلافة من بعده الى أخيه أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور واستقرت في بنيه الى أن انقرضت الدولة العباسية من بغداد وكذا وقع في دول العجم أيضاً فأول ملوك بني بويه عماد الدين أبو على الحسن بن بويه والقائم من بعده في السلطنة أخوه حسن بن بويه وأول ملوك بني سلجوق طغريل والقائم من بعده في السلطنة ابن أخيه البارسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق وأول قائم بدولة بني أيوب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولما مات اختلف أولاده فانتقل ملك مصر والشام وديار بكر والحجاز واليمن الى أخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب واستمر فيهم الى أن انقرضت الدولة الايوبية فقام بمملكة مصر المماليك الاتراك وأول من قام منهم بمصر الملك المعز أيبك فلما مات لم يفلح ابنه على فصارت المملكة الى قطز وأول من قام بالدولة الجركسية الملك الظاهر برقوق وانتقلت المملكة من بعد ابنه الملك الناصر فرج الى الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى وقد جمعت فى هذا

فصلا كبيرا وقلما تجد الامر بخلاف ماقلته لك ولله عاقبة الامور * قال ابن عبد الظاهر والملك الكامل هو الذى اهتم بعمارتها وعمارة أبراجها البرج الاحمر وغيره فكملت في سنة أربع وستمائة وتحول اليها من دار الوزارة ونقل اليها أولاد العاضد وأقاربه وسجنهم فى بيت فيها فلم يزالوا فيه الى أن حولوا منه فى سنة احدى وسبعين وستمائة * قال وفي آخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة شرع السلطان الملك المنصور قلاون في عمارة برج عظيم على جانب باب السر الكبير وبنى علوه مشترفات وقاعات مرخمة لم ير مثلها وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة ويقال ان قراقوش كان يستعمل فى بناء القلعة والسور خمسين ألف أسير * (البئر التي بالقلعة) * هذه البئر من العجائب استنبطها قراقوش قال ابن عبد الظاهر وهذه البئر من عجائب الابنية تدور البقر من أعلاها فتنقل الماء من نقالة فى وسطها وتدور أبقار في وسطها تنقل الماء من أسفلها ولها طريق الى الماء ينزل البقر الى معينها فى مجاز وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل ان أرضها مسامتة أرض بركة الفيل وماؤها عذب سمعت من يحكى من المشايخ أنها لما نقرت جاء ماؤها حلوا فأراد قراقوش أو نوابه الزيادة في مائها فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها وذكر القاضى ناصر الدين شافع بن على فى كتاب عجائب البنيان أنه ينزل الى هذه البئر بدرج نحو ثلثمائة درجة

* (ذكر صفة القلعة) *

وصفة قلعة الجبل أنها بناء على نشز عال يدور بها سور من حجر بأبراج وبدنات حتى تنتهى الى القصر الابلق ثم من هناك تتصل بالدور السلطانية على غير أوضاع أبراج القلاع ويدخل الى القلعة من بابين أحدهما بابها الاعظم المواجه للقاهرة ويقال له الباب المدرج وبداخله يجلس والى القلعة ومن خارجه تدق الحليلية قبل المغرب والباب الثاني باب القرافة وبين البابين ساحة فسيحة فى جانبها بيوت وبجانبها القبلى سوق للمآكل ويتوصل من هذه الساحة الى دركاه جليلة كان يجلس بها الامراء حتى يؤذن لهم بالدخول وفى وسط الدركاه باب القلعة ويدخل منه في دهليز فسيح الي ديار وبيوت والى الجامع الذى تقام به الجمعة ويمشى من دهليز باب القلعة فى مداخل أبواب الي رحبة فسيحة فى صدرها الايوان الكبير المعد لجلوس السلطان في يوم المواكب واقامة دار العدل وبجانب هذه الرحبة ديار جليلة ويمر منها الى باب القصر الابلق وبين يدى باب القصر رحبة دون الاولى يجلس بها خواص الامراء قبل دخولهم الى الخدمة الدائمة بالقصر وكان بجانب هذه الرحبة محاذيا لباب القصر خزانة القصر ويدخل من باب القصر فى دهاليز خمسة الى قصر عظيم ويتوصل منه الى الايوان الكبير بباب خاص ويدخل منه أيضاً الى قصور ثلاثة ثم الى دور الحرم السلطانية

والى البستان والحمام والحوش وباقي القلعة فيه دور ومساكن للمماليك السلطانية وخواص
الامراء بنسائهم وأولادهم ومماليكهم ودواوينهـم وطشتخاناتهم وفرشخاناتهم وشربخاناتهم
ومطابخهـم وسـائر وظائفهـم وكانت أكابر أمراء الالوف وأعيان أمراء الطبلخاناه
والعشراوات تسكن بالقلعة الى آخر أيام الناصر محمـد بن قلاون وكان بهـا أيضاً طباق
المماليك السلطانيـة ودار الوزارة وتعرف بقاعـة الصاحب وبهـا قاعة الانشاء وديوان
الجيش وبيت المـال وخزانة الخاص وبها الدور السلطانيـة من الطشتخاناه والركابخاناه
والحوائجخاناه والزردخاناه وكان بها الجب الشنيع لسجن الامراء وبهـا دار النيابة وبها
عـدّة أبراج يحبس بهـا الامراء والمماليك وبهـا المساجد والحوانيت والاسواق وبها
مساكن تعرف بخرائب التتر كانت قدر حارة خربها الملك الاشرف برسباى في ذى القعدة
سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ومن حقوق القلعة الاصطبل السلطاني وكان ينزل اليه السلطان
من جانب ايوان القصر ومن حقوقها أيضاً الميـدان وهو فاصل بين الاصطبلات وسوق
الخيل من غربيه وهو فسيح المدى وفيه يصلي السلطان صلاة العيدين وفيه يلعب بالاكرة
مع خواصه وفيه تعمل المدات أوقات المهمات أحيانا ومن رأى القصور والايوان الـكبير
والميدان الاخضر والجامع يقر لملوك مصر بعـلو الهمم وسعة الانفاق والـكرم *(باب
الدوفيل) هذا الباب بجانب خندق القلعة ويعرف أيضاً بباب المدرج وكان يعرف قديما
بباب سارية ويتوصل اليه من تحت دار الضيافة وينتهى منه الى القرافة وهو فيما بين سور
القلعة والجبل * والدوفيل هو الامير حسام الدين لاجين الايدمري المعروف بالدرفيـل
دوادار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري مات في سـنة اثنتين وسبعين وستمائة
*(دار العدل القديمة) هذه الدار موضعها الآن تحت القلعة يعرف بالطبلخاناه والذى بنى
دار العدل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري فى سنة احدى وستين وستمائة وصار
يجلس بها لعرض العساكر في كل اثنين وخميس وابتدأ بالحضور فى أول سنة اثنتين وستين
وستمائة فوقف اليه ناصر الدين محمد بن أبي نصر وشكا انه أخذ له بستان فى أيام المعز ايبك
وهو بأيدى المقطعين وأخرج كتاباً مثبتا وأخرج من ديوان الجيش ما يشهد بأن البستان
ليس من حقوق الديوان فأمر برده عليه فتسلمه وأحضرت مرافعة في ورقة مختومة رفعها
خادم أسود فى مولاه القاضى شمس الدين شيخ الحنابلة تضمنت انه يبغض السلطان ويتمنى
زوال دولته فانه لم يجعل للحنابلة مدرسا فى المدرسة التى أنشأها بخط بين القصرين ولم يول
قاضياً حنبليا وذكر عنه أموراً قادحة فبعث السلطان الورقة الى الشيخ فحضر اليه وحلف
انه ماجرى منه شئ وأن هذا الخادم طردته فاختلق علىّ ماقال فقبل السلطان عذره وقال
ولو شتمتني أنت فى حل وأمر بضرب الخادم مائة عصا وغلت الاسعار بمصر حتى بلغ أردب

القمح نحو مائة درهم وعدم الخبز فنادى السلطان فى الفقراء أن يجتمعوا تحت القلعة ونزل في يوم الخميس سابع ربيع الآخر منها وجلس بدار العدل هـذه ونظر في أمر السعر وأبطل التسعير وكتب مرسوماً الى الامراء ببيع خمسمائة أردب في كل يوم ما بين مائتين الى مادونهما حتى لا يشترى الخزان شيئاً وأن يكون البيع للضعفاء والارامل فقط دون من عداهم وأمر الحجاب فنزلوا تحت القلعـة وكتبوا أسماء الفقراء الذين تجمعوا بالرميلة وبعث الى كل جهـة من جهات القاهرة ومصر وضواحيهما حاجباً لكتابة أسماء الفقراء وقال والله لو كان عنـدى غلة تكفى هؤلاء لفرقتها ولما انتهى احضار الفقراء أخذ منهم لنفسه ألوفاً وجعل باسم ابنـه الملك السعيد ألوفا وأمر ديوان الجيش فوزع باقيهم على كل أمير من الفقراء بعدة رجاله ثم فرق ما بقى على الاجناد ومفاردة الحلقة والمقدمين والبحرية وجعل طائفة التركمان ناحية وطائفة الاكراد ناحية وقرر لكل واحد من الفقراء كفايته لمدة ثلاثة اشهر فلما تسلم الامراء والاجناد ماخصهم من الفقراء فرق من بقى منهم على الاكابر والتجار والشهود وعين لارباب الزوايا مائة اردب قمح في كل يوم تخرج من الشون السلطانية الى جامع أحمد بن طولون وتفرق على من هناك ثم قال هؤلاء المساكين الذين جمعناهم اليوم ومضى النهار لابدلهم من شئ وأمر ففرق في كل منهم نصف درهم ليتقوت به في يومه ويستمر له من الغد ما تقرر فأنفق فيهم جملة مال وأعطى للصاحب بهاء الدين على ابن محمد بن حنا طائفة كبيرة من العميان وأخذ الاتابك سيف الدين اقطاى طائفة التركمان ولم يبق أحـد من الخواص والامراء الحواشى ولا من الحجاب والولاة وارباب المناصب وذوى المراتب واصحاب الاموال حتى أخذ جماعة من الفقراء على قدر حاله وقال السلطان للامير صارم الدين المسعودى والى القاهرة خذ مائة فقير وأطعمهم لله تعالى فقال نعم قد أخذتهم دائماً فقال له السلطان هذا شئ فعلته ابتداء من نفسك وهذه المائة خذها لاجلى فقال للسلطان السمع والطاعة وأخذ مائة فقير زيادة على المائة التي عينت له وانقضى النهار في هـذا العمل وشرع الناس في فتح الشون والمخازن وتفرقة الصدقات على الفقراء فنزل سعر القمح ونقص الاردب عشرين درهما وقل وجود الفقراء الى أن جاء شهر رمضان وجاء المغل الجديد فأول يوم من بيع الجديد نقص سعر أردب القمح أربعـين درهما ورقا وفى اليوم الذى جلس فيـه السلطان بدار العدل للنظر فى أمور الاسعار قرئت عليه قصة ضمان دار الضرب وفيها انه قد توقفت الدراهم وسألوا ابطال النـاصرية فان ضمانهم بمبلغ مائتى ألف وخمسين ألف درهم فوقع عليها يحط عنهم منها مبلغ خمسين ألف درهم وقال نحط هـذا ولا نؤذى الناس في أموالهم * وفي مستهل شهر رجب منها جلس أيضاً بدار العدل فوقف له بعض الاجناد بصغير يتيم ذكر أنه وصيه وشكا من قضيته فقال السلطان

لقاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز ان الاجناد اذا مات أحد منهم استولى خجداشه على موجوده فيموت الوصي ويكبر اليتيم فلا يجد له مالا وتقدم اليه أن لا يمكن وصياً من الانفراد بتركة ميت ولكن يكون نظر القاضى شاملا له وتصير أموال الايتام مضبوطة بامناء الحكم ثم انه استدعى نقباء العساكر وأمرهم بذلك فاستمر الحال فيه على ماذكر * وفى خامس عشرى شعبان سنة ثلاث وستين وستمائة جلس بدار العدل واستدعى تاج الدين ابن القرطبي وقال له قد أضجرتنى مما تقول عندى مصالح لبيت المال فتحدث الآن بما عندك فتكلم في حق قاضي القضاة تاج الدين وفي حق متولى جزيرة سواكن وفي حق الامراء وانهم اذا مات منهم أحد أخذ ورثته اكثر من استحقاقهم فأنكر عليه وأمر بحبسه وتحدث السلطان فى أمر الاجناد وانه اذا مات أحدهم في مواطن الجهاد لا يصل اليه شاهد حتي يشهد عليه بوصيته وانه يشهد بعض اصحابه فاذا حضر الى القاهرة لا تقبل شهادته وكان الجندى في ذلك الوقت لا تقبل شهادته فرأى السلطان أن كل امير يعين من جماعته عدة ممن يعرف خيره ودينه ليسمع قولهم والزم مقدمى الاجناد بذلك فشرع قاضى القضاة في اختيار رجال جياد من الاجناد وعينهم لقبول شهادتهم ففرحت العساكر بذلك وجلس أيضا فى تاسع عشريه بدار العدل فوقف له شخص وشكا أن الاملاك الديوانية لا يمكن أحد من سكانها أن ينتقل منها فأنكر السلطان ذلك وأمر أن من انقضت مدة اجارته وأراد الخلو فلا يمنع من ذلك وله فى ذلك عدة أخبار كلها صالحة رحمه الله تعالى ومابرحت دار العدل هذه باقية الى أن استجد السلطان الملك المنصور قلاون الايوان فهجرت دار العدل هذه الى أن كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فهدمها السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاون وعمل موضعها الطبلخاناه فاستمرت طبلخاناه الى يومنا الا انه كان في ايام عمارتها انما يجلس بها دائما فى ايام الجلوس نائب دار العدل ومعه القضاة وموقع دار العدل والامراء فينظر نائب دار العدل فى امور المتظلمين وتقرأ عليه القصص وكان الامر على ذلك في ايام الظاهر بيبرس وأيام ابنه الملك السعيد بركة ثم أيام الملك المنصور قلاون * (الايوان) المعروف بدار العدل هذا الايوان أنشأه السلطان الملك المنصور قلاون الالفى الصالحى النجمى ثم جدده ابنه السلطان الملك الاشرف خليل واستمر جلوس نائب دار العدل به فلما عمل الملك الناصر محمد بن قلاون الروك أمر بهدم هذا الايوان فهدم واعاد بناءه على ماهو عليه الآن وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام به عمدا عظيمة نقلها اليه من بلاد الصعيد ورخمه ونصب في صدره سرير الملك وعمله من العاج والآبنوس ورفع سمك هذا الايوان وعمل أمامه رحبة فسيحة مستطيلة وجعل بالايوان باب سر من داخل القصر وعمل باب الايوان مسبوكا من حديد بصناعة بديعة تمنع الداخل اليه وله منه باب يغلق فاذا اراد أن يجلس فتح حتى ينظر منه

ومن تخاريم الحديد بقية العسكر الواقفين بساحة الايوان وقرر للجلوس فيه بنفسه يوم الاثنين ويوم الخميس فاستمر الامر على ذلك وكان أولا دون ماهو اليوم فوسع في قبته وزاد في ارتفاعه و جعل قدامه دركاه كبيرة فجاء من اعظم المباني الملوكية وأول ماجلس فيه عند انتهاء عمل الروك بعد مارسم لنقيب الجيش ان يستدعي سائر الاجناد فلما تكامل حضورهم جلس وعين أن يحضر في كل يوم مقدما ألوف بمضافيهما فكان المقدم يقف بمضافيه ويستدعي بمضافيه من تقدمته على قدر منازلهم فيتقدم الجندى الى السلطان فيسأله أنت ابن من ومملوك من ثم يعطيه مثالا واستمر على ذلك من مستهل المحرم سنة خمس عشرة وسبعمائة الى مستهل صفر منها وما برح بعد ذلك يواظب على الجلوس به فى يومي الاثنين والخميس وعنده أمراء الدولة والقضاة والوزير وكاتب السر وناظر الجيش وناظر الخاص وكتاب الدست وتقف الاجناد بين يده على قدر اقدارهم فلما مات الملك الناصر اقتدى به في ذلك أولاده من بعده واستمروا على الجلوس بالايوان الى أن استبد بمملكة مصر الملك الظاهر برقوق فالتزم ذلك أيضا الا أنه صار يجلس فيه اذا طلعت الشمس جلوسا يسيرا يقرأ عليه فيه بعض قصص لا لمعني سوى اقامة رسوم المملكة فقط وكان من قبله من ملوك بني قلاون انما يجلسون بالايوان سحرا على الشمع وكان موضع جلوس السلطان في الايوان للنظر في المظالم فأعرض الملك الظاهر عن ذلك وجعل لنفسه يومين يجلس فيهما بالاصطبل السلطاني للحكم بين الناس كما سيأتي ذكره عن قريب ان شاء الله تعالى وصار الايوان في أيام الظاهر برقوق وأيام ابنه الملك الناصر فرج وأيام الملك المؤيد شيخ انما هو شئ من بقايا الرسوم الملوكية لاغير

(ذكر النظر في المظالم)

اعلم أن النظر فى المظالم عبارة عن قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة وكان من شروط الناظر في المظالم أن يكون جليل القدر نافذ الامر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع لانه يحتاج في نظره الى سطوة الحماة وتثبت القضاة فيحتاج الى الجمع بين صفتى الفريقين وأن يكون بجلالة القدر نافذ الامر في الجهتين وهي خطة حدثت لفساد الناس وهى كل حكم يعجز عنه القاضى فينظر فيه من هو أقوى منه يدا وأول من نظر في المظالم من الخلفاء امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وأول من أفرد للظلامات يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة النظر عبد الملك بن مروان فكان اذا وقف منها على مشكل واحتاج فيها الى حكم ينفذ رده الى قاضيه ابن ادريس الازدى فينفذ فيه أحكامه وكان ابن ادريس هو المباشر وعبد الملك الآمر ثم زاد الجور فكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها ثم جلس لها خلفاء بني العباس وأول من جلس منهم المهدى محمد ثم الهادي

موسى ثم الرشيد هارون ثم المأمون عبد الله وآخر من جلس منهم المهتدى بالله محمد بن الواثق وأول من أعلم أنه جلس بمصر من الامراء للنظر في المظالم الامير أبو العباس أحمد بن طولون فكان يجلس لذلك يومين في الاسبوع فلما مات وقام من بعده ابنه أبو الجيش خمارويه جعل على المظالم بمصر محمد بن عبيدة بن حرب في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائتين ثم جلس لذلك الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى وابتدأ ذلك في سنة أربعين وثلثمائة وهو يومئذ خليفة الامير أبى القاسم أو نوجور بن الاخشيد فعقد مجلسا صار يجلس فيه كل يوم سبت ويحضر عنده الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات وسائر القضاة والفقهاء والشهود ووجوه البلد وما برح على ذلك مدة أيامه بمصر الى أن مات فلم ينتظم أمر مصر بعده الى أن قدم القائد أبو الحسين جوهر بجيوش المعز لدين الله أبى تميم معد فكان يجلس للنظر في المظالم ويوقع على رقاع المتظلمين فمن توقيعاته بخطه على قصة رفعت اليه سوء الاجترام أوقع بكم طول الانتقام ٠ وكفر الانعام ٠ اخرجكم من حفظ الذمام ٠ فالواجب فيكم ترك الايجاب ٠ واللازم لكم ملازمة الاجتناب ٠ لانكم بدأتم فأسأتم ٠ وعدتم فتعديتم ٠ فابتداؤكم ملوم ٠ وعودكم مذموم ٠ وليس بينهما فرجة تقتضى الا الذم لكم ٠ والاعراض عنكم ٠ ليرى أمير المؤمنين رأيه فيكم ٠ ولما قدم المعز لدين الله الى مصر وصارت دار خلافة استقر النظر في المظالم مدة يضاف الى قاضى القضاة وتارة ينفرد بالنظر فيه أحد عظماء الدولة فلما ضعف جانب المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر وكانت الشدة العظمى بمصر قدم أمير الجيوش بدر الجمالى الى القاهرة وولى الوزارة فصار أمر الدولة كله راجعا اليه واقتدي به من بعده من الوزراء وكان الرسم في ذلك أن الوزير صاحب السيف يجلس للمظالم بنفسه ويجلس قبالته قاضي القضاة وبجانبه شاهدان معتبران ويجلس بجانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال ويقف بين يدى الوزير صاحب الباب واسفهسلار العساكر وبين أيديهما الحجاب والنواب على طبقاتهم ويكون هذا الجلوس يومين في الاسبوع وآخر من تقلد المظالم فى الدولة الفاطمية رزيك ابن الوزير الاجل الملك الصالح طلائع بن رزيك في وزارة ابيه وكتب له سجل عن الخليفة منه وقد قلدك أمير المؤمنين النظر فى المظالم وانصاف المظلوم من الظالم وكانت الدولة اذا خلت من وزير صاحب سيف جلس للنظر في المظالم صاحب الباب في باب الذهب من القصر وبين يديه الحجاب والنقباء وينادى مناد بحضرته يا أرباب الظلامات فيحضرون اليه فمن كانت ظلامته مشافهة أرسلت الى الولاة أو القضاة رسالة بكشفها ومن تظلم من اهل النواحي التى خارج القاهرة ومصر فانه يحضر قصة فيها شرح ظلامته فيتسلمها الحاجب منه حتى تجتمع القصص فيدفعها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل بعد توقيعه عليها الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما أشار اليه الموقع بالقلم الدقيق ثم تحمل التواقيع فى خريطة الى مابين

يدي الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج في خريطتها الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع الى صاحبه * وأول من بنى دار العدل من الملوك السلطان الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي رحمه الله تعالى عليه بدمشق عند مابلغه تعدي ظلم نواب أسد الدين شيركوه بن شادى الى الرعية وظلمهم الناس وكثرة شكواهم الى القاضى كمال الدين الشهر زوري وعجزه عن مقاومتهم فلما بنيت دار العدل أحضر شيركوه نوابه وقال ان نور الدين ماأمر ببناء هذه الدار الا بسببي والله لئن أحضرت الى دار العدل بسبب أحد منكم لاصلبنه فامضوا الى كل من كان بينكم وبينه منازعة في ملك أو غيره فافصلوا الحال معه وأرضوه بكل طريق أمكن ولو أتى على جميع مابيدي فقالوا ان الناس اذا علموا بذلك اشتطوا فى الطلب فقال لخروج أملاكي عن يدى أسهل على من أن يراني نور الدين بعين أنى ظالم أو يساوى بينى وبين أحد من العامة في الحكومة فخرج أصحابه وعملوا ماأمرهم به من ارضاء أخصامهم وأشهدوا عليهم فلما جلس نور الدين بدار العدل في يومين من الاسبوع وحضر عنده القاضي والفقهاء أقام مدة لم يحضر أحد يشكو شيركوه فسأل عن ذلك فعرف بماجري منه ومن نوابه فقال الحمد لله الذى جعل اصحابنا ينصفون من أنفسهم قبل حضورهم عندنا وجلس أيضاً السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في يومي الاثنين والخميس لاظهار العدل ولما تسلطن الملك المعز أيبك التركمانى أقام الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى في نيابة السلطنة بديار مصر فواظب الجلوس فى المدارس الصالحية بين القصرين ومعه نواب دار العدل ليرتب الامور وينظر في المظالم فنادى باراقة الخمور وابطال ماعليها من المقرر وكان قد كثر الارجاف بمسير الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الشام لاخذ مصر فلما انهزم الملك الناصر واستبد الملك المعز أيبك أحدث وزيره من المكوس شيأ كثيرا ثم ان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى بني دار العدل وجلس بها للنظر فى المظالم كما تقدم فلما بنى الايوان الملك الناصر محمد بن قلاون واظب الجلوس يوم الاثنين والخميس فيه وصار يفصل فيه الحكومات فى الاحايين اذا أعيي من دونه فصلها فلما استبد الملك الظاهر برقوق بالسلطنة عقد لنفسه مجلسا بالاصطبل السلطانى من قلعة الجبل وجلس فيه يوم الاحد ثامن عشرى شهر رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة وواظب ذلك فى يومى الاحد والاربعاء ونظر فى الجليل والحقير ثم حول ذلك الى يومى الثلاثاء والسبت وأضاف اليهما يوم الجمعة بعد العصر وما زال على ذلك حتى مات فلما ولى ابنه الملك الناصر فرج بعده واستبد بأمره جلس للنظر في المظالم بالاصطبل اقتداء بأبيه وصار كاتب السر فتح الدين فتح الله يقرأ القصص عليه كما كان يقرؤها على أبيه فانتفع اناس وتضرر آخرون

بذلك وكان الضرر أضعاف النفع ثم لما استبد الملك المؤيد شيخ بالمملكة جلس أيضا للنظر في المظالم كما جلسا والأمر على ذلك مستمر الى وقتنا هذا وهو سنة تسع عشرة وثمانمائة وقد عرف النظر في المظالم منذ عهد الدولة التركية بديار مصر والشام بحكم السياسة وهو يرجع الى نائب السلطنة وحاجب الحجاب ووالى البلد ومتولى الحرب بالاعمال وسيرد ان شاء الله تعالى الكلام في حكم السياسة عن قريب

(ذكر خدمة الايوان المعروف بدار العدل)

كانت العادة أن السلطان يجلس بهذا الايوان بكرة الاثنين والخميس طول السنة خلا شهر رمضان فانه لا يجلس فيه هذا المجلس وجلوسه هذا انما هو للمظالم وفيه تكون الخدمة العامة واستحضار رسل الملوك غالبا فاذا جلس للمظالم كان جلوسه على كرسى اذا قعد عليه يكاد تلحق الارض رجله وهو منصوب الى جانب المنبر الذى هو تخت الملك وسرير السلطنة وكانت العادة أولا أن يجلس قضاة القضاة من المذاهب الاربعة عن يمينه واكبرهم الشافعي وهو الذي يلى السلطان ثم الى جانب الشافعى الحنفى ثم المالكى ثم الحنبلي والى جانب الحنبلى الوكيل عن بيت المال ثم الناظر فى الحسبة بالقاهرة ويجلس على يسار السلطان كاتب السر وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين المعروفين بكتاب الدست وموقعي الدست تكملة حلقة دائرة فان كان الوزير من أرباب الاقلام كان بين السلطان وكاتب السر وان كان الوزير من أرباب السيوف كان واقفاً على بعد مع بقية أرباب الوظائف وان كان نائب السلطنة فانه يقف مع أرباب الوظائف ويقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من السلاحدارية والجمدارية والخاصكية ويجلس على بعد بقدر خمسة عشر ذراعا عن يمنته ويسرته ذوو السن والقدر من أكابر أمراء المئين ويقال لهم أمراء المشورة ويليهم من أسفل منهم أكابر الامراء وأرباب الوظائف وهم وقوف وبقية الامراء وقوف من وراء أمراء المشورة ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادارية لاعطاء قصص الناس واحضار الرسل وغيرهم من الشكاة وأصحاب الحوائج والضرورات فيقرأ كاتب السر وموقعو الدست القصص على السلطان فان احتاج الى مراجعة القضاة راجعهم فيما يتعلق بالامور الشرعية والقضايا الدينية وما كان متعلقا بالعسكر فان كانت القصص فى أمراء الاقطاعات قرأها ناظر الجيش فان احتاج الى مراجعة فى أمر العسكر تحدث مع الحاجب وكاتب الجيش فيه وما عدا ذلك يأمر فيه السلطان بما يراه وكانت العادة الناصرية أن تكون الخدمة فى هذا الايوان على ماتقدم ذكره في بكرة يوم الاثنين وأما بكرة يوم الخميس فان الخدمة على مثل ذلك الا انه لايتصدى السلطان فيه لسماع القصص ولا يحضره أحد من القضاة ولا الموقعين ولا كاتب الجيش الا ان عرضت حاجة الى طلب أحد منهم وهذا القعود عادته طول

السنة ماعدا رمضان وقد تغير بعد الايام الناصرية هذا الترتيب فصارت قضاة القضاة تجلس عن يمنة السلطان ويسرته فيجلس الشافعي عن يمينه ويليه المالكى ويليه قاضى العسكر ثم محتسب القاهرة ثم مفتي دار العدل الشافعى ويجلس الحنفى عن يسرة السلطان ويليه الحنبلى وصارت القصص تقرأ والقضاة وناظر الجيش يحضرون فى يوم الخميس أيضا وكانت العادة أيضا انه اذا ولى أحد المملكة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون فانه عندولايته يحضر الامراء الى داره بالقلعة وتفاض عليه الخلعة الخليفية السوداء ومن تحتها فرجية خضراء وعمامة سوداء مدورة ويقلد بالسيف العربى المذهب ويركب فرس النوبة ويسير والامراء بين يديه والغاشية قدامه والجاويشية تصيح والشبابة السلطانية ينفخ بهاوالطبردارية حواليه الى أن يعبر من باب النحاس الى درج هذا الايوان فينزل عن الفرس ويصعد الى التخت فيجلس عليه ويقبل الامراء الارض بين يديه ثم يتقدمون اليه ويقبلون يده على قدر رتبهم ثم مقدمو الحلقة فاذا فرغوا حضر القضاة والخليفة فتفاض التشاريف على الخليفة ويجلس مع السلطان على التخت ويقلد السلطان المملكة بحضور القضاة والامراء ويشهد عليه بذلك ثم ينصرف ومعه القضاة فيمد السماط للامراء فاذا انقضى أكلهم قام السلطان ودخل المقصورة وانصرف الامراء * ومما قيل في هذا الايوان لما بناه السلطان الملك الناصر

شرفت ايواناً جلست بصدره * فشرحت بالاحسان منه صدورا
قد كاد يستعلى الفراقد رفعة * اذ حاز منك الناصر المنصورا
ملك الزمان ومن رعية ملكه * من عدله لايظلمون نقيرا
لازال منصور اللواء مؤيدا * أبد الزمان وضده مقهورا

وقيل أيضاً

يامالكا اطلع من وجهه * ايوانه لما بدا بدراً
انسيتنا بالعدل كسرى ولن * نرضى لنا جبرا به كسرا

* (القصر الابلق) * هذا القصر يشرف على الاصطبل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في شعبان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وانتهت عمارته في سنة أربع عشرة وأنشأ بجواره جنينة ولما كمل عمل فيه سماطاً حضره الامراء وأهل الدولة ثم أفيضت عليهم الخلع وحمل الى كل أمير من أمراء المئين ومقدمى الالوف ألف دينار ولكل من مقدمى الحلقة خمسمائة درهم ولكل من أمراء الطبلخاناه عشرة آلاف درهم فضة عنها خمسمائة دينار فبلغت النفقة على هذا المهم خمسمائة الف الف درهم وخمسمائة الف درهم وكانت العادة أن يجلس السلطان بهذا القصر كل يوم للخدمة ماعدا يومي الاثنين والخميس فانه يجلس للخدمة بدار العدل كما تقدم ذكره وكان يخرج الى هذا القصر من القصور الجوانية فيجلس تارة على

تحت الملك المنصوب بصدر ايوان هذا القصر المطل على الاصطبل وتارة يقعد دونه على الارض والامراء وقوف على ماتقدم خلا أمراء المشورة والقرباء من السلطان فانه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس ولا يحضر هذا المجلس من الامراء الكبار الا من دعت الحاجة الى حضوره ولا يزال السلطان جالسا الى الثالثة من النهار فيقوم ويدخل الى قصوره الجوانية ثم الى دار حريمه ونسائه ثم يخرج فى أخريات النهار الى قصوره الجوانية فينظر في مصالح ملكه ويعبر اليه الى قصوره الجوانية خاصته من أرباب الوظائف فى الاشغال المتعلقة به على ماتدعو الحاجة اليه ويقال لها خدمة القصر وهذا القصر تجاه بابه رحبة يسلك اليها من الرحبة التي تجاه الايوان فيجلس بالرحبة التي على باب القصر خواص الامراء قبل دخولهم الى خدمة القصر ويمشى من باب القصر فى دهاليز مفروشة بالرخام قد فرش فوقه أنواع البسط الى قصر عظيم البناء شاهق فى الهواء بايوانين أعظمهما الشمالى يطل منه على الاصطبلات السلطانية ويمتد النظر الى سوق الخيل والقاهرة وظواهرها الى نحو النيل وما يليه من بلاد الجيزة وقراها وفى الايوان الثاني القبلى باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه الى الايوان الكبير أيام الموكب ويدخل من هذا القصر الى ثلاثة قصور جوانية منها واحد مسامت لارض هذا القصر واثنان يصعد اليهما بدرج في جميعها شبابيك حديد تشرف على مثل منظرة القصر الكبير وفي هذه القصور كلها مجارى الماء مرفوعا من النيل بدواليب تديرها الابقار من مقره الى موضع ثم الى آخر حتي ينتهى الماء الى القلعة ويدخل الى القصور السلطانية والى دور الامراء الخواص المجاورين للسلطان فيجرى الماء في دورهم وتدور به حماماتهم وهو من عجائب الاعمال لرفعته من الارض الى السماء قريباً من خمسمائة ذراع من مكان الى مكان ويدخل من هذه القصور الى دور الحريم وهذه القصور جميعها من ظاهرها مبنية بالحجر الاسود والحجر الاصفر موزرة من داخلها بالرخام والفصوص المذهبة المشجرة بالصدف والمعجون وأنواع الملونات وسقوفها كلها مذهبة قد موهت باللازورد والنور يخرق فى جدرانها بطاقات من الزجاج القبرسى الملون كقطع الجوهر المؤلفة في العقود وجميع الاراضى قد فرشت بالرخام المنقول اليها من اقطار الارض مما لا يوجد مثله وتشرف الدور السلطانية من بعضها على بساتين واشجار وساحات للحيوانات البديعة والابقار والاغنام والطيور الدواجن وسيأتى ان شاء الله تعالى ذكر هذه القصور والبساتين والاحواش مفصلا * وكان بهذا القصر الابلق رسوم وعوايد تغير كثير منها وبطل معظمها وبقيت الى الآن بقايا من شعار المملكة ورسوم السلطنة وسأقص من أنباء ذلك ان شاء الله تعالى مالاتراه بغير هذا الكتاب مجموعا والله يؤتى فضله من يشاء * (الاسمطة السلطانية) وكانت العادة أن يمد بالقصر في طرفي النهار من كل يوم أسمطة جليلة لعامة الامراء خلا

البرانيين وقليل ماهم فبكرة يمد سماط أول لايأكل منه السلطان ثم ثان بعده يسمى الخاص قد يأكل منه السلطان وقد لايأكل ثم ثالث بعده ويسمى الطارى ومنه مأكول السلطان وأما في آخر النهار فيمتد سماطان الاول والثانى المسمى بالخاص ثم ان استدعي بطار حضر والا فلا ماعدا المشوى فانه ليس له عادة محفوظة النظام بل هو على حسب مايرسم به وفي كل هذه الاسمطة يؤكل ما عليها ويفرق نوالات ثم يسقى بعدها الاقسماء المعمولة من السكر والافاويه المطيبة بماء الورد المبردة وكانت العادة أن يبيت في كل ليلة بالقرب من السلطان أطباق فيها أنواع من المطجنات والبوارد والقطر والقشطة والجبن المقلى والموز والسكباج وأطباق فيها من الاقسماء والماء البارد برسم أرباب النوبة فى السهر حول السلطان ليتشاغلوا بالمأكول والمشروب عن النوم ويكون الليل مقسوما بينهم بساعات الرمل فاذا انتهت نوبة نبهت التي تليها ثم ذهبت هى فنامت الى الصباح هكذا أبدا سفرا وحضرا وكانت العادة أيضاً أن يبيت في المبيت السلطانى من القصر أو المخيم ان كان فى السرحة المصاحف الكريمة لقراءة من يقرأ من أرباب النوبة ويبيت أيضاً الشطرنج ليتشاغل به عن النوم* وبلغ مصروف السماط في كل يوم عيد الفطر من كل سنة خمسين ألف درهم عنها نحو ألفين وخمسمائة دينار تنهبه الغلمان والعامة وكان يعمل في سماط الملك الظاهر برقوق فى كل يوم خمسة آلاف رطل من اللحم سوى الاوز والدجاج وكان راتب المؤيد شيخ في كل يوم لسماطه وداره ثمانمائة رطل من اللحم فلما كان فى المحرم سنة ست وعشرين وثمانمائة سأل الملك الاشرف برسباى عن مقدار ما يطبخ له فى كل يوم بكرة وعشياً فقيل له ستمائة رطل فى الوجبتين فأمر أن يطبخ بين يديه لانه بلغه أنه يؤخذ مما ذكر لشاد الشرابخاناه ونحوه مائة وعشرون رطلا فجعل راتب اللحم فى كل يوم بزيادة أيام الخدمة ونقصان أيام عدم الخدمة خمسمائة رطل وستة أرطال عن وجبتى الغداء والعشاء ومن الدجاج ستة وعشرين طائرا ولعمل المامونية رطلين ونصفاً من السكر وما يعمل برسم الجمدارية فانه بعسل النحل

(ذكر العلامة السلطانية)

قد جرت العادة أن السلطان يكتب خطه على كل مايأمر به فأما مناشير الامراء والجند وكل من له اقطاع فانه يكتب عليه علامته وكتبها الملك الناصر محمد بن قلاون (الله أملي) وعمل ذلك الملوك بعده الى اليوم وأما تقاليد النواب وتواقيع أرباب المناصب من القضاة والوزراء والكتاب وبقية أرباب الوظائف وتواقيع أرباب الرواتب والاطلاقات فانه يكتب عليها اسمه واسم أبيه ان كان أبوه ملكا فيكتب مثلا محمد بن قلاون أو شعبان بن حسين أو فرج بن برقوق وان لم يكن أبوه ممن تسلطن كبرقوق أو شيخ فانه يكتب اسمه فقط ومثاله برقوق أو شيخ وأما كتب البريد وخلاص الحقوق والظلامات فانه يكتب أيضاً

عليها اسمه وربما كرّم المكتوب اليه فكتب اليه أخوه فلان أو والده فلان وأخوه يكتب للاكابر من أرباب الرتب والذى يعلم عليه السلطان اما اقطاع فالرسم فيه أن يقال خرج الامر الشريف واما وظائف ورواتب واطلاقات فالرسم في ذلك أن يقال رسم بالامر الشريف وأعلى مايعلم عليه ما افتتح بخطبة أولها الحمد لله ثم ما افتتح بخطبة أولها أما بعد حمد الله حتى يأتي على خرج الامر في المناشير أو رسم بالامر في التواقيع ثم بعد هذا أنزل الرتب وهو أن يفتتح فى المناشير خرج الامر وفى التواقيع رسم بالامر وتمتاز المناشير المفتتح فيها بالحمد لله أول الخطبة أن تطغر بالسواد وتتضمن اسم السلطان وألقابه وقد بطلت الطغرا في وقتنا هذا وكانت العادة أن يطالع نواب المملكة السلطان بما يتجدد عندهم تارة على أيدى البريدية وتارة على أجنحة الحمام فتعود اليهم الاجوبة السلطانية وعليها العلامة فاذا ورد البريدى أحضره أمير جاندار وهو من أمراء الالوف والدوادار وكاتب السر بين يدى السلطان فيقبل البريدى الارض ويأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدى ثم يناوله للسلطان فيفتحه ويجلس حينئذ كاتب السر ويقرأه على السلطان سرا فان كان أحد من الامراء حاضرا تنحى حتى يفرغ من القراءة ويأمر السلطان فيه بأمر وان كان الخبر على أجنحة الحمام فانه يكتب في ورق صغير خفيف ويحمل على الحمام الازرق وكان لحمام الرسائل مراكز كما كان للبريد مراكز وكان بين كل مركزين من البريد أميال وفى كل مركز عدة خيول كما بيناه فى ذكر الطريق فيما بين مصر والشام وكانت مراكز الحمام كل مركز منها ثلاثة مراكز من مراكز البريد فلا يتعدى الحمام ذلك المركز وينقل عند نزوله المركز ماعلى جناحه الي طائر آخر حتي يسقط بقلعة الجبل فيحضره البراج ويقرأ كاتب السر البطاقة وكل هذا مما يعلم عليه بالقصر ومما كان يحضر الى القصر بالقلعة في كل يوم ورقة الصباح يرفعها والى القاهرة ووالى مصر وتشتمل على انهاء ما تجدد في كل يوم وليلة بحارات البلدين وأخطاطهما من حريق أو قتل قتيل أو سرقة سارق ونحو ذلك ليأمر السلطان فيه بأمره *(الاشرفية) هذا القصر المعروف بالاشرفية أنشأه الملك الاشرف خليل بن قلاون فى سنة أثنتين وتسعين وستمائة ولما فرغ صنع به مهماً عظيما لم يعمل مثله فى الدولة التركية وختن أخاه الملك الناصر محمد بن قلاون وابن أخيه الامير موسى بن الصالح على بن قلاون وجمع سائر أرباب الملاهى وجميع الامراء ووقف الخزندارية بأكياس الذهب فلما قام الامراء من الخاصكية للرقص نثر الخزندارية على كل من قام للرقص حتى فرغ الختان فأنعم على كل أمير من الامراء بفرس كامل القماش وألبس خلعة عظيمة وأنعم على عدة منهم كل واحد بألف دينار وفرس وأنعم على ثلاثين من الامراء الخاصكية لكل واحد مبلغ خمسة آلاف دينار وأنعم على البلبيل المغني بألف دينار وكان الذى عمل فى هذا المهم

من الغنم ثلاثة آلاف رأس ومن البقر ستمائة رأس ومن الخيل خمسمائة اكديش ومن السكر برسم المشروب ألف قنطار وثمانمائة قنطار وبرسم الحلوى مائة وستون قنطارا وبلغت النفقة على هـذا المهم في عمل السماط والمشروب والاقبية والطراز والسروج وثياب النساء مبلغ ثلثمائة ألف دينار عينا *(اليسرية) ومن جملة دور القلعة قاعة اليسرية أنشأها السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون وكان ابتداء بنائها في أول يوم من شعبان سنة احدى وستين وسبعمائة ونهاية عمارتها في ثامن عشرى ذى الحجة من السنة المذكورة فجاءت من الحسن فى غاية لم ير مثلها وعمل لهـذه القاعة من الفرش والبسط مالا تدخل قيمته تحت حصر فمن ذلك تسعة وأربعون ثريا برسم وقود القناديل جملة مادخل فيها من الفضة البيضاء الخالصة المضروبة مائتا ألف وعشرون ألف درهم وكلها مطلية بالذهب وجاء ارتفاع بناء هذه القاعة طولا فى السماء ثمانية وثمانين ذراعا وعمل السلطان بها برجا يبيت فيه من العاج والآبنوس مطعم يجلس بين يديه واكناف وباب يدخل منه الى أرض كذلك وفيه مقرنص قطعة واحدة يكاد يذهل الناظر اليه بشبابيك ذهب خالص وطرازات ذهب مصوغ وشرافات ذهب مصوغ وقبة مصوغة من ذهب صرف فيه ثمانية وثلاثون ألف مثقال من الذهب وصرف فى مؤنه وأجره تتمة ألف ألف درهم فضة عنها خمسون ألف دينار ذهبا وبصدر ايوان هذه القاعة شباك حديد يقارب باب زويلة يطل على جنينة بديعة الشكل *(الدهيشة) عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة وذلك انه بلغه عن الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه أنه عمر بحماه دهيشة لم يبن مثلها فقصد مضاهاته وبعث الامير أقجبا والحجيج المهندس لكشف دهيشة حماه وكتب لنائب حلب ونائب دمشق بحمل ألفى حجر بيض وألفى حجر حمر من حلب ودمشق وحشرت الجمال لحملها حتى وصلت الى قلعة الجبل وصرف في حمولة كل حجر من حلب اثنا عشر درهما ومن دمشق ثمانية دراهم واستدعى الرخام من سائر الامراء وجميع الكتاب ورسم باحضار الصناع للعمل ووقع الشروع فيها حتى تمت في شهر رمضان منها وقد بلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم سوى ماقدم من دمشق وحلب وغيرهما وعمل لها من الفرش والبسط والآلات مايجل وصفه وحضر بها سائر الاغاني وكان مهما عظيما *(السبع قاعات) هذه القاعات تشرف على الميدان وباب القرافة عمرها الملك الناصر محمد بن قلاون وأسكنها سراريه ومات عن ألف ومائتي وصيفة مولدة سوى من عداهن من بقيـة الاجناس *(الجامع بالقلعة) هذا الجامع أنشأه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكان قبـل ذلك هناك جامع دون هـذا فهدمه السلطان وهدم المطبخ والحوائجخاناه والفراشخاناه وعمله جامعاً ثم أخربه في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وبناه

هذا البناء فلما تم بناؤه جلس فيـه واستدعى جميع مؤذنى القاهرة ومصر وجميع القراء والخطباء وعرضوا بين يديه وسمع تأذينهم وخطابتهم وقراءتهم فاختار منهم عشرين مؤذناً رتبهم فيه وقرر فيه درس فقه وقارئاً يقرأ في المصحف وجعل عليه أوقافاً تكفيه وتفيض وصار من بعده من الملوك يخرجون أيام الجمع الى هـذا الجامع ويحضر خاصة الامراء معه من القصر ويجيء باقيهم من باب الجامع فيصلى السلطان عن يمين المحراب فى مقصورة خاصة به ويجلس عنده أكابر خاصته ويصلي معه الامراء خاصتهم وعامتهم خارج المقصورة عن يمنتها ويسرتها على مراتبهم فاذا انقضت الصلاة دخل الى قصوره ودور حرمه وتفرق كل أحد الى مكانه وهـذا الجامع متسع الارجاء مرتفع البناء مفروش الارض بالرخام مبطن السقوف بالذهب وبصدره قبة عالية يليها مقصورة مستورة هى والرواقات بشبابيك الحديد المحكمة الصنعة ويحف صحنه رواقات من جهاته *(الدار الجديدة) هذه الدار عند باب سر القلعة المطل على سوق الخيل عمرها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى في سنة أربع وستين وستمائة وعمل بها في جمادى الاولى منها دعوة للامراء عند فراغها *(خزانة الكتب) وقع بها الحريق يوم الجمعـة رابع صفر سنة احدى وتسعين وستمائة فتلف بها من الكتب في الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شئ كثير جدا كان من ذخائر الملوك فانتهبها الغلمان وبيعت أوراقاً محرقة ظفر الناس منها بنفائس غريبـة ما بين ملاحم وغيرها وأخذوها بأبخس الأثمان *(القاعة الصالحية) عمرها الملك الصالح نجم الدين أيوب وكانت سكن الملوك الى أن احترقت فى سادس ذى الحجة سـنة أربع وثمـانين وستمائة واحترق معها الخزانة السلطانية *(باب النحاس) هذا الباب من داخل الستارة وهو أجل أبواب الدور السلطانية عمره الناصر محمد بن قلاون وزاد فى سعة دهليزه *(باب القلة) عرف بذلك من أجل انه كان هناك قلة بناها الملك الظاهر بيبرس وهدمها الملك المنصور قلاون فى يوم الاحد عاشر شهر رجب سنة خمس وثمانين وستمائة وبنى مكانها قبة فرغت عمارتها في شوال منها ثم هدمها الملك الناصر محمد بن قلاون وجدد باب القـلة على ماهو عليه الآن وعمل له بابا ثانياً *(الرفرف) عمره الملك الاشرف خليل بن قـلاون وجعله عاليا يشرف على الجيزة كلها وبيضه وصور فيه أمراء الدولة وخواصها وعقد عليـه قبة على عمد وزخرفها وكان مجلسا يجلس فيه السلطان واستمر جلوس الملوك به حتي هدمه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وعمل بجواره برجا بجوار الاصطبل نقل اليه المماليك *(الجب) كان بالقلعة جب يحبس فيه الامراء وكان مهولا مظلما كثير الوطاويط كريه الرائحة يقاسى المسجون فيه ماهو كالموت أو أشد منه عمره الملك المنصـور قلاون في سنة احدي وثمانين وستمائة فلم يزل الى أن قام الامير بكتمر الساقي في أمره مع

الملك الناصر محمد بن قلاون حتي أخرج من كان فيه من المحابيس ونقلهم الى الابراج وردمه وعمر فوق الردم طباقا في سنة تسع وعشرين وسبعمائة * (الطبلخاناه تحت القلعة) ذكر هشام بن الكلبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم الشام تلقاه المقلسون من أهل الاديان بالسيوف والريحان فكره عمر رضى الله عنه النظر اليهم وقال ردوهم فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه انها سنة الاعاجم فان منعتهم ظنوا أنه نقض لعهدهم فقال عمر رضى الله عنه دعوهم والتقليس الضرب بالطبل أو الدف * وهذه الطبلخاناه الموجودة الآن تحت القلعة فيما بين باب السلسلة وباب المدرج كانت دار العدل القديمة التى عمرها الملك الظاهر بيبرس وتقدم خبرها فلما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة هدمها الناصر محمد بن قلاون وبناها هذه الطبلخاناه الموجودة الآن تحت قلعة الجبل فيما بين باب السلسلة وبين باب المدرج وصار ينزل الى عمارتها كل قليل وتولى شد العمارة بها آق سنقر شاد العمائر ووجد فى أساسها أربعة قبور كبار المقدار عليها قطع رخام منقوش عليها أسماء المقبورين وتاريخ وفاتهم فنبشوا ونقلوا قريباً من القلعة فكانوا خلقا كبيرا عظيما فى الطول والعرض على بعضهم ملاءة دبيقية ملونة ساعة مستها الايدى تمزقت وتطايرت هباء وفيهم اثنان عليهما آلة الحرب وعدة الجهاد وبهما آثار الدماء والجراحات وفى وجه أحدهما ضربة سيف بين عينيه والجرح مسدود بقطنة فلما أمسكت القطنة ورفعت عن الجرح فوق الحاجب نبع من تحتها دم يظن أنه جرح طري فكان فى ذلك موعظة وذكرى وكانت الطبلخاناه ساحة بغير سقف فلما ولى الامير سودون طاز أميراخور وسكن الاصطبل السلطانى عمر هذه الطباق فوق الطباق وكان الغرض من عمارتها صحيحاً فان المدرسة الاشرفية كانت حينئذ قائمة تجاه الطبلخاناه ولما كان زمان الفتن بين أمراء الدولة تحصن فوقها طائفة ليرموا على الاصطبل والقلعة فأراد بنباء هذه الطباق فوق الطباق أن يجعل بها رماة حتي لايقدر أحد يقيم فوق المدرسة الاشرفية وقد بطل ذلك فان الملك الناصر فرج بن برقوق هدم المدرسة الاشرفية كما ذكر في هذا الكتاب عند ذكر المدارس * (الطباق بساحة الايوان) عمرها الملك الناصر محمد بن قلاون وأسكنها المماليك السلطانية وعمر حارة تختص بهم وكانت الملوك تعنى بها غاية العناية حتى ان الملك المنصور قلاون كان يخرج في غالب أوقاته الى الرحبة عند استحقاق حضور الطعام للمماليك ويأمر بعرضه عليه ويتفقد لحمهم ويختبر طعامهم فى جودته ورداءته فمتى رأى فيه عيبا اشتد على المشرف والاستادار ونهرهما وحل بهما منه أى مكروه وكان يقول كل الملوك عملوا شيئا يذكرون به مابين مال وعقار وأنا عمرت أسوارا وعملت حصونا مانعة لى ولاولادى وللمسلمين وهم المماليك وكانت المماليك أبدا تقيم بهذه الطباق لا تبرح فيها فلما تسلطن الملك الاشرف خليل بن قلاون سمح للمماليك أن ينزلوا من القلعة فى النهار

ولا يبيتوا الا بها فكان لايقدر أحد منهم أن يبيت بغيرها ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاون سمح لهم بالنزول الى الحمام يوما فى الاسبوع فكانوا ينزلون بالنوبة مع الخدام ثم يعودون آخر نهارهم ولم يزل هذا حالهم الى أن انقرضت أيام بنى قلاون وكانت للمماليك بهذه الطباق عادات جميلة أولها أنه اذا قدم بالمملوك تاجره عرضه على السلطان ونزله فى طبقة جنسه وسلمه لطواشي برسم الكتابة فأول مايبدأ به تعليمه مايحتاج اليه من القرآن الكريم وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر اليها كل يوم ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخط والتمرن بآداب الشريعة وملازمة الصلوات والاذكار وكان الرسم اذ ذاك أن لاتجلب التجار الا المماليك الصغار فاذا شب الواحد من المماليك علمه الفقيه شيئاً من الفقه واقرأه فيه مقدمة فاذا صار الى سن البلوغ أخذ فى تعليمه أنواع الحرب من رمى السهام ولعب الرمح ونحو ذلك فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة مايحتاج اليه واذا ركبوا الى لعب الرمح أو رمى النشاب لايجسر جندى ولا أمير أن يحدثهم أو يدنومنهم فينقل اذن الى الخدمة ويتنقل فى أطوارها رتبة بعد رتبة الى أن يصير من الامراء فلا يبلغ هذه الرتبة الا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت آدابه وامتزج تعظيم الاسلام وأهله بقلبه واستدساعده في رماية النشاب وحسن لعبه بالرمح ومرن على ركوب الخيل ومنهم من يصير فى رتبة فقيه عارف أو أديب شاعر أو حاسب ماهر هذا ولهم أزمة من الخدام واكابر من رؤس النوب يفحصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافي ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ويناقشونه على حركاته وسكناته فان عثر أحد من مؤدبيه الذي يعلمه القرآن أو الطواشى الذى هو مسلم اليه أو رأس النوبة الذى هو حاكم عليه على انه اقترف ذنباً أو أخل برسم أو ترك أدباً من آداب الدين أو الدنيا قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه وبلغ من تأديبهم أن مقدم المماليك كان اذا أتاه بعض مقدمى الطباق في السحر يشاور على مملوك أنه يغتسل من جنابة فيبعث من يكشف عن سبب جنابته ان كان من احتلام فينظر في سراويله هل فيه جنابة أم لا فان لم يجد به جنابة جاءه الموت من كل مكان فلذلك كانوا سادة يدبرون الممالك وقادة يجاهدون فى سبيل الله وأهل سياسة يبالغون في اظهار الجميل ويردعون من جار أو تعدى وكانت لهم الادرارات الكثيرة من اللحوم والاطعمة والحلاوات والفواكه والكسوات الفاخرة والمعالم من الذهب والفضة بحيث تتسع أحوال غلمانهم ويفيض عطاؤهم على من قصدهم ثم لما كانت أيام الظاهر برقوق راعى الحال فى ذلك بعض الشئ الى أن زالت دولته في سنة احدى وتسعين وسبعمائة فلما عاد الى المملكة رخص للمماليك في سكنى القاهرة وفي التزوج فنزلوا من الطباق من القلعة ونكحوا نساء أهل المدينة واخلدوا الى البطالة ونسوا تلك العوايد ثم تلاشت الاحوال في أيام الناصر فرج بن برقوق وانقطعت

الرواتب من اللحوم وغيرها حتى عن مماليك الطباق مع قلة عددهم ورتب لكل واحد منهم في اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس فصار غذاؤهم في الغالب الفول المصلوق عجزا عن شراء اللحم وغيره هذا وبقى الجلب من المماليك انما هم الرجال الذين كانوا في بلادهم مابين ملاح سفينة ووقاد في تنور خباز ومحول ماء فى غيط أشجار ونحو ذلك واستقر رأى الناصر على أن تسليم المماليك للفقيه يتلفهم بل يتركون وشؤنهم فبدلت الارض غير الارض وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم وأخسهم قدرا وأشحهم نفساً وأجهلهم بأمر الدنيا واكثرهم اعراضا عن الدين مافيهم الا من هو أزنى من قرد وألص من فأرة وأفسد من ذئب لاجرم أن خربت أرض مصر والشام من حيث يصب النيل الى مجرى الفرات بسوء ايالة الحكام وشدة عبث الولاة وسوء تصرف أولي الامر حتي انه مامن شهر الا ويظهر من الخلل العام مالا يتدارك فرطه وبلغت عدة المماليك السلطانية في أيام الملك المنصور قلاون ستة آلاف وسبعمائة فأراد ابنه الاشرف خليل تكميل عدتها عشرة آلاف مملوك وجعلهم طوائف فأفرد طائفتى الارمن والجركس وسماها البرجية لانه أسكنها فى أبراج بالقلعة فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة وأفرد جنس الخطا والقبجاق وأنزلهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمرذية وجعل منهم جمدارية وسقاة وسماهم خاصكية وعمل البرجية سلاحدارية وجمقدارية وجاشنكيرية وأوشاقية ثم شغف الملك الناصر محمد بن قلاون بجلب المماليك من بلاد أزبك وبلاد توريز وبلاد الروم وبغداد وبعث في طلبهم وبذل الرغائب للتجار في حملهم اليه ودفع فيهم الاموال العظيمة ثم أفاض على من يشتريه منهم أنواع العطاء من عامة الاصناف دفعة واحدة في يوم واحد ولم يراع عادة ابيه ومن كان قبله من الملوك في تنقل المماليك في أطوار الخدم حتى يتدرب ويتمرن كما تقدم وفي تدريجه من ثلاثة دنانير في الشهر الى عشرة دنانير ثم نقله من الجامكية الى وظيفة من وظائف الخدمة بل اقتضى رأيه أن يملأ أعينهم بالعطاء الكثير دفعة واحدة فأتاه من المماليك شئ كثير رغبة فيما لديه حتي كان الاب يبيع ابنه للتاجر الذى يجلبه الى مصر وبلغ ثمن المملوك في أيامه الى مائة ألف درهم فما دونها وبلغت نفقات المماليك في كل شهر الى سبعين ألف درهم ثم تزايدت حتي صارت في سنة ثمان واربعين وسبعمائة مائتين وعشرين ألف درهم *(دار النيابة) كان بقلعة الجبل دار نيابة بناها الملك المنصور قلاون في سنة سبع وثمانين وستمائة سكنها الامير حسام الدين طرنطاى ومن بعده من نواب السلطنة وكانت النواب تجلس بشباكها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأبطل النيابة وأبطل الوزارة أيضا فصار موضع دار النيابة ساحة فلما مات الملك الناصر أعاد الامير قوصون دار النيابة عند استقراره في نيابة السلطنة

فلم تكمل حتى قبض عليه فولى نيابة السلطنة الامير طشتمر حمص أخضر وقبض عليه فتولى
بعده نيابة السلطنــة الامير شمس الدين آق سنقر في أيام الملك الصالح اسماعيل ابن الملك
الناصر محمــد بن قلاون فجلس بها في يوم السبت أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة
في شباك دار النيابة وهو أول من جلس بها من النواب بعد تجديدها وتوارثها النواب بعده
وكانت العادة أن يركب جيوش مصر يومى الاثنين والخميس في الموكب تحت القلعة فيسيرون
هناك من رأس الصوة الى باب القرافة ثم تقف العسكر مع نائب السلطنة وينادي على الخيل
بينهم وربما نودى على كثير من آلات الجند والخيم والجركاوات والاسلحــة وربما نودى
على كثير من العقار ثم يطلعون الى الخدمة السلطانية بالايوان بالقلعة على ما تقدم ذكره
فاذا مثل النائب فى حضرة السلطان وقف فى ركن الايوان الى أن تنقضى الخدمة فيخرج
الى دار النيابة والامراء معــه ويمد السماط بين يديه كما يمد سماط السلطان ويجلس جلوسا
عاماً للناس وتحضره أرباب الوظائف وتقف قدامه الحجاب وتقرأ القصص وتقدم اليه
الشكاة ويفصل أمورهم فكان السلطان يكتفى بالنائب ولا يتصدى لقراءة القصص عليه وسماع
الشكوى تعويلا منه على قيام النائب بهذا الامر واذا قرئت القصص على النائب نظر فان كان
مرسومه يكفى فيها أصدره عنه وما لا يكفى فيه الا مرسوم السلطان أمر بكتابته عن السلطان
وأصدره فيكتب ذلك وينبه فيــه على انه باشارة النائب ويميز عن نواب السلطان بالممالك
الشامية بأن يعبر عنه بكافل المملكة الشريفة الاسلامية وما كان من الامور التي لابد له من
احاطة علم السلطان بها فانه اما أن يعلمه بذلك منه اليــه وقت الاجتماع به أو يرسل الى
السلطان من يعلمه به ويأخذ رأيه فيــه وكان ديوان الاقطاع وهو الجيش فى زمان النيابة
ليس لهم خدمة الا عند النائب ولا اجتماع الا به ولا يجتمع ناظر الجيش بالسلطان في أمر
من الامور فلما أبطل الملك الناصر محمد بن قلاون النيابة صار ناظر الجيش يجتمع بالسلطان
واستمر ذلك بعد اعادة النيابة وكان الوزير وكاتب السر يراجعان النائب في بعض الامور
دون بعض ثم اضمحلت نيابة السلطنة في أيام الناصر محمد بن قلاون وتلاشت أوضاعها فلما
مات أعيدت بعده ولم تزل الى أثناء أيام الظاهر برقوق وآخر من وليها على أكثر قوانيها
الامير سودون الشيخي وبعــده لم يل النيابة أحد في الايام الظاهرية ثم ان الناصر فرج بن
برقوق أقام الامير تمراز في نيابة السلطنة فلم يسكن دار النيابة في القلعــة ولا خرج عما
يعرفه من حال حاجب الحجاب ولم يل النيابة بعــد تمراز أحد الى يومنا هــذا وكانت
حقيقة النائب أنه السلطان الثانى وكانت سائر نواب الممالك الشامية وغيرها تكاتبه في غالب
ماتكاتب فيه السلطان ويراجعونه فيــه كما يراجع السلطان وكان يستخدم الجند ويخرج
الاقطاعات من غير مشاورة ويعين الامرة لكن بمشاورة السلطان وكان النائب هو المتصرف

المطلق التصرف فى كل أمر فيراجع في الجيش والمال والخبر وهو البريد وكل ذى وظيفة لايتصرف الابامره ولايفصل أمرا معضلا الابمراجعته وهو الذي يستخدم الجند ويرتب في الوظائف الاماكان منها جليلا كالوزارة والقضاء وكتابة السر والجيش فانه يعرض على السلطان من يصلح وكان قل أن لايجاب فى شئ يعينه وكان من عدا نائب السلطنة بديار مصر يليه فى رتبة النيابة وكل نواب الممالك تخاطب بملك الامراء الا نائب السلطنة بمصر فانه يسمى كافل الممالك تميزا له وابانة عن عظيم محله وبالحقيقة ماكان يستحق اسم نيابة السلطنة بعد النائب بمصر سوى نائب الشام بدمشق فقط وانما كانت النيابة تطلق أيضا على أكابر نواب الشام وليس لاحد منهم من التصرف ماكان لنائب دمشق الا أن نيابة السلطنة بحلب تلى رتبة نيابة السلطنة بدمشق وقد اختلت الآن الرسوم واتضعت الرتب وتلاشت الاحوال وعادت اسماء لا معنى لها وخيالات حاصلها عدم والله يفعل ما يشاء

(ذكر جيوش الدولة التركية وزيها وعوايدها)

اعلم انه قدكان بقلعة الجبل مكان معد لديوان الجيش وأدركت منه بقية الى أثناء دولة الظاهر برقوق وكان ناظر الجيش وسائر كتاب الجيش لايبرحون في أيام الخدمة نهارهم مقيمين بديوان الجيش وكانت لهذا الديوان عوايد قد تغير أكثرها ونسى غالب رسومه وكانت جيوش الدولة التركية بديار مصر على قسمين منهم من هو بحضرة السلطان ومنهم من هو فى أقطار المملكة وبلادها وسكان بادية كالعرب والتركمان وجندها مختلط من أتراك وجركس وروم وأكراد وتركمان وغالبهم من المماليك المبتاعين وهم طبقات أكابرهم من له امرة مائة فارس وتقدمة ألف فارس ومن هذا القبيل تكون أكابر النواب وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين ثم أمراء الطبلخاناه ومعظمهم من تكون له امرة أربعين فارسا وقد يوجد فيهم من له أزيد من ذلك الى السبعين ولاتكون الطبلخاناه لاقل من أربعين ثم أمراء العشراوات ممن تكون له امرة عشرة وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولايعدون فى أمراء العشراوات ثم جند الحلقة وهؤلاء تكون مناشيرهم من السلطان كما أن مناشير الامراء من السلطان وأما أجناد الامراء فمناشيرهم من أمرائهم وكان منشور الامير يعين فيه للامير ثلث الاقطاع ولاجناده الثلثان فلا يمكن الامير ولا مباشروه أن يشاركوا أحدا من الاجناد فيما يخصهم الا برضاهم وكان الامير لايخرج أحداً من أجناده حتى يتبين للنائب موجب يقتضي اخراجه فحينئذ يخرجه نائب السلطان ويقيم عند الامير عوضه وكان لكل أربعين جندياً من جند الحلقة مقدم عليهم ليس له عليهم حكم الا اذا خرج العسكر لقتال فكانت مواقف الاربعين مع مقدمهم وترتيبهم في موقفهم اليه ويبلغ بمصر اقطاع بعض أكابر أمراء المئين المقدمين من السلطان مائتي ألف دينار جيشية وربما زاد على ذلك وأما

غيرهم فدون ذلك يعبر أقاها الى ثمانين ألف دينار وما حولها وأما الطبلخاناه فمن ثلاثين ألف دينار الى ثلاثة وعشرين ألف دينار وأما العشراوات فأعلاها سبعة آلاف دينار الى مادونها وأما اقطاعات أجناد الحلقة فأعلاها ألف وخمسمائة دينار وهذا القدر وما حوله اقطاعات أعيان مقدمى الحلقة ثم بعد ذلك الاجناد بابات حتى يكون أدناهم مائتين وخمسين دينارا وسيرد تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى . وأما اقطاعات جند الامراء فانها على ما يراه الامير من زيادة بينهم ونقص . وأما اقطاعات الشام فانها لا تقارب هذا بل تكون على الثلثين مما ذكرنا ما خلا نائب السلطنة بدمشق فانه يقارب اقطاعه أعلى اقطاعات أكابر أمراء مصر المقربين وجميع جند الامراء تعرض بديوان الجيش ويثبت اسم الجندي وحليته ولا يستبدل أميره به غيره الا بتنزيل من عوض به وعرضه وكانت للامراء على السلطان فى كل سنة ملابس ينعم بها عليهم ولهم فى ذلك حظ وافر وينعم على أمراء المئين بخيول مسرجة ملجمة ومن عداهم بخيول عرى ويميز خاصتهم على عامتهم وكان لجميع الامراء من المئين والطبلخاناه والعشراوات على السلطان الرواتب الجارية فى كل يوم من اللحم وتوابله كلها والخبز والشعير لعليق الخيل والزيت ولبعضهم الشمع والسكر والكسوة في كل سنة وكذلك لجميع مماليك السلطان وذوى الوظائف من الجند وكانت العادة اذا نشأ لاحد الامراء ولد أطلق له دنانير ولحم وخبز وعليق حتي يتأهل للاقطاع فى جملة الحلقة ثم منهم من ينتقل الى امرة عشرة أو الى امرة طبلخاناه بحسب الحظ واتفق للاميرين طرنطاي وكتبغا أن كلا منهما زوج ولده بابنة الآخر وعمل لذلك المهم العظيم ثم سأل الامير طرنطاى وهو اذ ذاك نائب السلطان الامير بيلبك الايدمرى والامير طيبرس أن يسألا السلطان الملك المنصور قلاون في الانعام على ولده وولد الامير كتبغا باقطاعين فى الحلقة فقال لهما والله لورأيتهما في مصاف القتال يضربان بالسيف أوكانا في زحف قدامي أستقبح أن أعطى لهما اخبازا في الحلقة خشية أن يقال أعطى الصبيان الاخباز ولم يجب سؤالهما هذا وهم من قد عرفت لكن كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله اذا مات الجندى أعطى اقطاعه لولده فان كان صغيرا رتب معه من يلى أمره حتي يكبر فكان أجناده يقولون الاقطاعات أملا كنا يرثها اولادنا الولد عن الوالد فنحن نقاتل عليها وبه اقتدى كثير من ملوك مصر في ذلك وللامراء المقدمين حوائص ذهب فى وقت الركوب الى الميدان ولكل أمير من الخواص على السلطان مرتب من السكر والحلوى في شهر رمضان ولسائرهم الاضحية فى عيد الاضحى على مقادير رتبهم ، ولهم البرسيم لتربيع دوابهم ويكون في تلك المدة بدل العليق المرتب لهم وكانت الخيول السلطانية تفرق على الامراء مرتين في كل سنة مرة عند مايخرج السلطان الى مرابط خيوله في الربيع عند

اكتمال تربيتها ومرة عند لعبه بالاكرة في الميدان ولخاصة السلطان المقربين زيادة كثيرة من ذلك بحيث يصل الى بعضهم في السنة مائة فرس ويفرق السلطان أيضا الخيول على المماليك السلطانية في أوقات أخر وربما يعطى بعض مقدمي الحلقة ومن نفق له فرس من المماليك يحضر من لحمه والشهادة بأنه نفق فيعطى بدله ولخاصة السلطان المقربين انعام من الانعامات كالعقارات والابنية الضخمة التى ربما أنفق على بعضها زيادة على مائة ألف دينار ووقع هذا في الايام الناصرية مرارا كما ذكر عند ذكر الدور من هذا الكتاب ولهم أيضا كساوى القماش المنوع ولهم عند سفرهم الى الصيد وغيره العلوفات والانزال وكانت لهم آداب لايخلون بها منها انهم اذا دخلوا الى الخدمة بالايوان أو القصر وقف كل أمير في مكانه المعروف به ولا يجسر أحد منهم ولا من المماليك أن يحدث رفيقه فى الخدمة ولا بكلمة واحدة ولا يلتفت الى نحوه أيضاً ولا يجسر أحد منهم ولا من المماليك أن يجتمع بصاحبه فى نزهة ولا فى رمي النشاب ولا غير ذلك ومن بلغ السلطان عنه انه اجتمع بآخر نفاه أو قبض عليه واختلف زى الامراء والعساكر في الدولة التركية وقد بينا ما كان عليه زيهم حتي غيره الملك المنصور قلاون عند ذكر سوق الشرابشيين وصار زيهم اذا دخلوا الى الخدمة بالاقبية التترية والكلاوات فوقها ثم القباء الاسلامى فوقها وعليه تشد المنطقة والسيف ويتميز الامراء والمقدمون وأعيان الجند بلبس اقبية قصيرة الاكمام فوق ذلك وتكون اكمامها اقصر من القباء التحتانى بلا تفاوت كبير في قصر الكم والطول وعلى رؤسهم كلهم كلوتات صغار غالبها من الصوف الملطي الاحمر وتضرب ويلف فوقها عمائم صغار ثم زادوا في قدر الكلوتات وما يلف فوقها في أيام الامير يلبغا الخاصكي القائم بدولة الاشرف شعبان بن حسين وعرفت بالكلوتات الطرخانية وصاروا يسمون تلك الصغيرة ناصرية فلما كانت أيام الظاهر برقوق بالغوا في كبر الكلوتات وعملوا في شدتها عوجا وقيل لها كلوتات جركسية وهم على ذلك الى اليوم ومن زيهم لبس المهماز على الاخفاف ويعمل المنديل في الحياصة على الصولق من الجانب الايمن ومعظم حوائص المماليك فضة وفيهم من كان يعملها من الذهب وربما عملت باليشم وكانت حوائص امراء المئين الاكابر التى تخرج اليهم مع الخلع السلطانية من خزانة الخاص يرصع ذهبها بالجواهر وكان معظم العسكر يلبس الطرز ولا يكفت مهمازه بالذهب ولا يلبس الطراز الامن له اقطاع في الحلقة وأما من هو بالجامكية أو من اجناد الامراء فلا يكفت مهمازه بالذهب ولا يلبس طراز او كانت العساكر من الامراء وغيرهم تلبس المنوع من الكمخا والخطاى والكبخي والمخمل والاسكندرانى والشرب ومن النصافي والاصواف الملونة ثم بطل لبس الحرير فى أيام الظاهر برقوق واقتصروا الى اليوم على لبس الصوف الملون فى الشتاء ولبس النصافي المصقول فى الصيف وكانت العادة أن السلطان يتولي بنفسه استخدام الجند فاذا وقف

قدامه من يطلب الاقطاع المحلول ووقع اختياره على أحد أمر ناظر الجيش بالكتابة له فيكتب ورقة مختصرة تسمى المثال مضمونها خبز فلان كذا ثم يكتب فوقه اسم المستقر له ويناولها السلطان فيكتب عليها بخطه يكتب ويعطيها الحاجب لمن رسم له فيقبل الارض ثم يعاد المثال الى ديوان الجيش فيحفظ شاهدا عندهم ثم تكتب مربعة مكملة بخطوط جميع مباشرى ديوان الاقطاع وهم كتاب ديوان الجيش فيرسمون علاماتهم عليها ثم تحمل الى ديوان الانشاء والمكاتبات فيكتب المنشور ويعلم عليه السلطان كما تقدم ذكره ثم يكمل المنشور بخطوط كتاب ديوان الجيش بعد المقابلة على حجة أصله واستجد السلطان الملك المنصور قلاون طائفة سماها البحرية وهي أن البحرية الصالحية لما تشتتوا عند قتل الفارس اقطاى في أيام المعز أيبك بقيت أولادهم بمصر في حالة رذيلة فعند ماأفضت السلطنة الى قلاون جمعهم ورتب لهم الجوامك والعليق واللحم والكسوة ورسم أن يكونوا جالسين على باب القلعة وسماهم البحرية والى اليوم طائفة من الاجناد تعرف بالبحرية وأما البلاد الشامية فليس للنائب بالمملكة مدخل فى تأمير أمير عوض أمير مات بل اذا مات أمير سواء كان كبيرا أو صغيرا طولع السلطان بموته فأمر عوضه اما ممن فى حضرته ويخرجه الى مكان الخدمة أو ممن هو في مكان الخدمة أو ينقل من بلد آخر من يقع اختياره عليه وأما جند الحلقة فانهم اذا مات أحدهم استخدم النائب عوضه وكتب المثال على نحو من ترتيب السلطان ثم كتب المربعة وجهزها مع البريد الى حضرة السلطان فيقابل عليها فى ديوان الاقطاع ثم ان امضاها السلطان كتب عليها يكتب فتكتب المربعة من ديوان الاقطاع ثم يكتب عليها المنشور كما تقدم في الجند الذين بالحضرة وان لم يمضها السلطان أخرج الأقطاع لمن يريد ومن مات من الامراء والجند قبل استكمال مدة الخدمة حوسب ورثته على حكم الاستحقاق ثم اما يرتجع منهم أو يطلق لهم على قدر حصول العناية بهم واقطاعات الامراء والجند منها ماهو بلاد يستغلها مقطعها كيف شاء ومنها ماهو نقد على جهات يتناولها منها ولم يزل الحال علي ذلك حتي راك الملك الناصر محمد بن قلاون البلاد كما تقدم في أول هذا الكتاب عند الكلام على الخراج ومبلغه فأبطل عدة جهات من المكوس وصارت الاقطاعات كلها بلادا والذى استقر عليه الحال في اقطاعات الديار المصرية مما رتبه الملك الناصر محمد بن قلاون فى الروك الناصرى" وهو عدة الجيوش المنصورة بالديار المصرية أربعة وعشرون ألف فارس تفصيل ذلك أمراء الالوف ومماليكهم ألفان وأربعمائة وأربعة وعشرون فارسا تفصيل ذلك نائب ووزير والوف خاصكية ثمانية أمراء وألوف خرجية أربعة عشر أميرا ومماليكهم ألفان وأربعمائة فارس * أمراء طبلخاناه ومماليكهم ثمانية آلاف ومائتا فارس تفصيل ذلك خاصكية أربعة وخمسون اميرا وخرجية مائة وستة وأربعون أميرا ومماليكهم ثمانية آلاف فارس *

كشاف وولاة بالاقاليم خمسمائة وأربعة وسبعون. تفصيل ذلك ثغر الاسكندرية واحد والبحيرة واحد . والغربية واحد . والشرقية واحد . والمنوفية واحد. وقطيا واحد. وكاشف الجيزة واحد. والفيوم واحد .والبهنسا واحد. والاشمونين واحد. وقوص واحد .واسوان واحد. وكاشف الوجه البحرى واحد. وكاشف الوجه القبلى واحد . ومماليكهم خمسمائة وستون * أمراء العشراوات ومماليكهم ألفان ومائتا فارس. تفصيل ذلك خاصكية ثلاثون . وخرجية مائة وسبعون أميرا ومماليكهم ألفان * ولاة الاقاليم سبعة وسبعون اميرا . تفصيلهم اشمون الرمان واحد وقليوب واحد .والجيزة واحد. وتروجا واحد. وحاجب الاسكندرية واحد .واطفيح واحد ومنفلوط واحد . ومماليكهم سبعون فارسا * .مقدمو الحلقة والاجناد أحد عشر ألفا ومائة وستة وسبعون فارسا .تفصيل ذلك مقدمو المماليك السلطانية أربعون . مقدموا الحلقة مائة وثمانون نقباء الالوف أربعة وعشرون نقيبا . مماليك السلطان وأجناد الحلقة عشرة آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا . تفصيل ذلك مماليك السلطان ألفا مملوك. أجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا * عبرة ذلك الخاصكية الالوف والنائب والوزير كل منهم مائة ألف دينار وكل دينار عشرة دراهم. الارتفاع ألف ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال كل أردب واحد من القمح بعشرين درهما. والحبوب كل أردب منها بعشرة دراهم من ذلك الكلف مائة ألف درهم والخالص تسعمائة ألف درهم * الالوف الخرجية كل منهم خمسة وثمانون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم .الارتفاع ثمانمائة ألف وخمسون ألفا بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح فيه .من ذلك الكلف سبعون ألف درهم والخالص لكل منهم سبعمائة وثمانون ألف درهم * الطبلخاناه الخاصكية كل منهم أربعون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم. الارتفاع أربعمائة ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح فيه. من ذلك الكلف خمسة وثلاثون ألف درهم والخالص لكل منهم ثلثمائة وخمسة وستون ألف درهم * الطبلخاناه الخرجية ثلاثون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم . الارتفاع مائتا ألف وأربعون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح من ذلك. الكلف أربعة وعشرون ألف درهم والخالص مائتا ألف وستة عشر ألف درهم * العشراوات الخاصكية كل منهم عشرة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم. الارتفاع مائتا ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح. من ذلك الكلف سبعة آلاف درهم والخالص لكل منهم ثلاثة وتسعون ألف درهم * العشراوات الخرجية كل منهم سبعة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم. الارتفاع سبعون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح . من ذلك الكلف خمسة آلاف درهم لكل منهم خمسة وستون ألف درهم * الكشاف لكل منهم عشرون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم .الارتفاع مائة ألف وستون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح

من ذلك الكلفة خمسة عشر ألف درهم والخالص مائة ألف وخمسة وأربعون ألف درهم* الولاة الاصطبلخاناه كل منهم خمسة عشر ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم . الارتفاع مائة وعشرون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح . من ذلك الكلف عشرة آلاف درهم والخالص لكل منهم مائة ألف وعشرة آلاف درهم * الولاة المشراوات لكل منهم خمسة آلاف دينار كل دينار سبعة دراهم . الارتفاع خمسة وثلاثون ألف درهم بما فيه من ثمن المغل علي ماشرح . من ذلك الكلف ثلاثة آلاف درهم والخالص لكل منهم اثنان وثلاثون ألف درهم * مقدمو مماليك السلطان كل منهم ألف ومائتا دينار كل دينار عشرة دراهم . الارتفاع اثنا عشر ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح . من ذلك الكلف ألف درهم والخالص لكل منهم أحد عشر ألف درهم * مقدمو الحلقة كل منهم ألف دينار كل دينار تسعة دراهم . الارتفاع تسعة آلاف درهم بما فيه من ثمن الغلال . من ذلك الكلف تسعمائة درهم والخالص لكل منهم ثمانية آلاف درهم ومائة درهم * نقباء الالوف لكل منهم أربعمائة دينار كل دينار تسعة دراهم . الارتفاع ثلاثة آلاف وستمائة درهم بما فيه من ثمن الغلال . من ذلك الكلف أربعمائة درهم والخالص لكل منهم ثلاثة آلاف ومائتا درهم *مماليك السلطان ألفان * بابة أربعمائة مملوك لكل منهم ألف وخمسمائة دينار كل دينار عشرة دراهم عنها خمسة عشر ألف درهم * بابة خمسمائة مملوك كل واحد ألف وثلثمائة دينار سعره عشرة دراهم عنها ثلاثة عشر ألف درهم * بابة خمسمائة مملوك لكل منهم ألف دينار ومائتا دينار عنها اثنا عشر ألف درهم * بابة ستمائة مملوك لكل واحد ألف دينار عنها عشرة آلاف درهم * أجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا * بابة ألف وخمسمائة فارس لكل منهم تسعمائة دينار بتسعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا لكل منهم ثمانمائة دينار بثمانية آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا كل منهم سبعمائة دينار عنها سبعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة جندى لكل منهم ستمائة دينار بستة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة كل منهم بخمسمائة دينار بخمسة آلاف درهم * بابة ألف ومائة جندى لكل منهم أربعمائة دينار بأربعة آلاف درهم * بابة ألف واثنين وثلاثين جنديا لكل منهم ثلثمائة دينار سعر عشرة دراهم عنها ثلاثة آلاف درهم * وأرباب الوظائف من الامراء بعد النيابة والوزارة أمير سلاح والدوادار والحجبة وأمير جاندار والاستادار والمهمندار ونقيب الجيوش والولاة * فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاون حدث بين أجناد الحلقة نزول الواحد منهم عن اقطاعه لآخر بمال أو مقايضة الاقطاعات بغيرها فكثر الدخيل فى الاجناد بذلك واشترت السوقة والاراذل الاقطاعات حتى صار في زمننا أجناد الحلقة اكثرهم اصحاب حرف وصناعات وخربت منهم أراضي اقطاعاتهم *

وأول ماحدث ذلك أن السلطان الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاون لما تسلطن في شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة تمكن منه الامير شجاع الدين اغرلو شاد الدواوين واستجد أشياء منها المقايضة بالاقطاعات في الحلقة والنزول عنها فكان من أراد مقايضة أحد باقطاعه حمل كل منهما مالا لبيت المال يقرر عليهما ومن اختار حيزا بالحلقة يزن على قدر عبرته في السنة دنانير يحملها لبيت المال فان كانت عبرة الحيز الذي يريده خمسمائة دينار في السنة حمل خمسمائة دينار ومن أراد النزول عن اقطاعه حمل مالا لبيت المال بحسب مايقرر عليه اغرلو وأفرد لذلك ولما يؤخذ من طالبي الوظائف والولايات ديوانا سماه ديوان البدل وكان يعين في المنشور الذى يخرج بالمقايضة المبلغ الذى يقوم به كل من الجنديين وكان ابتداء هذا في جمادى الاولى من السنة المذكورة فقام الامراء في ذلك مع السلطان حتى رسم بابطاله فلما ولى الامير منجك اليوسفى الوزارة وسيره في المال فتح في سنة تسع وأربعين باب النزول والمقايضات فكان الجندى يبيع اقطاعه لكل من بذل له فيه مالا فأخذ كثير من العامة الاقطاعات فكان يبذل في الاقطاع مبلغ عشرين ألف درهم واقل منه على قدر متحصله وللوزير رسم معلوم ثم منع من ذلك فلما كانت نيابة الامير سيف الدين قيلاى في سنة ثلاث وخمسين مشى أحوال الاجناد في المقايضات والنزولات فاشترى الاقطاعات الباعة وأصحاب الصنائع وبيعت تقادم الحلقة وانتدب لذلك جماعة عرفت بالمهيسين بلغت عدتهم نحو الثلثمائة مهيس وصاروا يطوفون على الاجناد ويرغبونهم في النزول عن اقطاعاتهم او المقايضة بها وجعلوا لهم على كل ألف درهم مائة درهم فلما فحش الامر أبطل الامير شيخون العمرى النزولات والمقايضات عند ما استقر رأس نوبة واستقل بتدبير أمور الدولة وتقدم لمباشرى ديوان الجيش أن لا يأخذوا رسم المنشور والمحاسبة سوى ثلاثة دراهم بعد ما كانوا يأخذون عشرين درهما

(ذكر الحجبة)

وكانت رتبة الحجبة في الدولة التركية جليلة وكانت تلى رتبة نيابة السلطنة ويقال لاكبر الحجبة حاجب الحجاب وموضوع الحجبة أن متوليها ينصف من الامراء والجند تارة بنفسه وتارة بمشاورة السلطان وتارة بمشاورة النائب وكان اليه تقديم من يعرض ومن يرد وعرض الجند فان لم يكن نائب السلطنة فانه هو المشار اليه في الباب والقائم مقام النواب في كثير من الامور وكان حكم الحاجب لا يتعدى النظر في مخاصمات الاجناد واختلافهم في أمور الاقطاعات ونحو ذلك ولم يكن أحد من الحجاب فيما سلف يتعرض للحكم في شيء من الامور الشرعية كتداعى الزوجين وأرباب الديون وانما يرجع ذلك الى قضاة الشرع ولقد عهدنا دائما أن الواحد من الكتاب أو الضمان ونحوهم يفر من باب الحاجب ويصير الى باب أحد القضاة

ويستجير بحكم الشرع فلا يطمع أحد بعد ذلك في أخذه من باب القاضي وكان فيهم من يقيم الاشهر والاعوام في ترسيم القاضي حماية له من أيدي الحجاب ثم تغير ماهنا لك وصار الحاجب اليوم اسما لعدة جماعة من الامراء ينتصبون للحكم بين الناس لالغرض الا لتضمين أبوابهم بمال مقرر في كل يوم على رأس نوبة النقباء وفيهم غير واحد ليس لهم على الامرة اقطاع وانما يرتزقون من مظالم العباد وصار الحاجب اليوم يحكم في كل جليل وحقير من الناس سواء كان الحكم شرعيا أو سياسياً بزعمهم وان تعرض قاض من قضاة الشرع لاخذ غريم من باب الحاجب لم يمكن من ذلك ونقيب الحاجب اليوم مع رذالة الحاجب وسفالته وتظاهره من المنكر بما لم يكن يعهد مثله يتظاهر به أطراف السوقة فانه يأخذ الغريم من باب القاضي ويحكم فيه من الضرب وأخذ المال بما يختار فلا ينكر ذلك أحد البتة وكانت أحكام الحجاب أولا يقال لها حكم السياسة وهي لفظة شيطانية لايعرف أكثر أهل زمننا اليوم اصلها ويتساهلون في التلفظ بها ويقولون هذا الامر مما لايمشي في الاحكام الشرعية وانما هو من حكم السياسة ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وسأبين معنى ذلك وهو فصل عزيز

* (ذكر أحكام السياسة) *

اعلم أن الناس في زمننا بل ومنذ عهد الدولة التركية بديار مصر والشام يرون أن الاحكام على قسمين حكم الشرع وحكم السياسة ولهذه الجملة شرح فالشريعة هي ماشرع الله تعالى من الدين وأمر به كالصلاة والصيام والحج وسائر أعمال البر واشتق الشرع من شاطئ البحر وذلك أن الموضع الذي على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب وتسميه العرب الشريعة فيقولون للابل اذا وردت شريعة الماء وشربت قد شرع فلان ابله وشرعها بتشديد الراء اذا أوردها شريعة الماء والشريعة والشراع والشرعة المواضع التي يحدر الماء فيها ويقال شرع الدين يشرعه شرعاً بمعنى سنه قال الله تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ويقال ساس الامر سياسة بمعنى قام به وهوسائس من قوم ساسة وسوس وسوسه القوم جعلوه يسوسهم والسوس الطبع والخلق فيقال الفصاحة من سوسه والكرم من سوسه أي من طبعه فهذا أصل وضع السياسة في اللغة ثم رسمت بأنها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الاحوال * والسياسة نوعان سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهي من الاحكام الشرعية علمها من علمها وجهلها من جهلها وقد صنف الناس في السياسة الشرعية كتبا متعددة. والنوع الآخر سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها وليس مايقوله أهل زماننا في شئ من هذا وانما هي كلمة مغلية أصلها ياسه فحرفها أهل مصر وزادوا بأولها سينا فقالوا سياسة وأدخلوا عليها الالف واللام فظن من لاعلم عنده أنها كلمة عربية وما الامر فيها الا ماقلت لك. واسمع الآن

كيف نشأت هذه الكلمة حتي انتشرت بمصر والشام وذلك أن جنكزخان القائم بدولة التتر في بلاد الشرق لما غلب الملك أونك خان وصارت له دولة قرر قواعد وعقوبات اثبتها في كتاب سماه ياسه ومن الناس من يسميه يسق والاصل في اسمه ياسه ولما تمم وضعه كتب ذلك نقشاً في صفائح الفولاذ وجعله شريعة لقومه فالتزموه بعده حتى قطع الله دابرهم وكان جنكزخان لايتدين بشيء من أديان أهل الارض كما تعرف هذا ان كنت اشرفت على أخباره فصار الياسه حكماً بتاً بقي في أعقابه لايخرجون عن شيء من حكمه * وأخبرني العبد الصالح الداعي الى الله تعالى أبو هاشم أحمد بن البرهان رحمه الله انه رأي نسخة من الياسه بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد ومن جملة ماشرعه جنكزخان في الياسه أن من زني قتل ولم يفرق بين المحصن وغير المحصن ومن لاط قتل ومن تعمد الكذب أوسحر أو تجسس على أحد أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل ومن بال في الماء أو على الرماد قتل ومن اعطى بضاعة فخسر فيها فانه يقتل بعد الثالثة ومن أطعم أسير قوم أو كساه بغير اذنهم قتل ومن وجد عبداً هارباً أو أسيرا قد هرب ولم يرده على من كان في يده قتل وأن الحيوان تكتف قوائمه ويشق بطنه ويمرس قلبه الى أن يموت ثم يؤكل لحمه وأن من ذبح حيواناً كذبيحة المسلمين ذبح ومن وقع حمله أو قوسه أو شيء من متاعه وهو يكر أو يفر في حالة القتال وكان وراءه أحد فانه ينزل ويناول صاحبه ماسقط منه فان لم ينزل ولم يناوله قتل وشرط أن لايكون على أحد من ولد على ابن أبي طالب رضى الله عنه مؤنة ولا كلفة وأن لايكون على أحد من الفقراء ولا القراء ولا الفقهاء ولا الاطباء ولا من عداهم من أرباب العلوم وأصحاب العبادة والزهد والمؤذنين ومغسلى الاموات كلفة ولامؤنة وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى وجعل ذلك كله قربة الي الله تعالى وألزم قومه أن لا يأكل أحد من يد أحد حتي يأكل المناول منه أولا ولو أنه أمير ومن يناوله اسير وألزمهم أن لا يتخصص أحد بأكل شيء وغيره يراه بل يشركه معه في أكله وألزمهم أن لا يتميز احد منهم بالشبع على أصحابه ولا يتخطي أحد نارا ولا مائدة ولا الطبق الذى يؤكل عليه وأن من مر بقوم وهم يأكلون فله أن ينزل ويأكل معهم من غير اذنهم وليس لاحد منعه وألزمهم أن لا يدخل أحد منهم يده فى الماء ولكنه يتناول الماء بشئ يغترفه به ومنعهم من غسل ثيابهم بل يلبسونها حتي تبلي ومنع أن يقال لشئ انه نجس وقال جميع الاشياء طاهرة ولم يفرق بين طاهر ونجس وألزمهم أن لايتعصبوا لشئ من المذاهب ومنعهم من تفخيم الالفاظ ووضع الالقاب وانما يخاطب السلطان ومن دونه ويدعى باسمه فقط وألزم القائم بعده بعرض العساكر وأسلحتها اذا أرادوا الخروج الى القتال وانه يعرض كل ماسافر به عسكره وينظر

حتى الابرة والخيط فمن وجده قد قصر في شئ مما يحتاج اليه عند عرضه اياه عاقبه وألزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من السخر والكلف في مدة غيبتهم فى القتال وجعل على العساكر اذا قدمت من القتال كلفة يقومون بها للسلطان ويؤدونها اليه وألزمهم عند رأس كل سنة بعرض سائر بناتهم الابكار على السلطان ليختار منهن لنفسه وأولاده ورتب لعساكره أمراء وجعلهم أمراء ألوف وأمراء مئين وأمراء عشراوات وشرع أن أكبر الامراء اذا أذنب وبعث اليه الملك أخس من عنده حتي يعاقبه فانه يلقى نفسه الى الارض بين يدى الرسول وهو ذليل خاضع حتي يمضى فيه ما أمر به الملك من العقوبة ولو كانت بذهاب نفسه وألزمهم أن لايتردد الامراء لغير الملك فمن تردد منهم لغير الملك قتل ومن تغير عن موضعه الذي يرسم له بغير اذن قتل وألزم السلطان باقامة البريد حتى يعرف أخبار مملكته بسرعة وجعل حكم الياسه لولده جقتاى بن جنكزخان فلما مات التزم من بعده من أولاده وأتباعهم حكم الياسه كالتزام أول المسلمين حكم القرآن وجعلوا ذلك ديناً لم يعرف عن أحد منهم مخالفته بوجه فلما كثرت وقائع التتر في بلاد المشرق والشمال وبلاد القبجاق وأسروا كثيراً منهم وباعوهم تنقلوا في الاقطار واشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم سماهم البحرية ومنهم من ملك ديار مصر وأولهم المعز أيبك ثم كانت لقطز معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت وهزم التتار وأسر منهم خلقاً كثيرا صاروا بمصر والشام ثم كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بيبرس وملؤا مصر والشام وخطب للملك بركة بن يوشى بن جنكزخان على منابر مصر والشام والحرمين فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغل وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم هذا وملوك مصر وأمراؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعباً من جنكزخان وبنيه وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم وكانوا انما ربوا بدار الاسلام ولقنوا القرآن وعرفوا أحكام الملة المحمدية فجمعوا بين الحق والباطل وضموا الجيد الى الردىء وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالامور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج وناطوا به أمر الاوقاف والايتام وجعلوا اليه النظر فى الاقضية الشرعية كتداعى الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك واحتاجوا في ذات أنفسهم الى الرجوع لعادة جنكزخان والاقتداء بحكم الياسه فلذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوايدهم والاخذ على يد قويهم وانصاف الضعيف منه على مقتضى مافي الياسه وجعلوا اليه مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية عند الاختلاف في أمور الاقطاعات لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب وكانت من أجل القواعد وأفضلها حتى تحكم القبط في الاموال وخراج الاراضي فشرعوا في الديوان مالم يأذن به الله تعالى ليصير لهم ذلك سبيلا الى أكل مال الله تعالى بغير حقه وكان مع ذلك يحتاج

الحاجب الى مراجعة النائب أو السلطان في معظم الامور هذا وستر الحياء يومئذ مسدول وظل العدل صاف وجناب الشريعة محترم وناموس الحشمة مهاب فلا يكاد أحد أن يزيغ عن الحق ولايخرج عن قضية الحياء ان لم يكن له وازع من دين كان له ناه من عقل ثم تقلص ظل العدل وسفرت أوجه الفجور وكشر الجور أنيابه وقلت المبالاة وذهب الحياء والحشمة من الناس حتى فعل من شاء ما شاء وتعدت منذ عهد المحن التي كانت في سنة ست وثمانمائة الحجاب وهتكوا الحرمة وتحكموا بالجور تحكما خفي معـه نور الهدى وتسلطوا على الناس مقتاً من الله لاهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت أيديهم ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون * وكان أول ما حكم الحجاب في الدولة التركية بين الناس بمصر أن السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاون استدعى الامير شمس الدين آق سنقر الناصرى نائب طرابلس ليوليـه نيابة السلطنة بديار مصر عوضاً عن الامير سيف الدين بيغوا أميراً حاجباً كبيرا يحكم بين الناس فخلع عليه فى جمادى الاولى سنة ست وأربعين وسبعمائة فحـكم بين الناس كما كان نائب السلطنة يحكم وجلس بين يديه موقعان من موقعى السلطان لمكاتبة الولاة بالاعمال ونحوهم فاستمر ذلك ثم رسم في جمادى الآخرة منها أن يكون الامير رسلان بصل حاجباً مع بيغوا يحكم بالقاهرة على عادة الحجاب فلما انقضت دولة الكامل بأخيـه الملك المظفر حاجى بن محمد استقر الامير سيف الدين ارقطاى نائب السلطنة فعاد أمر الحجاب الى العـادة القديمة الى أن كانت ولاية الامير سيف الدين جرجي الحجابة فى أيام السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاون فرسم له أن يتحدث في أرباب الديون ويفصلهم من غرمائهم بأحكام السياسة ولم تكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا فى الامور الشرعية وكان سبب ذلك وقوف تجار العجم للسلطان بدار العدل في أثناء سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وذكروا أنهم ماخرجوا من بلادهم الا لـكثرة ما ظلمهم التتار وجاروا عليهم وأن التجار بالقاهرة اشتروا منهم عدة بضائع وأكلوا أثمانها ثم هم يثبتون على يد القاضي الحنفى اعسارهم وهم في سجنه وقد أفلس بعضهم فرسم للامير جرجي باخراج غرمائهم من السجن وخلاص مافي قبلهم للتجار وأنكر على قاضي القضاة جمال الدين عبد الله التركماني الحنفى ماعمله ومنع من التحدث في أمر التجار والمدينين فأخرج جرجي غرماء التجار من السجن وعاقبهم حتى أخذ للتجار أموالهم منهم شيئاً بعد شئ وتمـكن الحجاب من حينئذ من التحكم على الناس بما شاؤا *(أمير جاندار) موضوع أمير جاندار التسلم لباب السلطان ولرتبة البرددارية وطوائف الركابية والحرامانية والجنادرية وهو الذى يقدم البريد اذا قدم مع الدوادار وكاتب السر واذا أراد السلطان تقرير أحد من الامراء على شئ أو قتله بذنب كان ذلك على يد أمير جاندار وهو أيضاً المتسلم للزردخاناه وكانت أرفع السجون قدرا

ومن اعتقل بها لا تطول مدته بها بل يقتــل أو يخلي سبيله وهو الذى يدور بالزفة حول السلطان فى سفره مساء وصباحا *(الاستادار) اليه أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وهو الذى كان يمشى بطلب السلطان في السرحات والاسفار وله الحكم فى غلمان السلطان وباب داره واليه أمور الجاشنكيرية وان كان كبيرهم نظيره في الامرة من ذوى المئين وله أيضا الحديث المطلق والتصرف التام في استدعاء مايحتاجه كل من في بيت من بيوت السلطان من النفقات والـكساوى ومايجري مجرى ذلك ولم تزل رتبـة الاستادار على ذلك حتي كانت ايام الظاهر برقوق فأقام الامير جمال الدين محمود بن على ابن أصفر عينه استادارا وناط به تدبير أموال المملكة فتصرف في جميع مايرجع الى أمر الوزير وناظر الخاص وصارا يترددان الى بابه ويمضيان الامور برأيه فجلت من حينئذ رتبة الاستادار بحيث انه صار فى معني ما كان فيـه الوزير فى أيام الخلفاء سيما اذا اعتبرت حال الاميرجمال الدين يوسف الاستادار في أيام الناصر فرج بن برقوق كما ذكرناه عند ذكر المدارس من هذا الكتاب فانك تجده انما كان كالوزير العظيم لعموم تصرفه ونفوذ أمره فى سائر احوال المملكة واستقر ذلك لمن ولى الاستادارية من بعده والامر على هـذا الى اليوم *(أمير سلاح)هذا الامير هومقدم السلاحدارية والمتولى لحمل سلاح السلطان فى المجامع الجامعة وهو المتحدث في السلاح خاناه ومايستعمل بهاومايقدم اليها ويطلق منها وهو أبدا من أمراء المئين *(الدوادار) ومن عادة الدولة أن يكون بهامن أمرائها من يقال له الدوادار وموضوعه لتبليغ الرسائل عن السلطان وابلاغ عامة الامور وتقديم القصص الى السلطان والمشاورة علي من يحضر الي الباب وتقديم البريد هو وأمير جاندار وكاتب السر وهو الذى يقدم الى السلطان كل ماتؤخذ عليه العلامة السلطانية في المناشير والتواقيع والـكتب وكان يخرج عن السلطان بمرسوم ممـا يكتب فيعين رسـالته فى المرسوم واختلفت آراء ملوك الترك في الدوادار فتارة كان من امراء العشراوات والطبلخاناه وتارة كان من امراء الالوف فلمـا كانت أيام الاشرف شعبـان بن حسين بن محمد بن قلاون ولى الامير اقتمر الحنبلى وظيفة الدوادارية وكان عظيما فى الدولة فصار يخرج المراسيم السلطانية بغير مشاورة كما يخرج نائب السلطنة ويعين في المرسوم اذ ذاك انه كتب برسالته ثم نقل الى نيابة السلطنة وأقام الاشرف عوضه الامير طاش تمر الدوادار وجعله من اكبر أمراء الالوف فاقتدى به الملك الظاهر برقوق وجعل الامير يونس الدوادار من اكبر امراء الالوف فعظمت منزلته وقويت مهابته ثم لما عادت الدولة الظاهرية بعد زوالها ولى الدوادارية الامير بوطا فتحكم تحكما زائدا عن المعهود في الدوادارية وتصرف كتصرف النواب وولى وعزل وحكم في القضايا المعضلة فصار ذلك من بعده عادة لمن ولى الدوادارية سيما لما ولى الامير يشبك والامير حكم الدوادارية في أيام

الناصر فرج فانهما تحكما فى جليل أمور الدولة وحقيرها من المال والبريد والاحكام والعزل والولاية وما برح الحال على هذا فى الايام الناصرية وكذلك الحال فى الايام المؤيدية يقارب ذلك *(نقابة الجيوش) هذه الرتبة كانت في الدولة التركية من الرتب الجليلة ويكون متوليها كأحد الحجاب الصغار وله تحلية الجند فى عرضهم ومعه يمشى النقباء فاذا طلب السلطان أو النائب أو حاجب الحجاب أميراً أو جنديا كان هو المخاطب في الارسال اليه وهو الملزوم باحضاره واذا أمر أحد منهم بالترسيم على أمير أو جندى كان نقيب الجيش هو الذى يرسم عليه وكان من رسمه انه هو الذى يمشى بالحراسة السلطانية في الموكب حالة السرحة وفى مدة السفر ثم انحطت اليوم هذه الرتبة وصار نقيب الجيش عبارة عن كبير من النقباء المعدين لترويع خلق الله تعالى وأخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر عند طلب أحد الى باب الحاجب ويضيفون الى أكلهم أموال الناس بالباطل افتراءهم على الله تعالى بالكذب فيقولون على المال الذى يأخذونه باطلا هذا حق الطريق والويل لمن نازعهم في ذلك وهم أحد أسباب خراب الاقليم كما بين في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الاسباب التي أوجبت خراب الاقليم * (الولاية) وهى التى يسميها السلف الشرطة وبعضهم يقول صاحب العسس والعسس الطواف بالليل لتتبع أهل الريب يقول عس يعس عسا وعسسا وأول من عس بالليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه امره أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعس المدينة ٠ خرج ابو داود عن الاعمش عن زيد قال اتى عبد الله بن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله رضى الله عنه انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شئ نأخذ به ٠ وذكر الثعلبى عن زيد بن وهب انه قال قيل لابن مسعود رضى الله عنه هل لك فى الوليد بن عتبة تقطر لحيته خمرا فقال انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شئ نأخذ به وكان عمر رضى الله عنه يتولى فى خلافته العسس بنفسه ومعه مولاه أسلم رضى الله عنه وكان ربما استصحب معه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه * (قاعة الصاحب) وكانت وظيفة الوزارة اجلّ رتب أرباب الاقلام لان متوليها ثانى السلطان اذا أنصف وعرف حقه الا أن ملوك الدولة التركية قدّموا رتبة النيابة على الوزارة فتأخرت الوزارة حتى قعد بها مكانها ووليها في الدولة التركية أناس من أرباب السيوف وأناس من أرباب الاقلام فصار الوزير اذا كان من أرباب الاقلام يطلق عليه اسم الصاحب بخلاف ماذا كان من أرباب السيوف فانه لايقال له الصاحب وأصل هذه الكلمة في اطلاقها على الوزير أن الوزير اسماعيل بن عباد كان يصحب مؤيد الدولة أبا منصور بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمى صاحب بلاد الرى وكان مؤيد الدولة شديد الميل اليه والمحبة له فسماه الصاحب وكان الوزير حينئذ أبو الفتح على بن العميد يعاديه لشدة تمكنه من مؤيد الدولة فتلقب الوزراء بعد ابن عباد

بالصاحب ولا أعلم أحدا من وزراء خلفاء بني العباس ولا وزراء الخلفاء الفاطميين قيل له الصاحب وقد جمعت فى وزراء الاسلام كتابا جليل القدر وأفردت وزراء مصر فى تصنيف بديع والذى أعرف أن الوزير صفى الدين عبد الله بن شكر وزير العادل والكامل من ملوك مصر من بنى أيوب كان يقال له الصاحب وكذلك من بعده من وزراء مصر الى اليوم وكان وضع الوزير أنه اقيم لنفاذ كلمة السلطان وتمام تصرفه غير أنها انحطت عن ذلك بنيابة السلطنة ثم انقسم ما كان للوزير الى ثلاثة هم الناظر فى المال وناظر الخاص وكاتب السر فانه يوقع فى دار العدل ما كان يوقع فيه الوزير بمشاورة واستقلال ثم تلاشت الوزارة فى أيام الظاهر برقوق بما أحدثه من الديوان المفرد وذلك انه لما ولى السلطنة أفرد اقطاعه لما كان أميرا قبل سلطنته وجعل له ديوانا سماه الديوان المفرد وأقام فيه ناظرا وشاهدين وكتابا وجعل مرجع هذا الديوان الى الاستادار وصرف ما يتحصل منه في جوامك مماليك استجدها شيئاً بعد شئ حتى بلغت خمسة آلاف مملوك وأضاف الى هذا الديوان كثيرا من أعمال الديار المصرية وبذلك قوى جانب الاستادار وضعفت الوزارة حتي صار الوزير قصارى نظره التحدث في امر المكوس فيستخرجها من جهاتها ويصرفها فى ثمن اللحم وحوايج المطبخ وغير ذلك ولقد كان الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى يقول الوزارة اليوم عبارة عن حوايج كاش عفش يشترى اللحم والحطب وحوايج الطعام وناظر الخاص غلام صلف يشترى الحرير والصوف والنصافى والسنجاب وأما ما كان للوزراء ونظار الخاص فى القديم فقد بطل ولقد صدق فيما قال فان الامر على هذا وما رأينا الوزارة من بعد انحطاط رتبتها يرتفع قدر متوليها الا اذا اضيفت الى الاستادارية كما وقع للامير جمال الدين يوسف الاستادار والامير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج وأما من ولى الوزارة بمفردها سيما من أرباب الأقلام فانما هو كاتب كبير يتردد ليلا ونهارا الى باب الاستادار ويتصرف بأمره ونهيه وحقيقة الوزارة اليوم انها انقسمت بين أربعة وهم كاتب السر والاستادار وناظر الخاص والوزير فأخذ كاتب السر من الوزارة التوقيع على القصص بالولايات والعزل ونحو ذلك في دار العدل وفى داره وأخذ الاستادار التصرف فى نواحي أرض مصر والتحدث فى الدواوين السلطانية وفى كشف الاقاليم وولاة النواحي وفي كثير من أمور أرباب الوظائف وأخذ ناظر الخاص جانباً كبيرا من الاموال الديوانية السلطانية ليصرفها فى تعلقات الخزانة السلطانية وبقى للوزير شئ يسير جداً من النواحي والتحدث فى المكوس وبعض الدواوين ومصارف المطبخ السلطانى والدواوين وأشياء أخر واليه مرجع ناظر الدولة وشاد الدواوين وناظر بيت المال وناظر الاهراء ومستوفى الدولة وناظر الجهات وأما ناظر البيوت وناظر الاصطبلات فان أمرهما يرجع الى غيره والله أعلم * (نظر الدولة) هذه الوظيفة يقال لمتوليها ناظر النظار

ويقال له ناظر المال وهو يعرف اليوم بناظر الدولة وتلى رتبته رتبة الوزارة فاذا غاب الوزير أو تعطلت الوزارة من وزير قام ناظر الدولة بتدبير الدولة وتقدم الى شاد الدواوين بتحصيل الاموال وصرفها في النفقات والكلف واقتصر الملك الناصر محمد بن قلاون على ناظر الدولة مدة أعوام من غير تولية وزير ومشى أمور الدولة على ذلك حتى مات ولا بد أن يكون مع ناظر الدولة مستوفون يضبطون كليات المملكة وجزئياتها ورأس المستوفين مستوفى الصحبة وهو يتحدث فى سائر المملكة مصرا وشاما ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان فتكون تارة بما يعمل في البلاد وتارة بالاطلاقات وتارة باستخدام كتاب في صغار الاعمال ومن هذا النحو وما يجرى مجراه وهى وظيفة جليلة تلى نظر الدولة وبقية المستوفين كل منهم حديثه مقيد لايتعدى حديثه قطرا من أقطار المملكة وهذا الديوان أعني ديوان النظر هو أرفع دواوين المال وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية وكل ديوان من دواوين المال انما هو فرع هذا الديوان واليه يرفع حسابه وتتناهي أسبابه واليه يرجع أمر الاستيمار الذى يشتمل على أرزاق ذوى الاقلام وغيرهم مياومة ومشاهرة ومسانهة من الرواتب وكانت أرزاق ذوى الاقلام مشاهرة من مبلغ عين وغلة وكان لاعيانهم الرواتب الجارية في اليوم من اللحم بتوابله أو غير توابله والخبز والعليق لدوابهم وكان لا كابرهم السكر والشمع والزيت والكسوة في كل سنة والاضحية وفى شهر رمضان السكر والحلوى وأكثرهم نصيبا الوزير وكان معلومه في الشهر مائتين وخمسين دينارا جيشية مع الاصناف المذكورة والغلة وتبلغ نظير المعلوم ثم مادون ذلك من المعلوم لمن عدا الوزير وما دون دونه وكان معلوم القضاة والعلماء أكثره خمسون دينارا فى كل شهر مضافا لما بيدهم من المدارس التي يستدرون من أوقافها وكان أيضاً يصرف على سبيل الصدقات الجارية والرواتب الدارة على جهات مابين مبلغ وغلة وخبز ولحم وزيت وكسوة وشعير هذا سوى الارض من النواحي التي يعرف المرتب عليها بالرزق الاحباسية وكانوا يتوارثون هذه المرتبات ابنا عن اب ويرثها الاخ عن أخيه وابن العم عن ابن العم بحيث ان كثيراً ممن مات وخرج ادراره من مرتبه لاجنبى لما جاء قريبه وقدم قصته يذكر فيها أولويته بما كان لقريبه أعيد اليه ذلك المرتب ممن كان خرج باسمه * (نظر البيوت) كان من الوظائف الجليلة وهي وظيفة متوليها منوط بالاستادار فكل مايتحدث فيه استادار السلطان فانه يشاركه فى التحدث وهذا كان أيام كون الاستادار ونظره لايتعدى بيوت السلطان وما تقدم ذكره فأما منذ عظم قدر الاستادار ونفذت كلمته فى جمهور أموال الدولة فان نظر البيوت اليوم شىء لامعنى له * (نظر بيت المال) كان وظيفة جليلة معتبرة وموضوع متوليها التحدث في حمول المملكة مصرا وشاما الى بيت المال بقلعة الجبل وفي صرف ماينصرف منه تارة بالوزن وتارة

بالتسبيب بالاقلام وكان أبدا يصعد ناظر بيت المال ومعه شهود بيت المال وصيرفى بيت المال وكاتب المال الى قلعة الجبل ويجلس فى بيت المال فيكون له هناك أمر ونهى وحال جليلة لكثرة الحمول الواردة وخروج الاموال المصروفة في الرواتب لاهل الدولة وكانت أمرا عظيما بحيث انها بلغت في السنة نحو أربعمائة ألف دينار وكان لايلي نظر بيت المال الا من هو من ذوى العدالات المبرزة ثم تلاشي المال وبيت المال وذهب الاسم والمسمى ولا يعرف اليوم بيت المال من القلعة ولا يدرى ناظر بيت المال من هو

*(نظر الاصطبلات) هذه الوظيفة جليلة القدر الى اليوم وموضوعها الحديث في أموال الاصطبلات والمناخات وعليقها وأرزاق من فيها من المستخدمين ومابها من الاستعمالات والاطلاق وكل مايبتاع لها أو يبتاع بها وأول من استجدها الملك الناصر محمد بن قلاون وهو أول من زاد في رتبة أميراخور واعتني بالاوجاقية والعرب الركابة وكان أبوه المنصور قلاون يرغب في خيل برقة أكثر من خيل العرب ولا يعرف عنه انه اشترى فرسا بأكثر من خمسة آلاف درهم وكان يقول خيل برقة نافعة وخيل العرب زينة بخلاف الناصر محمد فانه شغف باستدعاء الخيول من عرب آل مهنا وآل فضل وغيرهم وبسببها كان يبالغ في اكرام العرب ويرغبهم في أثمان خيولهم حتي خرج عن الحد في ذلك فكثرت رغبة آل مهنا وغيرهم فى طلب خيول من عداهم من العربان وتتبعوا عتاق الخيل من مظانها وسمحوا بدفع الاثمان الزائدة على قيمتها حتى أتتهم طوائف العرب بكرائم خيولهم فتمكنت آل مهنا من السلطان وبلغوا في أيامه الرتب العلية وكان لا يحب خيول برقة واذا أخذ منها شيئاً أعده للتفرقة على الامراء البرانيين ولايسمح بخيول آل مهنا الا لاعز الامراء وأقرب الخاصكية منه وكان جيد المعرفة بالخيل شياتها وأنسابها لا يزال يذكر أسماء من أحضرها اليه ومبلغ ثمنها فلما اشتهر عنه ذلك جلب اليه أهل البحرين والحساء والقطيف وأهل الحجاز والعراق كرائم خيولهم فدفع لهم في الفرس من عشرة آلاف درهم الى عشرين الى ثلاثين ألف درهم عنها ألف وخمسمائة مثقال من الذهب سوى ما ينعم به على مالكه من الثياب الفاخرة له ولنسائه ومن السكر ونحوه فلم تبق طائفة من العرب حتى قادت اليه عتاق خيلها وبلغ من رغبة السلطان فيها انه صرف فى أثمانها دفعة واحدة من جهة كريم الدين ناظر الخاص ألف ألف درهم في يوم واحد وتكرر هذا منه غير مرة وبلغ ثمن الفرس الواحد من خيول آل مهنا الستين ألف درهم والسبعين ألف درهم واشترى كثيراً من الحجور بالثمانين ألفا والتسعين ألفا واشترى بنت الكرشاء بمائة ألف درهم عنها خمسة آلاف مثقال من الذهب هذا سوي الانعامات بالضياع من بلاد الشام وكان من عنايته بالخيل لا يزال يتفقدها بنفسه فاذا أصيب منها فرس أو كبر سنه بعث به الى الجشار وتنزى الفحول المعروفة

عنده على الحجور بين يديه وكتاب الاصطبل تؤرخ تاريخ نزوها واسم الحصان والحجرة فتوالدت عنده خيول كثيرة اغتنى بها عن الجلب ومع ذلك فلم تكن عنده في منزلة مايجلب منها وبهذا ضخمت سعادة آل مهنا وكثرت أموالهم وضياعهم فعز جانبهم وكثر عددهم وهابهم من سواهم من العرب وبلغت عدة خيول الجشارات في أيامه نحو ثلاثة آلاف فرس وكان يعرضها في كل سنة ويدوّغ أولادها بين يديه ويسلمها للعربان الركابة وينعم على الامراء الخاصكية بأكثرها ويتبجح بها ويقول هذه فلانة بنت فلان وهذا فلان ابن فلانة وعمره كذا وشراء أم هـذا كذا وكذا كان لا يزال يؤكد على الامراء فى تضمير الخيول ويلزم كل أمير أن يضمر أربعـة أفراس ويتقدم لاميراخور أن يضمر للسلطان عدة منها ويوصيه بكتمان خبرها ثم يشيع أنها لايدغمش أميراخور ويرسلها مع الخيـل في حلبة السباق خشـية أن يسبقها فرس أحد من الامراء فلا يحتمل ذلك فانه ممن لايطيق شيئاً ينقص ملـكه وكان السباق في كل سنة بميدان القبق ينزل بنفسه وتحضر الامراء بخيولهـا المضمرة فيجريها وهو على فرسه حتى تنقضى نوبها وكانت عدتها مائة وخمسين فرساً فما فوقها فاتفق انه كان عنـد الامير قطلوبغا الفخري حصان أدهم سبق خيل مصر كلها في ثلاث سنين متوالية أيام السباق وبعث اليه الامير مهنا فرساً شهباء على انها ان سبقت خيل مصر فهى للسلطان وان سبقها فرس ردت اليـه ولا يركبها عنـد السباق الا بدوى قادها فركب السلطان للسباق فى أمرائه على عادته ووقف معه سليمان وموسى ابنا مهنا وأرسلت الخيول من بركة الحاج على عادتها وفيها فرس مهنا وقد ركبها البـدوى عريا بغـير سرج فأقبلت سائر الخيول تتبعها حتى وصلت المدى وهى عرى بغير سرج والبدوى عليها بقميص وطاقية فلما وقفت بين يدى السلطان صاح البدوى السعادة لك اليوم يامهنا لاشقيت فشق على السلطان أن خيله سبقت وأبطل التضمير من خيله وصارت الامراء تضمر على عادتها ومات الناصر محمد عن أربعة آلاف وثمانمائة فرس وترك زيادة على خمسة آلاف من الهجن الأصائل والنوق المهريات والقرشيات سوى أتباعها وبطل بعـده السباق فلما كانت أيام الظاهر برقوق عني بالخيـل أيضاً ومات عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف جمل

*(ديوان الانشاء) وكان بجوار قاعة الصاحب بقلعة الجبل ديوان الانشاء يجلس فيه كاتب السر وعنـده موقعو الدرج وموقعو الدست فى أيام المواكب طول النهار ويحمل اليهم من المطبخ السلطانى المطاعم وكانت الـكتب الواردة وتعليق ما يكتب من البـاب السلطانى موضوعة بهذه القاعة وأنا جلست بها عند القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى أيام مباشرتى التوقيع السلطاني الى نحو السبعين والسبعمائة فلما زالت دولة الظاهر برقوق ثم عادت اختلت امور كثيرة منها أمر قاعة الانشاء بالقلعـة وهجرت وأخذ ماكان فيها من

الاوراق وبيعت بالقنطار ونسى رسمها وكتابة السر رتبة قديمة ولها أصل في السنة • فقد خرّج أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني فى كتاب المصاحف من حديث الاعمش عن ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو قال السريانيـة فقلت نعم قال فتعلمتها فى سبع عشرة ليلة ولم يزل خلفاء الاسلام يختارون لكتابة سرهم الواحد بعد الواحد وكان موضوع كتابة السر في الدولة التركية على ما استقر عليـه الامر في أيام الناصر محمد بن قلاون أن لمتوليها المسمى بكاتب السر وبصاحب ديوان الانشاء ومن الناس من يقول ناظر ديوان الانشاء قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها اما بخطه أو بخط كتاب الدست أو كتاب الدرج بحسب الحال وله تسفير الاجوبة بعـد أخذ علامة السلطان عليها وله تصريف المراسيم ورودا وصدورا وله الجلوس بين يدى السلطان بدار العدل لقراءة القصص والتوقيع عليها بخطه في المجلس فصار يوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة وصار اليه التحدث فى مجلس السلطان عند عقد المشورة وعند اجتماع الحكام لفصل أمر مهم وله التوسط بين الامراء والسلطان فيما يندب اليه عند الاختلاف أو التدبير واليه ترجع أمور القضاة ومشايخ العلم ونحوهم فى سائر المملكة مصرا وشاما فيمضي من أمورهم ما أحب ويشاور السلطان فيما لابد من مشاورته فيه وكانت العادة أن يجلس تحت الوزير فلما عظم تمـكن القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر من الدولة جلس فوق الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم البشيري فاستمر ذلك لمن بعـده ورتبة كاتب السر أجل الرتب وذلك انها منتزعة من الملك فان الدولة العباسية صار خلفاؤها في أول أمرهم منذ عهد أبى العباس السفاح الى أيام هارون الرشيد يستبدون بأمورهم فلما صارت الخلافـة الى هارون ألقى مقاليـد الامور الى يحيي بن جعفر البرمكي فصار يحيي يوقع على رقاع الرافعـين بخطه فى الولايات وازالة الظلامات واطلاق الارزاق والعطيات فجلت لذلك رتبتـه وعظمت من الدولة مكانته وكان هو أول من وقع من وزراء خلفاء بني العباس وصار من بعده من الوزراء يوقعون على القصص كما كان يوقع وربمـا انفرد رجل بديوان السر وديوان الترسل ثم أفردت فى أخريات دولة بني العباس واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزراء وكانوا ببغداد يقال لهم كتاب الانشاء وكبيرهم يدعى رئيس ديوان الانشاء ويطلق عليـه تارة صاحب ديوان الانشاء وتارة كاتب السر ومرجع هذا الديوان الى الوزير وكان يقال له الديوان العزيز وهو الذى يخاطبه الملوك في مكاتبات الخلفـاء وكان في الدولة السلجوقية يسمى ديوان الانشاء بديوان الطغرا واليه ينسب مؤيد الدين الطغرائي والطغرا هى طرة المـكتوب فيكتب

أعلى من البسملة بقلم غليظ ألقاب الملك وكانت تقوم عندهم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب ويستغنى بها عن علامة السلطان وهى لفظة فارسية وفى بلاد المغرب يقال لرئيس ديوان الانشاء صاحب القلم الاعلى وأما مصر فانه كان بها في القديم لما كانت دار امارة ديوان البريد ويقال لمتوليه صاحب البريد واليه مرجع مايرد من دار الخلافة على ايدى اصحاب البريد من الكتب وهو الذى يطالع بأخبار مصر وكان لامراء مصر كتاب ينشئون عنهم الكتب والرسائل الى الخليفة وغيره فلما صارت مصر دار خلافة كان القائد جوهر يوقع على قصص الرافعين الى أن قدم المعز لدين الله فوقع وجعل أمر الاموال وما يتعلق بها الى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن فوليا أموال الدولة ثم فوض العزيز بالله أمر الوزارة ليعقوب بن كلس فاستبد بجميع أحوال المملكة وجرى مجرى يحيى بن جعفر البرمكي وكان يوقع ومع ذلك ففى امراء الدولة من يلى البريد وجرى الامر فيما بعد على أن الوزراء يوقعون وقد يوقع الخليفة بيده فلما كانت أيام المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر وصرف أبا جعفر محمد بن جعفر بن المغربي عن وزارته افرد له ديوان الانشاء فوليه مدة طويلة وادرك ايام امير الجيوش بدر الجمالى وصار يلى ديوان الانشاء بعده الاكابر الى أن انقرضت الدولة وهو بيد القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيساني فاقتدت بهم الدولة الايوبية ثم الدولة التركية في ذلك وصار الامر على هذا الى اليوم وصار متولى رتبة كتابة السر اعظم أهل الدولة الا أنه في الدولة التركية يكون معه من الامراء واحد يقال له الدوادار منزلته منزلة صاحب البريد فى الزمن الاول ومنزلة كاتب السر منزلة صاحب ديوان الانشاء الا انه يتميز بالتوقيع على القصص تارة بمراجعة السلطان وتارة بغير مراجعة فلذلك يحتاج اليه سائر أهل الدولة من أرباب السيوف والاقلام ولا يستغني عن حسن سفارته نائب الشام فمن دونه ولله الامر كله وأما في الدولة الايوبية فان كتاب الدرج كانوا في الدولة الكاملية قليلين جدا وكانوا فى غاية الصيانة والنزاهة وقلة الخلطة بالناس واتفق أن الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير كان من جملتهم فسمع الملك الصالح نجم الدين أيوب عنه انه يحضر فى السماعات فصرفه من ديوان الانشاء وقال هذا الديوان لايحتمل مثل هذا وكانت العادة أن لايحضر كتاب الانشاء الديوان يوم الجمعة فعرض للملك الصالح فى بعض ايام الجمع شغل مهم فطلب بعض الموقعين فلم يجد أحدا منهم فقيل له انهم لايحضرون يوم الجمعة فقال استخدموا في الديوان كاتبا نصرانيا يقعد يوم الجمعة لمهم يطرأ فاستخدم الامجد بن العسال كاتب الدرج لهذا المعنى * (نظر الجيش) قد تقدم انه كان يجلس بالقلعة دواوين الجيش في ايام الموكب وتقدم فى ذكر الاقطاعات وذكر النيابة مايدل على حال متولى نظر الجيش ولا بد مع ناظر الجيش أن يكون من المستوفين من يضبط كليات المملكة وجزئياتها فى الاقطاعات

وغيرها * (نظر الخاص) هذه الوظيفة وان كان لها ذكر قديم من عهد الخلفاء الفاطميين فان متوليها لم يبلغ من جلالة القدر مابلغ اليه فى الدولة التركية وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاون لما أبطل الوزارة واقام القاضى كريم الدين الكبير في وظيفة نظر الخاص صار متحدثا فيما هو خاص بمال السلطان يتحدث في مجموع الامر الخاص بنفسه وفى القيام بأخذ رأيه فيه فبقى تحدثه فيه وبسببه كأنه هو الوزير لقربه من السلطان وزيادة تصرفه والى ناظر الخاص التحدث في الخزانة السلطانية وكانت بقلعة الجبل وكانت كبيرة الوضع لانها مستودع أموال المملكة وكان نظر الخزانة منصبا جليلا الى أن استحدثت وظيفة نظر الخاص فضعف أمر نظر الخزانة وأمر الخزانة أيضا وصارت تسمى الخزانة الكبرى وهو اسم اكبر من مسماه ولم يبق بها الاخلع يخلع منها أو مايحضر اليها ويصرف أولا فأولا وصار نظر الخزانة مضافا الى ناظر الخاص وكان الرسم أن لايلى نظر الخزانة الا القضاة او من يلحق بهم وما برحت الخزانة بقلعة الجبل حتى عملها الامير منطاش سجنا لمماليك الظاهر برقوق في سنة تسعين وسبعمائة فتلاشت من حينئذ ونسى أمرها وصارت الخلع ونحوها عند ناظر الخاص في داره وكانت لاهل الدولة فى الخلع عوايد وهم على ثلاثة أنواع أرباب السيوف والاقلام والعلماء فأما أرباب السيوف فكانت خلع اكابر امراء المئين الاطلس الاحمر الرومي وتحته الاطلس الاصفر الرومى وعلى الفوقاني طرز زركش ذهب وتحته سنجاب وله سجف من ظاهره مع الغشاء قندس وكلوتة زركش بذهب وكلاليب ذهب وشاش لانس رفيع موصول به فى طرفيه حرير ابيض مرقوم بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون مع منطقة ذهب ثم تختلف أحوال المنطقة بحسب مقاديرهم فأعلاها ماعمل بين عمدها بواكر وسطي ومجنبتان بالبلخش والزمرذ واللؤلؤ ثم ما كان ببيكارية واحدة مرصعة ثم ما كان ببيكارية واحدة غير مرصعة وأما من تقلد ولاية كبيرة منهم فانه يزاد سيفا محلى بذهب يحضر من السلاح خاناه ويحليه ناظر الخاص ويزاد فرسا مسرجا ملجما بكنبوش ذهب والفرس من الاصطبل وقماشه من الركاب خاناه ومرجع العمل فى سروج الذهب والكنابيش الى ناظر الخاص وكان رسم صاحب حماه من أعلى هذه الخلع ويعطي بدل الشاش اللانس شاش من عمل الاسكندرية حرير شبيه بالطول وينسج بالذهب ويعرف بالمثمر ويعطى فرسين أحدهما كما ذكر والآخر يكون عوض كنبوشه زنارى اطلس أحمر وكانت لنائب الشام على ماستقر فى ايام الناصر محمد بن قلاون مثل هذا وزيد لتتكر تركية زركش ذهب دائرة بالقباء الفوقانى ودون هذه الرتبة فى الخلع نوع يسمى طرزوحش يعمل بدار الطراز التي كانت بالاسكندرية وبمصر وبدمشق وهو مجوخ جاخات كتابة بألقاب السلطان وجاخات طرزوحش وجاخات ألوان ممتزجة بقصب مذهب يفصل بين هذه الجاخات

نقوش وطراز هذا يكون من القصب وربما كبر بعضهم فركب عليه طرازا مزركشا بالذهب وعليه فروسنجاب وقندس كما تقدم وتحت القباء الطرزوحش قباء من المقترح الاسكندراني الطرح وكلوتة زركش بكلاليب وشاش على ماتقدم وحياصة ذهب فتارة تكون ببيكارية وتارة لايكون بها بيكارية وهذه لاصاغر امراء المئين ومن يلحق بهم ودون هذه الرتبة في الخلع كمخا عليه نقش من لون آخر غير لونه وقد يكون من نوع لونه بتفاوت بينهما وتحته سنجاب بقندس والبقية كما تقدم الا أن الحياصة والشاش لايكونان باطراف رقم بل تكون مجوخة بأخضر وأصفر مذهب والحياصة لاتكون ببيكارية ودون هذه المرتبة كمخا تكون واحدة بسنجاب مقندس والبقية على مذكر وتكون الكلوتة خفيفة الذهب وجانباها يكادان يكونان خالين بالجملة ولا حياصة له ودون هذه الرتبة مجوم لون واحد والبقية على ماذكر خلا الكلوتة والكلاليب ودون هذه الرتبة مجوم مقندس وهو قباء ملون بجاخات من أحمر وأخضر وازرق وغيرذلك من الالوان بسنجاب وقندس وتحته قباء اماأزرق أو أخضر وشاش ابيض بأطراف من نسبة ماتقدم ذكره ثم دون هذا من هذا النوع وأما الوزراء والكتاب فأجل ماكانت خلعهم الكمخا الابيض المطرز برقم حرير ساذج وسنجاب مقندس وتحته كمخا أخضر وبقيار كان من عمل دمياط مرقوم وطرحة ثم دون هذه الرتبة عدم السنجاب بل يكون القندس بدائر الكمين وطول الفرج ودونها ترك الطرحة ودونها أن يكون التحتانى مجوما ودون هذا أن يكون الفوقانى من الكمخا لكنه غير ابيض ودونه أن يكون الفوقاني مجوما ابيض ودونه أن يكون تحته عنابى وأما القضاة والعلماء فان خلعهم من الصوف بغير طراز ولهم الطرحة واجلهم أن يكون ابيض وتحته أخضر ثم مادون ذلك وكانت العادة أن أهبة الخطباء وهي السواد تحمل الى الجوامع من الخزانة وهي دلق مدور وشاش أسود وطرحة سوداء وعلمان أسودان مكتوبان بأبيض أوبذهب وثياب المبلغ قدام الخطيب مثل ذلك خلا الطرحة وكانت العادة اذا خلقت الاهبة المذكورة اعيدت الى الخزانة وصرف عوضها وكانت للسلطان عادات بالخلع تارة في ابتداء سلطنته وتشمل حينئذ الخلع سائر ارباب المملكة بحيث خلع في يوم واحد عند اقامة الاشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاون ألف ومائتا تشريف في وقت لعبه بالكرة على اناس جرت عوايدهم بالخلع فى ذلك الوقت كالجوكندارية والولاة ومن له خدمة فى ذلك وتارة فى اوقات الصيد عندمايسرح فاذا حصل أحد شيأ مما يصيده خلع عليه واذا أحضر أحد اليه غزالا أو نعاما خلع عليه قباء مسجفا مما يناسب خلعة مثله على قدره وكذلك يخلع على البزدارية وجملة الجوارح ومن يجرى مجراهم عند كل صيد وكانت العادة أيضا أن ينعم على غلمان الطشت خاناه والشراب خاناه والفراش خاناه ومن يجرى مجراهم في كل سنة عند اوان الصيد وكانت العادة أن من يصل الي الباب

من البلاد او يردعليه او يهاجر من مملكة أخرى اليه أن ينعم عليه مع الخلع بأنواع الادرارات والارزاق والانعامات وكذلك التجار الذين يصلون الى السلطان ويبيعون عليه لهم مع الخلع الرواتب الدائمة من الخبز واللحم والتوابل والحلوى والعليق والمسامحات بنظير كل مايباع من الرقيق المماليك والجوارى مع ما يسامحوز به أيضا من حقوق أخرى تطلق وكل واحد من التجار اذا باع على السلطان ولورأسا واحدا من الرقيق فله خلعة مكملة بحسبه خارجا عن الثمن وعما ينعم به عليه او يسفر به من مال السبيل على سبيل القرض ليتاجر به وأما جلابة الخيـل من عرب الحجاز والشام والبحرين وبرقة وبلاد المغرب فان لهم الخلع والرواتب والعلوفات والانزال ورسوم الاقامات خارجا عن مسامحات تكتب لهم بالمقررات عن تجارة يتجرون بها مما اخذوه من اثمان الخيول وكان ثمن الفرس بأزيد من قيمته حتى ربما بلغ ثمنه على السلطان الذي يأخذه بحضره نظير قيمته عليه عشر مرات غير الخلع وسائر ماذكر ولم يبق اليوم سوى مايخلع على ارباب الدولة وقد استجد فى الايام الظاهرية وكثر في ايام الناصر فرج نوع من الخلع يقال له الجبة يلبسه الوزير ونحوه من ارباب الرتب العلية جعلوا ذلك ترفعا عن لبس الخلعة ولم تكن الملوك تلبس من الثياب الا المتوسط وتجمل حوائصها بغير ذهب فلم تزد حياصة الناصر محمد على مائة درهم فضة ولم يزد أيضا سقط سرجه على مائة درهم فضة على عباءة صوف تدمرى او شامي فلما كانت دولة اولاده بالغوا في الترف وخالفوا فيه عوايد أسلافهم ثم سلك الظاهر برقوق في ملابسه بعض ماكان عليه الملوك الاكابر لا كله وترك لبس الحرير *(الميدان بالقلعة) هذا الميدان من بقايا ميدان احمد بن طولون الذى تقدم ذكره عند ذكر القطائع من هذا الكتاب ثم بناه الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب في سنة احدى عشرة وستمائة وعمر الى جانبه بركا ثلاثا لسقيه وأجرى الماء اليها ثم تعطل هذا الميدان مدة فلما قام من بعده ابنه الملك العادل أبو بكر محمد بن الكامل محمد اهتم به ثم اهتم به الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل اهتماما زائدا وجدد له ساقية أخرى وأنشأ حوله الاشجار فجاء من أحسن شيء يكون الى أن مات فتلاشى امر الميدان بعده وهدمه الملك المعز ايبك سنة احدى وخمسين وستمائة وعفت آثاره فلما كانت سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ابتدأ الملك الناصر محمد بن قلاون عمارته فاقتطع من باب الاصطبل الى قريب باب القرافة وأحضر جميع جمال الامراء فنقلت اليه الطين حتى كساه كله وزرعه وحفر به الآبار وركب عليها السواقى وغرس فيه النخل الفاخر والاشجار المثمرة وأدار عليه هذا السور الحجر الموجود الآن وبنى حوضا للسبيل من خارجه فلما كمل ذلك نزل اليـه ولعب فيه الكرة مع أمرائه وخلع عليهم واستمر يلعب فيه يومى الثلاثاء والسبت وصار القصر الابلق يشرف على هذا الميدان فجاء ميدانا فسيح المدى يسافر النظر في أرجائه واذا ركب السلطان

اليه نزل من درج تلى قصره الجوانى فينزل السلطان الى الاصطبل الخاص ثم الى هذا الميدان وهو راكب وخواص الامراء فى خدمته فيعرض الخيول في أوقات الاطلاقات ويلعب فيه الكرة وكان فيه عدة من أنواع الوحوش المستحسنة المنظر وكانت تربط به أيضا الخيول الخاصة للتفسح وفي هذا الميدان يصلى السلطان أيضاً صلاة العيدين ويكون نزوله اليه فى يوم العيد وصعوده من باب خاص من دهليز القصر غير المعتاد النزول منه فاذا ركب من باب قصره ونزل الى منفذه من الاصطبل الى هذا الميدان ينزل في دهليز سلطانى قد ضرب له على اكمل مايكون من الابهة فيصلى ويسمع الخطبة ثم يركب ويعود الى الايوان الكبير ويمد به السماط ويخلع على حامل القبة والطير وعلى حامل السلاح والاستادار والجاشنكير وكثير من أرباب الوظائف وكانت العادة أن تمد للسلطان أيضاً خلعة العيد على أنه يلبسها كما كانت العادة فى أيام الخلفاء فينعم بها على بعض أكابر أمراء المئين ولم يزل الحال على هذا الى أن كانت سنة ثمانمائة فصلى الملك الظاهر برقوق صلاة عيد النحر بجامع القلعة لتخوفه بعد واقعة الامير على باى فهجر الميدان واستمرت صلاة العيد بجامع القلعة من عامئذ طول الايام الناصرية والمؤيدية * (الحوش) ابتدئ العمل فيه على أيام الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وكان قياسه اربعة فدادين وكان موضعه بركة عظيمة قد قطع مافيها من الحجر لعمارة قاعات القلعة حتى صارت غورا كبيرا ولما شرع في العمل رتب على كل أمير من أمراء المئين مائة رجل ومائة بهيمة لنقل التراب برسم الردم وعلى كل أمير من أمراء الطبلخاناه بحسبه وندب الامير أقبغا عبد الواحد شاد العمل فحضر من عند كل من الامراء أستاداره ومعه جنده ودوابه للعمل وأحضر الاسارى وسخر والى القاهرة ووالى مصر الناس وأحضرت رجال النواحي وجلس أستادار كل أمير في خيمة ووزع العمل عليهم بالاقصاب ووقف الامير أقبغا يستحث الناس في سرعة العمل وصار الملك الناصر يحضر في كل يوم بنفسه فنال الناس من العمل ضرر زائد وأخرق أقبغا بجماعة من اماثل الناس ومات كثير من الرجال في العمل لشدة العسف وقوة الحر وكان الوقت صيفاً فانتهى عمله في ستة وثلاثين يوما وأحضر اليه من بلاد الصعيد ومن الوجه البحري ألفى رأس غنم وكثيرا من الابقار البلق لتوقف فى هذا الحوش فصار مراح غنم ومربط بقر وأجرى الماء الى هذا الحوش من القلعة وأقام الاغنام حوله وتتبع في كل سنة المراحات من عيذاب وقوص الى مادونهما من البلاد حتى يؤخذ مابهما من الاغنام المختارة وجلبها من بلاد النوبة ومن اليمن فبلغت عدتها بعد موته ثلاثين ألف رأس سوى اتباعها وبلغ البقل الاخضر الذى يشترى لفراخ الاوز في كل يوم خمسين درهما عنها زيادة على مثقالين من الذهب فلما كانت أيام الظاهر برقوق عمل المولد النبوى بهذا الحوش في أول ليلة جمعة من شهر ربيع الاول

فى كل عام فاذا كان وقت ذلك ضربت خيمة عظيمة بهذا الحوش وجلس السلطان وعن يمينه شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقينى ويليه الشيخ المعتقد ابراهيم برهان الدين بن محمد بن بهادر بن احمد بن رفاعة المغربى ويليه ولد شيخ الاسلام ومن دونه وعن يسار السلطان الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزرى المغربى ويليه قضاة القضاه الاربعة وشيوخ العلم ويجلس الامراء على بعد من السلطان فاذا فرغ القراء من قراءة القرآن الكريم قام المنشدون واحدا بعد واحد وهم يزيدون على عشرين منشدا فيدفع لكل واحد منهم صرة فيها أربعمائة درهم فضة ومن كل أمير من أمراء الدولة شقة حرير فاذا انقضت صلاة المغرب مدت أسمطة الاطعمة الفائقة فأكلت وحمل مافيها ثم مدت أسمطة الحلوى السكرية من الجوارشات والعقائد ونحوها فتؤكل وتخطفها الفقهاء ثم يكون تكميل انشاد المنشدين ووعظهم الي نحو ثلث الليل فاذا فرغ المنشدون قام القضاة وانصرفوا وأقيم السماع بقية الليل واستمر ذلك مدة أيامه ثم أيام ابنه الملك الناصر فرج

* (ذكر المياه التى بقلعة الجبل) *

وجميع مياه القلعة من ماء النيل تنقل من موضع الى موضع حتى تمر فى جميع مايحتاج اليه بالقلعة وقد اعتنى الملوك بعمل السواقي التى تنقل الماء من بحر النيل الى القلعة عناية عظيمة فأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة اثنتى عشرة وسبعمائة أربع سواق على بحر النيل تنقل الماء الى السور ثم من السور الى القلعة وعمل نقالة من المصنع الذى عمله الظاهر بيبرس بجوار زاوية تقى الدين رجب التي بالرميلة تحت القلعة الى بئر الاصطبل فلما كانت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة عزم الملك الناصر على حفر خليج من ناحية حلوان الى الجبل الاحمر المطل على القاهرة ليسوق الماء الى الميدان الذى عمله بالقلعة ويكون حفر الخليج في الجبل فنزل لكشف ذلك ومعه المهندسون فجاء قياس الخليج طولا اثنين وأربعين ألف قصبة فيمر الماء فيه من حلوان حتى يحاذى القلعة فاذا حاذاها بنى هناك خبايا تحمل الماء الى القلعة ليصير الماء بها غزيرا كثيرا دائما صيفا وشتاء لاينقطع ولا يتكلف لحمله ونقله ثم يمر من محاذاة القلعة حتى ينتهى الى الجبل الاحمر فيصب من أعلاه الى تلك الارض حتى تزرع وعند ماأراد الشروع في ذلك طلب الامير سيف الدين قطلوبك بن قرا سنقر الجاشنكير أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق بعد مافرغ من بناء القناة وساق العين الى القدس فحضر ومعه الصناع الذين عملوا قناة عين بيت المقدس على خيل البريد الى قلعة الجبل فأنزلوا ثم أقيمت لهم الجرايات والرواتب وتوجهوا الى حلوان ووزنوا مجرى الماء وعادوا الى السلطان وصوبوا رأيه فيما قصد والتزموا بعمله فقال كم تريدون قالوا ثمانين ألف دينار فقال ليس هذا بكثير فقال كم تكون مدة العمل فيه حتي يفرغ قالوا عشر سنين فاستكثر طول المدة ويقال ان

الفخر ناظر الجيش هو الذى حسن لهم أن يقولوا هذه المدة فانه لم يكن من رأيه عمل هذا الخليج وما زال يخيل للسلطان من كثرة المصروف عليه ومن خراب القرافة ماحمله على صرف رأيه عن العمل واعاد قطلوبك والصناع الى دمشق فمات قطلوبك عقيب ذلك في سنة تسع وعشرين وسبعمائة في ربيع الاول فلما كانت سنة احدي وأربعين وسبعمائة اهتم الملك الناصر بسوق الماء الى القلعة وتكثيره بها لاجل سقى الاشجار وملء الفساقي ولاجل مراحات الغنم والابقار فطلب المهندسين والبنائين ونزل معهم وسار فى طول القناطر التي تحمل الماء من النيل الى القلعة حتى انتهى الى الساحل فأمر بحفر بئر أخرى ليركب عليها القناطر حتي تتصل بالقناطر العتيقة فيجتمع الماء من بئرين ويصير ماء واحدا يجرى الى القلعة فيسقى الميدان وغيره فعمل ذلك ثم أحب الزيادة فى الماء أيضاً فركب ومعه المهندسون الى بركة الحبش وأمر بحفر خليج صغير يخرج من البحر ويمر الى حائط الرصد وينقر في الحجر تحت الرصد عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور ويركب على الآبار السواقي لتنقل الماء الى القناطر العتيقة التي تحمل الماء الى القلعة زيادة لمائها وكان فيما بين أول هذا المكان الذى عين لحفر الخليج وبين آخره تحت الرصد أملاك كثيرة وعدة بساتين فندب الامير أقبغا عبد الواحد لحفر هذا الخليج وشراء الاملاك من أربابها فحفر الخليج وأجراه فى وسط بستان الصاحب بهاء الدين بن حنا وقطع أنشابه وهدم الدور وجمع عامة الحجارين لقطع الحجر ونقر الآبار وصار السلطان يتعاهد النزول للعمل كل قليل فعمل عمق الخليج من فم البحر أربع قصبات وعمق كل بئر في الحجر أربعين ذراعا فقدر الله تعالى موت الملك الناصر قبل تمام هذا العمل فبطل ذلك وانطم الخليج بعد ذلك وبقيت منه الى اليوم قطعة بجوار رباط الآثار وما زالت الحائط قائمة من حجر في غاية الاتقان من احكام الصنعة وجودة البناء عند سطح الجرف الذى يعرف اليوم بالرصد قائماً من الارض في طول الجرف الى أعلاه حتى هدمه الامير يلبغا السالمي في سنة اثنتى عشرة وثمانمائة وأخذ ما كان به من الحجر فرم به القناطر التي تحمل الى اليوم الماء حتي يصل الى القلعة وكانت تعرف بسواقى السلطان فلما هدمت جهل اكثر الناس أمرها ونسوا ذكرها * (المطبخ) كان أولا موضعه في مكان الجامع فأدخله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فيما زاده في الجامع وبنى هذا المطبخ الموجود الآن وعمل عقوده بالحجارة خوفا من الحريق وكانت أحوال المطبخ متسعة جدا سيما في سلطنة الاشرف خليل بن قلاون فانه تبسط فى المآكل وغيرها حتي لقد ذكر جماعة من الاعيان انهم اقاموا مدة سفرهم معه يرسلون كل يوم عشرين درهما فيشترى لهم بها مما يأخذه الغلمان أربع خوافق صيني مملوءة طعاما مفتخرا بالقلوبات ونحوها فى كل خافقية ماينيف على خمسة عشر رطل لحم أو عشرة أطيار دجاج سمان وبلغ

راتب الحوايج خاناه فى أيام الملك العادل كتبغا كل يوم عشرين ألف رطل لحم وراتب البيوت والجرايات غير أرباب الرواتب في كل يوم سبعمائة أردب قمحا واعتبر القاضى شرف الدين عبد الوهاب النشو ناظر الخاص أمر المطبخ السلطانى فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة فوجد عدة الدجاج الذى يذبح في كل يوم للسماط والمخاصى التي تخص السلطان ويبعث بها الى الامراء سبعمائة طائر وبلغ مصروف الحوايج خاناه فى كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم فاكثر أولاد الناصر من مصروفها حتى توقفت أحوال الدولة فى أيام الصالح اسماعيل وكتبت أوراق بكلف الدولة في سنة خمس وأربعين وسبعمائه فبلغت في السنة ثلاثين ألف ألف درهم منها مصروف الحوايج خاناه فى كل يوم اثنان وعشرون ألف درهم وبلغ في أيام الناصر محمد ابن قلاون راتب السكر فى شهر رمضان خاصة من كل سنة ألف قنطار ثم تزايد حتى بلغ في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة ثلاثة آلاف قنطار عنها ستمائة ألف درهم عنها ثلاثون ألف دينار مصرية وكان راتب الدور السلطانيـة في كل يوم من أيام شهر رمضان ستين قنطارا من الحلوى برسم التفرقة للدور وغيرها وكانت الدولة قد توقفت أحوالها فوفر من المصروف في كل يوم أربعـة آلاف رطل لحم وستمائة كماجة سميذ وثلثمائة أردب من الشعير ومبلغ ألفي درهم في كل شهر وأضيف الى ديوان الوزارة سوق الخيـل والدواب والجمال وكانت بيد عدة أجناد عوضوا عنها اقطاعات بالنواحي واعتبر في سنة ست وأربعين وسبعمائة متحصل الحاج علىّ الطباخ فوجد له على المعاملين في كل يوم خمسمائة درهم ولابنه أحمد في كل يوم ثلثمائة درهم سوى الاطعمة المفتخرة وغيرها وسوى ما كان يتحصل له في عمل المهمات مع كثرتها ولقد تحصل له من ثمن الرؤس والاكارع وسقط الدجاج والاوز فى مهم عمله للامير بكتمر الساقى ثلاثة وعشرون ألف درهم عنها نحو ألفين ومائتي دينار فاوقعت الحوطة عليه وصودر فوجد له خمسة وعشرون دارا على البحر وفي عدة أماكن واعتبر مصروف الحوايج خاناه في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة فكان فى كل يوم اثنـين وعشرين ألف رطل من اللحم *(ابراج الحمام) كان بالقلعة ابراج برسم الحمام التي تحمل البطائق وبلغت عدتها على ما ذكره ابن عبد الظاهر فى كتاب تمائم الحمائم الى آخر جمادى الآخرة سنة سبع وثمـانين وستمائة ألف طائر وتسعمائة طائر وكان بها عدة من المقدمين لـكل مقدم منهم جزء معلوم وكانت الطيور المذكورة لا تبرح في الابراج بالقلعة ماعدا طائفة منها فانها في برج بالبرقية خارج القاهرة يعرف ببرج الفيوم رتبه الامير فخر الدين عثمان بن قزل أستادار الملك الـكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وقيل له برج الفيوم فان جميع الفيوم كانت في اقطاع ابن قزل وكانت البطائق ترد اليه من الفيوم ويبعثها من القاهرة الى الفيوم من هذا البرج فاستمر هذا البرج يعرف بذلك وكان بكل مركز حمام

فى سائر نواحي المملكة مصرا وشاما ما بين اسوان الى الفرات فلا تحصى عدة ما كان منها فى الثغور والطرقات الشامية والمصرية وجميعها تدرج وتنقل من القلعة الى سائر الجهات وكان لها بغال الحمل من الاصطبلات السلطانية وجامكيات البراجين والعلوفات تصرف من الاهراء السلطانية فتبلغ النفقة عليها من الاموال مالا يحصى كثرة وكانت ضريبة العلف لكل مائة طائر ربع ويبة فول في كل يوم وكانت العادة أن لاتحمل البطاقة الا فى جناح الطائر لامور منها حفظ البطاقة من المطر وقوة الجناح ثم انهم عملوا البطاقة فى الذنب وكانت العادة اذا بطق من قلعة الجبل الى الاسكندرية فلا يسرح الطائر الا من منية عقبة بالجيزة وهي أول المراكز واذا سرح الى الشرقية لايطاق الا من مسجد تبر خارج القاهرة واذا سرح الى دمياط لايسرح الا من ناحية بيسوس وكان يسير مع البراجين من يوصلهم الى هذه الاماكن من الجاندارية وكذلك كانت العادة فى كل مملكة يتوخى الابعاد فى التسريح عن مستقر الحمام والقصد بذلك انها لاترجع الى أبراجها من قريب وكان يعمل في الطيور السلطانية علائم وهى داغات فى أرجلها أو على مناقيرها ويسميها أرباب المعوب الاصطلاح وكان الحمام اذا سقط بالبطاقة لا يقطع البطاقة من الحمام الا السلطان بيده من غير واسطة وكانت لهم عناية شديدة بالطائر حتى أن السلطان اذا كان يأ كل وسقط الطائر لا يمهل حتى يفرغ من الاكل بل يحل البطاقة ويترك الاكل وهكذا اذا كان نائما لايمهل بل ينبه * قال ابن عبد الظاهر وهذا الذى رأينا عليه ملوكنا وكذلك فى الموكب وفي لعب الاكرة لانه بلمحة يفوت ولايستدرك المهم العظيم اما من واصل أوهارب واما من متجدد في الثغور قال وينبغي أن تكتب البطائق في ورق الطير المعروف بذلك ورأيت الاوائل لايكتبون في أولها بسملة وتوءرخ بالساعة واليوم لابالسنين وأنا أؤرخها بالسنة ولا يكثر في نعوت المخاطب فيها ولايذكر حشو فى الالفاظ ولا يكتب الا لب الكلام وزبدته ولا بد وأن يكتب سرح الطائر ورفيقه حتى ان تأخر الواحد ترقب حضوره أو تطلب ولا يعمل للبطائق هامش ولا تجمل ويكتب آخرها حسبلة ولا تعنون الا اذا كانت منقولة مثل أن تسرح الى السلطان من مكان بعيد فيكتب لها عنوان لطيف حتى لايفتحها أحد وكل وال تصل اليه يكتب في ظهرها أنها وصلت اليه ونقلها حتى تصل مختومة قال ومما شاهدته وتوليت أمره انه في شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة حضر من جهة نائب الصبيبة نيف وأربعون طائرا صحبة البراجين ووصل كتابه انه درجها الى مصر فأقامت مدة لم يكن شغل تبطق فيه فقال براجوها قد أزف الوقت عليها في القرنصة وجرى الحديث مع الامير بيدار نائب السلطنة فتقرر كتب بطائق على عشرة منها بوصولها لاغير وسرحت يوم أربعاء جميعها فاتفق وقوع طائرين منها فأحضرت بطاقتهما وحصل الاستهزاء بها فلما كان بعد مدة

وصل كتاب السلطان أنها وصلت الى الصيبة في ذلك اليوم بعينه وبطق بذلك في ذلك اليوم بعينه الى دمشق ووصل الخبر الى دمشق في يوم واحد وهـذا مما أنا مصرفه وحاضره والمشير به * قال مؤلفه رحمه الله قد بطل الحمام من سائر المملكة الا ما ينقل من قطيا الى بلبيس ومن بلبيس الى قلعة الجبل ولا تسل بعد ذلك عن شيء وكانى بهذا القدر وقد ذهب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(ذكر ملوك مصر منذ بنيت قلعة الجبل)

اعلم أن الذين ولوا أرض مصر فى الملة الاسلامية على ثلاثة أقسام * القسم الاول من ولى بفسطاط مصر منذ فتح الله تعالى أرض مصر على أيدي العرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وتابعيهم فصارت دار اسلام الى أن قدم القائد أبو الحسين جوهر من بلاد افريقية بعساكر مولاه المعز لدين الله أبي تميم معدّ وبنى القاهرة وهؤلاء يقال لهم أمراء مصر ومدتهم ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة أشهر وستة عشر يوما أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة وآخرها يوم الاثنين سادس عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وعدة هؤلاء الامراء مائة واثنا عشر أميرا * والقسم الثاني من ولى بالقاهرة منذ بنيت الى أن مات الامام العاضد لدين الله أبو محمد عبـد الله رحمه الله وهؤلاء يقال لهم الخلفاء الفاطميون ومدتهم بمصر مائتا سنة وثماني سنين وأربعـة أشهر واثنان وعشرون يوما أولها يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وآخرها يوم الاحد عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وعدة هؤلاء الخلفاء أحد عشر خليفة * والقسم الثالث من ملك مصر بعد موت العاضد الى وقتنا هـذا الذى نحن فيه ويقال لهم الملوك والسلاطين وهم ثلاثة أقسام * القسم الاول ملوك بنى أيوب وهم أكراد * والقسم الثانى البحرية وأولادهم وهم مماليك أتراك لبني أيوب * والقسم الثالث مماليك أولاد البحرية وهم جراكسة وقد تقدم في هـذا الكتاب ذكر الامراء والخلفاء وستقف ان شاء الله تعالى على ذكر من ملك من الاكراد والاتراك والجراكسة وتعرف أخبارهم على ماشرطنا من الاختصار اذ قد وضعت لبسط ذلك كتاباً سميته كتاب السلوك لمعرفـة دول الملوك وجردت تراجمهم فى كتاب التاريخ الـكبير المقفى فتطلبهما تجد فيهما مالا تحتاج بعـده الى سواهما في معناهما

(ذكر من ملك مصر من الاكراد)

اعلم أن النـاس قد اختلفوا فى الاكراد فذكر العجم أن الاكراد فضـل طعم الملك بيوراسف وذلك انه كان يأمر أن يذبح له كل يوم انسانان ويتخذ طعامه من لحومهما وكان له وزير يسمى ارمايل وكان يذبح واحدا ويستحي واحدا ويبعث به الى جبـال فارس

فتوالدوا في الجبال وكثروا ومن الناس من ألحقهم باماء سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على نسائه المنافقات الشيطان الذي يقال له الجسد وعصم الله تعالى منه المؤمنات فعلق منه المنافقات فلما رد الله تعالى على سليمان عليه السلام ملكه ووضع هؤلاء الاماء الحوامل من الشيطان قال اكردوهم الى الجبال والاودية فربتهم أمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الاكراد والاكراد عند الفرس من ولد كرد بن اسفندام بن منوشهر وقيل هم ينسبون الى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر وقيل هم من ولد عمرو مزيقيا بن عامر ابن ماء السماء وقيل من بنى جامد بن طارق من بقية أولاد حميدبن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهذه أقوال الفقهاء لهم ممن أراد الحظوة لديهم لما صار الملك اليهم وانما هم قبيل من قبائل العجم وهم قبائل عديدة كورانية بنو كوران وهذبانية وبشنوية وشاصنجانية وسرنجية وبزولية ومهرانية وزردارية وكيكانية وجاك وكرودنيلية ورروادية ودسنية وهكارية وحميدية وورنجية ومروانية وجلالية وسنيكية وجونى وتزعم المروانية أنها من بنى مروان بن الحكم ويزعم بعض الهكارية انها من ولد عتبة بن أبي سفيان بن حرب * وأول من ملك مصر من الاكراد الايوبية * (السلطان الملك الناصر صلاح الدين) * أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أبي الشكر أيوب ابن شادى بن مروان الكردى من قبيل الروادية أحد بطون الهذبانية نشأ أبوه أيوب وعمه أسد الدين شيركوه ببلد دوين من أرض اذربيجان من جهة ارّان وبلاد الكرج ودخلا بغداد وخدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فبعث أيوب الى قلعة تكريت وأقامه بها مستحفظاً لها ومعه أخوه شيركوه وهو أصغر منه سناً فخدم أيوب الشهيد زنكى لما انهزم فشكر له خدمته واتفق بعد ذلك أن شيركوه قتل رجلا بتكريت فطرد هو وأخوه أيوب من قلعتها فمضيا الى زنكى بالموصل فآواهما وأقطعهما اقطاعا عنده ثم رتب أيوب بقلعة بعلبك مستحفظاً ثم أنعم عليه بأمرة واتصل شيركوه بنور الدين محمود بن زنكي في أيام أبيه وخدمه فلما ملك حلب بعد أبيه كان لنجم الدين أيوب عمل كثير في أخذ دمشق لنور الدين فتمكنا في دولته حتى بعث شيركوه مع الوزير شاور بن مجير السعدى الى مصر فسار صلاح الدين في خدمته من جملة أجناده وكان من أمر شيركوه ما كان حتى مات فأقيم بعده فى وزارة العاضد ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب في يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة ولقبه بالملك الناصر وأنزله بدار الوزارة من القاهرة فاستمال قلوب الناس واقبل على الجد وترك اللهو وتعاضد هو والقاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى رحمه الله على ازالة الدولة الفاطمية وولى صدر الدين بن درباس قضاء القضاة وعزل قضاة الشيعة وبنى بمدينة مصر مدرسة للفقهاء المالكية ومدرسة للفقهاء

الشافعية وقبض على أمراء الدولة وأقام اصحابه عوضهم وأبطل المكوس بأسرها من أرض مصر ولم يزل يدأب في ازالة الدولة حتى تم له ذلك وخطب لخليفة بغداد المستضىء بأمر الله أبي محمد الحسن العباسي وكان العاضد مريضاً فتوفي بعد ذلك بثلاثة أيام واستبد صلاح الدين بالسلطنة من أول سنة سبع وستين وخمسمائة واستدعى أباه نجم الدين أيوب واخوته من بلاد الشام فقدموا عليه بأهاليهم وتأهب لغزو الفرنج وسار الى الشوبك وهي بيد الفرنج فواقعهم وعاد الى ايلة فجبى الزكوات من أهل مصر وفرقها على أصنافها ورفع الى بيت المال سهم العاملين وسهم المؤلفة وسهم المقاتلة وسهم المكاتبين وأنزل الغز بالقصر الغربي وأحاط بأموال القصر وبعث بها الى الخليفة ببغداد والى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بالشام فأتته الخلع الخليفية فلبسها ورتب نوب الطبلخاناه في كل يوم ثلاث مرات ثم سار الى الاسكندرية وبعث ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب على عسكر الى برقة وعاد الى القاهرة ثم سار في سنة ثمان وخمسين الى الكرك وهي بيد الفرنج فحصرها وعاد بغير طائل فبعث أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب الى بلاد النوبة فأخذ قلعة ابريم وعاد بغنائم وسبي كثير ثم سار لاخذ بلاد اليمن فملك زبيد وغيرها فلما مات نور الدين محمود بن زنكي توجه السلطان صلاح الدين في أول صفر سنة سبعين الى الشام وملك دمشق بغير مانع وأبطل ما كان يؤخذ بها من المكوس كما أبطلها من ديار مصر وأخذ حمص وحماه وحاصر حلب وبها الملك الصالح مجير الدين اسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكي فقاتله أهلها قتالا شديدا فرحل عنها الى حمص وأخذ بعلبك بغير حصار ثم عاد الى حلب فوقع الصلح على أن يكون له مابيده من بلاد الشام مع المعرة وكفر طاب ولهم مابأيديهم وعاد فأخذ بغزاس بعد حصار وأقام بدمشق وندب قراقوش التقوى لاخذ بلاد المغرب فأخذ أيجان وعاد الى القاهرة وكانت بين السلطان وبين الحلبيين وقعة هزمهم فيها وحصرهم بحلب اياما وأخذ بزاعة ومنبج وعزاز ثم عاد الى دمشق وقدم القاهرة في سادس عشرى ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين بعد ماكانت لعساكره حروب كثيرة مع الفرنج فأمر ببناء سور يحيط بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل وأقام على بنائه الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى فشرع في بناء قلعة الجبل وعمل السور وحفر الخندق حوله وبدأ السلطان بعمل مدرسة بجوار قبر الامام الشافعي رضى الله عنه في القرافة وعمل مارستانا بالقاهرة وتوجه الى الاسكندرية فصام بها شهر رمضان وسمع الحديث على الحافظ أبي طاهر أحمد السلفي وعمر الاسطول وعاد الى القاهرة وأخرج قراقوش التقوى الى بلاد المغرب وأمر بقطع ما كان يؤخذ من الحجاج وعوض أمير مكة عنه في كل سنة ألفي دينار وألف أردب غلة سوى اقطاعه بصعيد مصر وباليمن ومبلغه ثمانية آلاف أردب ثم سار من القاهرة في جمادى

الاولى سنة ثلاث وسبعين الى عسقلان وهي بيد الفرنج وقتل وأسر وسبي وغنم ومضى يريدهم بالرملة فقاتل البرنس ارياط متملك الكرك قتالا شديدا ثم عاد الى القاهرة ثم سار منها في شعبان يريد الفرنج وقد نزلوا على حماه حتى قدم دمشق وقد رحلوا عنها فواصل الغارات على بلاد الفرنج وعساكره تغزوا بلاد المغرب ثم فتح بيت الاحزان من عمل صفد وأخذه من الفرنج عنوة وسار في سنة ست وسبعين لحرب فتح الدين قليج ارسلان صاحب قونيه من بلاد الروم وعاد ثم توجه الى بلاد الارمن وعاد فخرب حصن بهنسا ومضى الى القاهرة فقدمها في ثالث عشر شعبان ثم خرج الي الاسكندرية وسمع بها موطأ الامام مالك على الفقيه أبي طاهر بن عوف وأنشأ بها مارستاناً ودارا للمغاربة ومدرسة وجدد حفر الخليج ونقل فوهته ثم مضى الي دمياط وعاد الي القاهرة ثم سار فى خامس المحرم سنة ثمان وسبعين على ايلة فأغار على بلاد الفرنج ومضى الي الكرك فعاثت عساكره ببلاد طبرية وعكا وأخذ الشقيف من الفرنج ونزل السلطان بدمشق وركب الي طبرية فواقع الفرنج وعاد فتوجه الي حلب ونازلها ثم مضى الي البيرة على الفرات وعدى الي الرها فأخذها وملك حران والرقة ونصيبين وحاصر الموصل فلم ينل منها غرضاً فنازل سنجار حتى أخذها ثم مضى على حران الي آمد فأخذها وسار على عين تاب الي حلب فملكها فى ثامن عشر صفر سنة تسع وسبعين وعاد الى دمشق وعبر الاران وحرق بيسان على الفرنج وخرب لهم عدة حصون وعاد الى دمشق ثم سار الى الكرك فلم ينل منها غرضاً وعاد ثم خرج فى سنة ثمانين من دمشق فنازل الكرك ثم رحل عنها الى نابلس فحرقها واكثر من الغارات حتى دخل دمشق ثم سار منها الى حماه ومضى حتى بلغ حران ونزل على الموصل وحصرها ثم سار عنها الى خلاط فلم يملكها فمضى حتي أخذ ميافارقين وعاد الى الموصل ثم رحل عنها وقد مرض الى حران فتقرر الصلح مع المواصلة على أن خطبوا له بها وبديار بكر وجميع البلاد الارتقية وضرب السكة فيها باسمه ثم سار الي دمشق فقدمها فى ثانى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وخرج منها فى أول سنة ثلاث وثمانين ونازل الكرك والشوبك وطبرية فملك طبرية في ثالث عشرى ربيع الآخر من الفرنج ثم واقعهم على حطين وهم فى خمسين ألفاً فهزمهم بعد وقائع عديدة واسر منهم عدة ملوك ونازل عكا حتى تسلمها في ثاني جمادى الاولى وأنقذ منها أربعة آلاف أسير مسلم من الاسر وأخذ مجدل يافا وعدة حصون منها الناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية والشقيف والفولة والطور وسبسطيه ونابلس وتبنين وصرخد وصيدا وبيروت وجبيل وأنقذ من هذه البلاد زيادة على عشرين ألف أسير مسلم كانوا في أسر الفرنج وأسر من الفرنج مائة ألف انسان ثم ملك منهم الرملة وبلد الخليل عليه السلام وبيت لحم من القدس ومدينة عسقلان ومدينة غزة وبيت جبريل ثم فتح

بيت المقدس في يوم الجمعة سابع عشرى رجب وأخرج منه ستين ألفا من الفرنج بعد ما أسر ستة عشر ألفاً مابين ذكر وأنثى وقبض من مال المفاداة ثلثمائة ألف دينار مصرية وأقام الجمعة بالاقصى وبنى بالقدس مدرسة للشافعية وقرر على من يرد كنيسة قمامة من الفرنج قطيعة يؤديها ثم نازل عكا وصور ونازل في سنة أربع وثمانين حصن كوكب وندب العساكر الى صفد والكرك والشوبك وعاد الى دمشق فدخلها سادس ربيع الاول وقد غاب عنها في هذه الغزوة أربعة عشر شهرا وخمسة أيام ثم خرج منها بعد خمسة أيام فشن الغارات على الفرنج وأخذ منهم أنطرسوس وخرب سورها وحرقها وأخذ جبلة واللاذقية وصهيون والشغر وبكاس وبقراص ثم عاد الي دمشق آخر شعبان بعد مادخل حلب فملكت عساكره الكرك والشوبك والسلع في شهر رمضان وخرج بنفسه الى صفد وملكها من الفرنج في رابع عشر شوال وملك كوكب في نصف ذى القعدة وسار الى القدس ومضى بعد النحر الى عسقلان ونزل بعكا وعاد الى دمشق أول صفر سنة خمس وثمانين ثم سار منها في ثالث ربيع الاول ونازل شقيف أرنون وحارب الفرنج حروباً كثيرة ومضى الى عكا وقد نزل الفرنج عليها وحصروا من بها من المسلمين فنزل بمرج عكا وقاتل الفرنج من أول شعبان حتي انقضت السنة وقد خرج الالمان من قسطنطينية في زيادة على ألف ألف يريد بلاد الاسلام فاشتد الامر ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان بالخروبة على حصار الفرنج والامداد تصل اليه وقدم الالمان طرسوس يريد بيت المقدس فخرب السلطان سور طبرية ويافا وارسوف وقيسارية وصيدا وجبيل وقوي الفرنج بقدوم ابن الالمان اليهم تقوية لهم وقد مات أبوه بطرسوس وملك بعده فقدر الله تعالى موته أيضاً على عكا ودخلت سنة سبع وثمانين فملك الفرنج عكا في سابع عشر جمادى الآخرة وأسروا من بها من المسلمين وحاربوا السلطان وقتلوا جميع من أسروه من المسلمين وساروا الى عسقلان فرحل السلطان فى أثرهم وواقعهم بارسوف فانهزم من معه وهو ثابت حتى عادوا اليه فقاتل الفرنج وسبقهم الى عسقلان وخربها ثم مضى الى الرملة وخرب حصنها وخرب كنيسة له ودخل القدس فأقام بها الى عاشر رجب سنة ثمان وثمانين ثم سار الى يافا فأخذها بعد حروب وعاد الى القدس وعقد الهدنة بينه وبين الفرنج مدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر اولها حادى عشر شعبان على أن للفرنج من يافا الى عكا الى صور وطرابلس وانطاكية ونودى بذلك فكان يوما مشهودا وعاد السلطان الى دمشق فدخلها خامس عشرى شوال وقد غاب عنها أربع سنين فمات بها في يوم الاربعاء سابع عشرى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة عن سبع وخمسين سنة منها مدة ملكه بعد موت العاضد أثنتان وعشرون سنة وستة عشر يوما فقام من بعده بمصر ولده * (السلطان الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح

عثمان)* وقد كان يومئذ ينوب عنه بمصر وهو مقيم بدار الوزارة من القاهرة وعنده جل عساكر أبيه من الاسدية والصلاحية والاكراد فأتاه ممن كان عند أخيه الملك الافضل على الامير فخر الدين جهاركس والامير فارس الدين ميمون القصري والامير شمس الدين سنقر الكبير وهم عظماء الدولة فأكرمهم وقدم عليه القاضي الفاضل فبالغ في كرامته وتنكر ما بينه وبين أخيه الافضل فسار من مصر لمحاربته وحصره بدمشق فدخل بينهما العادل أبو بكر حتى عاد العزيز الى مصر على صلح فيه دخل فلم يتم ذلك وتوحش ما بينهما وخرج العزيز ثانياً الى دمشق فدبر عليه عمه العادل حتى كاد أن يزول ملكه وعاد خائفا فسار اليه الافضل والعادل حتى نزلا بلبيس فجرت أمور آلت الى الصلح وأقام العادل مع العزيز بمصر وعاد الافضل الى مملكته بدمشق فقام العادل بتدبير أمور الدولة وخرج بالعزيز لمحاربة الافضل فحصراه بدمشق حتى أخذاها منه بعد حروب وبعثاه الى صرخد وعاد العزيز الى مصر وأقام العادل بدمشق حتى مات العزيز في ليلة العشرين من محرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة عن سبع وعشرين سنة وأشهر منها مدة سلطنته بعد أبيه ست سنين تنقص شهراً واحدا فأقيم بعده ابنه *(السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد)* وعمره تسع سنين وأشهر بعهد من أبيه وقام بأمور الدولة بهاء الدين قراقوش الاسدى الاتابك فاختلف عليه أمراء الدولة وكاتبوا الملك الافضل على بن صلاح الدين فقدم من صرخد في خامس ربيع الاول فاستولى على الامور ولم يبق للمنصور معه سوى الاسم ثم سار به من القاهرة في ثالث رجب يريد أخذ دمشق من عمه العادل بعد ماقبض على عدة من الامراء وقد توجه العادل الى ماردين فحصر الافضل دمشق وقد بلغ العادل خبره فعاد وسار يريده حتى دخل دمشق فجرت حروب كثيرة آلت الى عود الافضل الى مصر بمكيدة دبرها عليه العادل وخرج العادل في أثره وواقعه على بلبيس فكسره في سادس ربيع الآخر سنة ست وتسعين والتجأ الى القاهرة وطلب الصلح فعوضه العادل صرخد ودخل الى القاهرة في يوم السبت ثامن عشره وأقام باتابكية المنصور ثم خلعه في يوم الجمعة حادى عشر شوال وكانت سلطنته سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما واستبد بالسلطنة بعده عم أبيه *(السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب)* فخطب له بديار مصر وبلاد الشام وحران والرها وميافارقين وأخرج المنصور واخوته من القاهرة الى الرها واستناب ابنه الملك الكامل محمدا عنه وعهد اليه بعده بالسلطنة وحلف له الامراء فسكن قلعة الجبل واستمر أبوه في دار الوزارة وفي أيامه توقفت زيادة النيل ولم يبلغ سوى ثلاثة عشر ذراعا تنقص ثلاثة أصابع وشرقت أراضى مصر الا الاقل وغلت الاسعار وتعذر وجود الاقوات حتى أكلت الجيف وحتى أكل الناس بعضهم بعضا وتبع ذلك فناء كبير

وامتد ذلك ثلاث سنين فبلغت عدة من كفنه العادل وحده من الاموات في مدة يسيرة نحو مائتى ألف وعشرين ألف انسان فكان بلاء شنيعا وعقب ذلك تحرك الفرنج على بلاد المسلمين في سنة تسع وتسعين فكانت معهم عدة حروب على بلاد الشام آلت الى أن عقد العادل معهم الهدنة فعاودوا الحرب في سنة ستمائة وعزموا على أخذ القدس وكثر عيثهم وفسادهم وكانت لهم وللمسلمين شؤون آلت الى نزولهم على مدينة دمياط في رابع ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة والعادل يومئذ بالشام فخرج الملك الكامل لمحاربتهم فمات العادل بمرج الصفر في يوم الخميس سابع جمادي الآخرة منها وحمل الى دمشق فكانت مدة سلطنته بديار مصر تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما * وقام من بعده ابنه (السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد) بعهد أبيه فأقام فى السلطنة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما ومات بدمشق يوم الاربعاء حادى عشرى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة * واقيم بعده ابنه (السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر) فاشتغل باللهو عن التدبير وخرجت عنه حلب واستوحش منه الامراء لتقريبه الشباب وسار أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الشرق الى دمشق وأخذها في أول جمادي الاولى سنة ست وثلاثين وجرت له أمور آخرها انه سار الى مصر فقبض الامراء على العادل وخلعوه يوم الجمعة ثامن ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة فكانت سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيام * وقام بعده بالسلطنة أخوه (السلطان الملك الصالح نجم الدين أبو الفتوح أيوب) فاستولي على قلعة الجبل فى يوم الاحد رابع عشرى ذى القعدة وجلس على سرير الملك بها وكان قد خطب له قبل قدومه فضبط الامور وقام بأعباء المملكة أتم قيام وجمع الاموال التي اتلفها أخوه وقبض على الامراء ونظر في عمارة أرض مصر وحارب عربان الصعيد وقدم مماليكه وأقامهم أمراء وبني قلعة الروضة وتحول من قلعة الجبل اليها وسكنها وملك مكة وبعث لغزو اليمن وعمر المدارس الصالحية بين القصرين من القاهرة وقرر بها دروسا أربعة للشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة وفي أيامه نزل الفرنج على دمياط في ثالث عشرى صفر سنة سبع وأربعين وعليهم الملك رواد فرنس وملكوها وكان السلطان بدمشق فقدم عند ما بلغه حركة الفرنج ونزل اشموم طناح وهو مريض فمات بناحية المنصورة مقابل الفرنج في يوم الاحد رابع عشر شعبان منها وكانت مدة سلطنته بعد أخيه تسع سنين وثمانية اشهر وعشرين يوما فقامت أم ولده خليل واسمها شجرة الدر بالامر وكتمت موته واستدعت ابنه توران شاه من حصن كيفا وسلمت اليه مقاليد الامور * فقام من بعده ابنه (السلطان الملك المعظم غياث الدين توران شاه) وقد سار من حصن كيفا في نصف شهر رمضان فمر على دمشق وتسلطن بقلعتها في يوم الاثنين لليلتين بقيتا منه وركب الي مصر

فنزل الصالحية طرف الرمل لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة فأعلن حينئذ بموت الصالح ولم يكن أحد قبل ذلك يتفوه بموت السلطان بل كانت الامور على حالها والخدمة تعمل بالدهليز والسماط يمد وشجرة الدر تدبر أمور الدولة وتوهم الكافة أن السلطان مريض ما لاحد عليه سبيل ولا وصول ثم سار المعظم من الصالحية الى المنصورة فقدمها يوم الخميس حادى عشريه فأساء تدبير نفسه وتهدد البحرية حتى خافوه وهم يومئذ جمرة العسكر فقتلوه بعد سبعين يوما فى يوم الاثنين تاسع عشرى المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة وبموته انقضت دولة بنى أيوب من ديار مصر بعد ما أقامت احدي وثمانين سنة وسبعة عشر يوما وملك منهم ثمانية ملوك

* (ذكر دولة المماليك البحرية) *

وهم الملوك الاتراك وكان ابتداء أمر هذه الطائفة أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب كان قد أقره أبوه السلطان الملك الكامل محمد ببلاد الشرق وجعل ابنه العادل أبا بكر ولى عهده في السلطنة بمصر فلما مات قام من بعده العادل في السلطنة وتنكر مابينه وبين ابن عمه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل أبى بكر بن أيوب وهو نائب دمشق فاستدعى الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الشرق ورتب ابنه المعظم توران شاه على بلاد الشرق وأقره بحصن كيفا وقدم دمشق وملكها فكاتبه أمراء مصر تحثه على أخذها من أخيه العادل وخامر عليه بعضهم فسار من دمشق فى رمضان سنة ست وثلاثين فانزعج العادل انزعاجا كبيرا وكتب الى الناصر داود صاحب الكرك فسار اليه ليعاونه على أخيه الصالح فاتفق مسير الملك الصالح اسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب من حماه وأخذه دمشق للملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل محمد في سابع عشرى صفر سنة سبع وثلاثين والملك الصالح نجم الدين أيوب يومئذ على نابلس فانحل أمره وفارقه من معه حتي لم يبق معه الا مماليكه وهم نحو الثمانين وطائفة من خواصه نحو العشرين وأما الجميع فانهم مضوا الى دمشق وكان الناصر داود قد فارق العادل وسار من القاهرة مغاضبا له الى الكرك ومضى الى الصالح نجم الدين أيوب وقبضه بنابلس في ثانى عشر ربيع الاول منها وسجنه بالكرك فأقام مماليك الصالح بالكرك حتى خلص من سجنه في سابع عشرى شهر رمضان منها فاجتمع عليه مماليكه وقد عظمت مكانتهم عنده وكان من أمره ماكان حتى ملك مصر فرعى لهم ثباتهم معه حين تفرق عنه الاكراد واكثر من شرائهم وجعلهم أمراء دولته وخاصته وبطانته والمحيطين بدهليزه اذا سافر وأسكنهم معه في قلعة الروضة وسماهم البحرية وكانوا دون الالف مملوك قيل ثمانمائة وقيل سبعمائة وخمسون كلهم اتراك فلما مات الملك الصالح بالمنصورة أحس الفرنج بشيء من ذلك فركبوا من مدينة دمياط وساروا على فارسكور وواقعوا العسكر

في يوم الثلاثاء أول شهر رمضان سنة سبع وأربعين ونزلوا بقرية شرمشاح ثم بالبرمون ونزلوا تجاه المنصورة فكانت الحروب بين الفريقين الى خامس ذى القعدة فلم يشعر المسلمون الا والفرنج معهم في المعسكر فقتل الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ وانهزم الناس ووصل رواد فرنس ملك الفرنج الى باب قصر السلطان فبرزت البحرية وحملوا على الفرنج حملة منكرة حتى ازاحوهم وولوا فأخذتهم السيوف والدبابيس وقتل من اعيانهم ألف وخمسمائة فظهرت البحرية من يومئذ واشتهرت ثم لما قدم الملك المعظم توران شاه أخذ فى تهديد شجرة الدر ومطالبتها بمال ابيه فكاتبت البحرية تذكرهم بما فعلته من ضبط المملكة حتي قدم المعظم وما هى فيه من الخوف منه فشق ذلك عليهم وكان قد وعد الفارس اقطاى المتوجه اليه من المنصورة لاستدعائه من حصن كيفا بامرة فلم يف له فتنكر له وهو من اكابر البحرية وأعرض مع ذلك عن البحرية واطرح جانب الامراء وغيرهم حتي قتلوه * وأجمعوا على أن يقيموا بعده في السلطنة سرية أستاذهم * (الملكة عصمة الدين أم خليل شجرة الدر الصالحية) * فأقاموها في السلطنة وحلفوا لها فى عاشر صفر ورتبوا الامير عز الدين أيبك التركمانى الصالحى أحد البحرية مقدم العسكر وسار عز الدين أيبك الرومى من العسكر الى قلعة الجبل وأنهى ذلك الى شجرة الدر فقامت بتدبير المملكة وعلمت على التواقيع بما مثاله والدة خليل ونقش على السكة اسمها ومثاله المستعصمة الصالحية ملكة المسلمين والدة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين وكانت البحرية قد تسلمت مدينة دمياط من الملك رواد فرنس بعد ماقرر على نفسه أربعمائة ألف دينار وعاد العسكر من المنصورة الى القاهرة في تاسع صفر وحلفوا لشجرة الدر فى ثالث عشره فخلعت عليهم وأنفقت فيهم الاموال ولم يوافق أهل الشام على سلطنتها وطلبوا الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز صاحب حلب فسار اليهم بدمشق وملكها فانزعج العسكر بالقاهرة وتزوج الامير عز الدين أيبك التركمانى بالملكة شجرة الدر ونزلت له عن السلطنة وكانت مدتها ثمانين يوما وملك بعدها *(السلطان الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركمانى الصالحى) * أحد المماليك الاتراك البحرية وكان قد انتقل الى الملك الصالح من اولاد ابن التركمانى فعرف بالتركمانى ورقاه في خدمه حتى صار من جملة الامراء ورتبه جاشنكيره فلما مات الصالح وقدمته البحرية عليهم في سلطنة شجرة الدر كتب اليهم الخليفة المستعصم من بغداد يذمهم على اقامة امرأة ووافق مع ذلك أخذ الناصر لدمشق وحركتهم لمحاربته فوقع الاتفاق على اقامة أيبك في السلطنة فأركبوه بشعار السلطنة في يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة ولقبوه بالملك المعز وجلس على تخت الملك بقلعة الجبل فورد الخبر من الغد بأخذ الملك المغيث عمر بن العادل الصغير الكرك والشوبك وأخذ الملك السعيد قلعة الصبيبة فاجتمع رأى الامراء على

اقامة الاشرف مظفر الدين موسى بن الناصر ويقال المسعود يوسف ابن الملك المسعود يوسف ويقال طسز ويقال أيضا اقسيس ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب شريكا للمعز في السلطنة فأقاموه معه وعمره نحو ست سنين في خامس جمادى الاولى وصارت المراسيم تبرز عن الملكين الا أن الامر والنهى للمعز وليس للاشرف سوى مجرد الاسم وولى المعز الوزارة لشرف الدين أبى سعيد هبة الله بن صاعد الفائزى وهو أول قبطى ولى وزارة مصر وخرج المعز بالعساكر وعربان مصر لمحاربة الناصر يوسف في ثالث ذى القعدة وخيم بمنزلة الصالحية وترك الاشرف بقلعة الجبل واقتتل مع الناصر فى عاشره فكانت النصرة له على الناصر وعاد فى ثاني عشره فنزل بالناس من البحرية بلاء لايوصف مابين قتل ونهب وسبي بحيث لو ملك الفرنج بلاد مصر مازادوا فى الفساد على مافعله البحرية وكان كبراؤهم ثلاثة الامير فارس الدين اقطاى وركن الدين بيبرس البندقدارى وبلبان الرشيدى ثم فى محرم سنة تسع وأربعين خرج المعز بالاشرف والعساكر فنزل بالصالحية وأقام بها نحو سنتين والرسل تتردد بينه وبين الناصر وأحدث الوزير الاسعد هبة الله الفائزى مظالم لم تعهد بمصر قبله فورد الخبر فى سنة خمسين بحركة التتر على بغداد فقطع المعز من الخطبة اسم الاشرف وانفرد بالسلطنة وقبض علي الاشرف وسجنه وكان الاشرف موسى آخر ملوك بنى أيوب بمصر ثم ان المعز جمع الاموال فأحدث الوزير مكوسا كثيرة سماها الحقوق السلطانية وعاد المعز الى قلعة الجبل فى سنة احدى وخمسين وأوقع بعرب الصعيد وقبض على الشريف حصن الدين ثعلب بن ثعلب وأذل سائر عرب الوجهين القبلى والبحرى وأفناهم قتلا وأسرا وسبيا وزاد فى القطيعة على من بقى منهم حتى ذلوا وقلوا ثم قتل الفارس اقطاى ففر منه معظم البحرية بيبرس وقلاون في عدد كثير منهم الى الشام وغيرها ولم يزل الى أن قتلته شجرة الدر فى الحمام ليلة الاربعاء رابع عشرى ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة فكانت مدته سبع سنين تنقص ثلاثة وثلاثين يوما وكان ظلوما غشوما سفاكا للدماء أفنى عوالم كثيرة بغير ذنب وقام من بعده ابنه * (السلطان الملك المنصور نور الدين على بن المعز أيبك) *في يوم الخميس خامس عشرى ربيع الاول وعمره خمس عشرة سنة فدبر أمره نائب أبيه الامير سيف الدين قطز ثم خلعه فى يوم السبت رابع عشرى ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة فكانت مدته سنتين وثمانية اشهر وثلاثة أيام وقام من بعده * (السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز) * في يوم السبت وأخرج المنصور بن المعز منفيا هو وأمه الى بلاد الاشكرى وقبض على عدة من الامراء وسار فأوقع بجمع هولاكو على عين جالوت وهزمهم فى يوم الجمعة خامس عشرى رمضان سنة ثمان وخمسين وقتل منهم وأسر كثيرا بعد ماملكوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله عبدالله وأزالوا دولة بنى العباس وخربوا بغداد

وديار بكر وحلب ونازلوا دمشق فملكوها فكانت هذه الوقعة أول هزيمة عرفت للتترمنذ قاموا ودخل المظفر قطز الى دمشق وعاد منها يريد مصر فقتله الامير ركن الدين بيبرس البندقدارى قريبا من المنزلة الصالحية في يوم السبت نصف ذى القعدة منها فكانت مدته سنة تنقص ثلاثة عشر يوما وقام من بعده * (السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحي) * التركى الجنس أحد المماليك البحرية وجلس على تخت السلطنة بقلعة الجبل في سابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين فلم يزل حتى مات بدمشق في يوم الخميس سابع عشرى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة فكانت مدته سبع عشرة سنة وشهرين واثني عشر يوما وقام من بعده ابنه * (السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بركة قان) * وهو يومئذ بقلعة الجبل ينوب عن أبيه وقد عهد اليه بالسلطنة وزوجه بابنة الامير سيف الدين قلاون الالفى فجلس على التخت في يوم الخميس سادس عشري صفر سنة ست وسبعين الى أن خلعه الامراء في سابع ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وكانت مدته سنتين وشهرين وثمانية أيام لم يحسن فيها تدبير ملكه وأوحش ما بينه وبين الامراء فأقيم بعده أخوه * (السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس) * وعمره سبع سنين وأشهر وقام بتدبيره الامير قلاون اتابك العساكر ثم خلعه بعد مائة يوم وبعث به الى الكرك فسجن مع أخيه بركة بها وقام من بعده * (السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الالفى العلائى الصالحي) * أحد المماليك الاتراك البحرية كان قبجاقى الجنس من قبيلة برج اغلى فجلب صغيرا واشتراه الامير علاء الدين آق سنقر الساقى العادلى بألف دينار وصار بعد موته الى الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة سبع وأربعين وستمائة فجعله من جملة البحرية فتقلبت به الاحوال حتى صار أتابك العساكر فى ايام العادل سلامش وذكر اسمه مع العادل على المنابر ثم جلس على التخت بقلعة الجبل فى يوم الاحد العشرين من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وتلقب بالملك المنصور وأبطل عدة مكوس فثار عليه الامير شمس الدين سنقر الاشقر بدمشق وتسلطن ولقب نفسه بالملك الكامل في يوم الجمعة رابع عشرى ذي الحجة فبعث اليه وهزمه واستعاد دمشق ثم قدمت التتر الى بلاد حلب وعاثوا بها فتوجه اليهم السلطان بعساكره وأوقع بهم على حمص في يوم الخميس رابع عشرى رجب سنة ثمانين وستمائة وهزمهم بعد مقتلة عظيمة وعاد الى قلعة الجبل وتوجه في سنة أربع وثمانين حتى نازل حصن المرقب ثمانية وثلاثين يوما وأخذه عنوة من الفرنج وعاد الى القلعة ثم بعث العسكر فغزا بلاد النوبة فى سنة سبع وثمانين وعاد بغنائم كثيرة ثم سار فى سنة ثمان وثمانين لغزو الفرنج بطرابلس فنازلها أربعة وثلاثين يوما حتى فتحها عنوة في رابع ربيع الآخر وهدمها جميعها وأنشأ قريبا منها مدينة طرابلس الموجودة الآن وعاد الى قلعة الجبل وبعث لغزو

النوبة ثانيا عسكرا فقتلوا وأسروا وعادوا ثم خرج لغزو الفرنج بعكا وهو مريض فمات خارج القاهرة ليلة السبت سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة فكانت مدته احدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوما وقام من بعده ابنه *(السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل)* في يوم الاحد سابع ذي القعدة المذكور وسار لفتح عكا في ثالث ربيع الاول سنة تسعين وستمائة ونصب عليها اثنين وتسعين منجنيقا وقاتل من بها من الفرنج أربعة وأربعين يوما حتى فتحها عنوة في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاولى وهدمها كلها بما فيها وحرقها وأخذ صور وحيفا وعثليت وانطرسوس وصيدا وهدمها واجلى الفرنج من الساحل فلم يبق منهم أحد ولله الحمد وتوجه الى دمشق وعاد الى مصر فدخل قلعة الجبل يوم الاثنين تاسع شعبان ثم خرج في ثامن ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وستمائة بعد ما نادى بالنفير للجهاد فدخل دمشق وعرض العساكر ومضى منها فمر على حلب ونازل قلعة الروم ونصب عليها عشرين منجنيقاً حتى فتحها بعد ثلاثة وثلاثين يوما عنوة وقتل من بها من النصارى الارمن وسبى نساءهم وأولادهم وسماها قلعة المسلمين فعرفت بذلك وعاد الى مصر فدخل قلعة الجبل في يوم الاربعاء ثاني ذي القعدة وسار في رابع المحرم سنة اثنتين وتسعين حتى بلغ مدينة قوص من صعيد مصر ونادى فيها بالتجهز لغزو اليمن وعاد ثم سار مخفا على الهجن في البرية الى الكرك ومضى الى دمشق فقدمها في تاسع جمادي الآخرة وقصد غزو بهنسا وأخذها من الارمن فقدموا اليه وسلموها من تلقاء انفسهم وسلموا أيضاً مرعش وتل حمدون ومضى من دمشق في ثاني رجب وعبر من حمص الى سلمية وهجم على الامير مهنا بن عيسى وقبضه واخوته وحملهم في الحديد الى قلعة الجبل وعاد الى دمشق ثم رجع الى مصر فقدم قلعة الجبل في ثامن عشرى رجب ثم توجه للصيد فبلغ الطرانة وانفرد في نفر يسير ليصطاد فاقتحم عليه الامير بيدار في عدة معه وقتلوه في يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأربعة ايام ثم حمل ودفن بمدرسة الاشرفية وأقيم من بعده أخوه *(السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون)* وعمره سبع سنين وقام الامير زين الدين كتبغا بتدبيره ثم خلعه بعد سنة تنقص ثلاثة أيام وقام من بعده *(السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري)* أحد مماليك الملك المنصور قلاون وجلس على التخت بقلعة الجبل في يوم الاربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وتلقب بالملك العادل فكانت ايامه شر أيام لما فيها من قصور مد النيل وغلاء الاسعار وكثرة الوباء في الناس وقدوم الاويراتية فقام عليه نائبه الامير حسام الدين لاجين وهو عائد من دمشق بمنزلة العرجاء في يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم سنة ست وتسعين ففر الى دمشق واستولى لاجين على الامر فكانت مدته سنتين وسبعة عشر يوما وقدم لاجين بالعسكر الى

مصر وقام فى السلطنة * (السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى) * أحد مماليك المنصور قلاون وجلس على التخت بقلعة الجبل وتلقب بالملك المنصور في يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم المذكور واستناب مملوكه منكوتمر فنفرت القلوب عنه حتى قتل في ليلة الجمعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة فكانت مدته سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما ودبر الامراء بعده أمور الدولة حتى قدم من الكرك * (السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون) * وأعيد الى السلطنة مرة ثانية في يوم الاثنين سادس جمادى الاولى وقام بتدبير الامور الاميران سلار نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير أستادار حتى سار كانه يريد الحج فمضى الى الكرك وانخلع من السلطنة فكانت مدته تسع سنين وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً فقام من بعده * (السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير) * أحد مماليك المنصور قلاون في يوم السبت ثالث عشرى ذى الحجة سنة ثمان وسبعمائة حتي فر من قلعة الجبل في يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان سنة تسع وسبعمائة فكانت مدته عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً ثم قدم من الشام في العساكر * (السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاون) * وأعيد الى السلطنة مرة ثالثة في يوم الخميس ثانى شوال منها فاستبد بالامر حتي مات في ليلة الخميس حادى عشري ذي الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وكانت مدته الثالثة اثنين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوما ودفن بالقبة المنصورية على أبيه وأقيم بعده ابنه * (السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر) * بعهد أبيه في يوم الخميس حادى عشرى ذى الحجة وقام الامير قوصون بتدبير الدولة ثم خلعه بعد تسعة وخمسين يوما في يوم الاحد لعشرين من صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة واقام بعده أخاه * (السلطان الملك الاشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاون) * ولم يكمل له من العمر ثمان سنين فتنكرت قلوب الامراء على قوصون وحاربوه وقبضوا عليه كما ذكر في ترجمته وخلعوا الاشرف فى يوم الخميس أول شعبان فكانت مدته خمسة أشهر وعشرة أيام وقام الامير أيدغمش بأمر الدولة وبعث يستدعى من بلاد الكرك *(السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاون) * وكان مقيما بقلعة الكرك من أيام أبيه فقدم على البريد فى عشرة من أهل الكرك ليلة الخميس ثامن عشرى شهر رمضان وعبر الدور من قلعة الجبل بمن قدم معه واحتجب عن الامراء ولم يخرج لصلاة العيد ولا حضر السماط على العادة الى أن لبس شعار السلطنة وجلس على التخت في يوم الاثنين عاشر شوال وقلوب الامراء نافرة منه لاعراضه عنهم فساءت سيرته ثم خرج الى الكرك في يوم الاربعاء ثانى ذى القعدة واستخلف الامير آق سنقر السلارى نائب الغيبة فلما وصل قبة النصر نزل عن فرسه ولبس ثياب العرب ومضى مع خواصه أهل الكرك على البريد وترك الاطلاب فسارت

على البر حتى وافته بالكرك فرد العسكر الى بلد الخليل وأقام بقلعة الكرك وتصرف أقبح تصرف فخلعه الامراء في يوم الاربعاء حادى عشرى المحرم سنة ثلاث وأربعين فكانت مدته ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما وأقاموا بعده أخاه *(السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل)* فى يوم الخميس ثانى عشري المحرم المذكور وقام الامير ارغون زوج أمه بتدبير المملكة مع مشاركة عدة من الامراء وسارت الامراء والعساكر لقتال الناصر أحمد فى الكرك حتى أخذ وقتل فلما أحضرت رأسه الى السلطان الصالح ورآها فزع ولم يزل يعتاده المرض حتى مات ليلة الخميس رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأحد عشر يوما وقام بعده أخوه * (السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان)* بعهد أخيه وجلس على التخت من غد فأوحش مابينه وبين الامراء حتى ركبوا عليه فركب لقتالهم فلم يثبت من معه وعاد الى القلعة منهزما فتبعه الامراء وخلعوه وذلك في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة فكانت مدته سنة وثمانية وخمسين يوما فأقيم بعده أخوه * (السلطان الملك المظفر زين الدين حاجي) * من يومه فساءت سيرته وانهمك في اللعب فركب الامراء عليه فركب اليهم وحاربهم فخانه من معه وتركوه حتى أخذ وذبح في يوم الاحد ثاني عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وكانت مدته سنة وثلاثة أشهر واثنى عشر يوما وأقيم من بعده أخوه * (السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى حسن بن محمد) * فى يوم الثلاثاء رابع عشره وعمره احدى عشرة سنة فلم يكن له من الامر شئ والقائم بالامر الامير شيخو العمرى فلما أخذ فى الاستبداد بالتصرف خلع وسجن فى يوم الاثنين ثامن عشري جمادي الآخرة سنة اثنتين وخمسين فكانت مدته أربع سنين تنقص خمسة عشر يوماً منها تحت الحجر ثلاث سنين ونيف ومدة استبداده نحو من تسعة أشهر وأقيم من بعده أخوه * (السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح)* في يوم الاثنين المذكور فكثر لهوه وخرج عن الحد في التبذل واللعب فثار عليه الاميران شيخو وطاز وقبضا عليه وسجناه بالقلعة في يوم الاثنين ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فكانت مدته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وأعيد * (السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاون) * فى يوم الاثنين المذكور فأقام حتى قام عليه مملوكه الامير يلبغا الخاصكي وقتله فى ليلة الاربعاء تاسع جمادي الاولى سنة اثنتين وستين فكانت مدته هذه ست سنين وسبعة اشهر وسبعة أيام وأقيم من بعده ابن أخيه * (السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد ابن المظفر حاجي بن محمد بن قلاون) * وعمره أربع عشرة سنة فى يوم الاربعاء المذكور وقام بالامر الامير يلبغا ثم خلعه وسجنه بالقلعة فى يوم الاثنين رابع عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة وأقام بعده * (السلطان الملك الاشرف زين الدين أبا المعالى شعبان بن

حسين بن الناصر محمد بن المنصور قلاون) * وعمره عشر سنين فى يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان المذكور ولم يل من بنى قلاون من أبوه لم يتسلطن سواه فأقام تحت حجر يلبغا حتى قتل يلبغا فى ليلة الاربعاء عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة فأخذ يستبد بملكه حتى انفرد بتدبيره الى أن قتل في يوم الثلاثاء سادس ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة بعد ما اقيم بدله ابنه فى السلطنة فكانت مدته اربع عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر يوما فقام بالامر ابنه *(السلطان الملك المنصور علاء الدين على بن شعبان بن حسين)* وعمره سبع سنين في يوم السبت ثالث ذى القعدة المذكور وأبوه حى فلم يكن حظه من السلطنة سوى الاسم حتي مات في يوم الاحد ثالث عشري صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فكانت مدته خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يوما فاقيم بعده أخوه *(السلطان الملك الصالح زين الدين حاجى)* في يوم الاثنين رابع عشرى صفر المذكور فقام بأمر الملك وتدبير الامور الامير الكبير برقوق حتى خلعه في يوم الاربعاء تاسع شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة فكانت مدته سنة وشهرين ينقصان أربعة أيام وبه انقضت دولة المماليك البحرية الاتراك وأولادهم ومدتهم مائة وست وثلاثون سنة وسبعة اشهر وتسعة أيام أولها يوم الخميس عاشر صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة وآخرها يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وعدتهم اربعة وعشرون ذكرا ما بين رجل وصبي وامرأة واحدة وأولهم امرأة وآخرهم صبى ولما اقيم الناصر حسن بعد أخيه المظفر حاجى طلب المماليك الچراكسة الذين قربهم المظفر بسفارة الامير أغرلو فانه كان يدعى انه كان چركسى الجنس وجلبهم من اماكن حتى ظهروا فى الدولة وكبرت عمائمهم وكلوتاتهم فأخرجوا منفيين أنحس خروج فقدموا على البلاد الشامية والله تعالى أعلم

(ذكر دولة المماليك الچراكسة)

وهم والللاض والروس اهل مدائن عامرة وجبال ذات اشجار ولهم اغنام وزروع وكلهم في مملكة صاحب مدينة سراي قاعدة خوارزم وملوك هذه الطوائف لملك سراي كالرعية فان داروه وهادوه كف عنهم والا غزاهم وحصرهم وكم مرة قتلت عساكره منهم خلائق وسبت نساءهم وأولادهم وجلبتهم رقيقا الى الاقطار فأكثر المنصور قلاون من شرائهم وجعلهم وطائفة اللاض جميعاً في أبراج القلعة وسماهم البرجية فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة وعمل منهم أوشاقية وجمقدارية وجاشنكيرية وسلاحدارية وأولهم * (السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن آنص)* أخذ من بلاد الچركس وبيع ببلاد القرم فجلبه خواجا فخر الدين عثمان بن مسافر الى القاهرة فاشتراه منه الامير الكبير يلبغا الخاصكى وأعتقه وجعله من جملة مماليكه الاجلاب فعرف ببرقوق العثمانى فلما قتل يلبغا

أخرج الملك الاشرف الاجلاب من مصر فسار منهم برقوق الى الكرك فأقام في عدة منهم مسجوناً بها عدة سنين ثم أفرج عنه وعمن كان معه فمضوا الى دمشق وخدموا عند الامير منجك نائب الشام حتى طلب الاشرف اليلبغاوية فقدم برقوق فى جملتهم واستقر في خدمة ولدى السلطان على وحاجي مع من استقر من خشداشيته فعرفوا باليلبغاوية الى أن خرج السلطان الى الحج فثاروا بعد سفره وسلطنوا ابنه علياً وحكم في الدولة منهم الامير قرطاى الشهابي فثار عليه خشداشية أينبك البدرى فأخرجه الى الشام وقام بعده بتدبير الدولة وخرج الى الشام فثارت عليه اليلبغاوية وفيهم برقوق وقد صار من جملة الامراء فعاد قبل وصوله بلبيس ثم قبض عليه وقام بتدبير الدولة غير واحد في أيام يسيرة فركب برقوق في يوم الاحد ثالث عشرى ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة وقت الظهيرة في طائفة من خشداشيته وهجم على باب السلسلة وقبض على الامير يلبغا الناصرى وهو القائم بتدبير الدولة وملك الاصطبل وما زال به حتى خلع الصالح حاجي وتسلطن فى يوم الاربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وقت الظهر فغير العوايد وأفنى رجال الدولة واستكثر من جلب الجراكسة الى أن ثار عليه الامير يلبغا الناصرى وهو يومئذ نائب حلب وسار اليه ففر من قلعة الجبل في ليلة الثلاثاء خامس جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وملك الناصرى القلعة وأعاد الصالح حاجي ولقبه بالملك المنصور وقبض على برقوق وبعثه الى الكرك فسجنه بها فثار الامير منطاش على الناصرى وقبض عليه وسجنه بالاسكندرية وخرج يريد محاربة برقوق وقد خرج من سجن الكرك وسار الى دمشق في عسكر فحاربه برقوق على شقحب ظاهر دمشق وملك ما معه من الخزائن وأخذ الخليفة والسلطان حاجي والقضاة وسار الى مصر فقدمها فى يوم الثلاثاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وتسعين واستبد بالسلطنة حتى مات ليلة الجمعة للنصف من شوال سنة احدى وثمانمائة فكانت مدته اتابكا وسلطانا احدى وعشرين سنة وعشرة اشهر وستة عشر يوما خلع فيها ثمانية اشهر وتسعة ايام وقام من بعده ابنه *(السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج)* فى يوم الجمعة المذكور وعمره نحو العشر سنين فدبر أمر الدولة الامير الكبير ايتمش ثم ثار به الامير يشبك وغيره ففر الى الشام وقتل بها ولم تزل ايام الناصر كلها كثيرة الفتن والشرور والغلاء والوباء وطرق بلاد الشام فيها الامير تيمورلنك فخربها كلها وحرقها وعمها بالقتل والنهب والاسر حتى فقد منها جميع انواع الحيوانات وتمزق أهلها في جميع اقطار الارض ثم دهمها بعد رحيله عنها جراد لم يترك بها خضراء فاشتد بها الغلاء على من تراجع اليها من أهلها وشنع موتهم واستمرت بها مع ذلك الفتن وقصر مدّ النيل بمصر حتي شرقت الاراضى الاقليلا وعظم الغلاء والفناء فباع أهل الصعيد أولادهم من الجوع وصاروا أرقاء مملوكين

وشمل الخراب الشنيع عامة أرض مصر وبلاد الشام من حيث يصب النيل من الجنادل الى حيث مجري الفرات وابتلى مع ذلك بكثرة فتن الاميرين نوروز الحافظي وشيخ المحمودي وخروجهما ببلاد الشام عن طاعته فتردد لمحاربتهما مرارا حتى هزماه ثم قتلاه بدمشق فى ليلة السبت سادس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة فكانت مدته منذ مات أبوه الى أن فر في يوم الاحد خامس عشري ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة واختفى وأقيم بعده أخوه عبد العزيز ولقب الملك المنصور ست سنين وخمسة اشهر وأحد عشر يوما وأقام الناصر في الاختفاء سبعين يوما ثم ظهر في يوم السبت خامس عشر جمادي الآخرة واستولى على قلعة الجبل واستبد بملكه اقبح استبداد الى أن توجه لحرب نوروز وشيخ وقاتلهما على اللجون فى يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة خمس عشرة فانهزم الى دمشق وهما فى اثره وقد صار الخليفة المستعين بالله في قبضتهما ومعه مباشرو الدولة فنزل على دمشق وحصراه ثم ألزما الخليفة بخلعه من السلطنة فلم يجد بدأ من ذلك وخلعه فى يوم السبت خامس عشريه ونودى بذلك فى الناس فكانت مدته الثانية ست سنين وعشرة أشهر سواء وأقيم من بعده *(الخليفة المستعين بالله أمير المؤمنين أبو الفضل العباس بن محمد العباسي)* وأصل هؤلاء الخلفاء بمصر أن أمير المؤمنين المستعصم بالله عبد الله آخر خلفاء بنى العباس لما قتله هولاكو بن تولى ابن جنكزخان في صفر سنة ست وخمسين وستمائة ببغداد وخلت الدنيا من خليفة وصار الناس بغير امام قرشي الى سنة تسع وخمسين فقدم الامير أبو القاسم احمد ابن الخليفة الظاهر أبي نصر محمد ابن الخليفة الناصر العباسي من بغداد الى مصر فى يوم الخميس تاسع رجب منها فركب السلطان الملك الظاهر بيبرس الى لقائه وصعد به قلعة الجبل وقام بما يجب من حقه وبايعه بالخلافة وبايعه الناس وتلقب بالمستنصر ثم توجه لقتال التتر ببغداد فقتل في محاربتهم لايام خلت من المحرم سنة ستين وستمائة فكانت خلافته قريباً من سنة ثم قدم من بعده الامير أبو العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر من ذرية الخليفة الراشد بالله أبي جعفر منصور بن المسترشد في سابع عشرى ربيع الاول فأنزله السلطان فى برج بقلعة الجبل وأجري عليه مايحتاج اليه ثم بايعه في يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين بعد ما اثبت نسبه على قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز ولقبه بالحاكم بأمر الله وبايعه الناس كافة ثم خطب من الغد وصلي بالناس الجمعة في جامع القلعة ودعى له من يومئذ على منابر أراضى مصر كلها قبل الدعاء للسلطان ثم خطب له على منابر الشام واستمر الحال على الدعاء له ولمن جاء من بعده من الخلفاء ومازال بالبرج الى أن منعه السلطان من الاجتماع بالناس فى المحرم سنة ثلاث وستين فاحتجب وصار كالمسجون زيادة على سبع وعشرين سنة بقية أيام الظاهر بيبرس وايام ولديه محمد بركة

وسلامش وأيام قلاون فلما صارت السلطنة الى الاشرف خليل بن قلاون أخرجه من سجنه مكرما في يوم الجمعة العشرين من شهر رمضان سنه تسعين وستمائة وأمره فصعد منبر الجامع بالقلعة وخطب وعليه سواده وقد تقلد سيفا محلى ثم نزل فصلى بالناس صلاة الجمعة قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وخطب أيضا خطبة ثالثة في يوم الجمعة تاسع عشرى ربيع الاول سنة احدى وتسعين وحج سنة أربع وتسعين ثم منع من الاجتماع بالناس فامتنع حتي افرج عنه المنصور لاجين في سنة ست وتسعين وأسكنه بمناظر الكبش وأنعم عليه بكسوة له ولعياله وأجرى عليه مايقوم به وخطب بجامع القلعة خطبة رابعة وصلى بالناس الجمعة ثم حج سنة سبع وتسعين وتوفى ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة فكانت خلافته مدّة أربعين سنة ليس له فيها امر ولا نهى انما حظ أن يقال أمير المؤمنين وكان قد عهد الى ابنه الامير أبى عبد الله محمد المستمسك ثم من بعده لاخيه أبي الربيع سليمان المستكفى فمات المستمسك في حياته واشتد جزعه عليه فعهد لابنه ابراهيم بن محمد المستمسك فلما مات الحاكم اقيم من بعده ابنه المستكفى بالله أبو الربيع سليمان بعهده له فشهد وقعة شقحب مع الملك الناصر محمد بن قلاون وعليه سواده وقد أرخى له عذبة طويلة وتقلد سيفا عربيا محلي ثم تنكر عليه وسجنه في برج بالقلعة نحو خمسة اشهر وأفرج عنه وأنزله الى داره قريبا من المشهد النفيسي بتربة شجرة الدر فأقام نحو ستة اشهر وأخرجه الى قوص فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وقطع راتبه وأجري له بقوص مايتقوت به فمات بها في خامس شعبان سنة أربعين وعهد الى ولده فلم يمض الملك الناصر محمد عهده وبويع ابن أخيه أبو اسحاق ابراهيم بن محمد المستمسك بن احمد الحاكم بيعة خفية لم تظهر في يوم الاثنين خامس عشري شعبان المذكور وأقام الخطباء اربعة اشهر لايذكرون فى خطبهم الخليفة ثم خطب له فى يوم الجمعة سابع ذى القعدة منها ولقب بالواثق بالله فلما مات الناصر محمد وأقيم بعده ابنه المنصور أبو بكر استدعى أبو القاسم احمد بن أبي الربيع سليمان وأقيم في الخلافة ولقب بالحاكم بعد ماكان يلقب بالمستنصر وكني بأبى العباس فى يوم السبت سلخ ذى الحجة سنة احدي وأربعين وسبعمائة فاستمر حتى مات في يوم الجمعة رابع شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة فاقيم بعده أخوه المعتضد بالله أبو بكر وكنيته أبو الفتح بن أبي الربيع سليمان في يوم الخميس سابع عشره واستقر مع ذلك في نظر مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ليستعين بما يرد الى ضريحها من نذر العامة على قيام أوده فان مرتب الخلفاء كان على مكس الصاغة وحسبه أن يقوم بما لابد منه فى قوتهم فكانوا ابدا في عيش غير موسع فحسنت حال المعتضد بما يبيعه من الشمع المحمول الى المشهد النفيسي ونحوه الى أن توفي يوم الثلاثاء عاشر جمادي الاولى سنة ثلاث وستين وكان يلثغ بالكاف وحج مرتين احداهما سنة أربع وخمسين

والثانية سنة ستين فأقيم بعده ابنه المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بعهده اليه في يوم الخميس
ثاني عشره وخلع عليه بين يدى السلطان الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي وفوض
اليه نظر المشهد ونزل الى داره فلم يزل حتي تنكر له الامير أينبك في أول ذى القعدة سنة
ثمان وسبعين بعد قتل الملك الاشرف شعبان بن حسين وأخرجه ليسير الى قوص وأقام
عوضه في الخلافة ابن عمه زكريا بن ابراهيم بن محمد في ثالث عشرى صفر سنة تسع وسبعين
وكان قد أمر برد المتوكل من نفيه فرد الى منزله من يومه فأقام به حتى رضى عنه اينبك
وأعاده في العشرين من ربيع الاول منها الى خلافته ثم سخط عليه الظاهر برقوق وسجنه
مقيدا في يوم الاثنين أول رجب سنة خمس وثمانين وقد وشى به انه يريد الثورة وأخذ الملك
وأقيم بعده في الخلافة الواثق بالله أبو حفص عمر بن المعتصم ابى اسحاق ابراهيم بن محمد
ابن الحاكم في يوم الاثنين المذكور فما زال خليفة حتى مات يوم السبت تاسع شوال سنة
ثمان وثمانين فأقام الظاهر بعده في الخلافة أخاه زكريا بن ابراهيم في يوم الخميس ثامن
عشريه ولقب بالمستعصم وركب بالخلعة وبين يديه القضاة من القلعة الى منزله فلما اشرف
الظاهر برقوق على زوال ملكه وقرب الامير يلبغا الناصري نائب حلب بالعساكر استدعى
المتوكل على الله من محبسه وأعاده الى الخلافة وخلع عليه في يوم الاربعاء أول جمادى الاولى
سنة احدي وتسعين وبالغ في تعظيمه وأنعم عليه فلم يزل على خلافته حتي توفي ليلة الثلاثاء
ثامن عشرى رجب سنة ثمان وثمانمائة وهو أول من اتسعت أحواله من الخلفاء بمصر
وصار له اقطاعات ومال فأقيم في الخلافة بعده ابنه المستعين بالله أبو الفضل العباس
وخلع عليه في يوم الاثنين رابع شعبان بالقلعة بين يدي الناصر فرج بن برقوق
ونزل الى داره ثم سار مع الناصر الى الشام وحضر معه وقعة اللجون حتى انهزم فدعاه
الاميران شيخ ونوروز فمضى من موقفه اليهما ومعه مباشرو الدولة فأنزلاه ووكلا به وسارا
به لحصار الناصر ثم ألزماه حتى خلعه من السلطنة وأقامه شيخ في السلطنة وبايعه ومن معه
في يوم السبت خامس عشرى المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة وبعث الى نوروز وهو
بشمالى دمشق حتى بايعه فنالوا باقامته اغراضهم من قتل الناصر وانتظام أمرهم ثم سار به
شيخ الى مصر وأقام نوروز بدمشق فلما قدم به اسكنه القلعة ونزل هو بالحراقة من باب
السلسلة وقام بجميع الامور وترك الخليفة في غاية الحصر حتى استبد بالسلطنة فكانت مدة
الخليفة منذ أقاموه سلطانا سبعة اشهر وخمسة أيام ونقل الخليفة الى بعض دور القلعة ووكل
به من يحفظه وأهله وقام من بعده بالسلطنة * (السلطان الملك المؤيد ابو النصر شيخ
المحمودى) * أحد مماليك الظاهر برقوق في يوم الاثنين أول شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة
فسجن الخليفة في برج بالقلعة ثم حمله الى الاسكندرية فسجنه بها ولم يزل سلطانا حتي مات

في يوم الاثنين ثامن المحرم سنة أربع وعشرين فكانت مدته ثمان سنين وخمسة اشهر وستة ايام فأقيم بعده ابنه *(السلطان الملك المظفر شهاب الدين أبو السعادات احمد)* وعمره سنة واحدة ونصف فقام بأمره الامير ططر وفرق ماجمعه المؤيد من الاموال وخرج بالمظفر يريد محاربة الامراء بالشام فظفر بهم وخلع المظفر وكانت مدته ثمانية أشهر تنقص سبعة أيام وقام بعده *(السلطان الملك الظاهر أبو الفتح ططر)* أحد مماليك الظاهر برقوق وجلس على التخت بقلعة دمشق في يوم الجمعة تاسع عشري شعبان سنة أربع وعشرين وقدم الى قلعة الجبل وهو موعوك البدن في يوم الخميس رابع شوال فتقل في مرضه من يوم الاثنين ثاني عشريه حتى مات في يوم الاحد رابع عشري ذي الحجة فكانت مدته ثلاثة أشهر ويومين فأقيم بعده ابنه *(السلطان الملك الصالح ناصر الدين محمد)* وعمره نحو عشر سنين فقام بأمره الامير برسباى الدقماقي ثم خلعه بعد أربعة أشهر وأربعة أيام وقام من بعده *(السلطان الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر برسباى)* أحد مماليك الظاهر برقوق وجلس على تخت الملك في يوم الاربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة

هذا آخر الجزء الثالث من أصل مصنفه الامام المقريزي رحمه الله تعالى ورضى عنه

(ووجد على هامش بعض النسخ ماصورته) وتوفى الاشرف برسباي ثالث عشر ذي الحجة سنة احدي وأربعين وثمانمائة فكانت مدته ست عشرة سنة وتسعة شهور ثم قام من بعده ولده *(الملك العزيز يوسف)* وسنه نحو خمس عشرة سنة ثم خلع في تاسع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة فكانت مدته نحو ثلاثة أشهر وقام من بعده *(الملك الظاهر جقمق)* في تاسع عشر ربيع المذكور وخلع نفسه من الملك في مرض موته وتولى بعده بعهده ولده *(الملك المنصور عثمان)* في حادى عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة فكانت مدة الظاهر جقمق أربع عشرة سنة ونحو عشرة شهور ثم خلع ولده المنصور عثمان فى سابع ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة فأقام في الملك أحدا وأربعين يوما وتولى عوضه *(الملك الاشرف اينال)* في ثامن ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وخلع نفسه في مرض موته فى جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة فكانت مدته ثمان سنين وشهرين وتولى بعده ولده *(الملك المؤيد احمد)* ثم خلع فى ثامن عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة فكانت مدته أربعة أشهر وتولى *(الملك الظاهر خشقدم)* تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة ومات عاشر شهر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين فكانت مدته نحو ست سنين ونصف ثم تولى *(الملك الظاهر بلباى)* في حادى عشر الشهر المذكور ثم خلع فى سابع جمادى الاولى

من السنة المذكورة فكانت مدته ستة وخمسين يوما ثم تولى *(الملك الظاهر تمر بغا)* في ثامن جمادي الاولى المذكور ثم خلع في العشر الاول من شهر رجب الفرد سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وكانت مدته نحو تسعة وخمسين يوما وتولى *(الملك الاشرف قايتباى)* في ثاني عشر رجب من السنة المذكورة وتوفي في ثانى عشرى ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة فكانت مدته تسعا وعشرين سنة وأربعة شهور وأياما وتولى بعده ولده *(الملك الناصر محمد)* في التاريخ المذكور ثم قتل بالجيزة في آخر يوم الاربعاء النصف من ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة فكانت مدته سنتين وثلاثة اشهر وأياما ثم تولى خاله *(الملك الظاهر قانصوه الاشرفي قايتباى)* في ضحوة يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول المذكور ثم خلع في سابع ذى الحجة سنة خمس وتسعمائة فكانت مدته نحو عشرين شهرا وتولى عوضه *(الملك الاشرف جان بلاط الاشرفي قايتباى)* وأتانا خبره بمنزله الجديدة في العود من المدينة الشريفة في يوم الجمعة سادس عشرى ذى الحجة سنة خمس وتسعمائة فكانت مدته ستة شهور وأياما ثم خلع في يوم السبت ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسعمائة وتولي *(الملك العادل طومان باى الاشرفي قايتباى)* ثم خلع سلخ رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته نحو مائة يوم وتولى بعده *(الملك الاشرف قانصوه الغورى الاشرفي قايتباى)* مستهل شوال من السنة المذكورة انتهى والله تعالى اعلم بالصواب

(تم الجزء الثالث من الخطط المقريزية ويليه الجزء الرابع وأوله ذكر المساجد الجامعة)



{ فهرست }

الجزء الثالث من كتاب الخطط للعلامة المقريزى

صحيفة

صحيفة

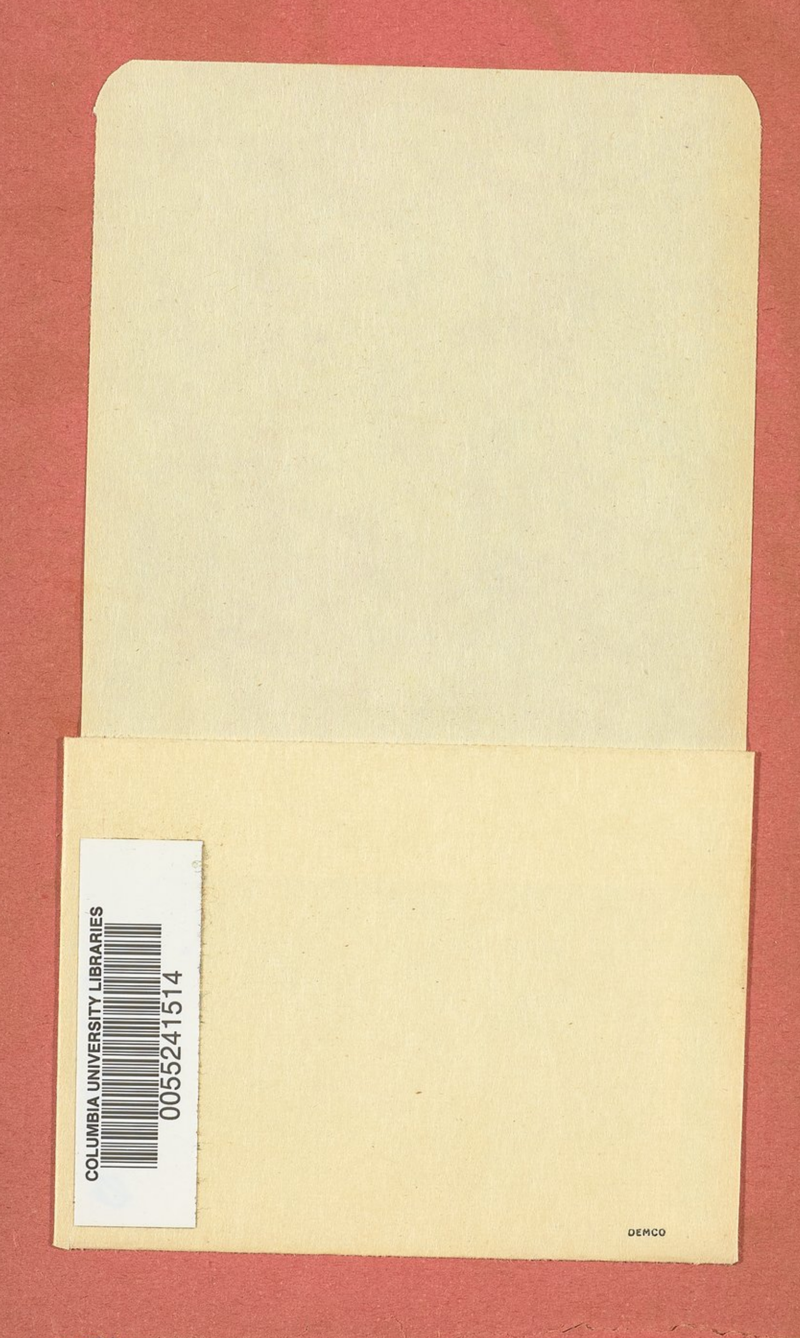
(تمت الفهرست)










COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0055241514
DEMCO

